الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعـــة منتوري قسنطينة

كليـــة الآداب واللــغات

قســـم اللغة العربية وآدابها

الشعـــر السياسي

في الأندلس

خلال القرن الخامس الهجري

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولـــة في الأدب العربي القديم

إعداد :

أمحمد بن لخضر فورار

إشراف:

أ . الدكتور الربعي بن سلامة

لجنـــة المناقشة

أ. د.............	جامعـــة........	رئيســـــا
أ.د الربعي بن سلامـــة	جامعة قسنطينة	مشرفا ومقررا
....	جامعة..........	عضوا مناقشا
....	جامعة..........	عضوا مناقشا
....	جامعة..........	عضوا مناقشا

العام الجامعي :2004 ــ 2005

بســـــــم اللـــــــه الرحمـــن الرحيـــــم

مقدمـــــــــة

كان التراث الأندلسي ، ولا يزال ، مفعما بالموضوعات التي تحتاج إلى نفض الغبار عنها ، لترى النور ، ولعل هذا من الدوافع التي كانت تراودني منـــذ أن أنجـــزت بحثـــي للماجستير ، وموضوعه: (الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية 366هـــ-399هـــ)، هذه الفتـــرة ولدلت لنا موضوعات جديـــدة ، نظرا لطابعها الاستبدادي ، وأتت أكلها في القرن الخامس الهجري ، ثم ازدهار موضوعات كانت السمة البارزة للفتـــرة ، مما لهـــا من قوة وعظمة ، ولكنها انقلبت إلى موضوعات ترثي حال العصر اللاحق .

مـــن هنا واستكـــمالا للبحث في التراث الأندلسي ، في القرن الخامـــس الهجري وتصوير العصـــر في بعض جوانبه الأساسية ، تم اختياري من هذا التراث عنوان البحـــث على الشكـــل التالي :

الشعـــــــــر الســـــــــياسي

في الأنـــدلـــس

خـــلال القـــرن الخامـــس الهجـــري

وإن هذا البحث حين انفرد بدراسة الشعر السياسي ، في القرن الخامس الهجري ، إنما انفـــرد بأهمية خاصة تجلت في أنه الوحيد ـــ حســـب علمـــي ـــ الـــذي لم يحـــظ بالدراسات ، لسبر أغواره ، بما أتيح له من سبل وأدوات ، مســـهما بـــذلك ـــ قـــدر الإمكان ـــ في سد النقص ، في مجال الدراسات الأندلسيـــة .

وأعترف أنني عانيت من قلة المصادر التي لها صلة بالموضوع ، لكنني ـــ رغم هذه المعاناة ـــ واصلت بعون الله وهدايته بحثي ، وتغلبت على كثير من صعوباته بفضل العزيمة والكـــد والبحث الدائميـــن ، متنقلا بين المكتبات متحملا أعباء السفر خارج الـــوطن، نظرا لقلـــة وجود هذا التراث داخـــل الوطن ، فضـــلا عن الإرشادات والتوجيـــهات

التي كان أستاذي المشرف الدكتور الربعي بن سلامة يسديها لي كلما سنحت لي فرصـــة الاتصال بـــه ، فقد كان – حفظه الله – حريصا على أن ينجز هذا البحث المتواضع .

وكان يناقشني بصراحة فيما يعرض لي من أمور و يرشدني و يهديني إلى وجهـــة الصواب ، وإســـداء نصح الأخ دون أن ألمس منه ضيقا أو تبرما .

ورحـــت في ضـــوء هـــذا وذاك أبحث في هـــذا الموضوع ، متتبعـــا مختلـــف الكليات والجزئيات فيه بمنهج لم أكن أقصده ــ مسبقا ــ و أنا أدرس جوانبه ، و الحقيقة أن بعضـــها كانت تفرضـــه المادة فرضا ، وتبعا لذلـــك أقـــول : إن المنهـــج التاريخي قد فرض نوعا مـــن السيطـــرة على مختلـــف مراحل البحث و فصوله ، فقد اعتمـــدت في دراسة كثير من النصـــوص على علاقتها بسيرة مبدعيها تارة ، والمؤثرات المختلفـــــة التي تفاعلت معها تارة أخـــرى ، ســـواء أكانت مرتبطة بالناحية السياسية أو الاجتماعية أو الأدبيـــة أو الطبيعية ، وذلك في تداخل تام مع عملية استبطان هذه النصوص الذاتيـــة وفك أسرارها.

وقد قسمت بحثي إلى **مدخل وخمسة فصول وخاتمة .** يقوم المدخل علـــى ثلاثـــة جوانب أساسية ، كان لها ــ في نظري ــ أثر بالغ في تسليط الضوء على القرن الخـــامس الهجري ، أقصد الحياة السياسية والاجتماعية والحركة العلمية والأدبية .

ففي **الحـــياة السياسيـــة** تمت الإشـــارة إلى طبيعتها ، وما سادها من صراع حاد والذي يتمثل في العوامل المساعدة على سقوط الدولة العامرية رغم أنها كانـــت امتـــدادا للعصـــر الذهبي ، في ظل الخلافة الأموية ، لكن وقعت الفتنة التي أشعل نارهـــا حـــب الاستئثار بالخلافة ، وزوال حكم الأمويين ، وجاء عهد ملوك الطوائف ، فازداد الصراع والتنافس أكثر ، والخضوع للأعداء النصارى بشكل يثير العجب ويفوق كل حد ، وإني وإن أطنبت ، فعذري في ذلك ، يهدف إلى الوقوف على الأسباب الجوهريـــة لحـــدوث الفتنة، وانقسام الأندلس إلى دويلات ، ثم إزالتها نهائيا بحلول المرابطين محلهم ، فكانـــت الأندلس ولايـــة تابعة للمغرب .

أما **الحياة الاجتماعية** ، فإنها تحددت بعد الدراسة المستفيضة للحياة السياســية ، وتحددت السمات المميزة للظروف السياسية ، وفي ضوئها تحــددت شخصــية المجتمــع الأندلسي ، في القرن الخامس الهجري ، وهذا المجتمع الذي تألف من عناصر بشرية متنوعة في أصولها وعقائدها وثقافاتها ، والتي عاشت متآخية ومتجانسة وكونت لنــا شخصــية أندلسية متميزة .

وهـــذه العناصـــر هي العرب ، والبربـــر ، و المولدون ، وأهل الذمة من نصارى ويهود ، وصقالبة .

ولعل عدم قيام وحدة سياسة ، خلال القرن الخامس الهجري كان راجعا لســيرة الخلفاء السيئة ، وكذا ملوك الطوائف تجاه الرعية بالاستئثار بخيرات البلاد وفرض الضرائب الباهضة عليها لتأمين أنفسهم ، وممالكهم هجمات الجيران والأعداء النصارى ، فــــما كان من الرعية التي لعبت دورا رئيسيا في خلق ملوك الطوائف ، قامت بنفس الـــدور في إزالتهم وثل عروشهم .

وأما الحركة العلمية والأدبية فإنها بلغت أقصى درجـــات ازدهارهـــا في تـــاريخ الأندلس ، برغم ما اتسم به القرن الخامس من تفكك وانحلال سياســـي شـــامل ، فقـــد ازدهرت الدراسات العلمية المختلفة ، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء ، في العلوم الدينيـــة واللغوية ، والتاريخية ، والجغرافية ، وانتشار المكتبات عند الخاصة .

ونشطت الحركة الأدبية التي حظيت بتشجيع ملوك الطوائف خاصة ، وكان الشعر أمرا مشتركا بينهم بفعل تهافت هؤلاء الملوك لاجتـــذاب الأدبـــاء والشـــعراء والعلمـــاء لبلاطاتهم، فصاغوا أحاسيسهم و مشاعرهم في قصائد رائعة ترددها الأجيـــال ، ومنـــها القصائد والمقطوعات التي هي محل بحثنا .

ومهـــدت للشعـــر السياسي بتمهيد عرفت فيه بموضوعات البحث الذي تناولت في **فصلـــه الأول** :

الهـــجاء الســـياسي وعرفت فيه بهذا اللون الفني الذي اختص في هجاء الخلفـــاء وملوك الطوائف ووزرائهم وولاتهم ، ودافع الشعراء لهجائهم ، هو اختـــلال الأوضـــاع

السياسية ــ كما تقدم ــ و لم يستثنوا حتى من أغــدق العــــطاء علــيهم في شــعرهم الساخــر والــلاذع .

أما **الفصــل الثاني** فقد خصصته **لشعــر السجن** الذي كشف لنا عن مواقــف الشعراء السجناء التي لم ترض الحكام ، أو اقترفوا ما استوجب في نظرهم سجنهم أو حتى قتلهم ، وهم أحيانا من كبار رجال السياسة .

ووصف لنا هؤلاء الشعراء السجناء السجن داخليا و خارجيا ، ووصفوا حالاتهم داخله في قيودهم ، ومع السجان واستعطفوا واعتذروا ، و حنوا إلى الأهل والديار والعالم الخارجي ، ثم فيهم من نال حريته ، وفيهم من فر ، و فيهم من قتل ، و فيهم من استسلم لقضاء الله وقدره ، في شعرهم الذي تتجلى فيه العاطفة الصادقة .

وأما **الفصل الثالث** فقد ركزت فيه على **شعــر الحــرب** وبخاصة معركة الزلاقة الشهيرة لأن فترة الفتنة العظمى لم تشهد غزوات للمسلمين ضـــد النصـــارى بســـبب الأحداث الداخلية ، والفتـــن المحلية ، التي سهلت عملية تفتيت الوحدة الأندلسية ، وظهر ملوك الطوائف في موقف الضعف أمام النصارى الذين ابتلعوا مدنهم وممالكهم ، الشـــيء الذي مكنهم من الاعتماد على المرابطين في خوض معركة الزلاقة ، التي وقفنـــا عنـــدها بالدراسة والتحليل للنصوص الشعرية التي أبرزت لنا تسميتها والاستعداد لهـــا وخوضـــها والانتصار فيها ضد النصارى ، ونجاح الاستراتيجية العسكرية التي انتهجها أمير المـــرابطين باستخدامه للطبول والجمال التي لم تستخدم قبل في الغزوات ضد النصارى .

و تناولت في **الفصـــل الرابـــع الرثاء السياسي** الذي قسمته إلى فرعين، فـــرع يتجه نحو **رثاء المدن** و آخر **يرثي الممالك الزائلة** وكلاهما يتصف بالصدق الفني وكتـــب لـــه الشهرة والذيوع .

أما **رثـــاء المـــدن** فقد اتجه إلى رثاء المدن أثناء الفتنة ، واختص في رثاء قرطبـــة المخـــربة ، ورثاء مدن سقطـــت في أيدي النصارى واستـــردت ، ورثاء مملكـــة طليطلة التي رحل عنها أهلها إلى الأبـــد .

و أما **الفـــرع الثـــاني** من الرثاء السياسي ، فقد انصب على رثاء **المدن الزائلة** ، أي التي ضاعت بسبب التفكك و الانقسامات والصراعات بين ملوك الطوائف ، فعمـــل المرابطون على إزالتها ، بعد طلب أهلها منهم على ألسنة فقهائها ، فكان لهم ذلك .

و أخيرا جاء **الفصل الخامس** الذي خصصته للبناء الفني تعرضت فيـــه إلى بنـــاء القصـــيدة من حيـــث مطلعها ومقدمتها وحسن تخلصها وموضوعها الرئيس وخاتمتها ، ثم الـــوزن والقافية .

ثم ركزت على بعض مشارب هذا الشعر من حيث أثر القرآن والحديث والفقـــه، معنى ولفظا ، إلى جانب الموروث الشعري باعتباره ظاهرة واضحة في شعر الأندلســـيين ، وأشرت إلى أثر بعض الثقافات كالتاريخ ، والأمثال ، إلى جانب بعـــض المصـــطلحات اللغوية والأدبية ، ثم أثر الثقافة الأندلسية .

و أنهيت هذه الدراسة ، في هذا الفصل ، باللغة والأسلوب ووجدت أن شـــعراء القرن كانوا يغرفون من معجم متأثر بالجو السياسي والاجتماعي والعلمي ، مع انصـــهار معظمهـــم في واقع بيئتهـــم ، ونقلوه إلى موضـــوعات الشعر السياسي التي عالجوهـــا ، وقد احتفوا فيها بأنواع البديع و البيان ، وكانوا صادقي العاطفة في أغلب ذلك .

وفي الخاتمـــة سجلت أهم النقاط و النتائج التي توصلت إليها .

أما **المصادر و المراجع** التي اعتمدتها في هذا البحث ، فهي متنوعة و يمكن تصنيف المصادر كما يلي :

ـــ كتب التـــراجم

ـــ كتب الأدب والنقـــد

ـــ الـــدواوين والمجمـــوعات الشعرية المتوفـــرة

ـــ المعاجـــم وهي لغوية وجغرافية

و أما **المراجع الحديثة** ، فهي إما دراسات أدبية و نقدية ، و إما دراسات تاريخية .

ولايسعـــني في النهاية إلا الإقرار مجددا بالفضل لذويه ، وأخص بالـــذكر مجـــددا ودائما أستاذي المشرف الدكتور الربعي بن سلامة ، الذي رعى هذا البحث مـــذ كـــان فكرة إلى أن استوى في وضعه هذا ، وأسأل الله أن يبقيه لنـــا ذخـــرا وللعلـــم مـــوئلا ، وللمتعلمين هاديا ومرشدا ، ولكل من أعان بمشورة أو أسدى رأيا ، وأنا أواجه مختلـــف صعوبات هذا البحث ، أو ساهم بأية مساعدة ، سواء أثناء الاستشارة ، أو في المكتبـــات التي قصدهما ، أو في الطبع ، أو تحمل مشقته في هذه الرحلة من أسرتي بخاصة ، وزملائي ، ولأعضاء هيئة الإدارة واللجنة العلمية ، بقسم اللغة العربيـــة وآدابهـــا ، وكليـــة الآداب واللغات بجامعة قسنطينة ، وكذا قسم الأدب العربي بجامعة بسكرة ، بما أولوه لي من دعم مادي ومعنوي ، فلكـــل أولئك ولأعضاء اللجنة المحترمين الذين صرفوا الغالي من وقتهم ، من أجـــل قراءة هذا العمل المتواضع ، آملا أن أكون قد حققت بعض ما قصدت إليه ، في الكشـــف عن جانب من تراثنا ، وإن جانبني الصواب ، استسمح أساتذتي عذرا ، فإني أترســـم خطى من سبقني ، وأفيد من علمهم وتوجيهاتهـــم التي لا يمكن لأي بحـــث أن يتحقق بعض منه بدونها ، وعلى الله قصـــد السبيل ، وإياه أســـال الهـــدى والتوفيق.

مــــدخـــــــل

تتركز دراستنا علىالشعر السياسي في الأندلس ، خلال القرن الخامس الهجـــري ، ويقتضينا البحث في هذا العهد وقفات متأنية لتوضـــيح طبيعـــة النشـــاط الأدبي خلالـــه ، بدراســـة الحيـــاة السياسية و الاجتماعية و الثقافـــية التي ظهرت مراسمها وخفقت معالمها في تلك الأزمنـــة.

الحياة السياسية :

يعد القرن الرابع الهجري أزهى قرون الحكم العربي الإسلامي في الأندلس ، وأقواها على الإطلاق ، وقد بدأ بتولي عبد الرحمن الثالث (1) الحكم بعد وفاة جده الأمير عبد الله ابن محمد سنة 300 هجرية (2) ، ((وكانت ولايته من الغريب ، لأنه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى إليها ، وحازها دونهم)) (3) .

لقـــد تقلد عبد الرحمن هذه الإمارة يوم وفاة جده عبـــد الله ــــ كما تقدم ــــ لأن جـــده كان يؤثره على بنيه ويخصه بالحظوة ، وقيل : إن جده رمـــى بخاتمـــه إليـــه إبانـــة لاستخلافه (4) . ويبدو أن رأي أعمامه وأعمام أبيه لم يكن دون رأي جده ، ذلك لأنهـــم أقبلوا جميعا على مبايعته يوم توليه الحكم ، وأثنوا عليه بكل جميل .(5) .

وكان عبد الرحمن الثالث شابا في منتصف الرابعة والعشرين من سني عمره حينمـــا ارتقىالعرش إذكان مولده سنة 277 هجرية (6) . وكانت ملامح الذكاء والشهامة والحزم بادية عليه ، فاستـــطاع أن يمسك بزمام الأمور ويوطـــد أركان الدولة في الأنـــدلس (7)،

---

1 - انظر ترجمة عبد الرحمن الناصر لدين الله في: أخبار مجموعة.153-158 ، ابـــن الفرضـــي. تـــاريخ علمـــاء الأنـــدلس.1: 7 ، الحميدي.جذوة المقتبس .41-42 ، المراكشي . المعجب .45 ، ابن سعيد.المغرب.1:181-186 ، ابن الآبار.الحلة الســـيراء.1:197 ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ . 8: 335 – 336 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام.28 ، ابن خلدون . التاريخ.289:1/4 ، ابن ثغري . النجوم الزاهرة.330:3 ، المقري . نفح الطيب .1: 353 - 373.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 120:2.

3 - ابن خلدون . التاريخ . 289:1/4.

4 - ابن عذارى . البيان المغرب. 150:1،157.

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه .157:2.

6 - ابن عذارى . المصدر نفس .157:2.

7 - ابن خلدون . التاريخ . 1/4: 298 .

وأن يقضي على الثورات الداخلية للمنشقين من أصحاب الفتن من العرب والمولّدين ولاسيما فتنة عمر ابن حفصون (1) ، واستطاع كذلك أن يمنح الدولة هيبة أمام أعدائها النصارى لكثرة غزواته لهم ، وتوالي انتصاراته عليهم (2) ، حتى جنح أكثرهم للمهادنة بل لدفع الجزية ، وإقامة سفارات ومراسلات وعلاقات دبلوماسية ، وتوالت وفودهم يومئذ على بلاط قرطبة تنشد الحلف والصداقة . وبذلك قضى على الأخطار المحدقة بهم (3) .

وعاشت الأندلس في عهد الناصر الذي استمر زهاء خمسين سنة ، أزهى عهودها قوة ومنعة ورخاء وأمنا ((و لم يبلغ أحد من بني أمية في الولاية مدته فيها)) (4).

عبد الرحمن الثالث والخلافة:

كان أمراء بني أمية منذ أقام دولتهم في الأندلس عبد الرحمن الداخل (5) ، عازفين على ألقاب الخلافة مكتفين بلقب الإمارة ، فلم يلقب أحد بلقب خليفة أو أمير المؤمنين ، احتراما منهم _ ولو بصورة لاشعورية _ لوحدة المسلمين ، ومهابة لمنصب خلافة . وقيل في تعليل ذلك :إنهم كانوا يرون الخلافة تراثا لآل البيت ، ويدركون قصورهم عن ذلك((بالقصور عن ملك أصل العرب والملّة ، والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية)) (6) ، وأنهم بعبارة أخرى كانوا يرون لمن ((يملك الحجاز والشام والعراق))(7). ولكن محمد عبد الله عنان يرجع هذا الإحجام بالأخص إلى بواعث الحكمة والسياسة ،

---

1 - هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن إذفونش ، من مسالمة الذمة ،وهو كبير الثوار بالأندلس على الأمراء الأمويين من سنة 270هـ ،ثم اعتنق النصرانية سنة 286 هـ، واتخذ اسما نصرانيا صموئيل .واستمر في ثورته ضد الأمويين ببشتر من كورة رية إلى أن استفحل أمر الناصر فجنح للصلح سنة 303هـ . وتوفي سنة 306هـ .وانقرض أمر بني حفصون من بعده على يد الناصر سنة 315هـ انظر : ابن القوطية.تاريخ افتتاح الأندلس.103-105 ، ابن حيان .المقتبس.393 ، ابن عذارى.البيان المغرب. 2:،106،133 ،177 ، ابن خلدون التاريخ .298:1/4 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام .32 ، الحميري.الروض المعطار . 69،279-280 ، دوزي . المسلمون في الأندلس.148 - 141:1.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب .172:2،173.

3 - ابن خلدون . التاريخ.310:1/4.

4 – الحميدي . جذوة المقتبس. 13.

5 - ابن القوطية. تاريخ افتتاح الأندلس.46 ، مؤلف مجهول .أخبار مجموعة.49_51 ، الضبي. بغية الملتمس.12 ، الحميدي.جذوة المقتبس.9 - 10 ، ابن عذارى.البيان المغرب.40 - 60 ، المراكشي.المعجب.40 ، ابن الأبار . الحلة السيراء.35:1_36 ، المقري . نفح الطيب.299:1 - 300 ، ابن خلدون. التاريخ.272 - 262:1/4.

6 - ابن خلدون . المقدمة. 210.

7 - ابن خلدون .المصدر نفسه .210.

والتحـــوط من إثارة الفتنـــة والخلافات المذهبية والدينية (1)

ولما ظهرت الخلافة الفاطمية في القيروان (2) ، وتمت بسرعة دعوته تما إلى المغـــرب الأقصى ، على مقربة من الأندلس ، مع قصورهم على امتلاك الحجاز ، قبيل حكـــم عبـــد الرحمن الثالث ، كان ذلك في مقدمة البواعث التي حدت به إلى العمل على إحيـــاء تـــراث الخلافة الأموية الروحي ، بعد أن توطدت دولتها السياسية بالأندلس ـــ كما تقدم ـــ ولمـــا تواترت الأنباء من جهة أخرى عما انتهت إليه الدولة العباسية في المشرق من الاضـــطراب والفوضـــى ((ذلك حين هاجت الخلافة العباسية وضعفت ، ظهـــرت الدولـــة التركيـــة والديلمية)) (3) ، ورأى عبد الرحمن الثالث أن يتسم بسمة الخلافة ، وأن يسترد تـــراث أسرته الروحي ، وأنه أحق بالخلافة من دولة منحلة وأخرى طارئة ، أعلن نفسه خليفة سنة 316 هـــ ، وكان أول من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى أثر الخلافة بالمشـــرق (4) ، ((وصارت إمرة المؤمنين لائقة بمنصبه وكلمة باقية في عقبه)) (5) . وفصل الخليفة الناصر الأندلس عن العالم العربي بعد أن ظلت تخضع لسلطان العباسيين الروحي قبلـــه ، وبـــذلك تكاملت للأندلس شخصيتها السياسية .

ومن أهم منشآت الخليفة الناصر العمرانية ، بناء مدينة الزهراء ، لأنه يرى أن البنيان يدل على عظيم الشأن ويخلد ذكره بعد موته ، فقال (6) :

همم الملوك إذا أرادوا ذكـــرها   من بعدهم فبألســـن البنيـــان

أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم   ملك محاه حـــادث الأزمـــان

إن البنيان إذا تعاظـــم شأنـــه   أضحى يدلّ على عظيم الشان

وفيما يتعلق بسياسة الخليفة في الحكم ، فقد كان يعتمد على الصقالبة والبربر لكسر شوكة الطامحين إلى الحكم وتفتيت عصبيتهم القبلية ، وسيكون لذلك أثره في الحياة فيمابعد.

---

1 – عنان ، محمد عبد الله . الدولة الإسلامية في الأندلس . 429 .

2 – ابن خلدون . التاريخ . 1/4: 64 .

3 – ابن عذارى . البيان المغرب . 2: 157 .

4 – ابن خلدون . التاريخ . 1/4: 298 .

5 – ابن عذارى . البيان المغرب . 2: 157 .

6 – ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب . 1: 179 - 180 .

الحكم المستنصر بالله:

كان الناصـــر قد آثر ولده الأكبر الحكـــم (1) منـــذ حداثته على سائر إخوتـــه وولاه عهده ((وهو طفل صغير في ثماني سنين أو نحوها ، حسبما اقتضاه على الناس مـــن العهد بذلك)) (2) .

وبعد وفاة الناصر سنة 350 هجرية ، تولى ابنه الحكم الخلافة ، وتلقب بالمستنصـــر بالله (3) ، و لم يكن حين ولايته محدثا في شؤون الحكم ، بل لقد مارسها في حياة أبيـــه ، فكان عند جلوسه خليفة مكتمل النضج و الخبرة .

و استمر الخليفة الحكم المستنصر بالله على منهج أبيه في توطيد أركـــان الحكـــم ، وغزو النصارى لرد أخطارها ، وقد علق العلامة بيدال بقوله : ((ووصلت الخلافة في عهده إلى أوج روعتها ، وبسطت سيادتها السلمية على سائر إسبانيا وكفلت بـــذلك الســـكينة العامة)) (4).

تولى الحكم المستنصر بالله مقاليد الحكم وهو كهل في الثامنة والأربعين من عمره(5) و لم يكن إلى ذلك الحين قد أنجب ولدا ((وكان شديد الكلف بطلب الولد لعلوّ سنه))(6)، عـــلىأن القدر حباه بولد أنجبته له جاريته (صبح) البشكنسية النفارية سماه عبد الرحمن سنة 351هجرية ، وقالت في ذلك الشعراء (7) ، ولكنه لم يلبث أن مات ، فحـــزن على فراقه كثيرا ، وأنجبت له (صبح) ولدا آخر ((فعظم استبشاره به وسروره بموهبة اللـــه فيه))(8)

---

1 - الحكم المستنصر بالله،انظر ترجمته في:أبن الفرضي.تاريخ علماء الأندلس.7:1 ، الحميدي . جذوة المقتبس. 42_46 ، الضبي .بغية الملتمس.18 ، المراكشي.المعجب . 51، 61، ابن الأثير.الكامل في التاريخ.9: 677 ، ابن سعيد.المغرب.1: 186 ، ابن الأبار. الحلة السيراء. 1:200_202 ، ابن خلكان. وفيات الأعيان.4:369_372 ، ابن عذارى. البيان المغرب.2:233_253 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام.41 ، ابن خلدون.التاريخ.4/1:312-318 ، ابن العماد.شذرات الذهب.56 - 55:3.

2 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام.41 .

3 - ابن عذاري . البيان المغرب.2: 233 ، ابن الخطيب. أعمال الأعمال . 41.

4- محمد عبد الله عنان . الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية.14

5- ابن الأبار . الحلّة السيراء.1:200

6 - ابن عذارى . البيان المغرب .2: 237 .

7 – ابن عذارى . المصدر نفسه . 2: 235 ، 237

8 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 42.

وكان ذلك سنة 354 هـ ، سماه هشاما ، وكان ولي عهده الملقب بالمؤيد (1) .واتفق أن حضر الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي (2) عند الخليفة ساعة أتاه البشير بولادته ، فقال علىالبديهة يهنئه (3) :

إطّلع البدر من حجابهْ	واطّرد السيف من قرابهْ
وجاءنا وارثُ المعالي	ليُثْبت المُلْك في نِصابه
بشّرنا سيّدُ البرايا	بنعمة الله في كتابه
لو كنت أعطي السير نفسي	لم أقض حقا لما أتى به

وبهشام بدأت مكانة (صبح) تسمو في نفس الخليفة و تعظم سيطرتها عليه و يقوى امتلاكها لقلبه . و بعد امتلاكها هذه المكانة المرموقة لدى زوجها أرادت أن تعين وكيلا لأملاك ابنها البكر عبد الرحمن ، وأبلغت الحكم رغبتها ، وتم اختيار محمد بن أبي عامر(4)-والذي سيخصص له عنصر في هذا البحث_سنة356هجرية ، فنصبته لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن ثم استأثر الله به ، صرف إلى وكالة أخيه هشام

---

1 - ابن عذارى. البيان المغرب. 2: 237 .

2 - أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة الحاجب المصحفي،من بربر بلنسية ،أديب عمل كاتبا أيام الناصر لدين الله ،وتقلد خطة الوزارة إبان خلافة الحكم المستنصر،ولما آلت إلى هشام المؤيد،تصرف في أمور الدولة،لكن المنصور محمد بن أبي عامر صرفه عن الحجابة وأودعه السجن،واستمرت البلية عليه سنين إلى أن مات سنة 372هجرية. انظر: الحميدي.جذوة المقتبس التاريخ علماء الأندلس .289. وفيها المعروف بابن المصحف. ابن خاقان.مطمح الأنفس.166_153. ابن بسام. الذخيرة. 58:1/4. الضبي. بغية الملتمس. 257. المراكشي. المعجب.62، ابن الآبار.الحلة السراء.1:257_267، ابن سعيد. المغرب.1:195_196، ورايات المبرزين.69، ابن عذارى. البيان المغرب.2:267، ابن الخطيب. أعمال الأعلام.60_61، المقري. نفح الطيب. 402

3_ابن عذارى.البيان المغرب. 2: 237 .

4 - محمد بن عبد الله بن أبي عامر ، الملقب بالمنصور معافري قحطا ني ، أصله من الجزيرة الخضراء قرب جبل طارق ، وهناك ولد ثم قدم إلى قرطبة شابا ، وبها درس وتثقف ، وتقرب من الحكم المستنصر حتى ولاّه عدة مناصب ، وغدا من رجالات الدولة العظام . وعند وفاة الحكم سنة 366 هجرية ،تسلم المنصور زمام الأمور وإن بقي المؤيد الخليفة بالاسم فقط . غزا ــ كما تقول الروايات ــ سبعا وخمسين غزوة ، ومات بمدينة سالم سنة 392 هجرية على أغلب الأقوال ،وباني مدينة الزاهرة له ولوزرائه . انظر : ابن حزم .جمهرة أنساب العرب .418_419 ، الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس .131-132 ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس . 41-42 ، ابن بسام الذخيرة .56:1/4 ، الضبي . بغية الملتمس . 115-117، ابن عذارى البيان المغرب .2:256-279 ، ابن سعيد . المغرب .1: 199 – 203 ، المراكشي . المعجب . 72 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 1:268-277 ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ . 285:11 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام .59 ، ابن خلدون التاريخ . 318:1/4-321 ، المقري . نفح الطيب . 399:1 ، ابن العماد شذرات الذهب . 144:3 ، فورار،امحمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية .(رسالة ماجستير) .7-42 .

سنة 359 هجرية (1).ومع ما عرف به الحكم من رجاحة في العقل و بعد في النظر ، فقد كان ممـــن استهواه حب الولـــد وخالـــف الحزم في توريثه الملك من بعده ، وهو لم يـــزل في سن الصبا (2) . واعتلّ الحكم المستنصر في أواخر حياته فأسرع لتولية ابنه هشام الحُكم، وأخذ له البيعة سنة 365 هجرية(3). وتولّىمحمد بن أبي عامر أخذ البيعة له من ســـائر الناس، وهو يومئذ صاحب الشرطة . ثم دعي لهشام في الخطبة في الأندلس و المغرب (4) ، ولازال الخليفة الحـــكم في علته التي مات بها بالفالج سنة 366 هجرية (5) .

هشام المؤيد بالله:

بعد موت الحكم المستنصر بالله ، ينتهي آخر خلفاء بني أمية الأقوياء ، بويع بعـــده بالخلافة ابنه هشام المؤيد ، الذي كان فتى صغيرا ، ولأن السياسة تحتاج إلى القوي البصـــير، والسياسي القدير ، أفلت الأمر من يده ، و أمسك مقاليده محمد بن أبي عامر الذي ســـعى بإرادة قوية ، منتهزا في ذلك الفرص المواتية لنشر نفوذه ، و توسيع سلطانه ، و فرض هيبته على حساب زملائه من كبار رجال الدولة يضرب بعضهم ببعض ثم يصرعهم واحدا بعـــد الآخر غير مبال بضمير أو أخلاق في سبيل الوصول إلى مأربه ، في هذا الصدد يقول ابـــن خلدون عنه ((تجرد لرؤساء الدولة من عانده و زاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبـــهم ، وقتل بعضهم ببعض ، كل ذلك عن أمر هشام و خطه و توقيعه حتى استأصـــل شـــأفتهم ومزق جموعهم)).(6).

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب. 251:2.

2 - انظر ابن بسام . الذخيرة . 57:1/4 ، المقري . نفح الطيب . 85:3-86 .

3 - ابن عذارى . البيان المغرب . 248:2،249.:

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 299:2.

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 251:2،253 .

6 - ابن خلدون . التاريخ . 318:1/4.

محمد بن أبي عامر يسيطر على مراكز القوى:

كانت أول خطوة اتخذها ابن أبي عامر في هذا السبيل هو قتل المغيرة (1) بن عبد الرحمن الناصر ليلة البيعة لهشام ، بممالاة الحاجب المصحفي (2) ، وهذه البيعة لم يرغب فيها الصقالبة وبلغه أن جؤذرا وفائقا قائدا الصقالبة يديران على الدولة (3) ، فاستغلّ محمد بن أبي عامر الخصومة ووجهها لصالحه ، وأخذ يوقع بين الفريقين ، واستطاع بهذه الطريقة أن يشتت قوات الصقالبة وأن يخرجهم من القصر (4) .

وبذلك فصم ابن أبي عامر أول عروة من عرى الخلافة ، ورقاه الخليفة هشام كمعاون للمصحفي (5) ، حينها بدأ في اقتناص الفرص المناسبة لكي يطيح به منها :

ــ موقف الحاجب المصحفي السلبي إزاء هجوم نصارى الشمال نحو قرطبة وانشغاله بالصراع الداخلي على السلطة (6) ، فتصدى محمد بن أبي عامر لهذا الهجوم ، وأحرزانتصارا فأحبه الجيش ، وأخلص له ، والتفّ حوله (7) كما أفاد وجوده في القصر معرفة القوى والمراكز المضادة للإفادة منها في الوقت المناسب ، وكان للمصحفي بحكم استمراره في إدارة الدولة مدة طويلة من التصدي لبعض الطامحين فيصيبه منهم العداء والخصومة ، الشيء الذي كان يريده محمد بن أبي عامر وتمكن من حشد القوى ضده ، بدافع من العصبية حينا وبدافع من تقديمه على غيره من قبل الخليفة الحكم في حياته ، فأسرع ((أعالي الوزراء وأعاظم الدولة إلى مهاودة المنصور عليه والانحراف عنه إليه)) (8) ،

1ــ أبو المطرف المغيرة من أبناء الخليفة الناصر الأحد عشر ،قتل الليلة التي توفي فيها أخوه الحكم ،من قبل محمد بن أبي عامر وأصحابه ــرغم أنه أخبرهم بأنه موافق على كل ما يقررون ــ خنقا أمام زوجته وأشاعوا أنه انتحر. انظر : ابن حيان . المقتبس في أخبار بلد الأندلس . 29، ابن حزم .جمهرة أنساب العرب . 91، ابن عذارى البيان المغرب .2:260-261 .

2ــ ابن عذارى. البيان المغرب . 2:260_261.

3ــ ابن عذارى . البيان المغرب .2:259 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .60.

4ــ ابن عذارى. المصدر نفسه .2:259 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه .60 .

5ــ ابن عذارى .المصدر نفسه .2:254.

6ــ ابن بسام .الذخيرة .62:1/4 ، ابن عذارى . المصدر نفسه .2:262.

7ــ ابن بسام . الذخيرة . 62:1/4 ، ابن عذارى . المصدر نفسه . 266:2 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 68 .

8 ــ ابن خاقان . مطمح الأنفس .161 - 162

ومن هــؤلاء الــــوزراء الذين آثروا ابن أبي عامر على الحاجب المصحفي ، غالــب (1) ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله فاستعان به ابن أبي عامر ضد المصحفي (2) ، الذي تــألق نجمه كأبرز الوزراء في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس إلى الموت قــتلا في ســجن المطبــق بالزهراء سنة 372 هجرية (3) .

وبالأسلوب نفسه يقضي محمد بن أبي عامر على غالب بعد أن استقدم جعفر بــن على بن حمدون (4) ، المغربي واستوزره ووثق به ، وقدّمه على أعاظم رجال الدولة (5) . ثم دبّر حيلة لهذا الأخير وتخلص منه كغيره من الذين يهاب جانبهم سنة 372 (6) .

وقد لخص أحد المؤرخين السياسة التي انتهجها محمد بن أبي عامر تلخيصــا جمــيلا بقوله :((كان آية من آيات الله فطرة دهاء ، ومكر سياسة ، عدا بالمصاحفة على الصــقالبة حتى قتلهم ، ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ، ثم عدا بجعفر الأندلسي على غالــب حتى استراح منه ،ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه ،ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز ، فلما لم يجده ، حمل الدهر على حكمه ، فانقاد له وساعده ، فاســتقام لــه الأمر منفردا بسابقه لا يشاركه فيها غيره)) (7) .

هكــذا تخلص محمد بن أبي عامر من منافسيه ، وتوج نفسه بعــد ذلــك بلقــب (المنصور) (8) ، وبــذلك أضحى الحاجب المنصور ، سيد الميدان و صاحــب السلطــة

1ـــ هو غالب بن عبد الرحمن الناصري ، أضحى أيام الحكم المستنصر من أكابر رجالات الدولة . ثم صار حاكم الثغر الأعلى ، مقــره مدينة سالم .وهو من فرسان الأندلس العظام .دبّ الخلاف بينه وبين محمد بن أبي عامر صهره ، وانتهى إلى معركة حربية قتل فيها غالب سنة 371 هجرية . انظر:ابن حيان . المقتبس في أخبار بلد الأندلس . 24-26 ، ابن عذارى البيان المغرب .265:2 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام .62-65 .

2ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 61 .

3ـــ ابن بسام . الذخيرة . 66:1/4 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 259:1 .

4ـــ جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي ، صاحب المسيلة. كان شيخا من شيوخ زناته الموالين لبني أمية الأندلسيين ، وكــان يقوم بأمر العدوة ، استوزره ، المنصور بن أبي عامر ، وقدّمه على أكابر رجالات الدولة ،ثم قتله سنة 372 هجرية . انظر: ابن حيــان . المقتبس في أخبار بلد الأندلس .32-34 ، ابن عذارى . البيان المغرب. 278-280 ، ابن الأبار . الحلة السيراء .1: 216 – 217 . ابن سعيد . المغرب . 202:1 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 360:1 ، أعمال الأعلام .65 ، نفح الطيب .216:1-217 محمد اليعلاوي . ابن هانئ المغربي الأندلسي . 83-88 .

5ـــ ابن عذارى . البيان المغرب . 278:2 ،279 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 64 .

6ـــ ابن عذارى ز البيان المغرب .279:2-280 .

7ـــ ابن عذارى . البيان المغرب . 279:2-280

8ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 77 ، المقري . نفح الطيب . :407

العلـــيا دون منازع ولا مدافع ، و لم يكن للخليفة هشام المؤيد بالله الذي تمكن من حجبه ، وبمساعـــدة أمـــه السيدة صبـــح و لم يسمح لأحد غيره رؤيته أو مخاطبتـــــه ، يقـــــول المقري : ((حجب المنصور بن أبي عامر على هشام المؤيد بالله بحيث لم يره أحد مـــذ ولي الحجابة)) (1) . لم يكن الخليفة هشام المؤيد سوى أداة طيعة في يد المتغلب القوي يوجهها كيف يشاء و أبعد من ذلك اعترف له الخليفة بالفضل والاضطلاع بالدولة ، فأذاع المنصور اعتراف الخليفة وتفويضه إياه في جميع الأنحاء (2) وتم ذلك بعد أن قضى على كل نفـــوذ السيدة صبح (3).

لقد حقق المنصور في النهاية خططه ، وانفراده بالأمر وأصبح صاحب الأمر ، لكن رغم استبداده بالأمر وانفراده بالسلطة ،فقد حرص على المحافظة على شكل الخلافة الشرعية، والإبقاء على رمز الأمويين ، وأوصى ابنه عبد الملك (4) سلوك نفس الطريق (5) .

عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر:

بعد وفاة الحاجب المنصور سنة 392 هجرية (6) ، أقام عبـــد الملـــك بالحجابـــة بعـــــده ((وخلع عليه (هشام المؤيد) ، وأخرج معه كتابه بولاية الحجابة مكان أبيه))(7).

والملاحظ أن عبد الملك قد ورث كثيرا من صفات أبيه ، واستوسق له الأمر واجتمع الناس على حبه لعدله وإنسانيته وحمايته للشرع ، وسهره على رعيته ، ونصرته للمظلـــوم ، وجهاده في سبيل الدين (8) ((حتى أنس الأعـــداء من دولة بـــني عـــامر وعلمـــوا أنهـــا وراثة))(9) .

1ــ المقري . نفح الطيب . 521:1 .

2ــ ابن بسام . الذخيرة . 73:1/4 ، المقري . المصدر نفسه . 93:3 .

3ــ ابن بسام . الذخيرة . 70:1/4، 70، 72 ، المقري . نفح الطيب . 92:3، 93 ، السلاوي . الإستقصا . 91:1 .

4ــ هو أبو مروان عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر . ولد بقرطبة سنة 364 هجرية ، وأمه حرة تدعى الذلفاء . تولى الحجابة سنة 392 هجرية . توفي بمرض الذبحة سنة 399 هجرية . انظر :ابن بسام . الذخيرة . 78:1/4-86 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3:3-37 ، المراكشي . المعجب .78 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 212 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام . 81-82

5ــ ابن بسام . الذخيرة . 1/4: 76 – 77 .

6ــ ابن عذارى . البيان المغرب . 3:3 . أعمال الأعلام . 83 .

7ــ ابن بسام . الذخيرة . 1/4: 78.

8ــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام .84.

9ــ ابن بسام . الذخيرة .1/4: 78 .

ثم ظفر عبد الملك بلقب المظفر سنة 397 هـ (1) من قبل الخليفة هشام المؤيد الذي ((انبسطت حاشية الخليفة هشام على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها ، فحملهم على مرادهم . وانهمك هشام طول أيامه فلم يظهر وقتا فيها ، ولا شهد صلاة ، واحتجب في نزهه الباطنة على رسمه في أيام أبيه المنصور وبلّغه منها عبد الملك بغيته)) (2) . هكذانال عبد الملك حظوة الخليفة ورضاه عنه بلقب المظفر ، و لم يتح له أن يتمتع طويلا بهذا اللقب ، إذ اعتلّ ومات بمرض الذبحة (3) ، وضبط أخوه عبد الرحمن (4) الأمر بعده لنفسه (5).

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر:

لما مات عبد الملك المظفر ، خلفه أخوه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول ، وعزاه الخليفة في أخيه ، وقلّده الحجابة ، وأصدر له بخطه تسميته بالمأمون ، فتلقب للحين بالناصر ، ثم المأمون ، فكان يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة (6)

كان عبد الرحمن شنجول شابا يمقته الفقهاء ويعدون مولده عارا لايمّحي إذ كانت أمه ابنة أحد شانجيين :إما قومس قشتالة وإما ملك نفارة (7) .ثم أن سيرته كانت إلى جانب أرومته النصرانية الواضحة ، لها أثرها الواضح في انصراف الشعب عن محبته والعطف عليه ، فقد ((افتتح أمره بالخلاعة ، فكان يخرج من منية إلى منية ، ومن منتزه إلى منتزه ، مع المغنين والمضحكين مجاهرا بالفتك وشرب الخمر)) (8) . وبجانب ذلك أساء التصرف واستعدى الرعية لأنه ((نظر في الأمور نظرا غير سديد ، وأنفق الأموال في غير وجهها ، وأعان على كثير من الناس،وبسط يده عليهم وأخذ أموالهم ، ونسب إليهم أباطيل القول

---

1 ــ ابن عذارى .البيان المغرب . 3:13-18 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .88-89 .

2 ــابن بسام . الذخيرة .4/1:82.

3 ــ ابن بسام . المصدر نفسه .4/1:86.

4 ــ هو أبو الطرف عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر ،الملقب بشنجول.أمه عبدة بنت شانجة النصراني ملك نفارة.كانت أمه تدعوه في صغره بشنجول،وهو تصغير لشانجه لشبهه بأبيها.تقلد الحجابة في الخامس والعشرين من عمره وذلك سنة 399هـ.قتل بعد ستة أشهر من حجابته وزالت الدولة العامرية.انظر:ابن عذارى.البيان المغرب.3:38، ابن الأبار.الحلة السيراء.1:270-271، ابن الخطيب.أعمال الأعلام.89،ابن خلدون.التاريخ.4/1:321-324،المقري.نفح الطيب.1:424، ابن الأثير الكامل في التاريخ.8:225.

5 ــ ابن بسام .الذخيرة .4/1:86.

6 ــ ابن عذارى البيان المغرب.3:38 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام.90

7 - دوزي المسلمون في الأندلس.2:161.

8 ــ ابن عذارى.البيان المغرب.3:39.

والفعل حـــتى قـــلق .الناس به وأبغضوه في الله ، وابتهلوا لله في الدعاء عليه)).(1)

وكان شنجول هذا نحسا على نفسه وعلى أهل الأندلس ، فمنه انفـــتح بـــاب الفتنـــة العظمى، وفسد الناموس (2) ، فتح عبد الرحمن شنجول بطمعه باب الفتنة بمشروعه أن يستحوذ على ولاية العهد ، و لم يقدم أبوه المنصور نفسه على هذه الخطوة لأنـــه كـــان يـــدرك مـــدى خطورتها(3) ، ولا أخوه عبد الملك المظفر ، رغم أعمالهمـــا العظيمـــة ومآثرهمـــا العديـــدة ، وامكانياتهما المتوفرة في الظفر به (4) ، لكن عبد الرحمن شنجول لم يقدر عواقب مثل هذا التصرف ، ذكـــر ابن حيان ((وقد تقدم القول في سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافـــة ، عجرفية من غير تأويل ولا عقيدة ، وكيف استهواه كيد الشيطان ، وغرَّته قوة الســـلطان إلى أن ركبها عمياء مظلمة ، لم يشاور فيها نصيحا ، ولا فكر في عاقبة ، بل جبرها بالعجلة)) (5).

لقد كان شنجول جاهلا بما أوصى به أبوه المنصور من قبل أخاه عبد الملك ، لكـــن شنجول تعلق بدعوى الخلافة ، بعد أن تقرب من الخليفة هشام ((واســـتدنى نســـبه منـــه بالخؤولة ، إذ كانت أُماهما بشكنسيتين ، فقدرها عبد الرحمن قرابة سمـــا بهـــا إلى مـــيراث الخلافة)) (6) . وطلب من الخليفة هشام أن يعهد إليه بولاية العهد فوافقه (7) ، وكتـــب عهدا بذلك مضمونه أن الخليفة لم يجد من هو أصلح لولاية العهد بعده من هذا القحطـــاني عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (8) ، هذا الذي جاء فيه الأثر عن النبي (ص) ((لا تقـــوم الساعة ، حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه)) (9).

وخرج شنجول ((يزعم أن الخليفة ولاّه عهده صراحة ، واختاره للخلافة دون بني عمه إذ ليس له ولد يؤمّل خلافته)) (10).

1ـــ ابن عذارى.البيان المغرب.38:3.

2ـــ ابن سعيد.المغرب.213:1.

3ـــ المقري.نفح الطيب.405:1.

4ـــ ابن بسام.الذخيرة.76:1/4-77.

5ـــ ابن الخطيب.أعمال الأعلام.91.

6ـــ ابن عذارى.البيان المغرب.42:3.

7ـــ ابن عذارى.المصدر نفسه.38:3،ابن سعيد.المغرب.213:1.

8ـــ ابن عذارى.المصدر نفسه . 44:3-46 ، ابن الخطيب. أعمال الأعلام.91-93.

9ـــابن عذارى . المصدر نفسه . 45:3 ، ابن الخطيب.المصدر نفسه.92.

10ـــ ابن عذارى.المصدر نفسه.42:3.

وعلى إثر صدور المرسوم ظن عبد الرحمن شنجول أنه أصبح وارث الخلافة فأمر بإنفاذ الكتب إلى مختلف الأقاليم في الأندلس ، وبلاد المغرب بخبر ولايته للعهد ويأمرهم فيها بالدعاء له على المنابر بالعهد بعد الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله (1) . والشعر صور جانبا من حقيقة تعيين شنجول لولاية العهد ، فهو لم يكن رغبة شعبية ، وإنما يتعين شأنه القدرة الإلهية ، ونفذه الخليفة هشام باعتباره ظلا له على الأرض فهذا زيادة الله الضبي (2) ، يقول (3):

تخيَّر الله والسلطان للأمم   وليَّ عهدٍ براه الله من كل كرَمِ

ونجد الشاعر نفسه ، يبرر تقديم شنجول للخلافة ، بالنظر إلى الواقع ، والرجوع إلى ما تقدم من أقوال.والخليفة هشام نفسه،فتش عن مقتدر من بني مروان لولاية العهد،فلم يجد (4):

فالله يشهد للمــــــؤيد أنــه   قد أحاط أُمَّة أحمد منه بقـــا
و أحلّهم في بــاذخٍ ممتنـــع   صعبٍ حواشيه عسير الملتقـــا
أمسى يفتِّش قومه وعشــــيره   شُحًّا عليها و الحميم الألصقـا
ورجا بأنْ يُلْفي إذا ما فتَّشـوا   في عبد شمس للخلافة مَعْلمـــا
فرآهم متخلِّفين عن العـــلا   لا يصلحون لأن يسوسوا جَرْدَقا
فرمى إلى المأمون أمر جميعِـهم   إذ لم يزل حَدباً عليها مُشفقـا
قالوا إذا ضعفت قريشٌ أخَّرت   و أبو هُريرة قال ذاك مُصدِّقـا
و أتى عن الفاروق أكرم أُسوةٍ   خبرٌ غدا للخافقــين مُطــبِّقـا
لو أنّ فيكم ســالما قدَّمتُــه   لِيَلي الأمور مَغربا و مشرقـــا

هكذا حفر عبد الرحمن شنجول قبره بيده إذ أنّ فكرة استحواذه على ولاية العهد،هي الشرارة الأولى التي أشعلت نار الفتنة ، ((ونقم عليه أهل الدولة ذلك،فكــان فيــه حتفــه ، وانقراض دولته ودولة قومه ، وكان أسرع الناس كراهية لذلك الأمويــون والقرشــيون ، فغصوا بأمره ، وأسفوا من تحويل الأمر جملة من المضرية إلى اليمنية)) (5).

1ـــ ابن عذارى .البيان المغرب .46:3.

2 ـــ لم نجد ترجمة له .

3 ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام 94 .

4 ـــ ابن الخطيب . المصدر نفسه . 95-96.

5ـــ ابن خلدون .التاريخ .223:1/4 ، المقري نفح الطيب .421:1 .

لقـــد هـــزّ هذا الأمـــر الدولة الأموية هزّا عنيفا ، وعزّ على المضريين أن ينتقل الملك إلى اليمنيين ، وأن تنقل الخلافة عن قريش ، فانبعثت العصبية العربية القديمة ، وبلـــغ ســـخط الأندلسيين ذروته ، ونقدوا أحمد بن برد (1) الذي أنشأ صيغة البيعة ، ومن الشهود أحمد بن ذكوان (2) اللذين جدّا في ذلك السعي الخبيث (3) ، وتغنوا جميعهم بمثل هذا الشعر الذي من نظم الشاعر ابن أبي يزيد المصري (4) ، يقول (5) :

إن ابن ذكوان وابن برد قد ناقضا الدين بعد عمد

وعاندا الحق إذ أقـــاما حفيد شنجه ولي عـــهد

من الطبيعي أن ينتهز الأمويون فرصة العمل ضد غاصب الخلافة في وقت ولّى فيـــه عبد الرحمن شنجول ابنه عبد العزيز خطة الحجابة ولقبه بسيف الدولة ، وهو لقب عمه المظفر عبـــد الملك (6) ، وبهذا أساء لأهل أخيه وعلى رأسهم الذلفاء ، أمّ عبد الملك التي كانـــت تتهم عبد الرحمن شنجول بقتل أخيه ليحل محله كما اتهمه القوم بأنـــه دسّ السّـــم لأخيـــه المظفـــر(7) ، ذلك ((أنه قطع تفاحة بسكين غمس أحد جانبيها في السمِّ ، تنـــاول هـــو النصف السليم وأعطى أخاه النصف الآخر)) (8) .

فنشطت الذلفاء للتعاون مع الأمويين ، رغم أنهم أعداء ألدّاء للأسرة العامرية كلـــها ، وذلك بواسطة الفتى بشر الصقلبي الذي اتصل بالأمويين ووعدهم بتزويدهم بالمال مـــن قبـــل الذلفاء (9) ، كما أن شنجول أغضب كبار موظفي الدولة بحيث فـــرض عليهم أن يتزيـــوا

1ـــ أحمد بن برد أبو حفص الكاتب. كان ذا حظ وافر من البلاغة والأدب والشعر. وقد شارك في السياسة،وخدم المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك المظفر،وعبد الرحمن شنجول،وعل أمره في أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة.توفي سنة 418 هـــ . انظر:الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. 188، ابن بسام . الذخيرة. 103:1/1، الضبي . بغية الملتمس . 172.

2ـــأبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان الأموي،قاضي الجماعة على أيام المنصور و ابنيه،و هو أول الموقعين على الوثيقة التي استصدرها عبد الرحمن شنجول بتوليه العهد للخليفة هشام المؤيد،و استوزره عبد الرحمن،و تسمى بقاضي القضاة،و ظل جليل القـــدر إلى وفاتـــه سنة413هـــ. انظر النباهي. المرقبة العليا . 84 ، الضبي.بغية الملتمس.186، ابن سعيد.المغرب.215:1،ابن عذارى البيان المغرب.46:3.

3ـــ ابن الأبار . الحلة السيراء . 272:1.

4 ـــ لم نجد ترجمة له.

5ـــ ابن الأبار . الحلة السيراء . 272:1.

6ـــ ابن عذارى . البيان المغرب . 47:3

7ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 109.

8ـــ دوزي . المسلمون في إسبانيا . 161:2.

9ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 109.

بالزيّ المغربي ، وخلع قلانسهم الطوال المرقّشة ، التي كانت حسب قول ابن حيان ((على قديم الدهر تيجانهم التي يباهون بها طبقات الرعية وأهل المملكة)) (1) ، واستبدالها بالعمائم المغربية دون تفريط ، فاستعان كثير منهم بالبرابر حتى لبسوها ((فكانوا أقبح منظر وأهجن زيّ وملبس لمخالفة العادة وأصبحوا في الناس فضيحة)) (2).

ومجمل القول: إن الحقد والكراهية على شنجول كانا له من كل مكان ، من جهة دعوة الأمويين التي تدعمها الذلفاء وتمولها ، تكسب لنفسها الأنصار من عوام قرطبة ، وحتى من بين بعض صفوف الجند ، واختار هذا السير للغزو أسوة بأبيه وأخيه ، ولم يعر أذنا صاغية لنصيحة أحد فتيانه بالامتناع عن الغزو في هذا الوقت ، وأوضح له أن بني أمية يأتمرون به ، ويدبرون للإطاحة به ، فقال: ((والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي ، وأنا نائم ، ما أيقظوني)) (3).

وكان خروجه من قرطبة في 16جمادى الأولى سنة399 هـ (4) ، في أعماق الشتاء ، ولم يجد مقاومة من قبل النصارى ، فقرر العودة ، وما كاد يصل إلى طليطلة ، حتى طارت إليه الأخبار عن قيام محمد (5) بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر—وسيخصص له عنصر في هذا البحث — بالثورة في قرطبة ، ووراءه أهل الحاضرة ؛ فاقتحم القصر الخلافي ليزيل قريبه الإسمي ويجلس مكانه (6) ، وكذلك الزاهرة سقطت بدورها في قبضة المهدي ، وعبثت فيها أيدي جنوده نهبا وتدميرا ، فاجتثت جذور الأسرة العامرية ، وقضت على آثارها (7) ، ورغم كل ما حدث ، فقد قرر عبد الرحمن شنجول

1— ابن عذارى . البيان المغرب . 48:3.

2— ابن عذارى المصدر نفسه . 48:3.

3— ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 96.

4— ابن الخطيب . المصدر نفسه . 96، ابن خلدون . التاريخ . 324:1/4 ، المقري . نفح الطيب . 426:1.

5 — هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر.ولد بقرطبة سنة 366 هـ .بويع بالخلافة وعمره ثلاث وثلاثون سنة،بعد خلع الخليفة هشام،ولقب نفسه بالمهدي،ولقبته العامة المنقّشلهشاشته وطيشه وخفته.ولي الخلافة مرتين،وكانت مدة خلافته فيهما عشرة أشهر وتسعة عشر يوما،لقي حتفه علىيدى الخليفة هشام.انظر: ابن حزم .رسائله .196-197،الحميدي .جذوة المقتبس .18-19. الضبي . بغية الملتمس .22-23 ، ابن بسام . الذخيرة 1/1 :45،44-46 ، ابن عذارى .البيان المغرب .50:3،المراكشي . المعجب .88-89 ،ابن الخطيب .أعمال الأعلام .115،109-116 ، المقري .نفح الطيب .426:1 ، ابن خلدون .التاريخ 4 /1: 323-327 .

6— ابن عذارى . البيان المغرب . 47:3.

7— ابن عذارى . المصدر نفسه . 49:3.

العودة لمواجهة الثورة بالقوة وكان كلما اقترب من قرطبة انفض من حوله جنده (1) ويذكر أنّ شنجول حين لمس تخلي جنـــده عنه ، تبرأ من ولاية العهـــد ، وأعلن اقتصـــاره علـــى الحجابة فلم يصغ أحد إلى كتابه (2) . ونصحه بعض خواصه بالفرار بعد أن رأى اضطراب حاله ، ولكنه أصرّ على السير إلى قرطبة (3) ، على الرغم من تفرق جنده ـــ كما ســـنرى ـــ وما زال سائرا حتى اقترب من قرطبة فلم يجد أحدا من رجاله ، وهناك أرسل إليه المهدي من قتله واجتز رأسه وحمله إليه ، وسمر على خشبة طويلة على باب السدة من قصر قرطبة ، وذلك في الثالث من رجب سنة399 هـــ (4) .

هكذا انهارت الدولة العامرية بسرعة مدهشة لم يكن يتوقعها أحد ، والتي لبثت زهاء خمسة وثلاثين عاما ، تنعم الأندلس في ظلها بالسلامة والأمن والرخاء (5).

ومن الواضح أن هناك أسبابا جوهرية ـــ قد تقدم بعضها ـــ لمثـــل هـــذه الفتنـــة العظمى، كما يصفها المؤرخون ، وسقوط الخلافة الأموية كما سنرى .

1ـــ ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 97-98 ، المقري . نفح الطيب . 462:1.

2ـــ ابن عذارى . البيان المغرب . 69:3.

3ـــ ابن عذارى . المصدر نفسه . 70:3

4ـــ ابن عذارى . المصدر نفسه . 73:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 98 ، المقري . نفح الطيب . 426:1.

5ـــ فورار، امحمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية . (رسالة ماجستير) . 52.

الفتنة العظـــمى:

بعبد الرحمن شنجول انفتح باب الفتنة العظمى بطمعه على أن يستحوذ على ولايـــة العهد بعد الخليفة هشام ، وتنتقل الخلافة جملة من المضرية إلى اليمنيـــة (1) ، فعـــز علـــى الأمويين والقرشيين والأندلسيين ذلك ، وأزعجهم هذا الحادث ، يقول ابـــن عـــذارى :((وكانت عندهم أعظم محنة ، كلهم يعزي عنها نفسه ، ويكفكف عبرته)) (2).

كان هذا فيما يبدو هو السبب المباشر والرئيسي الذي مهد للفتنة التي انتهت بسقوط الدولة العامرية ، وقدمت لاضمحلال الخلافة الأموية في الأندلس وانحـــلالها (3).

ولقد تقدم توضيح دور الذلفاء أم عبد الملك المظفر في تعاونهـــا مـــع الأمـــويين ، وتمويلهم للإيقاع بعبد الرحمن شنجول (4) ، بالرغم مما أســـبغه عليهـــا وعلـــى أســـرة ولدهاوأخيه عبد الملك من ضروب الرعاية والإكرام (5). كما انضم إلى هذه الدعوة أهـــل الأسواق لنقمتهم على شنجول هذا الذي ((أكثر أنواع النكـــر والزيـــادات والإســـعاف بالمحلات حتى تفاقم أمر النفقات)) (6).وحتى كبار الموظفين أغضبهم بعد أن فرض عليهم أن يتزينوا بالزي المغربي كما تقدم (7) ، فتعاطفوا مع هذه الدعوة. ومع اتســـاع نطاقهـــا وازدياد المنضوين إليها ازدادت تنظيما ، فاتخذت قاعدة لها في كهوف جبل قرطبـــة (8) ، بزعامة محمد بن هشام الذي قتل عبد الملك المظفر أباه لنفس الدعوة (9) ، فبويـــع ســـرا ، واستمال إليه خلقا كثيرا كانوا يبايعونه بأطراف قـــرطبة (10) ، ثم واتته فرصة خروج عبد الرحمن شنجول في غزوته المشؤومة ، فقام بالثورة في قرطبة ووراءه أهل الحاضرة ـــ كما

---

1 - انظر هذا البحث. 11.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 47:3.

3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 42:3.

4 - انظر هذا البحث .12-13.

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . 52:3.

6 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 47:3.

7 - انظر هذا البحث . 13.

8 - ابن عذارى . البيان المغرب . 53:3.

9 - ابن عذارى .المصدر نفسه. 3:34-35،52.

10 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 53:3 ، ابن الخطيب . أعمل الأعلام . 109.

تقدم ـــ واقتحم القصر الخلافي مـــع العامة،فيهم من ((العنـــازين والجزارين والسفلة وسائر غوغاء الأسواق مالايحصيـــهم إلا الله تعالى)) (1)، دون مقاومة ، وهي تصـــيح في وجـــه الخليفة هشام ، قائلة: ((لاحاجة لنا بك وليس الملك من شأنك وهذا ، مشيرة للمهـــدي ، أولى به منك)) (2) ،.وفي تلك الليلة تنازل هشام المؤيد عن الخلافة ، وتلقى محمد بن هشام البيعة بلقب المهدي ((لقب لم يلبسه مرواني قبله)) (3) ، ثم سقطت الزاهـــرة بـــدورها في قبضة المهدي ، بمشاركة العامة،كما انضم إليهم من اللصوص المجرمين الذين أطلق سراحهم من سجن العامة (4) ، وتدفقت حشودهم على المدينة كالسيل الجارف واجتاحوا ســـورها فخربوه (5) ، وانتشروا في المدينة ينهبون تحفها ويسلبون روائعها ، وكل ما وقعت عليـــه أيديهم ـــ بعد أن استصفى المهدي مايرغب فيه ـــ ثم أمر بهدمها واقتلاع أبوابها وتشـــعيث قصورها وطمس آثارها (6) وكأن نبوءة المنصور بن أبي عامر قد تحققت ، حينما قال :((ويها لك يازاهرة فليت شعري مَنِ الخائن الذي يكون خرابك على يديه عن قريب)) فـــرد عليه بعض خاصته مستفهما ، فقال :((والله لترون ما قلت،وكأني بمحاسن الزاهـــرة قـــد محيت ، وبرسومها قد غُيرت ، وبمبانيها قد هُدمت ونُحّيت ، وبخزائنها قد نُهبت،وبساحاتها قد أُضرمت نار الفتنة وأُلهبت)) (7) . ويروي واحد من خاصته أنه كان مع المنصور يومـــا فطلع ابنه عبد الرحمن وهو ابن سبع سنين خارجا إلى الكتّاب ، قال:تأمل من طلـــع علينـــا والذي يكون خراب دولتنا على يديه،وأنا أخشى أن يكون هذا (8) ، وكان كذلك إذ لم تطل المدة وتولى عبد الرحمن شنجول الحجابة ، فقام المهدي والعامة عليه ، وخربت الزاهرة، وصارت قاعا صفصفا (9) ، وتحقق ما كان الناس يرددونه من أنّ رجـــلا من الصالحيـــن

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 56:3.

2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 56:3.

3 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 111.

4- ابن عذارى . البيان المغرب . 56:3.

5 - سالم،السيد عبد العزيز . تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة . 347.

6 - ابن عذارى . البيان المغرب . 64:3،65 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 101-102،111.

7 - المقري . نفح الطيب . 589:1 ابن عذارى . المصدر نفسه . 65:3.

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 65:3 .

9 - المقري . نفح الطيب . 590:1 .

مرّ بالزاهرة فصاح: ((يا دار فيك من كل دار ، فجعل الله منك في كل دار)) (1).

لما وصلت أنباء الثورة التي وقعت في قرطبة ، إلى عبد الرحمن شنجول ، وهو قرب طليطلة ــ كما تقدم ــ سار إلى قلعة رباح (2) ، والحيرة تغلب عليه ، والاضطراب يسود فرق جنده (3) وهناك ، حيث أعلن تنازله أولا عن ولاية العهد ، واقتصر على الحجابة ، وأنفذ كتبه بذلك إلى طليطلة وأعمالها ، وفيها يدعو الناس إلى نصرة الخليفة هشام المظلوم ، وإلى التمسك بطاعته ، ويصف لهم ما ارتكبه محمد المهدي ودهماء أهل قرطبة من العيث والسفك ، فلم يصغ أحد إلى كتابه وكان أول الخارجين عليه الفتى واضح الكبير مولى أبيه(4) ، وهو يومئذ والي طليطلة (5) وحاول شنجول في الوقت نفسه ، أن يأخذ العهد على زعماء الجند بنصرته والقتال معه ، وعلى رأسهم زعماء البربر من زناتة وصنهاجة ، الذين أدركوا عدم فائدة ذلك ، وعدم المغامرة بمحاربة أهل قرطبة للأسباب ــ التي تقدم بعضها ــ التالية:

ــ منها ما أفضى به القاضي أحمد بن عباس بن ذكوان ، وكان قد صحب شنجول في غزاته ، من أنه يتبرّأ من شنجول ويقضي بفسقه ، وينكر عليه ما يدعو إليه من الثورة لنصرة الخليفة المظلوم ، بقتال أهل قرطبة ، وفيهم من العلماء والنساء والأطفال (6) وابن ذكوان هذا كان من الساعين لانتزاع ولاية العهد من هشام كما تقدم (7) .

ــ إنّ موقف القاضي ابن ذكوان قد قوى من عزم زعماء البربر على التخلي عن شنجول، وقد صارحه كبيرهم محمد بن يعلى الزناتي ،قائلا: ((إياك أن تغتر فليس والله يقاتل عنك أحد من زناتة،والناس لهم تبعٌ)) (8) وهناك دافع آخر لتخلي البربر من زناتة وصنهاجة

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب . 65:3 ، المقري . المصدر السابق . 590:1 .

2 - قلعة رباح،مدينة محدثة في عهد بني أمية،تقع بين قرطبة وطليطلة . انظر: الحميري . الروض المعطار . 469.

3 - ابن عذارى . البيان المغرب . 66:3 .

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 69:3 .

5 - عنان،محمد عبد الله . الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية . 141 .

6 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 67 .

7 - انظر هذا البحث . .10،11،13

8 - ابن عذارى . البيان المغرب . 68:3 .

عن شنجول ، فهم يرون أهلهم وأموالهم في قرطبة ، ولا يضمنون وقوع المكروه بهم إذا حاربوا أهل قرطبة (1).

وكان إلى جانب شنجول في جنده أحد أعوانه من القمامسة ، وهو شانجة بن غومس ، رافقه لاسترجاع حكمه في قرطبة ، فلما رأى اضطراب حال شنجول ، وتأكد من صحة أخبار المهدي وظهوره ، قال له شانجه بن غومس :((أخبرني عن هذا الرجل بقرطبة ، أأنت أشرف أم هو ، قال:بل هو ، قال:الناس أميل إليك أم إليه ، قال:ما أراهم إلاّ إليه أميل)) (2) .

بعد أن أدرك شانجه بن غومس وهن شنجول نصحه بأن يأخذ باليقين ويترك الظن مادام جنده عليه ، وأن يرحل ، وهو معه ، لكن شنجول أصر على الإشراف على قرطبة ، فقرر القومس شانجه بن غومس مرافقته وفاء بعهده (3) ولما أشرف شنجول على قرطبة ، استراح في مترل هانئ ، تخلى عنه الجميع ((نزع عنه عامة البربر...وابن ذكوان ووجوه الصقالبة العامريين ووجوه الأندلسيين)) (4) ، ولم يبق معه إلاّ ((نفر يسير من حرمه وحشمه وابن غومس معه في نفر من النصارى ، وتفرق القوم أيادي سبأ))(5).ولما حاول الهرب أدركته خيل المهدي ، واقتادته إلى قرطبة ، وعندما حاول الانتحار قتله المرافقون له ، وقتلوا شانجه بن غومس بعده وأنه ما نطق بلفظة واحدة (6).

هكذا فتح عبد الرحمن شنجول باب الفتنة بطمعه في ولاية العهد ، وزندقته ومجونه ، لتعظم الفتنة في عهد الخليفة المهدي كما سنرى .

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب . 67:3 .
2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 70:3 .
3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 70:3 .
4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 71:3 .
5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 71:3 .
6 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 71:3 .

خلافة المهدي والفتنة العظمى

جلس محمد المهدي على كرسي العرش ، بعد أن أزاح الخليفة هشام وسد عليه أبواب القصر (1) ، وانقضى عهد الثنائية ، سلطة الخليفة الشرعي الاسمية،وسلطة حاجبه المتغلِّب عليه الفعلية ، ليفسح مجالا لعودة السلطة الموحدة (2).

ويعد قيام محمد المهدي انتصارا لعامة قرطبة ، وسيطرة لها على الحكم ، واستقبل القرطبيون قيامه بسرور عظيم((وأقاموا ولائم وأعراسا ، وداموا على ذلك أياما تباعا ينتقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي)) (3) ثم شرع محمد المهدي في بناء دولته معتمدا في ذلك على أحفاد عبد الرحمن الناصر ، وأبنائهم ، فعين سليمان بن هشام بن سليمان الناصر وليا لعهده (4) ، واستلحق من العامة في ديوان العطاء حسب ابن الخطيب ((ويقال:إنّ عِدَّة من تبعه من سفِلة قرطبة،فأثبت أسماءهم في العطاء ، خمسون ألفاً)) (5) .

واستتبّ الأمر لمحمد المهدي أكثر ، بعد أن أعلن الفتى واضح في كتاب أرسله إليه يؤكِّد فيه طاعته له ، ويبدي استبشاره بقتل عبد الرحمن شنجول ، وكافأه المهدي على ذلك بأموال ، وقيادة الثغر الأعلى كله (5) .ولا يخفى أن الثغريمثل الثقل العسكري بالنسبة للأندلس (7) .

وبعد أن تمَّ للمهدي مراده ، وانتظمت الخلافة له ، والخليفة هشام في قبضته ، أخرجه من قصره ، وأخفاه في دار بقرطبة ، وأحضر رجلا نصرانيا أو يهوديا ، ميتا للقصر ، وكان يشبه الخليفة هشاما ، وأحضر المهدي الوزراء والفقهاء ، فشهدوا بأنه الخليفة هشام ميت لا أثر فيه من جرح ولا خنق ، وبزعمهم صلوا عليه ودفن ، وكانت هذه الميتة الأولى من ميتاته (8) .

---

1 - ابن عذارى البيان المغرب . 77:3. ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .112

2 - عنان،محمد عبد الله . الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية . .146

3 - ابن عذارى . البيان المغرب . .74:3

4 - سليمان بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر:انظر ابن عذارى . البيان المغرب . 84،78:3 .

5 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .111

6 - ابن عذارى . البيان المغرب . 76:3-77 . ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .112

7 - بدر،أحمد . تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري،عصر الخلافة . 204-205 .

8 - ابن عذارى . البيان المغرب . 77:3-78 .

وحصل المهدي على كتاب فيه جميع ما تركه الخلفاء الأمويون وذخائرهم من نفيس الأعلاق والجواهر والأمتعة الغالية والآنية فاحتوى عليه (1):

بهذا الميراث الذي احتجنه المهدي لنفسه ، وما استأثر به أثناء خراب الزاهرة ـــ كما تقدم ـــ على حساب المر وانيين من أحفاد الناصر وأبنائهم ، فحاول أن يحسم الخلاف بسجن وليِّ عهده سليمان بن هشام بن الناصر ، وسجن معه جماعة من قريش (2) ، فكان ذلك ((في الغاية من قلة الرياسة)) (3) .

ولم يمض طويل على عهد المهدي حتى أدرك الأندلسيون أنهم ليسوا أحسن حالا مما كانوا عليه ، في عهد شنجول ، فقد شغلته أسباب اللهو في قصْره عن الخروج إلى الرعية، والنظر في أمورها ، فقد كان له مائتان من الموسيقيين يعزفون له شجي الأنغام ، واستعمل من الخمر مائة خابية (4) ، يقول ابن عذارى: ((ولم يزل طول مدته مشتهرا بالفسق مظهرا للخلاعة ، لايفيق من سكر ولا يرع عن منكر بالنساء والصقالبة والملاهي)) (5) . يتضح أن المهدي أظهر من الخلاعة والفسق ((واختلال دينه وعقله أمر لا يظهر إلاَّ من أهل الدعارة المتهتكين فيها)) (6) ، وحتى الخليفة هشام وجد جاريتين من جواريه قد حبلتا منه (7) ، وحتى الشعراء انتقدوا تصرفاته ، قال بعضهم فيه (8) :

لقد ولَّوا خلافتهم سفيها ضعيف العقل شينا غير زين

وقال آخر (9) :

قد قام مهدينا ولكن بملة الفسق والمجون
وشارك الناس في حريم لولاه ما زال بالمصون

بهذا السلوك كان المهدي أثار حفيظة رجال الدين ،وصبوا عليه لعناتهم ، كما كانت

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب . 76:3.

2 - لبن عذارى .المصدر نفسه . 78:3.

3 - مؤنس،حسين . موسوعة تاريخ الأندلس . 403:1 .

4 - ابن عذارى . البيان المغرب . 80:3 .

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 80:3 .

6 - ابن عذارى . المصدر نقسه . 80:3 .

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 91:3 .

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 80:3 .

9 - المقري . نفح الطيب . 426:1 .

غلظته عاملا على ضياعه لدى العامة ، ((قد حدث أن بعث إليه واضح برؤوس كثيرين من سكان الثغور الذين رفضوا الاعتراف به فأمر أن ترشق بالزهور وأن توضع على شاطئ النهر تجاه قصره ، وكان يلذ له إنعام النظر في هذه الحديقة العجيبة)) (1) .

بعدئذ انقلب محمد المهدي على العبيد العامريين ، وعلى الطائفة البربرية ، وأساء إليهما ، فاستوحشوا منه،أما العبيد العامريون ، فغادر كثير منهم قرطبة ولجأوا إلى شرق الأندلس (2) ، حيث أقاموا دولا فيه ، كما سنرى.

وأما البربر فإن المهدي لم يحسن مقابلتهم ويجذبهم إليه ، رغم أنهم تحولوا عن نصرة عبد الرحمن شنجول ولحقوا به ، بل كان يغتنم كل فرصة لإظهار احتقاره لهم ، وكراهيته لهم ، وطالبهم بوضع السلاح عند دخولهم القصر (3) ، فكان ذلك غفلة كبرى منه ((إذ كان البربر يعرفون قدرهم ويدركون خطرهم لما ألفوه من احترام البلاط وتبجيله لهم ، ثم تعودوا أن يكونوا في الدولة الجماعة التي يعتد بها)) (4) .

وأما رجال المهدي الموكلون بالقصر ، فإنهم يخصون البربر بالبغض والكره ، فإنهم يبادرونهم بما يكرهون ، ويسمعونهم الخنى من غير تمييز بين أدناهم وأعلاهم (5) ، حتى أن كبيرهم زعيم قبيلة صنهاجة ، زاوي بن زيري بن مناد (6) الذي كان قومه ملوك إفريقيا،يملكون من طرابلس إلى طنجة (7) ((احتبس بالباب للازدحام مدة، لا يفرج له ولا يعرف مكانه ، وكلما همّ بالاستقدام ردُّوه وقرعوا رأس فرسه، فلما أكثروا

---

1 - دوزي . المسلمون في الأندلس . .170:1

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 82:3ــ83.

3 - ابن عذارى . البيان المغرب . .75:3

4 - دوزي . المسلمون في الأندلس . 170:1

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . .75:3

6 - هو زيري بن زيري بن مناد الصنهاجي،يكنى أبا مثْنى،عبر إلى الأندلس مع أبناء أخيه ماكسن،في عهد الدولة العامرية ،رغبة في الجهاد. وكان زاوي هذا ليث الحروب،ورجل القبيل قاطبة،دهاء وحزما وحصافة وصبرا وإقداما ورأيا.خدم قومه شهير الذكر. فلما اختل بناء الخلافة بالمهدي، أشار على قومه مبايعة سليمان المستعين،ثم أقام ملكه في غرناطة فيما بعد، وفي سنة 416هـ رحل إلى إفريقيا،واستقر في القيروان إلى أن مات بالسم هناك . انظر:الضبي . البغية . 296 ، الأمير عبد الله. كتاب التبيان ، 17،19،20،22، 24،25 . ابن عذارى . البيان المغرب . 263:3ــ 264 ، ابن سعيد . المغرب . 106:2. ابن الخطيب. أعمال الأعلام 228ــ229. الإحاطة . 513:1 – 517 ، مؤلف مجهول . مفاخر البربر . 43 .

7 - ابن عذارى . البيان المغرب . 75:3 ، ابن الخطيب . الإحاطة . 513:1 .

عليه جعل يقول : هذا الرأس فاضربوا ، فالدابة لا ذنب لها)) (1) ، كما نهبت دور كثيرة بالرصافة لجماعة البربر ، وسبب ذلك أن المهدي برداءته وسوء تصرفه ، أصدر أمرا في ذلك اليوم يقول فيه : ((لا يركبن أحد من الغزاة ـ إشارة إلى البربر ـ ولا يحمل سلاحا ، ولا يأت القصر)) (2) واتفق أن ركب زاوي بن زيري في جماعة معه ، فردوا عن باب القصر في غاية الذل (3) ، ولما رأى هشام(4) بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر رداءة المهدي،وإهانته رؤساء البربر وزعماءهم (5) ،وما صنعه المهدي له ولابنه ، يقول :((ظُلمت وأوذيت وسُجِّن ولدي على غير شيء)) (6) . ويرى أنه أحق بالأمر من المهدي (7) ، وخشي سوء العاقبة على بني أمية،فأخذ يسعى في خلع المهدي ، وانضم إليه جماعة الناقمين، من الفقهاء والعبيد العامريين ،والسبعة آلاف الذين أسقطهم المهدي من ديوانه (8) ، فألف سليمان منهم جيشا،ولقبوه بالرشيد (9) زد على ذلك أن المهدي أشاع عزمه على قتل رجال من كبار البربر ، فقد كان هذا أكبر دافع لهم على التفكير في أمرهم ، وإذ ذاك التفوا حول الرشيد ، وقاموا بثورة ضد المهدي ، إلا أنها لم يكتب لها النجاح ، إذ استطاع المهدي وجموعه أن يخمدوها ويقضوا عليها في المهد ، وقبضوا على الرشيد وجماعة من بني عمه ، قَتَلهم المهدي (10) ونُهبت ودمرت دور جماعة من خواصه ، وكذا دور البربر الذين دافعوا عن أنفسهم ، ثم انسحب معظمهم إلى أرملاط ضاحية قرطبة (11) وأمر المهدي بأن ينادى في الناس عن مكافأة لكل من أتى برأس بربري ، فتسارع أهل

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 75:3.

2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 75:3.

3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 75:3.

4 - هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالرشيد،هو والد سليمان ولي العهد.قام على المهدي في5شوال سنة 399هـ، فأسر وضرب المهدي عنقه .انظر: الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس .48 ، ابن بسام .الذخيرة .941:2/1 ، ابن عذارى .المصدر نفسه. 78:3،79 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 113.

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 78:3.

6 ـ ابن عذارى . المصدر نفسه .79:3 .

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 79:3.

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 78:3.

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه .82:3ـ83.

10 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 81:3،84

11 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 81:3

قرطبة في قتل من قدروا عليه ، ومن بينهم عدة من الزعماء البربر ، وقتلوا النساء الحوامل ، وقتلوا سبعة عشر رجلا من أهل تلمسان قدموا للجهاد في سبيل الله ، ونهبوا ديارهم ، وهتكوا حريمهم وسبوا نساءهم وباعوهن في دار البنات ، وقتلوا حتى بعض من أتوا من خرا سان والشام على أنهم بربر ، وكثير من زعمائهم (1) وقد لخص لنا هذا الحادث أبو طالب عبد الجبار (2) ، بقوله (3):

فجاءه البربر في حفل الجنود   مع ابن عمه المسمى بالرشيد
فظفر المهدي بابن عمه   وكان ذاك زائدا في غمه

يتضح ـــ مما تقدم ـــ أنه بعبد الرحمن شنجول انفتح باب الفتنة ، وبالمهدي عظمت و لم يكن لها من آخر ، والمؤرخون العرب أحسوا كلهم بمسؤولية المهدي عن هذا العمل الطائش ، يقول ابن الأبار إنه :((باعث الفتنة بالأندلس ، وموقد نارها الخامدة ، وشاهر سيفها المغمد)) (4)، وبالطريقة نفسها يعبر ابن بسام عنه إنه ((مفرق الجماعة بقرطبة ، ومبتعث الفتنة المبيرة)) (5) ، ويشر ابن الأبار إلى عظمة الفتنة بقوله :((وقعت الفتنة العظمى بالأندلس ، وأول من أرَّث نارها ، وأورث شنارها ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي)) (6) ، ونجد ابن عذارى يصف هذه الفتنة بالعظيمة والطويلة ، ويلقي مسؤولية نتائجها على المهدي ، بقوله :((كان هذا من فعل السفيه ابن عبد الجبار ، ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية ، ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى)) (7) .ويؤكد ذلك بعض الباحثين عربا وغيرهم(8).

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . .81:3،82

2 - هو أبو طالب عبد الجبار ،كان يعرف بمتنبي الأندلس،له شعر في أوصاف شتى ،وله أرجوزة أوردها في تاريخ الأندلس.عاش بعد الخمسمائة بدليل ذكره لعلي بن يوسف بن تاشفين،الذي توفي سنة 537هـ ويحدد الزركلي وفاته سنة 516هـ. .انظر:ابن بسام الذخيرة . 2/1: 916 - 944 ، العماد الأصفهاني . خريدة القصر وجريدة العصر . 210:2 ، ابن سعيد . المغرب . 371:2 ، الزركلي . الأعلام . 48:4 .

3 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 941

4 - ابن الأبار . الحلة السيراء . 5:2

5 - ابن بسام . الذخيرة .1/2: 27

6 - ابن الأبار . الحلة السيراء . 30:2 .   7-ابن عذارى . البيان المغرب.76

8 - مؤنس،حسين . موسوعة تاريخ الأندلس . 402:1 ، عنان،محمد عبد الله . الدولة العامرية و سقوط الخلافةالأندلسية.147، دوزي . المسلمون في الأندلس . 170:2،171 ، بيريس،هنري . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . 14 .

بهذا يكـــون المهدي قد فرق الجماعة ، وأساء لكل طائفة،يقول ابن الخطيب مشيرا إلى هذا الحدث في أرجوزته (1) :

ثـــم محـــا الخلافة الخلاف فلـــم يكن من بعده ائتلاف

فغلب الأمر المسمى المهدي وأصبح الدين بـــه في جهد

وكأن محمدا المهدي لم يستقرئ التاريخ ليرى دور البربر بقيادة طـــارق بـــن زيـــاد البربري ، الذي عبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس ، بنحو سبعة آلاف جندي بربري ليس فيهم من العرب إلاَّ القليل (2) ،تلبية لنداء الجهاد المقدس،وهذا ما تؤكده الأبيات التي قالها طارق بن زياد (3) عند الفتح (4) :

ركبنا سفينا في المجـــاز مقيَّـــرا عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفـــوسا وأمـــوالا وأهلا بجنة إذا ما اشتهينـــا الشيئ فيها تيســـرا

ثم توالى عبور البربر إلى الأندلس لنفس الهدف كما سنرى

---

1 - ابن الخطيب . رقم الحلل . 39 .

2 - مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 17 .

3 - طارق بن زياد،بربري،من نفزة،زناتي،ويبدو أن أباه زياد قد أسلم أيام عقبة بن نافع،وحسن إسلامه،وخلفه ابنـــه في خدمـــة ولاة المسلمين.وكان طارق عسكريا ناجحا،وقائدا ممتازا،مخلصا للإسلام،متحمسا لنشره.ويبدو أنه كان صغير السن حين أسند إليه موسى بن نصير هذه المهمة الكبرى.وكان طارق يومئذ واليا على طنجة،وركب في أربع سفن من صنعهم، سنة 92هـــ وعبر المضيق الذي سمـــي باسمه فيما بعد،مضيق جبل طارق،وبكل اللغات.وكانت أول مدينة فتحها طارق هي الجزيرة الخضراء،ثم سار لملاقاة ملـــك النصـــارى لظريف،بعد أن دعم بمدد يقدر بخمسة آلاف جندي بربري،والتقى طارق بجيشه القليل مقارنة بجيش لظريف المقدر بنحو مائـــة ألـــف جندي،في مكان يعرف بوادي لكه،وهو يصب في البحر غير بعيد عن رأس جبل طارق وانتصر المسلمون في هذه المعركة الشـــهيرة،وقتل فيها لظريف على أغلب الأخبار.وواصل طارق فتوحاته،فسار نحو طليطلة،عاصمة ملك النصارى،ثم عبر موسى سنة 93هـــ بعد أن عز عليه أن ينسب الفتح لقائد غيره،وحسد طارقا على ذلك،ودار بينهما اختلاف.ثم تابعا الفتح متوغلين في بلاد النصـــارى إلى أن طلـــب موسى من قبل الخليفة الأموي،ورحل إلى الشام وبصحبته طار الذي لم يحسن الخليفة الأموي معاملته،فانزوى ومات في خمول. انظر:ابن القوطة . تاريخ افتتاح الأندلس .29ــ33،30ــ36 ، مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 17ــ35،27ــ36 ، الحميدي . جـــذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . 31ــ33 ، ابن حزم . رسائله . 128:2 ، الإدريس . القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،مقتبس من كتاب نزهة المشتاق . 263 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 43:1، 9،5،4:2ــ16 ، المراكشي . المعجب . 32ــ34 ، الحميري . الروض المعطار . 34ــ605،530،511،396،382،223،35 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 328،323:5ــ329 ، ابن خلدون . التاريخ . 1/3 :295ــ296 ، المقري . نفح الطيب . 159:1ــ229،161ــ290 ، مؤنس،حسين . فجر الأندلس . 68، ولنفس المؤلف . موسوعة تاريخ الأندلس . 17:1ــ24 ، الحجي،عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي من الفتح حـــتى ســـقوط غرناطة . 56،46ــ128،62 ، دوزي . المسلمون في الأندلس . 43:1ــ46 ، العبادي،أحمد مختار. في تاريخ المغرب والأندلس . 56-75 .

4 - المقري . نفح الطيب . 265:1 .

وحاول المهدي أن يعيد الهدوء للبلاد ، ويتخلص من البربر ، فأصدر أمانا ، ونادى الكف عنهم ، ونصحهم ((أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيرون حرَّاثين كما كـــانوا)) (1) ، لكنهم غادروا أرملاط وساروا إلى قلعة رباح (2) ، وفي الشمال أخذوا ينظمون أنفســـهم استعدادا لمقاومته والإطاحة بعرشه بقيادة سليمان (3) بن الحكم بن سليمان ، كما سنرى.

سليمـــان المستعين باللـــه:

لقد رفض البربر طلب المهدي الذي سيفرقهم في الأرض ويضعفهم ويبعدون عـــن السلطة ، وفي الشمال كان قد فرَّ من قبضة المهدي ، من بني أمية بعد هزيمـــة هشـــام بـــن سليمان وقتله ، ابن أخيه سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وكان يومئـــذ إمامـــا للبربر ، فبايعوه خليفة لهم ، وتَسمَّى بالمستعين بالله (4) ، وذلك في عقـــب شـــوال ســـنة 399هــ (5) ، واتجه الخليفة المستعين بالله بجيشه نحو مدينـــة ســـالم في أقصـــى شـــرق الأندلس(6) ، وعرضوا على واضح الفتى أن يعمل صلحا بينهم والمهدي ، على أن يكـــون سليمان وليَّ عهده ، ويستقر بذلك وضع المسلمين ، لكن واضحا رفض ذلك بعدما أنجـــده المهدي بمدد من قرطبة (7) ، كتب إلى سائر الثغور أمرا جاء فيه: ((من حمل شـــيئا مـــن الطعام إلى محلَّة البربر،فقد حلَّ ماله ودمه))(8) .وهذا يعرض جيش المستعين للموت جوعا ، واستمـــر الحال كذلك ، خمـــسة عـــشر يوما ، يقتـــاتون بحشيش الأرض (9).فأرســـل

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب . 82:3 .

2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 82:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 113 .

3 - هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر،يكنى أبا أيوب،ويلقب بالمستعين (354هــ ــ 407هــ)،هو ثاني من تولى الخلافة من الأمويين بعد الفتنة ولي الأولى سنة 400 هــ،والثانية سنة 403هــ دارت بينه وبين المهدي في الفترتين حروب شديدة انتهت بانتصاره وهو يتزعم البربر،وقتل على يد الحموديين وهم من جنده سنة 407 هــ .حكم في الفترتين ست سنين وعشرة أشـــهر .وكان من أهل العلم والفهم فصيحا شاعرا .انظر ترجمته :ابن حزم طوق الحمامة .48. رسائل ابن حزم .2197:2ــ199. ابن بسام. الذخيرة . 1/1: 35ــ48 ، الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . 49 ، ابن عذارى . المصـــدر نفســـه . 91:3 – 95،113 ، 117 ، ابن سعيد المغرب . 156:1،157 ، المراكشي . المعجب .90 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 114،119 ، ابن خلدون .التاريخ .1/4: 324ــ327 ، المقري نفح الطيب .428:1ــ431 ، ابن الأثير.الكامل في التاريخ.268:7 .

4 - ابن عذارى .المصدر نفسه . 82:3،83 .

5 - ابن عذارى .المصدر نفسه . 83:3،84 ، المراكشي . المعجب . 90 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام . 113 .

6 - المقري . نفح الطيب . .400:1

7 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 85 - 86 .

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 86:3 .

9 - ابن عذارى . المصدر السابق . 86:3.

المستعـــين بالله وزعماء الــبربر رسلـــهم إلى شانجه بـــن غرسية ابن فرذلند (1) قـــومس قشتالة (3) الذي يرد اسمه عند ابن عذارى ((ابن مامة النصـــراني)) (4) يطلبـــون منـــه مسالمتهم ومساعدتهم على خصمهم المهدي (5) وعند وصولهم وجـــدوا رســـل المهـــدي وواضـــح الفتى لدى شانجه هذا ، قدموا له الهدايا ، وطلبوا مـــنه الصلح على أن يتنازلوا له على ما أحب من مدائن الثغر (6) وكأنَّ شانجه بن غرسية قد تحقق له ماكان يأملـــه بعـــد ترقبه ما كان يجري من أحداث بين المسلمين ، وتهيأت له الفرصة للقضاء علـــى قـــوتهم ، وذلك بمؤازرة المستعين بالله وزعماء البربر ، وقدم لهم المؤونة والعون العســـكري مقابـــل إعطائه من مدن الثغر عند انتصارهم ما أحبَّ،بينما رفض عرض المهدي وواضح الفتى (7).

توجه المستعين بالله وجيشه والمتحالفون لمحاربة المهدي وواضح ، واشتبك الجيشـــان عند وادي شرنبة (8) قرب مدينة سالم ، وهزم جيش الأخيرين(9)،وفي ذلك يقول ابـــن دراج القسطلي (10) من قصيدة يمدح بها المستعين بالله (11) :

واستَوْدَعُوا جنْبَيْ شَرَنْبَةَ وقْعةً هدَّ الجبالَ الرَّاسيات وئيـــدُها

ويشيد الشاعر بخصال بربر صنهاجة وزناتة،فهم العمود الفقري لجيش المستعين بالله،

---

2 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 113 .

3 - دوزي . المسلمون في الأندلس . 172:2 .

4 - ابن عذارى . البيان المغرب . 86:3

5 - ابن عذارى .المصدر نفسه . 86:3 .

6 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 86:3 .

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 86:3 .

8 - هذا وادي فرع من نهر تاجه ابن دراج . ديوان . 54،هامش 2 .

9 - ابن عذارى . البيان المغرب . 87:3

10 - هو أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج،المعروف بالقسطلي (347هـ ـــ 421هـ).يقول عنـــه الحميدي: ((كان كاتبا من كتاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر،وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء،والمذكورين من البلغاء،وشعره كثير ومجموع يدل على علمه...وأول من مدح من الملوك المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر)).جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. 177 ، وانظر:ابن بسام . الذخيرة .1/1: 59ـــ96 ، الضبي . بغية الملتمس . 158ـــ161 ، ابن بشكوال . الصلة 40 ، المراكشي . المعجب . 84 - 85 ، ابن سعيد . المغرب . 60:2ـــ62 ، ولنفس المؤلف . رايات المبرزين . 104ـــ105 ، ابن خلكان. وفيات الأعيان . 135:1ـــ139 ، الحميري . الروض المعطار . 479،348ـــ480 ، ابن دحية . المطرب 145ـــ146 ، الثعالبي . يتيمة الدهر . 103:2ـــ116 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 212،197،122 ، ابن العمـــاد . شـــذرات الـــذهب . 217:3 ، مكي ، محمود علي . مقدمة ديوان ابن دراج . 11ـــ70 .

11 - ابن دراج . ديوان . 54 .

ويتحلون ، مع الأمانة والوفاء لخليفتهم ، بالشجاعة والبأس ضد أعدائه ، يقول (1) :

في قُبَّة الملك الذي صَنهاجَةٌ وزَناتَة أطنابُـــها وعمـــودها

وسَراتها ودُعـــاتها ورُعاتها وبناتها وحماتــها وأُســودها

وسار المستعين بالله وجيشه وحلفاؤه النصارى بقيادة شانجه بن غرسية صوب قرطبة، وبعد وصولهم بثلاثة أيام ، وقعت المعركة في 13 ربيع الأول سنة 400هـــ (2) ، في جبل قـــنتيش (3) ، انتهـــت بهزيمة المهدي وواضح ، وقتل الكثير من جيش المهدي ، كما قتل أخلاط مـــن الناس ، يقـــول ابن بسام: ((من كل طـــبقة أخذت وقعـــة قنتـــيش)) (4)، وأشار ابن دراج في قصيدته السابقة إلى كثرة القتلى ، بقوله (5) :

وشِعاب قنتيشٍ وقد حُشِرت لهم أمم بُغاةٌ لايُكِتُّ عديـــدُها(6)

تركوا بها ظهر الصَّعيد وقد غدا بَطْنًا وأجاد الغُواة صعيدها

هذا وأجبرت هزيمة قنتيش المهدي على استخدام الحيلـــة،فأظهر هشـــاما المؤيـــد ، وأجلسه حـــيث يـــراه الناس في شرفة القصر ، وحاول بذلك أن يستميل البربر،لأنهم كانوا يكثرون من الترحم عليه والمطالبة بدمه (7) ، لكن ذلك لم يغنه شيئا ، إذ تمســـك البربـــر بخليفتهم وإمامهم المستعين بالله ، وسخروا من ابن ذكوان،رسول المهدي إليهم ، يقول ابن عذارى: ((سبحان الله يا قاضي ، يموت هشام بالأمس وتصلي عليه أنت وغيرك ، واليـــوم يعيش وترجع الخلافة إليه ، وجعلوا يتضاحكون منه)) (8) ، عندئذ اضطر المهدي إلى الفرار إلى طليطلة في أول جمادى الأولى سنة 400هـــ ، ملتحقا بالفتى واضح الذي كان قد سبقه إليها إثر هزيمة قنتيش(9) .

---

1 - ابن دراج . ديوان . .54

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 80 - 81 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 36

3 - قنتيش أوقنطش:يشيرابن بسام إلى الوقعة بقوله: ((وقعة قنتيش المشهورة)) الذخيرة . 1/1: 43 . . المراكشي يشير إليها،بقوله: ((في جبل هناك يعرف بجبل قنطشن وهو الوقعة المشهورة)) .المعجب . 88ـ89 . وانظر: ابن الأبار . الحلة السيراء . 6:2،هامش . 2

4 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1: .44

5 - ابن دراج . ديوان . .52

6 - لا يُكِتُّ:لايعد ولايحصى.

7 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 44ـ45

8 - ابن عذارى . البيان المغرب . 89:3

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 89:3 ، ابن بسام الذخيرة . 1/1: 44،45 ، ابن الخطيب . أعمال العلام . 114 .

المستعـــين بالله يدخـــل قـــرطبة:

دخل المستعين بالله قرطبة في 17 ربيع الأول سنة 400هـــ ، وبايعه أهلها ، وأنفذ الكتب إلى سائر أنحاء الأندلس يخبرهم فتحه قرطبة(1) وانتقـــل مـــع جيشـــه إلى مدينـــة الزهراء(2) ، وودع حليفه شانجه بن غرسية ، ووعده ثانية بأن يتنازل لـــه عـــن القـــلاع والحصون حين تصبح ملكه ، وجنده الذي جمع ثروة من نهب أملاك الأندلسيين (3) .

ولمـــا استقـــرت دعـــائم ملك المستعين بالله ، رحل إلى طليطلة في جمادى الآخرة سنة 400هـــ ، يدعو أهلها للاستجابة له ، ولكنه لم ينجح في مهمته لتمسك أهل الثغـــر بطاعة المهدي وواضح الفتى ، فتجاوز المستعين طليطلة إلى مدينة سالم ، بعـــد أن أخلاهـــا واضح له،وأوهمه بأنه يعترف به خليفة طالما تركه في منصبه ، فلبى المستعين طلبه (4) ، لكن لجوء واضح إلى طرطوشة (5) ، مكنه من الاتفاق مع حاكم برشلونة (6) ريموند بوريـــل الثالث وأخيه أرمقند على أن يساعداه حربيا نظير تخليه لهم عن مدينـــة ســـالم ، فدخلـــها النصارى وحولوا مسجدها إلى كـــنيسة (7) ، وفـــرضوا على واضـــح شـــروطا قاســـية منها:أن يلتزم لكل رجل منهم دينارين في كـــل يوم ، ويجـــرى القومس(الملك)مائة دينـــار في كل يوم ، وتوفير لهم الطعام والشراب وغـــير ذلك ، وعلى ما حـــازوه مـــن عســـكر البربر ، وأن نساء البربر ودماءهم وأموالهم حلال لا يحوز أحد بينهم وبينهم (8).

رحـــل واضح مـــع المتحالفين إلى طليـــطلة،وانضـــموا إلى المهدي ، وساروا جميعا إلى قرطبة ، والتقوا مع البربر بقيادة المستعين بالله ، بعد أن تخلى عنها أهل قرطبة لعجـــزهم وجبنهم (9) ، وآثر البربر أن يكون لهم شرف كسب المعركة من أجل خليفتهم المستعيـــن

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 91:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 114 .

2 - ابن الخطيب . المصدر نفسه . 114

3 - ابن عذارى . البيان المغرب . 91:3

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 90،93:3.

5 - طرطوشة:مدينة بالأندلس شرق بلنسية وقرطبة،وهي في سفح جبل .انظر :الحميري ز الروض المعطار . 391ـــ392 .

6 - برشلونة:مدينة على البحر،والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل يسمى بهيكـــل الزهـــرة.وهـــي دار ملـــك الإفرنجة،واليهود يعدلون النصارى كثرة . انظر: البكري . جغرافية الأندلس وأوربا . 96ـــ97 ، الحمير .الروض المعطار . 86ـــ87 .

7 - ابن عذارى . البيان المغرب . 94:3

8 - ابن عذارى .المصدر نفسه .93:3 - 94.

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 94 .

الذي جعلوه في المؤخرة ، ونصحوه ألاَّ يبرح موضعه حتى ولو وطئته الخيل(1) ، ثم تقدموا، فحمل عليهم النصارى حملة منكرة ، فتراجع البربر لهم ليتمكنوا منهم (2) ، تبعا لخطــط هجوم الحرب الشرقية (3) فلما رأى المستعين مقدمة الجيش تتقهقر أمام النصارى ، قــدر أنهم هزموا فأطلق لجواده العنان ، وكشف بذلك المؤخرة ، على حين كرَّ البربر على العدو بشدة ، وقتلوا من وجوه النصارى عددا كبيرا (4) ، من بينهم الملك أرمقند ، وقتل للبربــر ثلاثمائة من رجَّالتهم،و لم يقتل لهم فارس واحد (5) ، ولكن البربر لما رأوا المســتعين غــادر مكانه ، وفرَّ إلى شاطبة (6) انحازوا إلى الزهراء واخرجوا نساءهم وأولادهــم وأمــوالهم ، واتجهــوا إلى الجزيرة الخضــراء (7) .وبذلك كسب المتــحالفون المـــعركة في عقبــة البــقر (8) أو دار البــقر ، على مسافة غير بعيدة من قرطبة (9) في 14 شــوال ســنة 400هـ (10) وفي ذلك يقول ابن الخطيب في أرجوزته(11):

وبعد ذا أوقع فيهم وقعه   فجُدِّلت أبطالهم في عقَبه

وأمــا ابن دراج فإنه اضــطر أن يتجنب ذكر الموقـــعة ، وأشــار إلى قــوات النصارى في المعركة مع المهدي ، ورغم عددها وعدتها ، فقد سقط قائدها أرمقند قتــيلا ، يقول (12):

وكتائب الإفرنج إذ كادت في   أشيــاعــها والله عنــك بعيــدها
بسوابح في لجِّ بحرِ سوابـــغٍ   فاضت على الأرض الفضاء مدودها
شِلْوٌ لأرْمنْقودها حشدتْ به   للــزَّحف ثم إلى الجحيم حشودها

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 94:3 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام . 114 .
2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 95:3 .
3 - دوزي . المسلمون في الأندلس . 176:2 .
4 - ابن عذارى . البيان المغرب . 95:3 ، ابن الخطيب ((يحدد عدد كبار قوم النصارى الذين قتلوا بمائتين)). أعمال الأعلام .115
5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 95:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 115 .
6 - شاطبة:مدينة الأندلس وهي حاضرة آهلة بها مساجد وفنادق وأسواق،وقد أحاط بها الوادي.انظر: الحميدي . الروض المعطار.337
7 - ابن عذارى . البيان المغرب . 95:3 .
8 - الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . 48 ، ابن خلدون . التاريخ . 326:7/4 .
9 - المراكشي . المعجب . 89 .
10 - ابن عذارى . البيان المغرب . 94:3 .
11 - ابن الخطيب . رقم الحلل . 40 .
12 - ابن دراج . ديوان . 55 .

المهـــدي يصبح خليفة من جـــديد:

دخل المهـــدي قـــرطبة وأخـــذت له البيعة للمرة الثانية ، وكان هشام المؤيد أول من بايعـــه (1) ، ثم أقسم ألاَّ يستقر حتى ينتهي من أمر البربر . وخرجت جميع جيوشه مع النصارى ، في 6 ذي القعدة سنة 400هـــ (2) ، ورد في البيان المغرب ((كان مع ابن عبد الجبار يومئذ نحوا من ثلاثين ألف فارس دون النصارى ، وكانوا في تسعة آلاف ، فتوجه بهم اتِّباع البربر)) (3) ، بينما النسبة بين البربر وأعدائهم تقدر بواحد مقابل أحد عشر (4) .

التـــقى المهـــدي والنصارى مـــع الـــبربر عنـــد وادي آروه (5) بـــالقرب مـــن رندة(6) ، في 6 ذي القعدة سنة 400هـــ ، واقتتلوا قتـــالا شـــديدا ، ولاقـــى المهـــدي والنصارى عناء كبيرا ((وبَلَوا من البربر قتال المستميت الذي لا يطمـــع في الحيـــاة)) (7) وفي المعركة ثأر البربر لهزيمتهم في موقعة عقبة البقر ، وهزم المهدي ، وقتل عدد كـــبير مـــن قـــواده ، وأكثر من ثلاثـــة آلاف مـــن النصارى ، وغـــرق منهـــم في الـــوادي خلـــق كثير (8) ، ويشير ابن دراج إلى انتصار البربر في هذه المعركة ، بقوله (9) :

ودنوا لها في آر تحت صوارم   ورِيَتْ بعزِّ المسلمين زُنودها

ومن باب التفاخر ، يروى عن بعض ضربات الفرسان من البربر في هذه المعركـــة ، حتى أصبحت مثلا بين الناس آنئذ ، وتذكر الرواية أسماء أصحابها: ((كان مـــن عجائـــب الضراب ، يوم آره المتحدث عنه في الآفاق ، إلى اليوم ثلاث ضربات ، ما سمـــع بمثلـــها في الدهر ، مضاء سيوف وقوة سواعد ، لبيضة التي حملت إلى مدينة برشلونة ، والتي وضـــعتها الإفرنجة في الكنيسة هناك ، اعتبارا ومعذرة ، وضربة حباسة بن ماكسن الصنهاجي فارســـا آخر منهم ، بدرع حصينة ثقيلة فهتكت الزرد وقدته،وقدت جنب لابسه فجدلته ، وضربة

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب . 95:3

2 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 96:3

3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 96:3.

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 96:3.

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . 96:3 . ابن الخطيب. يسميه ((بوادي يارو من أحواز مربلة)) أعمال الأعلام . 115.

6 - رندة: بالأندلس مدينة قديمة بها آثار كثيرة وهي على نهر ينسب إليها،ويصب في نهر لكة.انظر: الحميري . الروض المعطار . 269

7 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 115 .

8 - ابن عذارى . البيان المغرب . 98:3 ، ابن لخطيب . المصدر نفسه . 115 .

9 - ابن دراج . ديوان . 55 ، الذخيرة . ابن بسام . 1/1 :69 .

بهلول بن تمايت الدمري يخطم فـــرس علـــج منهم ففصلت حديدتي اللجام ، ولحيتي الفرس جميعا ، ورمت بخطمه وما تكنفه من الحديد ، وخر الفرس لفيه ، فصارت هذه الضـــربات أعجوبة عند الناس)) (1) .

عـــاد المنهزمون إلى قرطبة غاضبين ، وأكثروا في القتل من عامة الناس ، ولاســـيما كل من يشبه البربر على نحو ما ، وكل من أراد أن ينتقم من شخص صاح فيه هذا بربري ، فيقتلونه دون أن يسألوه ، وقتلوا الأطفال وشقوا بطون الحوامل (2) .وحـــدث أن أخـــذ جندي نصراني ابنة رجـــل من الباديـــة ، جميلـــة حسنـــة ، وعرف أبـــوها الجنـــــدي الذي أخـــذها ، فشكاه إلى واضح ، وقال :إنها ليست بربرية ، فرد عليه قائلا :لا تتكلم في شيء من هذا ، فما إلى ردها من سبيل ، وعلى هذا عاهدناهم ، مضى الرجـــل باكيـــا إلى الجندي ، وبذل له أربعمائة دينار ذهبي ، مقابل ردها إليه ، فأخذها منه ثم قتله (3) .

وطلب المهدي من النصارى معاودة القتال إلى جانبه ، فرفضوا طلبـــه ، محـــتجين بالخسائر التي لحقت بهم ، ثم رحلوا إلى بلادهم في 23 ذي القعدة ســـنة 400هـــــ (4). ورغم جميع المساوئ التي ارتكبها النصارى فقد حزن أهل قرطبة لرحيلـــهم ، يقـــول ابـــن عذارى: ((كان لأهل قرطبة لفراقهم أكبر هم ، حتى كان بعضهم يلقى بعضا فيعزيه كما يعزى من فقد أهله وماله ، أسفا على رحيلهم من وصول البربر إليهم)) (5) .

أما المهدي فقد عدل عن قتال البربر ، تهيبا منهم ، واكتفى بحفر خندق حول قرطبة، وإقامة سور خلفه (6) ، لكن القدر أراد أن يسقط بيد الصقالبة لابيد البربر ، كما سنرى.

لقد كان وضع قرطبة يسوء بالتدريج ، ويزداد التفكك بين عناصره ، وكـــان مـــن مظاهره أن الصقالبة وأغلبهم من المعارضين ، استغلوا الفرصة السانحة للانتقام من المهدي ، الذي يصوره المقري ، بقوله: ((ولقد كان قيامه مشؤوما على الدين والدنيا ، فإنه فـــاتح أبواب الفتنة في الأندلس ، وماحي معالمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتشر السلك ، وكثـــر

---

1 - العبادي،أحمد مختار . صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس . 88 ، نقلا عن مفاخر البربر لمؤلف مجهول .ورقة 158 .

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 97:3

3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 97:3.

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 99:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 116 .

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 99:3

6 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 99:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 116

الرؤساء ، وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئا فشيئا حتى محا اسم الإسلام منـــها)) (1) .ثم دعم الصقالبةَ التجار الذين أثقل عليهم بطلب الأموال ، فقاموا يتزعمهم واضح بقتله ، في 8 ذي القعدة سنة400 هـــ ، بعد أن أجلسوا هشاما المؤيد مرة ثانية (2) . توهم واضـــح أن المستعين والبربر سوف يعترفون بهشام بن الحكم ، صاحب البيعة في أعناقهم ، لكنه وجدهم على غير ما توقع، وعرف أن له أعداء في قرطبة ، يرون مصلحتهم في أن يؤيدوا المستعين ، وقد أرسلوا إليه سرا أن يعود إلى قرطبة وحددوا له يوما ، وأنهم سوف يسلمون المدينـــة ، ووعدهم المستعين بتحقيق رغبتهم ، ولكن واضحا تفطن للمؤامرة وقضى على المتـــآمرين ، وأخفق المستعين بعد أن واجه هجوما عنيفا(3) .

لجأ واضح لدعم موقفه إلى كسب ودِّ النصارى في الشمال ، ولكن ملوك النصارى وجدوا الفرصة سانحة للاستيلاء على كل ما يرغبون بقليل من التهديـــد والوعيـــد ، دون حاجة إلى القيام بحملات حربية ، وإلاَّ سوف يساعدون المستعين والبربر ، وتنازل لهم واضح والأندلسيون على أكثر من مائتي حصن سنة 400هـــ .واتخذ ملوك النصارى الحادث مـــثلا يحتذى ، فقد طلب ملك نصراني آخر ، التنازل على عدد من الحصـــون فكـــان لـــه مـــا أراد(4).وبذلك أضاعوا كل ما كسبته الخلافة أيام الحكم المستنصر بالله والمنصور بـــن أبي عامر وابنه المظفر عبد الملك (5) . وعلى هذا النحو ازداد المستعين والبربر عزما على دخول قرطبة ، بعد حصارها أكثر مـــن شهر ونصف(6) ، انعدمت فيها الأقوات وتفشى الوباء ، وهدمت السيول جوانب كثيرة من قرطبة ، ومات نحو خمسة آلاف ردما وغرقا ، وذهبـــت أمتعة الناس وأموالهم (7) .وكان واضح يرسل كتائب من الفرسان إلى القرى والأقـــاليم ينهبونها ويعودون، لأن البربر كانوا يمنعون دخول الأغذية إلى قرطبة ، وهـــو ينسب ذلـــك إلى البربر، فنزح أهل الأرياف إلى العاصمة أفواجا ، خوفا على نفوسهم ، وفنيت مواشيهم ،

---

1 - المقري . نفح الطيب . 577:1 .

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 99:3 - 100.

3 - مكي، الطاهر أحمد . دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . 120 .

4 - ابن عذارى . البيان المغرب . 103:3 - 104 .

5 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .117

6 - مكي،الطاهر أحمد . دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . 121 .

7 - ابن عذارى . البيان المغرب . 105:3 .

ومات أكثرهم جوعا بها ، بعد أن ((أكل الناس الـــدم من مذابح البقر والغنم ، وأكلـــوا الميتة والجيف ، وكان قوم في السجن فمات منهم رجل فأكلـــوه ، ومع هــــذه المحـــن كانوا يشربون الخمر ظاهرا ، وأصبح الزنا مباحا ، واللواط غير مستور ، ولا ترى إلاَّ مجاهرا بمعصية)) (1) .

ونسب الجنود إلى واضح ما حلَّ بهم من نكبات ،وعلى رأسهم قائد الشرطة الصقلبي ابن أبي وداعة (2) ، عدوه الشخصي ، فأخذ يغذي هذا السخط ضده ، وحـــين أحـــسَّ واضح بضعف مواقفه ، حاول مصالحة البربر ، ولكن ابن أبي وداعـــة أدرك أنه يدبر للهرب فاقتحم عليه قصره ، قائلا له: ((لقد أسرفت في الأموال ، ثم تعتزم بعد ذلك على مصالحة البربر)) (3) . ثم قتله بسيفه في 15 ربيع الأول سنة 402هـ ، وحمل عليـــه القـــــوم ، واحتزوا رأسه ، وطافوا به البلد ، وألقوا جسده في الرصيف ، إلى جانب جثة المهدي (4) .

ومـــر عام ونصف قبل دخول المستعين بالله قرطبة ، كان فيها حكم ابن أبي وداعة حـــاجب هشـــام المـــؤيد ، يتميـــز بقسوة متناهية ، ودفع بالفقـــهاء درجات إلى الوراء، ودعـــا إلى الجهاد (5) ، فازداد الأندلسيون كراهية للبربر ، وقتلوا كل من أتى على ذكـــر الصلح معـــهم ، قتلـــوا في الحال رجـــلا من وجوه أهل العلم ، قال في الجـــامع :اللـــهم أصلح علينا ، وقال آخر :إن الله أحب الصلح ، فقتل في الحين ، ومثل ذلك كثير (6) .

وقد عجل باضطراب النار ، حادث وقع في ذي الحجة سنة 402هـ ،إذ تقدم خمسة من جماعة البربر ، على رأسهم حباسة بن ماكسن ، قرب قرطبة ، وهو لا يعبأ بـــالقرطبيين لشجاعته وبسالته ، فهجموا عليه ، مع سبعين فارسا ، وبعد اقتتال شديد ، طعن حباســـة وسقط على فرسه ، وأسر ، فلما عرفوه ، قتلوه بوحشية ، وقطعوه قطعا ، وتهادوا لحمـــه فأكلوه.ولما سمع أخوه حبوس بن ماكسن ، وعمه زاوي بن زيري ، قاتلوا أهل قرطبة قتالا لم يسمع بمثله قط ، حتى قيل عن الجند الذين خرجوا إلى البربر ، لم يفلت منهم فارس(7) .

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 106:3.

2 - ابن عذارى.المصدر نفسه.3: 105.

3 - ابن عذارى المصدر نفسه . 105:3

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 105:3 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 118.

5 - مكي،الطاهر أحمد . دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . 123 .

6 - ابن عذارى . البيان المغرب . 103:3 .

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 112:3 .

وفي 26 شوال سنة 403 هـ انهزم أهل قرطبة ، ودخل المستعين بالله في اليوم الموالي القصر ، وأحضر هشاما المؤيد ، ووبخه على نقضه العهد ، فاعتذر له هشام على أنه مغلوب على أمره . واختلف في أمره ، فقيل :إنه قضي عليه عند دخول المستعين القصر ، وقيل: إنه فرّ بين يديه (1) ، وإن كان اسم هشام سوف يظهر فيما بعد.كما سنرى

وبعد أن حلَّ المستعين بالله بجيشه مدينة الزهراء ، جاء القرطبيون إليه ، متلقين له ومسلمين عليه ، نشد متمثلا (2) :

إذا ما رأوْني طالعا من ثنِيَّة يقولون:من هذا؟ وقد عرفوني

يقولون لي:أهلا وسهلا ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

ولما استتب الأمر للمستعين بالله ، أخذ نظم شؤون الحكومة المضطربة ، ولكن الفوضى كانت قد سرت إلى جميع النواحي ، وقصر نفوذ الحكومة على قرطبة وما جاورها (3) ، وتولى البربر المناصب الهامة في الدولة ((فكان منهم الحاجب والوزير)) (4) ، لأنهم رفعوا المستعين بالله إلى الخلافة ، فكافأهم بأن قسم بعض أقاليم الأندلس والعدوة على زعماء قبائلهم ، فأعطى صنهاجة إلبيرة (5) فبقيت بيد حبّوس (6) بن ماكسن وذريته، وأعطى جوف البلاد (7) لمغراوة (8) .

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 113:3 .

2 - ابن الأبار . الحلة السيراء . 12:2 .

3 - عنان،محمد عبدالله . الدوالة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية . 157 .

4 - ابن عذارى . البيان المغرب . 114:3 .

5 - إلبيرة:مدينة بالأندلس،فهي بين القبلة والشرق من قرطبة،وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال،وهي من قواعد الأندلس الجليلة،والأمصار النبيلة،حربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة،فهي قاعدة كورها.انظر:الحميري . الروض المعطار . 28 - 29 .

6 - حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ،يكنى أبا مسعود،دخل مع عمه زاوي بن زيري الأندلس ،وفي عهد الفتنة انحازوا إلى غرناطة،ثم آثر زاوي العودة إلى إفريقيا،فأقام ابن أخيه حبوس ملكا عظيما،وكان داهية شجاعا،وحامى رعيته ممن جاوره من سائر البرابرة المنتشرين حوله،ودامت رياسته إلى وفاته سنة 428هـ أو إلى 429 هـ . انظر:ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 459 ، الأمير عبد الله. كتاب التبيان . 25،19 – 29 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 190،143،112 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام . 229، والإحاطة لنفس المؤلف . 1: .486،477

7 - جوف البلاد:انحاء في الشمال إلى عمل إشبيلية . انظر:الحميري . الروض المعطار . 611،27 .

8 - مغراوة:وهم أبناء مغراو بن يَصْلَتن،وجدهم الأكبر هو زانا بن يحي،وهم أشقاء بني يفرن،وبني واسين . انظر:ابن حزم .جمهرة أنساب العرب . 498 ، بوزياني،الدراجي . القبائل الأمازيغية . 159:1 .

وأعطى سرقسطة (1) لمنذر بن يحي التجيبي (2)، وأعطى جيان(3) لبني برزال(4) وبني يفرن (5)، وشذونة (6) ومورور (7) لبني دَمَّر(8) وأزداجة (9) ، وغير ذلك من الحصون (10).

---

1 - سرقسطة:في شرق الأندلس،وهي المدينة البيضاء،لأن أسوارها من حجر الرخام الأبيض،وهي أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمرة لكثرة الفواكه في بساتينهم.أخذ النصارى سرقسطة من أيدي المسلمين،صلحا،بعد أن حاصروها تسعة أشهر وذلك سنة 502هـ انظر:الحميري.الروض المعطار . 317 ، الإدريسي.القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس.(من كتاب نزهة المشتاق) . 278 .

2 - كان منذر بن يحي التجيبي،صاحب سرقسطة،رجلا من عُرض الجند،وترقى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر،وتناهى أمره في الفتنة إلى نيل الإمارة.وقد ساعد المستعين في الغدر بهشام مولى نعمته،كما قتل ضيفه محمد بن المستعين.وكان كريما وهب لقصاده مالا عظيما،فوفدوا عليه وعمرت بذلك حضرته،فحسنت أيامه وهتف المداح بذكره،إلى أن لقي حتفه على يد رجل مارد من بني عمه،يقال له عبد الله بن حكيم،وكان مقدما في قواده ، وذلك في آخر ذي الحجة سنة 430هـ. انظر:ابن بسام.الذخيرة 1/1: 61ـ180،65،64ـ190 ، ابن عذارى . البيان المغرب .3:175ـ180 ، ابن سعيد .المغرب .2:435 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .196ـ201 .

3 - جيان:مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا،وهي كثيرة الخصب،رخيصة الأسعار.وتقع جيان علىسفح جبل عال جدا،وهي حصينة.ومن أمثال العامة:يذكر البلدان ويسكن جيان،ولها أقاليم كثيرة وقرى عامرة،وتغنى بها الشعراء.انظر:الحميري .الروض المعطار .183ـ184 ، الإدريسي.القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس.من (نزهة المشتاق) .295 .

4 - بنوا برزال فخذ من زناتة،وكانوا يسكنون أرض لمسيلة،ودخلت قبيلة بني برزال في طاعة ابن حمدون دون صعوبة،وقد عبر كثير منهم إلى الأندلس بعد أن طلب جعفر بن حمدون من الخليفة الحكم الإذن لهم،وقد دخل كثير منهم في خدمة خلفاء بني أمية فقويت شوكتهم فكونوا إمارة مهمة عقب الفتنة كانت أهم مدنها قرمونة،وتشتت جمعهم وانحسر نفوذهم عقب مقتل زعمهم محمد ابن عبد الله البرزالي،في نهاية الحرب التي خاضوها ضد المعتضد بن عباد.انظر: ابن عذارى . البيان المغرب . 2: 267 - 268 ، ابن حزم.الجمهرة . 498 ، ابن خلدون .التاريخ .7/4: 324 ، مؤلف مجهول . مفاخر البربر.44 .

5 - بنوا يفرن:وهم أبناء يفرن بن يصلتن،وجدهم الأكبرهو شانا بن يحي،وإخوانهم مغراوة وواسين،وبلادهم قرب مدينة تلمسان بالجزائر.واستولى بنو عباد على ملكهم بعد غدرهم لأميرهم أبي نور بن أبي قرة اليفرني. انظر: ابن حزم . الجمهرة .498 ، ابن عذارى.البيان المغرب.370،243،113،98:3 - 371 ، ابن خلدون .التاريخ.7/4 :324 ، مؤلف مجهول . مفاخر البربر.45 ، بوزياني،الدراجي.القبائل الأمازيغية . 156:1 - .159

6 - شذونة:بالأندلس،وهي كورة متصلة بكورة مورور،وهي كورة جليلة القدر،جامعة لخيرات البر والبحر.ومن كور شذونة،شريش وفيها كانت الهزيمة على لذريق حين افتتحت الأندلس على يد طارق بن زياد،كما تقدم. انظر:الحميري . الروض المعطار . 339 .

7 - مورور:بالأندلس،وهي متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس،وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة،وهي من قرطبة القبلة والغرب . انظر: الحميري . الروض المعطار . 564 .

8 - بنوا دمَّر من بربر تونس ومن بطون زناتة،وهم خوارج إباضية،وفد جدهم أبو تَزيري إلى الأندلس أيام النصور بن أبي عامر،وفي أثناء الفتنة استقر أبو تَزيري في مورور و بسط عليها سلطانه .و بعد وفاته سنة 403هـ ،خلفه ولده نوح بن أبي تزيري و حكم حوالي ثلاثين سنة ثم خلفه ولده محمد بن نوح سنة 433هـ إلى أن غدر به المعتضد بن عباد سنة 445هـ ثم خلفه ابنه مناد بن محمد بن نوح الذي يلقب بعماد الدولة إلى أن سقطت دولتهم الصغيرة في يد بني عباد سنة 458هـ ،و توفي مناد هذا سنة 468هـ.انظر ابن عذارى. البيان المغرب .295،168، ابن الخطيب. أعمال الأعلام.238،119،70 ، عنان،محمد عبد الله .دول الطوائف.152 ، بوزياني، الدراجي.القبائل الأمازيغية.1: .171

9 - أزداجة بن برنس بن مادغيس بن بَر وهي قبيلة بربرية حلت بالأندلس .انظر:ابن حزم .جمهرة أنساب العرب .495 .ابن الخطيب. أعمال الأعلام . 66 ، 119 .

10 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3:113ـ114 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 121،119 .

وكان من جملة جنده رجلان من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، يسميان القاسم (1) وعليا (2) ابني حمود بن ميمون بن أحمد بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقوَّدهما المستعين على المغاربة ، ثم ولّى أحدهما سبتة (3) وطنجة (4) ، وهو الأصغر منهما ، وولّى القاسم الجزيرة الخضراء (5) .

ولما بلغ الخبر عبد الله البرزالي من رؤساء البرابرة ، تقديم ابني حمود الإدريسي ، دخل على المستعين ، وقال له: ((يا أمير المؤمنين ، بلغني أنك وليتَ بني حمود العلويين على المغرب ، قال: نعم ، قال له :أليس العلويون طالبين قال: نعم قال : تأتي إلى خشاش تردهم

---

1 - هو القاسم بن حمود العلوي،ويلقب بالمأمون،ويكنى بأبي محمد ،عمره سبعون سنة ولي الخلافة مرتين ؛الأولى بعد قتل أخيه علي ابن حمود الناصر .وفر إلى إشبيلية تاركا ابن أخيه يحي الذي يرى أن الخلافة أخذت منه لخلافة قرطبة ،ثم تقلدها ثانية سنة 414هـ بعد سوء الأحوال و خوف يحي المعتلي بالله على نفسه من جنده البربر و السود و القرطبيين .و بطرد القاسم من قرطبة إلى إشبيلية من قبل أهل قرطبة ،توصد الأبواب أمامه من قبل بني عباد يتجه إلى شريش ،و يعتقل من قبل ابن أخيه يحي المعتلي ،و يسجن في مالقة مدة ثلاثة عشر عاما إلى أن قتل سنة 427هـ.دام حكمه في المرتين أربع سنوات و ثلاثة و عشرين .انظر ترجمته : الحميدي .جذوة المقتبس .23 ، الضبي .بغية الملتمس .28 ، ابن حزم .رسائله 2: 201 ، ابن بسام.الذخيرة .1: 481 ، ابن عذارى .البيان المغرب 3: 124،133 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .130،133 ، ابن سعيد .المغرب .1: 124 ، ابن خلدون .التاريخ7/4: 313 ، المقري .نفح الطيب.1: 431 ، ابن الأثير .الكامل في التاريخ .7: 286 ، التنسي ، أبو عبد الله . تاريخ دولة الأدارسة(من كتاب نظم الدر و العقيان). 55،59 ، دوزي.المسلمون في الأندلس.2: 195 .

2 - هو علي بن حمود العلوي،أبو الحسن الناصر لدين الله،حاكم سبتة من قبل المستعين بالله،ثم أخذ يخطط ليتولى حكم الأندلس،فاعتمد على أخيه القاسم حاكم الجزيرة الخضراء،وخيران العامري حاكم المرية.وزعم علي هذا أن هشاما المؤيد أرسل له بكتاب يوصيه فيه بولاية عهده،وإذا قتل يثأر له.واستطاع علي بن حمود أن يجمع الأنصار،وتولى الخلافة،بعد قضائه على المستعين في 22 محرم سنة 407هـ، وقتله صقالبته في الحمام في 2 ذي القعدة سنة 408هـ ، وله من الولد يحي وإدريس.ودان حكمه سنة واحدة وتسعة أشهر وتسعة أيام.وتولى الخلافة بعده أخوه القاسم.انظر: ابن حزم. رسائله.2:199. ابن بسام .الذخيرة. 1/1: 37ـ41،38ـ43. الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس .52،50ـ53 .ابن عذارى .البيان المغرب .119،116،3:114ـ124 .المراكشي .المعجب 98 .ابن الأبار .الحلة السيراء .2:7 .ابن الأثير . الكامل .7:284ـ285 .ابن الخطيب .أعمال الأعلام .128ـ129. ابن خلدون. التاريخ .1/4: 328 .التنسي .تاريخ دولة الأدارسة ،(من كتاب نظم الدر والعقيان) .55ـ59 .المقري .نفح الطيب.1:431 .

3- سبتة:مدينة على شاطئ البحر المتوسط،في شمال المغرب الأقصى ،وهي تقابل الجزيرة الخضراء ،وهي عبارة عن شبه جزيرة يطيف بها البحر من جميع جهاتها إلا من جهة المغرب . انظر:ابن حوقل . صورة الأرض . 78 . الإدريسي . القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (من كتاب نزهة المشتاق) . 247 ، الحميري .الروض المعطار.303 .

4- طنجة:مدينة بالمغرب الأقصى ،قديمة على ساحل البحر ،تقع عند الطرف الشرقي من مضيق جبل طارق ولا يفصلهما عن الأندلس سوى ثمانية عشر كيلو مترا. انظر: ابن حوقل . صورة الأرض . 79 ، الإدريسي.القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(من كتاب نزهة المشتاق) . 249 ، الحميري .الروض المعطار . 395 .

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 114 .

ثعابين قال :نفذ الأمر في ذلك)) (1) .

وبهذا بدأ الحموديون يتجهون إلى حكم الأندلس و بخاصة أنهم من النسب الشريف –كما تقدم-و ينتمون من حيث الخؤولة إلى البربر ،فتعصب معهم الكثير (2) .

وهذا ما شجع علي بن حمود يطمح إلى الخلافة في الأندلس ، إلى جانـــب تعصـــب البربر له ، نجد خصوم المستعين بالله ، منهم خيران العامري ، صاحب المرية-كما سنرى – كان من مؤيدي الخليفة هشام المؤيد بالله ، و قد دعا له في الأقاليم التي سيطر عليها ، راسله علي بن حمود بزعمه أن هشاما المحاصر في قرطبة من قبل المستعين بالله أرسل له كتابا يوصيه فيه بولاية عهده ، و إذا قتل يثأر له ((ذلك أن هشام لما رأى ما آلت إليه الأمور في دولتـــه قد منح علي بن حمود ولاية عهده و أوصى إليه بالخلافة من بعده و أرسل إليه ذلك بســـبتة سرا و ولاه طلب دمه و استكتمه السر حتى يحين الأوان لذلك)) (3) .

و بالرغم من أن المستعين الظافر هو الذي ولى الحموديين المغرب إلا أنه أخذ يخشى طموح علي بن حمود ، فكلف قاضي سبتة محمد بن عيسى و الفقيه ابن يربوع كبيرها بمهمة مراقبة تحركاته ، فقتلهما علي بن حمود سنة 404 هـــ (4) . ولما عزم الخروج من طاعـــة المستعين الظافر خاطب أخاه القاسم فهرب من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء (5) .

و بإشاعة دعوة علي بن حمود بالأندلس أيدها المعارضون للخليفة المستعين الظـــافر و على رأسهم عامر بن فتوح الفائقي (6) . و كتب إليه كذلك خـــــيران العامري يدعوه إلى الأندلس لتولي الأمر فيها لإنقاذها من الحالة المتردية التي وصلت إليها .

بهذا كسب علي بن حمود قوة العامريين و كذلك شرعية الحكم لأنهم من مؤيـــدي الخليفة هشام المؤيد بالله و هو الخليفة الشرعي في نظرهم ، فعبر المضيق من سبتة إلى الجزيرة

---

1 - ابن عذارى . المصدر السابق . 3 :.114.
2 - ابن خلدون . التاريخ . 7/4 :.328.
3 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 114 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام.121 .
4 - ابن عذارى . المصدرنفسه . 3: 115 ، ابن الخطيب المصدر نفسه.121 .
5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: .115.
6 - هو عامر بن فتوح الفائقي مولى فائق ، مولى الحكم المستنصر بالله . انظر : الضبي. بغية الملتمس . 24 .

الخضراء سنة 405هـ (1) ،وسار إلى مالقة (2) فسلمه عامر بن فتوح المدينة وتملكها علي بن حمود ((ما و صل إلا لنصرة هشام))(3) فانضم إليه جماعة من الناس ،((و أتاه خيران العامري و زاوي بن زيري و حبوس بن ماكسن بن زيري و إخوته و بنو عمه الصنهاجيون فعظم شأنه و قوي أمره و حارب بهم سليمان)) (4) .

وبهذا نشبت معركة شديدة انتهت بانتصار علي بن حمود وهزيمة سليمان الظافر ، ودخل علي بن حمود قرطبة ، وطمع ((أن يجد هشاما المؤيد بالله حيا فلم يجده ، و ذكر أنه قتل و عرض عليه قبره فأخرجه ثم دفنه)) (5) .

وإثر ذلك أحضر سليمان الظافر و ضرب عنقه، قائلا بالبربرية : ((لا يقتل الزلطان إلا الزلطان)) (6) ، ثم قتل أخاه أمام أبيهما الحكم الذي قيل إن علي بن حمود قال له: ((يا شيخ هكذا قتلتم هشاما! فقال : لا و الله !ما قتلناه ولا هو إلا حي يرزق فعند ذلك عجل علي بقتله)) (7) ، و كان ذلك في المحرم سنة 407هـ (8) .

هكذا زالت دولة بني أمية من الأندلس بعد أن عاشت منذ دخول عبد الرحمن الداخل حتى مقتل سليمان الظافر مائتين وثمان وستين سنة (9) أنهاها الخصوم الحموديون للأمويين و جلس على عرش الخليفة علي بن حمود .

علي بن حمود الناصر لدين الله:

بمقتل سليمان الظافر بويع علي بن حمود في اليوم الثاني بعد أن أدرك بثأر هشام المؤيد و لم يتخلف أحد عن بيعته و تسمى بالناصر لدين الله (10) .

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب .3: .116

2 - مالقة مدينة بالأندلس على شاطئ البحر تقع بين الجزيرة الخضراء و المرية .انظر : الحميري .الروض المعطار .517.

3 - ابن عذارى .البيان المغرب.ابن بسام . الذخيرة .1/1 :41

4 - ابن عذارى. المصدر نفسه . 3: 120

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 117. ابن بسام . الذخيرة .1/1: .41

6 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام .121 .

7 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .121

8 - لحميدي . الجذوة .20.الضبي . بغية الملتمس.25.ابن بسام . الذخيرة . 1/1 :41.ابن عذارى. البيان المغرب.117 .ابن الخطيب. المصدر نفسه.121.

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: 115.

10 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1 : 97 ، ابن حزم . رسائله . 2: 199 .

استهل علي بن حمود حكمه بوضع حد للفوضى ، إذ رفع الحجـــاب ، و جلـــس للمظالم بنفسه ، وأقام الحدود لا يحاشي فيها أحدا ، فانتشر العدل و أمنت السبل ، و رخى السعر ، وعاش الناس أحسن معاشرة قريبا من سنة (1) .

ومـــن الأمثلـــة على ذلك: ((ضرب عنق أحد البرابرة على حمل عنب قال أخذته كما يأخذ الناس ، فأمـــر به فقتل و طيف برأسه بسائر البلد)) (2) .

بفضل هذه السياسة السمحاء أمن أهل قرطبة على أنفسهم و أمـــلاكهم ، فعـــادوا إلى مباشـــرة أعمالهم و هم ينعمـــون بالأمـــن يشجعـــهم على ذلك عـــدل الخليفة (3). و كان مـــن معاونيه في الحكم جماعة من أولياء الخلافة السابقين مثل أبي الحزم بن جهـــور و أحمد بن برد و غيرهم (4) .

على أن خيبـــة الفتيان العامريين كانت كبيرة ، و على رأسهم خيران العامري الذي كان يأمل عند دخول قرطبة مع علي الناصر ، ((أن يجد هشام المؤيد حيا ،فلم يجده))(5) خشي سطوة علـــي الناصـــر ، فغـــادر قرطبـــة و ســـار إلى شـــرق الأنـــدلس حيـــث العـــــــــامريون و أنصارهم (6) .و أعاد الدعوة للأمويين في شخص مرشح جديـــد منـــهم :هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (7) .

وكان قد فر من قرطبة إلى جيان ، فاستدعاه خيران و بايعه مع الفـــــتيان العامريين و لقبـــوه بالمرتضى (8) . و انضـــم إليهم المنذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة و معه قوة مـــن المرتـــزقـــة (9) .

---

1 - التنسي.تاريخ الدولة الأندلسية . 59 ، ابن عذارى. البيان المغرب . 3: 122 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . .129

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 121 .

3 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 229.

4 - ابن عذارى .البيان المغرب .3: 122

5 - ابن بسام . الذخيرة .1/1: 41 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 130 .

6 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3 : .122

7 - هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

8 - الحميدي . جذوة المقتبس .22 . الضبي . بغية الملتمس .27 ، ابن عذارى . البيان المغرب .3: 122 ، ابن حزم . رسائله.2: 199 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .130-132 ، المقري .نفح الطيب .1: 483 .

9 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 121 – 122 .

و لما أحس المرتضى بقوة من نفسه أعلن الثورة بقواته وسار إلى غرناطة (1) يريد الاستيلاء عليها، كما سنرى .

استمرت العلاقات الحسنة بين أهل قرطبة و علي الناصر مدة ثمانية أشهر ، و بعدها أحس من الناس الميل إلى بني مروان ، بظهور المرتضى ، و أنس منهم الكراهية لدولته (2) .

و مهما يكن من أمر فقد مال علي الناصر سريعا إلى البربر و آثرهم و أغضى على مساوئهم (3) ، وراح يصب ((على أهل قرطبة ضروبا من التنكيل و المغارم ،و انتزاع السلاح منهم ، و هدم دورهم و قبض أيدي الحكام عن إنصافهم و أغرم عامتهم ، وتوصل إلى أعيانهم بقوم من شرارهم)) (4) . و عزم على إخلاء قرطبة ، و إبادة سكانها، فلا يعود للمروانيين سلطان (5) فاضطر أهل قرطبة إلى لزوم بيوتهم في النهار ، وانطمروا في بطون الأرض ، وقلما يخرجون ، حتى خلت الأسواق من الناس ، و إذا دنا المساء خرجوا من بيوتهم في جنح الظلام لبعض حاجاتهم (6) .

هذا ما جناه أهل قرطبة بعد رفضهم لسياسة العدل . ومن الشخصيات التي تعرضت لامتحان علي الناصر و اضطهاده ، أبو الحزم بن جهور و أحمد بن برد و غيرهما (7) .

و لما اشتدت وطأة علي الناصر ، أظلمت الدنيا على أهل قرطبة لجأوا إلى الله تعالى ((فسلط عليه بعض صقالبة بني مروان ، و كان علي استخلصهم لنفسه و أمنهم على مهجته ، فدخل معهم الحمام ليلة ، و هم ثلاثة فقتلوه من غير مواطأة أحد)) (8) .

---

1 - ابن الخطيب أعمال الأعلام . 130 .

2 - ابن بسام . الذخيرة.1/1: 99 .

3 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 99 .

4 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 99 ، ابن عذارى البيان المغرب . 3: 123 .

5 - ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 99

6 - ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 100 . ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 123 .

7 - ابن بسام . المصدر نفسه . 1/1: 100 .

8 - التنسي ،أبو عبد الله.تاريخ دولة الأدارسة(من كتاب نظم الدر والعقيان) . 58-59 ، الذخيرة ابن بسام .1/1: 100-101 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 122 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.139 ، المقري . نفح الطيب . 1: 483 ، الضبي . بغية الملتمس . 22 .

ولما استطال نساؤه لبثه في الحمام ، دخلن عليه ، فوجدنه قتــيلا ، والــدم يســيل منه(1) ، وطار خبر مقتل علي الناصر في الآفاق ، و ابتهل الناس شكرا لله .(2).

القاسم بن حمــود :

استدعى أنصاره من زناتة ، أخاه القاسم من إشبيلية (3) ، و كان واليا عليها (4) دون ولي عهده يحي بن علي-كما سنرى-والي المغرب (5) .

بويع القاسم بن حمود بالخلافة بعد مقتــــل أخيه علي النــاصر بستة أيــام في ذي القعدة سنة 408 هــ ، و يلقب بالمأمون (6) .

و كان أول عمل قام به هو محاكمة الذين اغتالوا أخاه الناصر ، بعدما تأكد من عدم و جود أي تواطؤ ، ((و أقر الثلاثة الذين فتكوا بأخيه جريمتهم و نفوا عن جميــع النــاس المواطأة و التدليس فقتلهم القاسم لوقته)) (7) .

استهل القاسم المأمون حكمه بأن عدل عن سياسة الشدة التي انتهجها أخوه —كما تقدم —إلى سياسة اللين و المسالمة ، و أحسن إلى الناس و نــادى بالأمــان ، و أســـقط عنـــهم ما كان أخوه قد طالبهم به ، و أقر القاضي و الحكام و الخدمة في مراكزهم و أسند للسودان أعمالهم (8) .وبذلك تنسم الناس روح الرفق واطمأنت بهم الديار (9) مستبشرين بالعهد الجديد .

و بعد سنة من حكم القاسم المأمون ، اصطدم بتمرد عبد الرحمن المرتضى في شــرق الأندلس،فقد زحف بجيش من الأندلسيين و النصارى (10)،على غرناطة المساندة للخلافة .

---

1 - ابن بسام الذخيرة .1/1 : 101 ، ابن خطيب أعمال الأعلام..129

2 - ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 101 ، ابن عذارى البيان المغرب 3: 122.

3 - ابن عذارى المصدر نفسه.3: 122 ، ابن بسام المصدر نفسه. 1/1: 101 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام .129.

4 - التنسى أبو عبد الله.تاريخ دولة الأدارسة .(من كتاب نظم الدر و العقيان)..59

5 - التنسي ، أبو عبد الله.تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب نظم الدر والعقيان) .59 .

6 - ابن بسام .الذخيرة.1/1: 480 ، ابن عذارى. البيان المغرب.3 :130 ، ابن الخطيــب. أعمــال الأعـــــلام.130 ، ابـــن حزم.رسائله.2: 200 ، ابن خلدون .4/7 : 331.

7 - ابن عذارى. المصدر نفسه . 3 :130 ، ابن بسام المصدر نفسه . 1/1: 481 .

8 - ابن بسام . المصدر نفسه . 1/1: 481 ، ابن عذارى البيان المغرب3: 130.

9 - ابن بسام . المصدر نفسه .1/1: 481.

10 - ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 453 ، ابن عذارى . المصدر نفسه . 3 :125 .

الأموية ، و على رأسها زاوي بن زيري الصنهاجي (1) و رغم أن القوتين غير متكافئتين فقد انتصر البربر و هم الأقل عددا وعدة ، ((اجتمع بصنهاجة دون الألـــف من خـــيرة الخيرة ، وكان الطوائف الباغية في نحو من أربعة ألف فارس)) (2) و قتل المرتضى (3) وقد وصـــف ابن حيان هزيمة الأندلسيين بالمصيبة ، يقول ((فحل بهذه الوقعة على جماعة من الأندلس مصيبة سوداء أنست ما قبلها ، و لم يجتمع لهم على البربر جمعٌ بعد ، و أقـــروا بالإدبـــار ،و بـــاءوا بالصغار)) (4) .

بمقتل عبد الرحمن المرتضى ، و فرار حلفائه ، سر القاسم المأمون و هنأه الشعراء بهـــذا الانتصار منهم الرعيني الأعمى (5) ، يقول فيه(6):

لك الخير خيرانٌ مضى لسبيلـــه و أصبح ملك الله في ابن رسوله

و فُرِّق جمعُ الكفر و اجتمع الورى على ابن حبيب الله بعد خليله

لكن هذا الانتصار الذي أحرز عليه البربر لم يؤد إلى استقرار الحكم بقرطبة طويلا،إذ سرعان ما فسح المجال لصراع داخلي بين أبناء الأسرة الحمودية (7) ، و ذلك بقيام يحي (8)

---

1 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 130 .

2 - الأمير عبد الله . مذكراته . 22 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 131 . العربي ، إسماعيل.دوله الأدارسة . 243 .

3 - ابن بسام . الذخيرة . 455 . ابن عذارى البيان المغرب . 3: 126 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 131 .

4 - ابن بسام الذخيرة.1/1: 485.ابن عذارى البيان المغرب.23: 127.

5 - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان الرعيني،يعرف بابن الحناط ،لأن أباه كان يبيع الحنطة بقرطبة.وهو شاعر ضرير.يقول الحميـــدي والضبي فيه:((كان ابن الحناط متقدما في الأدب والبلاغة والشعر ،وشعره كثير مجموع مدح الملـــوك)) .جـــذوة المقتـــبس.57.بغيـــة الملتمس.77.و ذكره ابن حيان بقوله : ((كان من أوسع الناس علما بعلوم الجاهلية و الإسلام ...حاذقا بالطب و الفلسفة ،مـــاهرا في العربية و الآداب الإسلامية)) . ابن بسام الذخيرة . 1/1: 438 . توفي بالجزيرة الخضراء قريبا من 430 هـــ كما حددها صـــاحب الجذوة و صاحب البغية في الصفحات نفسها . أما ابن سعيد في المغرب 1: 123، و ابن بسام في الذخــــــيرة 1/1: 438 ، فإنهما قد حددا وفاته سنة 437 هـــ في كنف الأمير محمد بن القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء في عهد ملـــوك الطوائـــف (428-440)

6 - ابن بسام . الذخيرة.1/1: 452 ، ابن سعيد .المغرب في حلى المغرب . 1: 124 .

7 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 131 .

8 - هو يحي بن علي بن حمود ،يكنى بأبي زكريا ،عمره 42 سنة لما بويع بالخلافة و لقب بالمعتلي بالله في المرة الأولى سنة 412هـــ و دام حكمه في هذه المرة سنتو ستة أشهر و نصف و في المرة الثانية بقي في قرطبة مدة ثلاثة أشهر و اثـــنين و عشـــرين يومـــا في ســـنة 416هـــ. و بهذا قطعت دعوته عن قرطبة و استقر بقرمونة حاكما إلى أن قتل من قبل بني عباد سنة 427هـــ .و كان من الولد الحسن و إدريس .انظر ترجمته في :ابن حزم . رسائله 2: 202 ، الحميدي . جذوة المقتبس .24-25 ،الضبي بغيـــــة الملتمس.30 ، ابـــن بسام الذخيرة . 1/1: 316 ، ابن عذارى . البيان المغرب .3: 144،131-145 ، ابن الخطيب أعمال الأعـــلام .132،136- 137 ، المراكشي . المعجب . 102-104 ، مؤنس ، حسين . موسوعة تاريخ الأندلس .1 : 416 ، العربي ،إسماعيل.دولة الأدارسة . 266-253 .

والي سبتـــة و أخيه إدريس (1) والي مـــالقة ،ابني علي الناصر، و كانا يظهـــران الـــولاء لعمهما (2) ثم عبر يحـــي إلى مـــالقة و استخلف أخـــاه إدريس على سبتة(3). وجهـــز يحي جيشا قويا من أنصاره ، و زحف به على قرطبة ، وهو واثق من مؤازرة البربر له (4) ، وخشي القاسم المأمون العاقبة فآثر الانسحاب على الحرب،و غادر قرطبة إلى إشبيلية في ربيع الآخر سنة 412هـــ ، في خمسة فرسان من خواصه (5) ، وضبط البربر قصر قرطبة إلى أن لحق به ابن أخيه يحي كما سنرى .

يحي بن علي الناصر:

دخل يحي بن علي الناصر قرطبة و تلقى فيها البيـــــعة من البربر وأهـــل الأندلس في مستهل جمادى الأولى سنة 412هـــ ، و تلقب بالمعتلي لله(6) .

كان يحي المعتلي بالله ، يجانب العصبـــــية ،و يـــــؤثر العـــــدل و يجزل العطاء لمن و فد عليه ، أو مدحه بشعـــــره فأحبـــــه النـــاس (7) ، و كـــــان من وزرائـــه ، أبو العباس أحمد بن برد ، و ابن ذكـــوان (8) الذي كـــان يعيـــــش أيـــامه الأخيرة ،

1 - كان إدريسبن علي بن حمود واليا على مالقة ،ثم حل مكان أخيه بســـبتة،وبعد مقتل هـــــذا الأخـــير المعتلي بالله ،عـــبر إدريس إلى الأندلس،وتقلد الخلافة بماقة قاعدة المملكة الحمودية سنة 427 هـــ،وتلقب بالمتأيد بالله ، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 431 هـــــ .انظر:الحميدي. جذوة المقتبس.30 ، الضبي . بغية الملتمس . 37 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 192،191 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام .140 ، ابن خلدون . التاريخ .7 - 4: 330 ، التنسي ، أبو عبد الله . دولة الأدارسة(من كتاب نظم الدر والعقيان) . 61 ، العربي ، إسماعيل . دولة الأدارسة . 263 .

2 - ابن عذارى البيان المغرب.3: .131

3 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام .131 ، المقري نفح الطيب .1 :486 .

4 - ابن بسام الذخيرة.1/1: 481 ، ابن عذارى البيان المغرب.3: 131 ، المقري.المصدر نفسه .1: 486 ، التنسي، أبو عبـــد الله. تاريخ دولة الأدارسة ، (من كـــتاب نظم الدر و العقيان) . 59 .

5 - ابن عذارى البيان المغرب .3 :131 ، ابن بسام الذخيرة .1/1: 482 ، المقري المصدر نفسه .1 :486 .

6 - ابن عذارى البيان المغرب .3: 131 ، ابن بسام الذخيرة 1/1 :482 ، ابن خلدون . التاريخ 4/7: 331 .

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: 132 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 132 .

8 - هو أحمد بن عبد الله بن ذكوان ،قال الجماعة على أيام المنصور بن أبي عامر و ابنيه عبد الملك المظفر و عبد الرحمن شنجول .و قـــد ظل جليل القدر إلى و فاته في الواحد و العشرين من رجب سنة 413 هـــ انظر ترجمته : النباهي . تاريخ قضاة الأندلس . 84 ، الضبي . بغية الملتمس . 186 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 215 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 46 .

ومن كتابه أحمد بن برد (1)

أما القاسم بن حمود فقد كان أثناء ذلك ، قد استقر بإشبيلية،وبايعه فيها القاضي محمد ابن إسماعيل بن عباد –كما سنرى –وتلقب بالمستعلي (2) و قد تصالح مع عمه القاسم فقال في ذلك ابن حزم: ((خليفتان تصالحا و هو أمر لم يسمع بأذل منه و لا أدل على إدبار الأمور يحي بن علي بن حمود بقرطبة و القاسم بن حمود بإشبيلية)) (3).

على أن هذا الوضع الشاذ لم يدم طويلا،ذلك أن البربر أعلنوا خلعة يحي المعتلي في الثاني عشر من ذي القعدة سنة 413هـ(4)،فغادر قرطبة إلى مالقة .وفي نفس الليلة دخل القاسي المستعلي قرطبة تلبية لدعوة البربر و جددت له البيعة و تسمى بأمير المؤمنين (5) و بعد سبعة أشهر من خلافة القاسم ساءت العلاقات بينه و بين أهل قرطبة بتسلط البربر(6)فقاموا ((بخلعه كلمة إجماع)) (7) وحاصروه في القصر فاضطر إلى مغادرته و ذلك في آخر جمادى الثانية سنة 414هـ (8).

و بعد خروج القاسم حاصر قرطبة ،مدة خمسين يوما،و المعارك فيها كل يوم تتجدد إلى أن هزمه أهل قرطبة،و حينها غادر القاسم العاصمة إلى إشبيلية ،فسد أهلها أبواب المدينة في وجهه و عميدهم القاضي محمد بن إسماعيل بن عبادمؤسس دولتهم(10)، كما سنرى .

---

1 - أبو حفص الوزير ،جد أحمد بن محمد الكاتب . كان ذا حظ وافر من الأدب و البلاغة والشعر ،رئيسا مقدما في الدولة العامرية و بعدها ؛ فهو كاتب الرسائل عند علي بن حمود ،و أخيه القاسم و ابن أخيه يحي المعتلي .مات سنة 418هـ .انظر ترجمته : الحميدي جذوة المقتبس .119 ، الضبي . بغية الملتمس .172 ، ابن بشكوال . الصلة . 38 ، ابن بسام .الذخيرة . 1/1: 103 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 137،132،123.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3 : 132

3 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 132-.133.

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 133.

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 133 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام .133 .

6 - ابن عذارى المصدر السابق 3: .134.

7 - ابن الخطيب أعمال الأعلام. 133.

8 - ابن عذارى البيان المغرب 3: 134. ابن بسام الذخيرة .1/1: .485.

9 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 134.

10 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 135 ، ابن بسام الذخيرة 1/1: 485 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 133 ، المقري . نفح الطيب . 1: 488 .

اتجه القاسم بن حمود و استقر في مدينة شريش (1) ، و حاصره فيها ابن أخيه يحي المعتلي بالله ، ثم دخل المدينـــة و اعتقل عمه ،و سجـــنه في مالقة إلى أن مات فيه خنقا سنة431هـــ (2) و أما أهل قرطبة فقد أجمعوا على رد الخلافة للأمويين .

عودة الخلافة للأمويين:

بعد خروج علي بن حمود من قرطبة ردت الخلافة لبني أمية ،فكان عبد الرحمن بـــن هشام بن عبد الجبار الناصر (3) ، قد دعا لنفسه ، و بايعه وزراء و مشايخ الأندلس ، و هم بين راض و مكره (4) ، و لقب بالمستظهر بالله في رمضان سنة416 هـــ (5).

استهل الخليفة المستظهر بالله حكمه بالاعتقال و سجن عدد من الوزراء الســـابقين ، و أغرمهم الأموال ، ثم أطلق ابن عمران أحد المعتقلين بعد أن غير رأيه فيه(6) ، و مـــا زاد الأمر سوءا عندما استقبل و فدا من البربر و أنزلهم في القصر (7).

فثـــار القرطبيـــون و قالوا : ((نحن الذين قهرنا البرابرة و طردناهم عن قرطبة وهذا الرجل يسعى في ردهم إلينا ، و تمكينهم من نواصينا)) (8) ، و هجموا على القصر و قتلوا من به من البربر ،و وثبوا إلى جناح الحريم ، فاختبأ المستظهـــر بالله في أتون الحمـــام (9) ،

---

1 - شريش من كور شذونة من الأندلس و هي على مقربة من البحر انظر الإدريسي القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس 301 ، الحميري. الروض المعطاء . 340 .

2 - الضبي .بغية الملتمـــس.24.ابن عذارى البيان المغرب .3: 135.ابن بسام الذخيرة .1/1/: 485.المراكشي .المعجب . 100 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 140 .

3 - هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر –شقيق المهدي –يكنى أبا المطرف .ولد سنة392 هـــ .بويع بالخلافة في الثالث عشر من رمضان سنة 414هـــ و تلقب بالمستظهر بالله وكان شابا في الثانية و العشرين من عمره ثم قام عليه محمد بن عبـــد الـــرحمن المستكفي بالله على طائفة من أرذال القوم فقتل المستظهر و ذلك لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 414 هـــ و لم يتجاوز سلطانه قرطبة في سبعة و أربعين يوما التي حكمها .كان المستظهر بالله في غاية الأدب و البلاغة و الفهم و رقة النفس .انظر ترجمته :الحميدي .جـــذوة المقتبس .25-26 ، الضبي .بغية الملتمس .21 ، ابن حزم .رسائله .2: 201-202 ، ابن عذارى البيان المغرب .3: 135-138 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 48-59 ، المراكشي المعجب .105 -106 ، ابن الأبار .الحلة السيرة.2: 12-17، ابن الخطيب أعمال الأعلام .134-135 ، المقري.نفح الطيب .1: 488-489 ، دوزي .تاريخ مسلمي إسبانيا .2: 199-203،200-205 .

4 - ابن عذارى . البيان المغرب .3: 137 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 134 ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ .7: 287.

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 138.

6 - ابن عذار . المصدر نفسه . 3: 138 ، ابن بسام . الذخيرة .1/1: 53.

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3 :138 ، ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 53 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.135.

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3 :138 ، ابن بسام . المصدر نفسه.1/1: 53 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام..135

9 - ابن بسام . المصدر نفسه .1/1 :54 ، ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 138 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.135.

وانتهكوا حريمه، و سبوا أكثرهن ،و حملوهن إلى منازلهم علانية ((و جرى عليهن ما لم يجر على حرم السلطان في مدة تلك الفتنة)) ، ثم عثر على المستظهر و حمل إلى ابن عمه محمد ابن عبيدالله الناصر (1) ، الذي بويع بالخلافة بعده ، و تلقب بالمستكفي بالله ،فأمر بقتل المستظهر على الفور في الثالث من ذي الحجة سنة 414هـ(2).

افتتح الخليفة المستكفي بالله حكمه بجريمة شنعاء ، و واصل قتل ابن عمه محمد بن العراقي سنة 415هـ (3)، وألقىالقبض على بعض وزراء المستظهر منهم علي بن أحمد بن حزم(4) و عبد الوهاب ابن عمه(5)،و فر الكثير منهم إلى مالقة(6)،و منهم ابن شهيد (7)

1 - هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر و يكنى بأبي عبد الرحمن وهو والد الأديبة الشهيرة ولادة ولد سنة 366هـ بويع بالخلافة يوم قتل ابن عمه المستظهر بالله في الثالث ذي القعدة سنة 414هـ و تلقب بالمستكفي بالله .دام حكمه ستة عشر شهرا و أياما و فر يوم خلعه في الخامس و العشرين من ربيع الأول سنة 416هـ و في طريقه مات بالسم أو قتل طمعا في المال و عمره اثنان و خمسون عاما.انظر ترجمته الحميدي . جذوة المقتبس.26-27. الضبي بغية الملتمس .33 ، ابن حزم رسائله 2: 102-103 ، ابن بسام الذخيرة .1/1: 433-437 ، ابن عذارى. البيان المغرب 3: 140-143 ، المراكشي المعجب .107-108 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام .135-136 ، المقري نفح الطيب 1: .437

2-ابن عذارى . البيان المغرب.139.

3 - ابن عذارى . البيان المغرب.142.

4 - هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الظاهري ولد بقرطبة سنة 384هـ كان حافظا عالما بعلوم الحديث و اللغة من تصانيفه جمهرة أنساب العرب .طوق الحمامة .رسائل ابن حزم .توفي ابن حزم سنة456 هـ انظر ترجمته .صاعد الأندلسي.طبقات الأمم .181 .الحميدي ،جذوة المقتبس .380 .الضبي .بغية الملتمس .415،الفتح بن خاقان .مطمح الأنفس .279،ابن بسام.الذخيرة.1/1: 167،ابن بشكوال .الصلة .415،ابن سعيد .المغرب .1: 354،الرايات لنفس المؤلف.69،المراكشي .المعجب .93،ابن خلكان .وفيات الأعيان .3: 325،ابن العماد .شذرات الذهب 3: 299،ابن تغري .النجوم الزاهرة .5: 75. المقري .نفح الطيب.1: 291.و في طوق الحمامة أخبار كثيرة عنه .و قد كتبت عنه دراسات كثيرة في العصر الحديث

5 - هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم ،أبو المغيرة الوزير الكاتب من المتقدمين في الأدب و الشعر و البلاغة توفي أبو المغيرة سنة 432هـ .انظر ترجمته .الحميدي .جذوة المقتبس .291،الضبي بغية الملتمس .293 ،ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس.1: 284،ابن بسان الذخيرة .1/1: 132،ابن خاقان.مطمح الأنفس .202،ابن سعيد .المغرب .1: 357،و الرايات لنفس المؤلف .70،ابن بشكوال الصلة .380،المقري .نفح الطيب 1.: .616

6 - ابن بسام. الذخيرة .1/1: .436

7 - هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأندلسي القرطبي.ولد ابن شهيد سنة 382هـ في عهد الدولة العامرية و شهد الفتنة ،و عاش وزيرا كاتبا شاعرا حيث استوزره المستظهر ثم المعتد بالله و بعدها أصيب بمرض الفالج و ظل يعاني منه سبعة أشهر حتى وافته منيته سنة 426 هـ ،له ديوان شعري جمعه و حققه كل من شارل بلا ، يعقوب زكي و محي الدين ديب و له رسالة التوابع و الزوابع تحقيق بطرس البستاني .انظر ترجمته الحميدي .جذوة المقتبس . 133، الضبي بغية الملتمس.191، ابن دحي المطرب .158، ابن بسام. الذخيرة 1/1: 191 ، ابن خلكان .وفايات الأعيان .

1: 116،ابن خاقـــان .مطمح الأنفس .189،ابن الأبار .إعتاب الكتاب .203،ابن سعيد .المغرب. 1: 78،الثعالبي .يتيمة الدهـــر . 1: 386،الحموي .معجم الأدباء .1: 218 ، ابن العماد .شذرات الذهب .3: 230 ، المقري .نفح الطيب .1: 621.

و في أيامه امتد الدمار إلى الزهراء و الزاهرة (1) ، كما وصف المستكفي بأنه((لم يجلـــس للإمارة مدة الفتنة أنقص منه)) (2) .

مما تقدم نستخلص أن أهل قرطبة سئموا من حكم المستكفي و نادوا بخلعه ، ففر من قرطبة ((في زي غانية بين امرأتين لم يميز بينهما لمرانه على التخنـــث)) (3) ، و ذلـــك في الخامس و العشرين من ربيع الأول سنة 416 هـــ،فمات في إقليش (4) بعـــد حكـــم دام ((سبعة عشر شهرا صعابا ناكدات ،سودا مشوّهات مشؤومات)) (5).

و بعد أشهر ، و قرطبة في فوضى لا ضابط لها ، قرر يحي الحمودي السير إليها ، استجابة لطلب أهلها،و دخل القصر في رمضان سنة 416 هـــ و بقي إلى نهاية السنة (6) ثم غادر قرطبة إلى مالقة في الثاني من محرم سنة 417 هـــ ،و ترك بها وزيره أحمد بن موسى ودوناس بن أبي روح (7) ، فهاجمها زهير و خيران العامريان ، و أوعزا إلى أهـــل قرطبـــة بالتخلص من البربر ،ففتكوا بهم و هم زهاء ألف رجل ، و فر أحمد بن موسى و دونـــاس ونجيا في العشرين من ربيع الأول سنة 417هـــ (8).

أما يحي الحمودي المعتلي بالله فقد آثر البقاء بمالقة إلى أن قتل بقرمونة(9) على أيدي بني عباد (10) في محرم من سنة 427هـــ (11) .

---

1 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام ..136.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب .3: .141

3 - ابن بسام . الذخيرة .1/1: 437 ، ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 142 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام ..136.

4 - إقليش مدينة متوسطة لها أقاليم و مزارع عامرة .انظر :الحميري .الروض المعطار .51 ، الإدريسي .القارة الإفريـــــقية و جزيـــرة الأندلس .287 ، ابن سعيد المغرب .2: 11.

5 - ابن بسام . الذخيرة .1/1: .437

6 - ابن عذارى . البيان المغرب 3: 143 ، 1ابن الخطيب. أعمال الأعلام .136 ، دوزي.المسلمون في الأندلس .2: 216.

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: 143 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه ..136.

8 - ابن الخطيب . المصدر نفسه ..137.

9 - قرمونة مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية ،ومعقل عظيم من جهة الارتفاع والمنعة ،وهي من حصون الإسلام المشهورة.وكانت في أيدي البربر.انظر:الحميري .الروض المعطار.300،الإدريسي .القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(من كتاب نزهة المشـــتاق).300 ، الحموي.معجم البلدان.4 :330.محمد حسن،حمدي عبد المنعم.دولة بني برزال في قرمونة.

10 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام ..137.

11 - ابن الخطيب . المصدر نفسه.137،140 ، ابن عذارى . البيان المغرب .144 ، النباهي المرقبة العليا .90.

اجتمع أهل قرطبة على رد الأمر لبني أمية (1) ، واتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (2) أخي المرتضى القتيل-كما تقدم-فبايعوه وهو بحصن البونت (3) ، في شمال شرقي الأندلس ، في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة418هـ،وتلقب بالمعتد بالله (4) ، فخُطب له بقرطبة وهو غائب عنها (5) ، ثم قدم إليها في الثامن ذي الحجة سنة 420هـ (6).

لم يطل عهد الخليفة المعتد بالله بسبب سوء سيرة وزيره الحكم بن سعيد القزاز (7)، فقد كان ((يخلف الوزراء المتقدمين بقرطبة و يأخذ أموال التجار ، فيتكرم بها إلى البربر ويجزل لهم العطاء فبغضه أهل قرطبة لذلك)) (8) ، والخليفة كان مائلا لوزيره قائلا بقوله (9) دفع بالناقمين إلى الالتفاف حول أمية بن عبد الرحمن العراقي (10) ، الذي سولت له نفسه نيل الخلافة (11) ، رغم أن أهل قرطبة نصحوه بالتخلي عن فكرة الخلافة، خوفا عليه من القتل ، فقال((بايعوني اليوم و اقتلوني غدا)) (12) .

و في ذي القعدة سنة 422هـ تربص الناقمون بالوزير القزاز ،و قتلوه و طافوا

---

1 - ابن الخطيب .المصدر نفسه..137

2 - هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر،وهو أخو المرتضى .ولد سنة 364هـ ،وكان أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام . بويع بالخلافة وسنة أربع وخمسون سنة. وبقي يتنقل في الثغور إلى سنة 420 هـ ،حيث انتقل إلى قرطبة،ولم ينعم بالحكم إلا يسيرا وخلع،أخرج من القصر مع أسرته ،وفر إلى لاردة فهلك بها سنة 427 هـ .وبخلعه انقطعت الدعوة لبني أمية،وذكرهم بجميع أقطار الأندلس والعدوة. كانت مدة خلافته بالثغر وقرطبة أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما. انظر ترجمته:الحميدي.جذوة المقتبس.27،الضبي.بغية الملتمس.34،ابن حزم .رسائله.2:203،ابن بسام. الذخيرة.1/1 :304،305،المراكشي.المعجب.109،ابن عذارى. البيان المغرب.3: 145،148 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام. 138.

3 - البونت:معقل من المعاقل الرفيعة والشواهق المنيعة،وهي قرية من أعمال بلنسية. انظر:الحميدي الروض المعطار.115،الإدريسي.القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس.(من كتاب نزهة المشتاق).277 ، ابن سعيد .المغرب.2: 395

4 - ابن عذارى . البيان المغرب.3: 145 ، الضبي .بغية الملتمس.34 ، المراكشي .المعجب ..111

5 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: 145 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام..138

6 - ابن الخطيب . المصدر نفسه .138 ، الضبي .بغية الملتمس..34

7 - انظر أخباره :ابن عذارى . البيان المغرب .3: 146،147 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.138 ، ابن الأثير .7: .290

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: .146

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه..147

10 - هو أمية بن عبد الرحمن بن العراقي ،من أحفاد الناصر ،و هو ابن عم هشام .انظر أخباره ابن عذارى . البيان المغرب .3: .150

11 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: .150

12 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 151.

برأسه(1) ،ثم تقدم أمية و جموعه نحو القصر ،و هشام مقيم فيه ،و نهبوا بعض أجنحته(2)،إلى أن نهاهم عن ذلك الشيخ أبو الحزم بن جهور(3) ، الذي ترأس اجتماعا حضره زعماء قرطبة من وزراء و شيوخ ، و اتفقوا على خلع الخليفة هشام ،و إبطال رسم الخلافة و نفي الأمويين ، و إجلائهم جميعا عن قرطبة (4).

هكذا انتهى القوم إلى خلع هشام المعتد بالله ، و نفيه فسار إلى لاردة (5) و أقام بها حتى وفاته سنة 427هـ(6).

و أما أمية بن عبد الرحمن العراقي فقد ترك القصر مكرها،وهو يحمل علىالوزراء(7) وخرج عن البلد و قيل اختفى فيه (8) و نودي في الأسواق و الأرباض بأن لا يبقى أحد من بني أمية و لا يكنفهم أحد (9) ، و تولى أمر قرطبة بعد ذلك أبو الحزم بن جهور ، كما سنرى . هكذا تعاقبت أحداث الفتنة الشنيعة ،وتأتي في فترة قصيرة على عمران قرطبة ، ويكفينا أن نذكر أن السنوات الثلاثة والعشرين التي انقضت بين ثورة محمد المهدي ، و إلغاء رسم الخلافة سنة 422هـ،قد شهدت حكم تسعة من الخلفاء ؛ ستة منهم من بني أمية،وثلاثة من بني حمود،وأن أكثر هؤلاء تقلدوا مرتين أو لأيام معدودة ،انتهوا إلى القتل أو النفي كما تقدم.

---

1 - ابن عذارى . المصدر نفسه .138،150.

2 - ابن عذارى . المصدر نفسه 150 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام .139.

3 - هو جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله أبو الحزم .ولد سنة364 هـ .كان من وزراء الدولة العامرية إلى أن انقرضت ،بايع هشاما المعتد بالله مع أهل قرطبة ،و بعد خلعه سنة422 هـ ،استقل أبو الحزم بقرطبة و ساسه أحسن سياسة .كان موصوفا بالدهاء و السياسة .توفي سنة 435هـ .انظر ترجمته :الحميدي .جذوة المقتبس :188،28 ،الضبي .بغية الملتمس .260،34 ،الفتح بن خاقان.مطمح الأنفس .180،ابن حزم .رسائله .2: 203 ،ابن بسام .الذخيرة .2/1: 602، ابن عذارى .البيان المغرب .3:185 ، ابن بشكوال .الصلة .131،المراكشي .المعجب.111،ابن دحية .المطرب .167،160،ابن الأبار .الحلة السيراء .2: 30،ابن سعيد المغرب .1: 56،ابن الخطيب .أعمال الأعلام .147،ابن خلدون .التاريخ .4/7: 343،332،ابن العماد .شذرات الذهب .3: .255

4 - ابن عذارى . المصدر نفسه .151 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه..139

5 - مدينة لاردة تقع في ثغر الأندلس الشرقي،وهي صغيرة ولها أسوار منيعة .انظر:الحميري .الروض المعطار.507،الإدريسي.القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(من كتاب نزهة المشتاق)..278

6 - ابن عذارى. البيان المغرب.3: 151، ابن الخطيب.أعمال الأعلام .139، ابن حزم .رسائله .2: 204،المراكشي .المعجب..110

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 152 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه ..139

8 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: .187،150

9 - ابن عذارى . المصدر نفسه .152 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه .159.

بداية عهد الطوائف

بعد إعـــلان أبو الحزم جهور على انتهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يستحقها من بني أمية(1) ، وجعل الأمر شورى بين الوزراء والمشيخة ، أو ما أطلق عليه بالجـــماعة (2) يقول أبو طالب عبد الجبار في أرجوزته (3):

لما رأى أعلام أهـــل قرطبة	أن الأمور عندهـــــم مضطربة
وعُدمـــت شاكلة للطاعة	استعملـــت آراءهـــا الجمـــاعة
فقدموا الشيخ من آل جهور	المكـــتنى بالحـــزم والتّـــدبُّـــــر

بانتهاء عصر الفتنة ، تلاه ما اصطلح المؤرخون العرب على تسميته عصـــالطوائف ، وفي ذلك يقول المقري: ((انقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتشـــر ملـــك الخلافـــة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف ، وانتزى الرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات ، واقتسموا خطتها ، وتغلب بعض على بعض)) (4).

يتضح من هذا القول أنه بعد سقوط الخلافة الأموية انقسمت الأندلس إلى دويلات يرأس كل واحدة أمير وهذه الدويلات انضوت تحت لواء ثلاثة أحزاب ، عمل كل حـــزب على بسط نفوذه على الأندلس .

الحزب الأول:و يمثله أهل الأندلس الذين استقروا فيها من قديم- وسنرى توضـــيح ذلك في الجانب الاجتماعي-وكان من أهم زعمائهم: بنو جهور في قرطبة ، وبنـــو عبـــاد اللخميون في إشبيلـــية ، وبنو هود الجـــذاميون في سرقسطـــة ، وبنو صمادح أو بنو تجيب في المريـــة .

أما الحزب الثاني : فيمثله المغاربة الحديثو العهد بالأندلس ، ولاسيما بنـــو زيـــري الصنهاجيون الذين عبروا إليها في أيام المنصور بن أبي عامر، وبنو حمود الأدارســـة الـــذين حكموا في عهد الفتنة ، وسنرى حكمهم في عهد الطوائف .

---

1 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام..147

2 - ابن الخطيب . المصدر نفسه.130،ابن خلدون.التاريخ 4/7: .336

3 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 942، العماد الإصفهاني .خريدة القصر .2: .210

4 - المقري .نفح الطيب.1: 413 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام.139،ابن خلدون . التاريخ.4/7: 336.

و أما الحزب الثالث : فيمثله كبار الصقالبة الذين استقروا بشرق الأندلس . وقد شارك هؤلاء الصقالبة في المؤامرات التي شهدتها قرطبة وسائر البلاد -كما تقدم- وبعد سقوط الخلافة الأموية ، تشكلت من هذا الحزب دويلات صغيرة متحالفة وكان يطلق عليها الدولة العامرية الصقلبية ، لأن أصحابها كانوا من مماليك المنصور بن أبي عامر وأبنائه .

ويمكن التعريف بأهم هذه الدول ودورها من خلال قادتها :

دولة بني جهور:

أسند أهل قرطبة أمرهم إلى شيخ الجماعة أبو الحزم جهور وفي منتصف ذي الحجة سنة 422هـ ، ((فأعطوا منه قوس السياسة باريها ،و ولوا من الجماعة أمينها،فاخترع لهم لأول وقته ، نوعا من التدبير حملهم عليه ،فاقترن صلاحهم به ، و أجاز السياسة ،فانسل به الستر على أهل قرطبة مدته)) (1).

قاد أبو الحزم حكومة قرطبة الجديدة ببراعة ونباهة أثنى عليها المؤرخون ، و كانت هذه الحكومة التي قامت على أنقاذ الخلافة الأموية تبسط سلطانها على عدة مدن ، متوسطة الأندلس ، مثل جيان و بياسة (2) و أرجونة (3).

و كان أبو الحزم جهور جديرا بهذه الثقة ، فهو ينحدر من أسرة عريقة توارثت الحجابة والوزارة و القيادة ، إلى أن وقعت الفتنة العظمى (4)، وبهذا سماه ابن الخطيب شيخ الجماعة (5) فهو لم يستبد بالسلطة استبداد غيره من ملوك الطوائف ، و إنما كون مجلسا للحكم من شيوخ أهل قرطبة و انتخب أمينا لهذا المجلس ، و كان لا يبت في أمر إلا بعد

---

1 - ابن الأبار . الحلة السيراء .2: 30، ابن بسام .الذخيرة .2/1: 602 ، ابن عذارى . البيان المغرب .3: 186، ابن الخطيب.أعمال الأعلام . 148 ، ابن خلدون . التاريخ.4/7: 343.

2 - بياسة مدينة بالأندلس بينها و بين جيان عشرين ميلا ،و هي على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة .انظر الحميري الروض المعطار .121 ، الإدريسي .القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس .(من كتاب نزهة المشتاق) .296.

3 - أرجونة قلعة بالأندلس ، إليها ينسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأرجوني من متأخري سلاطين الأندلس .انظر الحميري الروض المعطار.26 ، ابن سعيد . المغرب .1: 57.

4 - ابن الأبار . الحلة السيراء .2: 30.

5 - ابن الخطيب . أعمال الأعلام .130.

مشـــاورة هؤلاء الشيوخ ،بقوله : ((ليس لي عطـــاء و لا منـــع ،هـــو للجماعـــة و أنـــا أمينهم))(1).

و استمرت حكومة الجماعة هذه ،تنشر الأمن والطمأنينة لسنوات عديدة (2) وعلى رأسها أبو الحزم جهور الذي لم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة ،إلى أن يجيء مـــن يتفـــق الناس على إمارته (3).

توفي أبو الحزم جهـــور سنة 435هـــ و كانت مدة حكمه أربـــع عشـــرة ســـنة وأشهـــرا (4) فلما مات خلفه في الرياسة ابنه أبو الوليد محمد بن جهور (5) ، ((فجرى في السياسة وحسن التدبير على سنن أبيه)) (6).

لقد أقر أبو الوليد بن جهور الحكام و ذوي المناصب على ما كـــانوا عليـــه أيـــام أبيه(7). و كان من معاونيه المؤرخ الأندلسي الكبير ابن حيـــان القرطبي (8) ،و من وزراء

---

1 - ابن عذارى . البيان المغرب .3: 186 ، ابن بسام . الذخيرة .2/1: 603.

2 - ابن الأبار . الحلة السيراء .2: 31 ، ابن عذارى . البيان المغرب .3: 186.

3 - ابن الأبار . المصدر نفسه .2: 30 ، المراكشي . لمعجب..111

4 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 604 ، المراكشي . المصدر نفسه ..112

5-هو أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور الوزير .ولد في ذي القعدة سنة 391هـــ ،درس في قرطبة و تقلد الرياسة بعد أبيه إلى أن مرض بالفالج و لزم الفراش ،و أناب ابنه عبد الملك ، إلى أن سقطت قرطبة في يد المعتمـــد بن عبـــاد سنة 462هـــ .توفي معتقلا في جزيرة شلطيش بعد أربعين يوما من نفيه.انظر : ابن بسام . الذخيرة .2/1: 604 ، الحميدي.جذوة المقتبس .46 ، ابـــن ســـعيد . المغرب . 1: 57 .

6 - المراكشي .المعجب . .112

7 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 605.

8 - هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن الداخل مـــن أهـــل قرطبـــة وصاحب تاريخها،يكنى أبا مروان و يرجح محمود علي مكي أن يكون ابن حيان من أسرة إسبانية قديمة أيدت عبـــد الـــرحمن الـــداخل فاصطنعها هو وأبناؤه المقتبس.، ولد ابن حيان في قرطبة سنة 377هـــ ،ودرس بها على يد شيوخ أجلاء إلى أن برع في كتابة التاريخ و هو صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس و ملوكها . كان أبو مروان بن حيان((فصيحا في كلامه بليغا فيما يكتب في يده و كان لا يعتمد كذبا فيما يحكيه في تاريخه من القصص و الأخبار. تقلد منصبا في حكم أبو الوليد بن جهور.كما يستنتج من مقتبسه .توفي سنة 469هـــ.انظر ترجمته :الحميدي جذوة .المقتبس.200 ، الضبي بغية. الملتمس .275، ابن بشكوال. الصـــلة .153 ، ابـــن بســـام. الذخيرة.2/1: 573 ، ابن حيان .المقتبس .تحقيق محمود علي مكي .9-21 ، بالنثيا آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي .208.

الدولة الجهورية الكاتب و الشاعر ابن زيدون (1) ، الذي كانت له صداقة متينة مـــع أبي الوليد بن جهور قبل حكمه و بعده .

لقد اقتفى أبو الوليد آثار أبيه في ((درء الحدود ما وجد إلى ذلـــك ســـبيلا))(2)، محتجا لعـــدم و جـــــود الإمام المجتمع عليه في الوقت (3) ، و الرفق بالرعيـــة و بســـط الأمن (4) ، و حاول بذل مساعيه للإصلاح بين ملوك الطوائف ، كما سنرى.

و ظلت قرطبة على هذا النحو من الاستقامة والصلاح إلىأن شعر أبو الوليد بـــن جهور بالضعف فقدم ابنه الأصغر عبد الملك فعينه وليا لعهده وتلقب بذي السيادتين المنصور بالله (5) ، و لم يبال بنصيحة بعض حلفائه من رؤساء الأندلس بإيثار عبد الرحمن ولكـــن

1 - هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون ،ينتهي بنسبه إلى بني مخزوم ،من بطون قريش .ولـــد بقرطبـــة ســـنة 394هـــ و نشأ و ترعرع فيها و فقد أباه في سن الصبا ،سنة 405هـــ ،فكفله جده لأمه الذي بسط عليه ظل رعايته ،و فتح أماه طريق العالم و المعرفة ،و ظل يحوطه حتى بلغ أشده و استوى .بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـــ تقلد الوزارة لدى أبي الحزم بن جهور،ثم مشت الدسائس بابن زيدون فألقى به أبو الحزم جهور في السجن و فر منه متجها إلى إشبيلية ،ثم لزم بعد عودته إلى قرطبة أبا الوليد بن جهور بعد وفاة أبيه سنة 435هـــ ،فكان وزيره و سفيره ،ثم غادر قرطبة سنة 441هـــ إلى إشبيلية فاستوزره المعتضد بن عبـــاد لمـــدة عشرين سنة أي إلى سنة 461هـــ، حين توفي المعتضد بن عباد و خلفه ابنه المعتمد بن عباد حظي عنده الشاعر المرموق المكان ،و عاد إلى قرطبة بعد سقوطها في يد بني عباد .توفي ابن زيدون سنة 463هـــ .من آثاره ديوان شعري مطبوع و الرسالة الجدية و الرسالة الهزليـــة .انظر ترجمته : الحميدي .جذوة المقتبس .130.يقول فيه((شاعر مقدم ،و بليغ مجود ،كثير الشعر،قبيح الهجـــاء)) ، الضـــبي .بغيـــة الملتمس.186 ، ابن سعيد .المغرب .1: 63 ، ابن خلكان .و فيات الأعيان.1: 139 ، ابن دحية .المطرب .164 ، ابن الأبار .إعتاب الكتاب.207 ، الفتح بن خاقان .قلائد العقيان .70 ، المراكشي .المعجب .162 ، العماد الإصفهاني.خليدة القصـــر.2: 48 ،ابـــن العماد.شذرات الذهب.3: 312 ، ابن ثغري بردي .النجوم الزاهرة .5: 80 ، و انظر فهرس الأعلام في النفح .8: 62 ، عبد العظيم علي ، ابن زيدون .69 ، الفحام ،شاكر .مختارات من شعر الأندلس.261 ، الركابي جودت.في الأدب الأندلسي..161

2 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: .605

3 - ابن بسام . المصدر نفسه .2/1: 605 ، ابن عذارى البيان المغرب .3: .234

4 - ابن بسام . المصدر نفسه .2/1: .604

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 259،233.

حب الصغير سيطر عليه (1) و في هذا الصدد نجد الجزيري (2) ، يقول (3) :

و إذا الفتى فقد الشباب سما له   حب البنين و لا كحب الأصغر

أساء عبد الملك السيرة و قرب إليه الأشرار(4) ، و اشتد التنافس بينه و بين أخيه عبد الرحمن (5) ، فعمد أبو الوليد بن جهور إلى توزيع السلطة بينهما (6).

ومن هنا يبدأ الفساد يدب إلى الدولة الجهورية (7) من الداخل إذ نجد عبد الملك قد طغى على سلطان أخيه عبد الرحمن،و استبد بالسلطة دونه (8) ، و فتك بوزير أبيه إبراهيم ابن السقاء (9) ، فأثار ذلك سخط شيوخ قرطبة و زعمائها. كل ذلك يحدث و أبو الوليد جهور ملتزم داره لشلل أقعده (10) .

---

1 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: .256

2 - هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الخولاني الأزدي.ولد الجزيري كم يرجح صلاحية أحمد عبد القادر،لغموض زمان ولادته ومكانها ،في أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري .أما بخصوص تعليمه فيكتفي الذين ترجموا للجزيري بأنه((عالم أديب شاعر،كثير الشعر،غزير المادة،معدود في أكابر البلغاء))وأنه((من وزراء الدولة العامرية ،وكاتب من كتابها)) ،أن الجزيري كانت له ((رسائل وأشعار كثيرة مدونة)) وأما عن أشعاره،فإن صلاحية،أحمد عبد القادر بذل جدا كبيرا في جمع شعره وتحقيقه.سجن مرات عديدة في عهد المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر وبه توفي بعد أن سخط عليه هذا الخير سنة 394هـ.انظر ترجمته:الحميدي.جذوة المقتبس.281 ، الضبي بغية الملتمس.374 ، ابن بشكوا.الصلة.356، الفتح بن خاقان.مطمح الأنفس.177 ، ابن سعيد .المغرب.1: 321 ، المقتطف من أزاهر الطرف لنفس المؤلف.85 ، ابن الأبار .إعتاب اكتاب.193 ، ابن بسام . الذخيرة. .1/4: 46 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3: 26 ، فورار،امحمد.الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية. 161،هامش.1.صلاحية ، أحمد عبد القادر .شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي .

3 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 607 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3: 256.

4 - ابن عذارى . البيان المغرب.3: .232

5 - ابن بسام . الذخيرة.2/1: .607

6 - ابن عذارى . المصدر نفسه.3: 255 ، ابن بسام . المصدر نفسه.2/1: .607

7 - ابن عذارى . المصدر نفسه .3: .251

8 - ابن بسام . الذخيرة.2/1: .607

9 - هو أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن يحي المعروف بابن السقاء ،إذ كان يعالج السقط ،و أخذها وراثة ،الابن عن الأب ،.كان وزيرا لأبي الوليد بن جهور إلى أن قتله ابنه عبد الملك بتدبير من المعتضد بن عباد سنة 455هـ .انظر ابن بسام . الذخيرة .2/1: 4،1/608: 238-244 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3: .251

10 - ابن بسام . المصدر نفسه .2/1: 611.

و أما من الخارج فقد كانت مطامح جيران الدولة الجهورية ،من ملـــوك الطوائـــف تهدد سلامتها ،فقد كان المعتضـــد بن عباد(1) صاحب إشبيلية من ناحية ـــ وســـنتعرف على هذه الدولةــ و المأمون بن ذي النون (2) صاحب طليطـــلة من ناحية أخــــــرى ، يتأهبان لاحتلال قرطبة ، و لكن المأمون سبق إلى ضرب الحصار عليها سنة 462هــ(3)، فاضطر عبد الملك بن جهور إلى الاستنجاد بالمعتمد بن عباد (4) ، فأعانه و دفع المأمون بن ذي النون ، ثم استولى على قرطبة و ضمها إلى ملكه (5)،و نفى بني. جهـــور جميعـــا إلى جزيرة شلطيش(6) . و مات الشيخ أبو الوليد بعد أربعين يوما في منفاه (7).

و هكذا زالت دولة بني جهور بعد أن لبثت أربعين عاما وآلت لبني عباد كما سنرى

1 - هو أبو عمر عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي،وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد .ولد سنة 407هــ ،وتقلد الحكم بعد وفاة أبيه سنة433 هــ ،ودام حكمه فيه مدة ثمانية وعشرين عاما إلى أن وفاته سنة 461هــ .وقد خلف من صنوف السريريات خاصة نحوا من سبعين جارية ،عدا حلائله بمن فيهن حرته الحظية لديه،الفذة من حلائله،بنت مجاهد العامري صاحب دانية.وكان له من الولد نحو من أربعين بين الذكور والإناث.انظر ترجمته:الحميدي .جذوة المقتبس.296 ، ابن بسام . الذخيرة.1/2: 23 ، ابن حزم .رســائله.2: 46 ، ابن الأبار الحلة السيراء.2: 39 ، ابن عذارى.البيان المغرب.3: 204 ، المراكشي . المعجب .151 ، ابن الخطيــب .أعمــال الأعلام.155 ، المقري . نفح الطيب. 4: .242

2 - هو يحي بن إسماعيل بن ذي النون ،تلقب بالمأمون.خلف أباه إسماعيل بن ذي النون سنة 435هت ،في حكم طليطلة التي اتسعت حدودها ،وأضحت من أعظم دول الطوائف رقعة وموردا ،وساد بها الأمن والرخاء. توفي المأمون سنة 467هــ ،بعد حكم يارب الثلاث والثلاثين سنة.انظر ترجمته: ابن بسام .الذخيرة .2/1: 609 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3: 257،277 ، ابن الأبار . الحلة السيراء. 2: 129 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.177.

3 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 610

4 - هو محمد بن عباد بن إسماعيل بن عباد،ويكنى أبا القاسم ويلقب بالمعتمد على الله ،والظافر بالله.ولد بمدينة باجة ســنة 431هـــــ ،وشب المير وترعرع بين السيف والقلم إلى أن أصبح واليا لشلب.ثم خلف أباه بعد وفلته سنة461 هــ .وسار على نهجه إلى أن أسر من قبل يوسف بن تاشفين سنة 484هــ ، وبعد أربع سنوات مات في السجن بأغمات قرب مراكش في جنوب المغرب الأقصى.وللمعتمد ديوان شعري تتوزع مقطوعاته الشعرية بين حياة الأمير فالملك إلى الســير .حققــه أحمــد حامــد بــدوي وحامــد عبــد الحميــد .القاهرة.1951.كما حققه رضا الحبيب السويسي.تونس1971 ، انظر ترجمته: ابن بسام .الذخيرة.1/2: 41.الفتح بن خاقان.قلائد العقيان.4 ، ابن البار. الحلة السيراء.2: 52.المراكشي .المعجب.158 ، ابن خلكان.وفيات العيان.5: 25 ، ابن خلدون .التاريخ.7/4: 344. ابن العماد . شذرات الذهب.3: 386 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام.157 ، دوزي .المسلمون في الأندلس .3: 89.

5 - ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 260 ، ابن سعيد . المغرب.1: .56

6 - شلطيش و هي جزيرة لا سور لها و لا حظيرة إنما هي بنيان متصل بعضه ببعض .و يحيط بجزيرة شلطيش البحر من كل ناحيـــة ،إلا مقدار نصف رمية حجر .و هي مرفأ للسفن و ركاب البحر،و هي كثيرة السفن ،و بها ذار صناعة لإنشائها . انظر الإدريسي . القـــارة الإفريقية و جزيرة الأندلس (من كتاب نزهة المشتاق) .265 ، الحميري . الروض . المعطار . 343 ، ابن سعيد . المغرب.1: 57.

7 - ابن بسام . الذخيرة .2/1: 611 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3: 259 ، ابن سعيد . المصدر نفسه .1: 57.

دولـــة بني عـــباد:

بنو عباد من العرب الداخلين إلى الأندلس من لخم ، وكان صدر بيتهم ومؤســـس مجدهم ، القاضي أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم . وعطاف من حمص من صقع الشـــام هـــو الداخل منهم إلى الأندلس مع جند بَلج بن بشر القُشيري(1) ، ونزل بقرية يومين من عمل إشبيلية(2).

وتكاد جميع المصادر أن تتفق على نسبهم هذا ، وموضعهم مـــن حمـــص الشـــام . وتصف رواية أخرى نسبهم إلى النعمان بن المنذر بن ماء السماء اللخمي(3) ، آخر ملـــوك الحيرة(4).

بهذا النسب كانوا يفخرون ويُمدحون ، فنجد ابن اللبانة(5) ، يقول(6):

من بني المنذرين وهو انتساب　　　زاد فخــره بنو عبـــاد

فتية لم تلـــد سواها المعـــالي　　　والمعالي قليلـــة الأولاد

لكن دوزي ينفي عنهم هذا النسب الأخـــير دون الاستنـــاد على أدلة تبرر زعمه ، ثم لا يوجد تناقض بين الروايتين مادامتا تؤكدان أنهم من لخم(7).

---

1 - ابن عذارى. البيان المغرب.3: 194 ، ابن الأبار .الحلة الســـيراء.2: 34 ، ابن الخطيـــب أعمال الأعلام .153 ، ابن بشكوال . الصلة. .523

2 – ابن الأبار .المصدر نفسه. 2: 35 ، ابن عذارى .المصدر نفسه.3: .195

3 – ابن الأبار. المصدر نفسه. 2: 35.

4: محمد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد. .17

5 -هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني ، المشهور بابن اللبانة ،عربي الأصل ،داني المنشأ والولادة ،و دانية مدينة علـــى ساحل البحر الرومي في شرق الأندلس .و قد كانت عائلته فقيرة معدمة و كانت أمه تبيع اللبن لتعيله،عرف بقول الشعر في صغره .اتصل ببني الأفطس في صغره ،قصد إشبيلية و استقر بها ،و قد توثقت علاقته بالمعتمد بن عباد في ظل حكمه و بعـــده.تـــوفي الشاعر في مدينة ميورقة سنة 507هـــ انظر ترجمة ه: ابن بسام .الذخيرة.2/3: 666 ، الفتح بن خاقان .قلائد العقيان.282 ، ابن سعيد .المغرب . 2: 409 ، العماد الأصفهاني .خريدة القصر 2: 177 ، الصفدي. الوافي بالوفيات.4: 297 ، المقري نفح الطيب 4: 258 ، ابـــن اللبانة الداني شعره .

6 – ابن اللبانة . ديوان . 33 ، ابن الأبار.المصدر نفسه.2: 35.

7 – دوزي. المسلمون في الأندلس.3: 10.

استقر بنو عباد في إشبيلية ، و تصدوا لخدمة الملوك في الحياة السياسـيـة في قرطبة و إشبيلية ، زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله و ابنه هشام المؤيد ، و كان إسماعيـل والـد القاضي محمد بن عباد قدمه المنصور بن أبي عامر على خطـة القضـاء بإشبيلية ، فـدام له ذلك إلى سقوط الدولة العامرية ، ثم واصل عمله هذا أثناء الفتنة(1) ، إلى أن بلغ به الكبر مبلغا وكلّ بصره سنة 414هـ ، ولى ابنه أبا القاسم محمد بن عباد على رياسة البلد و تدبير الرأي إلى أن آتاه أجله سنة 414هـ (2) .

لقد خلف أبو القاسم محمد بن عباد أباه في القضاء ، وكان يخشى الحموديين ، فبدأ يعـد للانفصال عنهم ، فاجتمع رأي أهل إشبيلية على ثلاثـة من الزعماء لإدارة المدينـة وهم : القاضي محمد بن عباد والفقيه أبو عبد الله الزبيدي ، و الوزير أبو محمد بن عبـد الله ابن مريم (3) . وكان محمد بن عباد أقـواهم نفوذا و أكثرهم ثـراء ، فعمـل على توطيد سلطانه (4). ولما عاد القاسم بن حمود إلى إشبيلية بعد أن خلعه أهـل قرطبـة ، وحـاول دخولها منعه زعماء المدينة من ذلك (5) ، و صرفوه عنها مقابل مبلغ من المال وتكون لـه الخطبة(6) ، وأصبح القاضي محمـد بن عـباد الحاكم الشرعي و الفعـلي لإشـبيلية ، بعـد أن رضي الناس به سنة 414هـ(7) .

نظم القاضي محمد بن عباد حكم المدينة ،معتمدا على تأييد زعمـاء البيـوتات العربية و على الشعب و التفافه حوله ،ثم انصرف إلى ضم الدويلات المحيطة به، فكانت لـه

1-ابن عذارى . البيان المغرب .3: 194 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.152 ، ابن الأبار .الحلة السيراء..2:35

2-ابن عذارى. المصدر نفسه.3: 194 ، ابن الخطيب.المصدر نفسه.152

3-ابن الأبار. الحلة السيراء.2: 37.

4-انظر هذا البحث.صفحة.45

5-انظر هذا البحث .صفحة 45

6-ابن عذارى . البيان المغرب.3: 196.

7-ابن عذارى . البيان المغرب.3: 196.

حروب مع بني الأفطـــس (1) أصحاب بطليوس (2)و ضم مدينة باجة (3) إلى ملكه(4) و من أشهر أعمال القاضي محمد بن عباد في تلك الفترة ، إعلانه لظهور هشام المؤيد رغـــم موتته الثانية —كما تقدم-وإقامته خليفة بإشبيلية بأنه حي لم يمت سنة 426 هـــ (5).

ومن أشهر أعمال القاضي محمد بن عباد في تلك الفترة ، إعلانه لظهور هشام المؤيد رغم موتته الثانية —كما تقدم-و إقامته خليفة بإشبيلية بأنه حي لم يمت سنة 426هـــ (6)، و ذلك ليدحض دعوى الحموديين في الخلافـــة ، و يجعل من إشبيلية مقـــرا للخلافة بعـــد أن فقدته في قرطبة .

فقد أظهر شخصا يشبه هشاما ،كان مؤذنا في مسجد في قرية من قـــرى إشـــبيلية يسمى الخلف الحصري (7) ، و أنه حي أتى به من إشبيلية و نودي في الناس ((يـــا أهـــل إشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ! فهذا مولاكم ! قد صرف الله الخلافة من قرطبة إلى بلدكم)) (8).

---

1 – بنو الأفطس من أصل بربري وينتسبون إلى قبيلة مكناسة وإن كانوا ينتحلون النسب العربي في تجيب .مدحتهم الشعراء بهذه النسبة. وقد أقاموا مملكة قوية كبيرة حاضرتها مدينة بطليوس شملت عدا العاصمة عدة مدن هامة أخرى كيابرة ومـــاردة وشـــنترين وأشـــبونة وغيرها.وشهدت بطليوس في عهدهم لم تشهده من قبل وحتى بعد زوال ملكهم. وكان جدهم أيو محمد عبد الله بن محمد بـــن مســـلمة المعروف بابن الأفطس قد تزل بفحص البلوط من أعمال قرطبة .فلما اندلعت نار الفتنة انتزى كل على ما بيده ،استبد بغرب الأنـــدلس الفتى سابور العامري أحد صبيان فائق الخادم فتى الخليفة الحكم المستنصر بالله .اتصل به عبد الله بن محمد بن مسلمة،وعمل في خدمتـــه واكتسب ثقته ،فلما توفي سابور سنة 413 هـــ وترك ولدين لم يبلغا الحلم ،أوصى ابن الأفطس أن يستمر في الحكم وصيا عليهما حتى يبلغا أشدهما،لكن ابن الأفطس استولى على المملكة واستأثر بالأمر وتلقب بالمنصور ،إلى أن توفي سنة 437 هـــ فخلفه ولده محمد بن عبد الله بن الأفطس وتلقب بالمظفر،إلى أن توفي سنة 461 هـــ ،فخلفه ولده يحي بن محمد الملقب بالمنصور ،ولم يقد طويلا فقد توفي ســـنة 464 هـــ ليخلفه أخـــوه عمر الملقب بالمتوكل إلى أن قتل على أيـــدي المرابطين سنة 488 هـــ .انظر: ابن الأبار.الحلة السيراء.96 ، ابن عذارى. البيان المغرب. 3: 276 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام. 176ـــ186.

2 – بطليوس مدينة في غرب الأندلس تقع على ضفة نهر يانة ،وهو نهر كبير ويسمى النهر الغؤور ،لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم تغور تحت الأرض حتى لا توجد منه قطرة فسمي الغؤور لذلك.وكانت قديما من أعمال ماردة. انظر الحميري .الـــروض المعطـــار.93، البكري. جغرافية اللأندلس وأوربا.120،119 ، الإدريسي . القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،من (كتاب نزهة المشتاق)..268

3-باجة الأندلس،و هي من أقدم مدائنها و بينها و بين قرطبة مئة فرسخ (الفرسخ يعادل 4452م) ،انظر :الحميري .الروض 75 .

4-ابن عذارى . البيان المغرب.3: .196

5-ابن عذارى . البيان المغرب .3: 197 ، ابن لخطيب . أعمال الأعلام ..154

6 – ابن عذارى. المصدر نفسه.3: 197 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام. .154

7 – ابن عذارى .المصدر نفسه.3: .300،343

8 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام.154.

و قد اتفقت المصادر على موته فابن حزم –رغم أمويته- ندد بقصة هـذا الخليفـة المزعوم ، و يصفها بأنها ((أحلوقة لم يقع في الدهر مثلها)) (1).

وعلى إثر ذلك استعاد القاضي ابن عباد مدينة قرمونة سنة 427 هـ بعـد قتلـه للخليفة يحي المعتلي(2) .

المعتضـد بن عباد :

توفي القاضي أبو القاسم محمد بن عباد سنة 433 هـ ،وولي ابنـه أبو عمر عبـاد ابن محمد بن عباد وتلقب بالمعتضد بالله(3)،ويصفه ابن حيان وهو معاصره ومتتبع لأحداث حياته وحروبه ، بأنه ((زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقتـه ، أسـد الملـوك وشـهاب الفتنة،وداحض العار ومدرك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة)) (4) .

يتضح من هذا القول أن ابن حيان يبدو أنه أميل إلى تزكية المعتضد ، ولكن ابن بسام يحكم عليه بقـوله: ((قطب رحى الفتنـة ومنتهى غاية المحنـة ، من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سليم عليه قريب ولا بعيد جبار أبرم الأمور وهو متناقض... فكفى أقرانـه وهم غير واحد ، وضبط شأنه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده ، واتسع بلـده ، وكثـر عدده وعديده)) (5) .

افتتح المعتضد حكمه بأمور كشفت عن صرامته وعنف وسائله منها قتل حبيب(6) وزير أبيه سنة 440 هـ (7) ، ثم نكب حليفي والده عبد الله الزبيدي وأبا محمد عبد الله ابن مريم(8) ، ثم سفك دم أخيه عبد الله (9) وباشر قتل ابنه إسماعيل بنفسه بعد فشل تآمره

---

1 - ابن حزم . رسائله.2: 97 ، وقد نقل هذا النص ابن خلكان . في وفيات الأعيان.5: 22.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب.3: 199.

3- ابن بسام .الذخيرة.1/2: 23 ، ابن عذارى.المصدر نفسه. 3: 204 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام. 155.

4 – ابن بسام .المصدر نفسه .1/2: 24 ، ابن عذارى. المصدر نفسه.3: 204 ، ابن الأبار .الحلة السيراء.2: 40.

5 – ابن بسام .المصدر نفسه.1/2: 24.

6 – هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الملقب بحبيب. قتله المعتضد بن عباد ،ابن تسع وعشرين سنة.وهو صاحب كتاب البديع في فصل الربيع،من تحقيق هنري بيريس.الرباط.1940.انظر ترجمته: ابن سعيد .المغرب.1: 250 ، الحميدي.الجـذوة.162 ، الضبي.البغية.228 ، ابن بسام .المصدر نفسه 1/2: 124 ،المقري . نفح الطيب. 3: 447.

7 – ابن سعيد.المغرب.1: 250.

8 – ابن عذارى .البيان المغرب.3: 202.

9 – ابن حزم .رسائله.2: 90.

علـــيه(1) ، كما دبر حيلة لبعض أمراء البربر وهم أبو نور بن أبي قرة صاحب رنـــــــدة ، ومحمد بن نوح الدمري صاحب مورور وعبدون بن خزرون صاحب اركش(2)،بأن دعاهم إلى إشبيلية وقتلهم في الحمام سنة 445 هــ (3).

لقد وضع المعتضد بن عباد خططه للسيطرة على غرب الأندلس ؛فبدأ بمدينة لبلة(4) ضمها إلى ملكه سنـــة 455 هــ (5)، ثم استـــولى على ثغـــر ولبة وجزيرة شلطيش سنة 443 هــ(6)،وشلب (7) سنة 455 هــ (8) ،والجزيرة الخضراء سنة 446 هــ (9).

استطاع المعتضد أن يوسع حدود دولته تحت راية الخليفة هشام المؤيد التي اصطنعها أبوه ـــ كما تقدم ـــ ويبتلع كل الدول الصغيرة المحيطة بها ، فبلغت حـــدودها الأطلســـي غــــربا ، وبلغ المضيق عندما ضم الجزيرة الخضـــراء ، أما في الشرق فقد اقترب من قرطبة

وعندما زالت الخلافة الحمودية لم يعد بحاجة إلى واجهة شرعية ، فقطع الدعوة لهشام المؤيد في سائر أنحاء مملكته وأعلن أنه قد مات من سنوات وأخفى موته لمصلحة المســـلمين وذلك سنة 451 هــ (10) . ويعلق ابن حيان على ذلك بقوله: ((وصارت هـــذه الميتـــة لحامل هذا الاسم الميتة الثالثـــة ، وعساها تكون إن شاء الله الصادقة ، وكم قتل وكم مات ثم انتفض عنه التراب ، قال بعضهم فيه:

ذاك الذي مات مرارا ودفن فانتفض الترب ومزق الكفن))(11)

---

1 - ابن حزم. المصدر السابق. 2: 92 ، ابن عذارى .البيان المغرب.3: 244 ، ابن الخطيب. أعمال الأعـــلام. 156 ، المراكشـــي. المعجب..153

2 – انظر: ابن عذارى. المصدر نفسه.3: 234-.1،271

3: ابن الخطيب . أعمال الأعلام. .156

4 – لبلة مدينة في غرب الأندلس،حسنة متوسطة القد. ولها سور منيع بينها والبحر المحيط ستة أميال .انظر : الإدريسي .القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (من كتاب نزهة المشتاق) .256 ، الحميري .الروض المعطار..342

5 – ابن عذارى . البيان المغرب.3: .204،209

6 – ابن عذارى .المصدر نفسه.3: .204،241،299

7 – شلب مدينة حسنة في بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات ،وأهلها وسكان قراها عرب من الـــيمن ،وهـــم يتكلمون بالكلام العربي الصريح ويقولون بالشعر وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم. وشلب الآن قرية صغيرة في البرتغـــال. انظـــر : الإدريسي.الإفريقية وجزيرة الأندلس(من كتاب نزهة المشتاق) .266 ، الحميري .الروض . المعطار.342 ، ابن سعيد.المغرب.1: .380

8 – ابن عذارى . البيان المغرب.3ك .192،204،296،298

9 – ابن عذارى .المصدر نفسه.3: .242،243

10 – ابن عذارى. المصدر نفسه.3: 249. 11 - ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 249 .

تتضح لنا ــ مما تقدم ــ صورة جلية للمعتضد بن عباد ، تتصف بالقسوة والحيلــة وكثرة الغدر ، حتى أنه احتفظ برؤوس خصومه في خزانة لديه (1) ، ونال بطشه حتى ابنه وأخيه ــ كما تقدم ــ لكنه كان مع ذلك جميل الصورة ، شاعرا يطرب للشعر، وله ليالي خمرية وأمسيات شعرية بين الجواري والقيان والرقص والغناء ، وقد وصف نفسه بقوله(2):

قسمت زماني بين الكــد والراحــة: فللرأي أسحار وللطيب آصــال

فأمسي على اللذات واللهو عاكـــفا وأضحي بساحات الرئاسة أختال

ولست – على الإدمان – أغفل بغيتي من المجد ،إني في المعالي لمحتـــال

ويقضي المعتضد بن عباد نحبه سنة 461 هــ ،وهو في حزن وألم لموت طفلته في اليوم الثاني من وفاتها،فهي الأثيرة لديه ،وأبدى لها حزنا شديدا(3) . ويخلفه ابنه المعتمد بن عباد.

المعتمــد بــن عبــاد:

خلف محمد بن عباد والده المعتضد يوم وفاته ، وهو في الثلاثين من عمره ، وتلقب بالظافر بالله ، والمعتمد على الله (4) ، وهو اللقب الذي اشتهر به.

كان المعتمد في حياة والده واليا على شلب سنة 455 هــ (5) ،وأول عمل عسكري قام به بعد وفاة أبيه هو ضم قرطبة إلى مملكة إشبيلية سنة 462 هــ ،بعد القضاء على بــني جهور (6).واستطاع أن يحقق انتصارا باستيلائه على مرسية بقيادة وزيره ابن عمــار (7) ،

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 27 ، ابن الأبار . الحلة السيراء.2: 50.

2 - ابن الأبار .المصدر نفسه.2: 46.

3 - ابن الأبار . المصدر نفسه.2: 52.

4 – ابن الأبار . المصدر نفسه.2: 52.

5 – ابن عذارى. البيان المغرب. 3: 244.

6 – انظر هذا البحث.60.

7 – هو ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار بن الحسين بن عمار المهري الأندلسي الشاعر المشهور .ولد في قرية شنتبوس قرب شلب،وهو من أسرة فقيرة،فكان ينتجع بشعره،ويطوف على ملوك الطوائف ،وتعلق في أول أمره بالمعتمد بن عباد في شلب، ثم صحبه إلى إشبيلية، وترقى إلى الوزارة ،وأصبح من ألمع شخصيات عصره السياسية،ولكن بعد فتح مرسية،سولت لابن عمار نفسه للاستقلال بها ،وينفرد بالحكم فيها .ولم يطل به المقام فيها حتى أسر وسجن وقتل من قبل المعتمد بن عبادن بيده سنة 477هــ . انظر: الضبي . البغية.113 ، الفتح بــن خاقان قلائد العقيان.94 ، ابن بسام.الذخيرة.1/2: 368 ، ابن الأبار. الحلة السيراء.2: 131 ، ابن سعيد .المغرب.1: 389 ، رايات المبرزين لنفس المؤلف.25 ، المراكشي.المعجب.169 ، ابن دحية. المطرب.169 ، ابن خلكان .وفيــات الأعيــان.4: 425 ، ابــن الخطيب.أعمال الأعلام.160 ، العماد الإصفهاني.الخريدة.2: 71 ، المقري.نفح الطيب. 1: 625 ، وللدكتور صلاح خالص مؤلف جمع فيه شعره.بغداد.1957.

وباتفاق مع أمير برشلونة الكونت رامون برنجير(1) ، لقاء عشرة آلاف مثقال من الـــذهب وفشلت أعماله الأولى (2) ، ثم نجح ابن عمار في الاستيلاء عليها سنة 471 هـــ (3).

كان ابن عمار قد سولت له نفسه بالاستقلال بمرسية،لكن سرعان ما وقع في قبضة المعتمد بن عباد مقابل هدية كبيرة ،وزج به في السجن وقتله بيده ،وذلك سنة 477 هــ(4).

وبعد أن استولى ألفونسو الســـادس(5) على مدينة طليطلة سنة 478 هــــ (6) ، رأى أن يضاعف الجزية التي كان يدفعها إليه المعتمد بن عباد ، ومن قبله والـــده المعتضـــد فأرسل اليهودي ابن شاليب لهذا الأمر الذي كان بداية نهاية بني عباد كما سيأتي فيما بعد.

دولة بني زيـــري في غـــرناطـــة:

لاشك أن سليمان المستعين كان جلـــوسه على كـــرسي الخـــــلافة في قـــــرطبة سنـــة 403 هـــ ، تم بمعاونة ونصرة البربر له ، كما تقدم ، وعندئذ كافـــأهم الخليفـــــة المستعين بأن اقتطع قبيلة صنهاجة وزعماءها بني زيري ولاية إلبيرة (7).

ويورد لنا الأمير عبد الله في مذكراته قوله: إن صنهاجة حين تفكك الدولة واستيلاء كـــل أمير ببلدة ، اعتزموا الرحيل عن الأندلس ، ولكن أهل إلبيرة ، وقد كانت ولايتـــهم تتمتـــع بسعـــة الرقعـــة ، والخصـــب والنمـــاء ، ولم يكـــن من يـــدافع عنـــهم ، لجأوا إلى زاوي ابن زيري ، دعوه وقومه إلى الإقامة بأرضهم والدفاع عنهم.وقبل زاوي وقومـــه دعوتهم ، ونزلوا بتلك الأرض ، وأجمعوا على الدفاع عنها (8) .

---

1 – هو رامون برنجير الثاني،ابن الكونت رامون برنجير الكبير،وقد حكم برشلونة بالإشتراك مع أخيه برنجير بعد وفاة أبيهما سنة 1076 م .وقد قتل غيلة سنة 1082 م ،فانفرد أخوه برنجير بالإمارة.انظر: عنان،محمد بن عبد الله.دول الطوائف.492 ، ابن سلامة،الربعي.أدب المحنة الإسلامية في الأندلس.31. هامش.124.

2 – عنان،محمد عبد الله.المرجع نفسه..64.

3 – المراكشي.المعجب..180.

4 – ابن الخطيب .أعمال الأعلام. 160 ، المراكشي . المصدر نفسه. 181 ، المقري.نفح الطيب. 1: 451.

5 – ألفونسو أو الأذفونش بن فرناندو الأول (ـــ 458 هـــ =1065 م) الذي قسم مملكته بين أبنائه الثلاثة قبل وفاته بســـنة،فكان نصيب ألفونسو السادس هذا مملكة ليون،وبعد صراع مع أخويه شانجة وغرسية استولى على مملكة قشتالة وجليقية وأصبح ملكا باســـم ألفونسو السادس وهو الذي احتل طليطلة (سنة 478 هـــ =1085 م) . انظر: ابن عذارى. البيان المغرب.3: 232،304 ، عنان، محمد عبد الله.دول الطوائف.375ـــ387 ، الحجي،عبد الرحمن .التاريخ الأندلسي.330 ، ملحمة السيد.ترجمة مكي،الطاهر أحمد..84

6 – ابن عذارى.المصدر نفسه.3: .304

7 – انظر هذا البحث..35

8 – الأمير عبد الله.كتاب التبيان.18 ـــ 22.

وبعد نزول زاوي وقومه بإلبيرة ، ثم سرعان ما عدلوا عنها إلى موقع قريب منها لحصانته ، وبنوا مدينتهم الجديدة ، وهكذا قامت مدينة غرناطة،وبدأت تنمو وتحتل مكانة، وبالمقابل زالت إلبيرة بسرعة(1).

استقر بنو زيري في غرناطة ،ولكنهم لم يكونوا بمعزل عن حوادث قرطبة ؛فبعد مقتل سليمان المستعين ،واستيلاء الحموديين على قرطبة (2)،أعلن خيران العامري،مع بعض من ولاة شرقي الأندلس(3) الدعوة لبني أمية في شخص عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى (4) ، وتوجهوا لمقاتلة الحموديين في قرطبة،وقبلهم ساروا نحو غرناطة فلقيهم زاوي بن زيري ، ونشبت بينهم معركة شديدة استمرت أياما ، وانتهت بهزيمة أهل الأندلس،ومقتل خليفتهم المرتضى ، وذلك سنة 409 هـ (5).

بعد النصر الذي حققه زاوي بن زيري على الأندلسيين ، قرر العودة إلى إفريقية سنة 410 هـ – لأسباب لا ندخل في ذكرها – بالرغم من معارضة ابنه جلال وقومه(6)، وبعده عُين لولايتها حبوس بن ماكسن بن أخيه سنة 411 هـ (7).

سار حبوس بن ماكسن سيرة حسنة ،وضبط النظام والأمن،وقسم الأعمال بين أقاربه وبني عمه،ونظم الجند (8).وتحالف مع جيرانه بني حمود أصحاب مالقة (9).

وبهذا وطد حبوس ملك قومه بغرناطة ،إلى أن استأثرت به الموت سنة 428 هـ (10)،فكان محل إشادة من قبل المؤرخين والأدباء يصفه

---

1 - الأمير عبد الله.المصدر السابق.22.

2 - انظر هذا البحث..39

3 – من الذين دعوا للمرتضى ،منذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة . انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام.130، ابن الأثير.الكامل في التاريخ.7: .285

4 – انظر هذا البحث..42

5 – الأمير عبد الله. كتاب التبيان.22 ــ 23 ، ابن بسام.الذخيرة.1/1: 400 ، ابن خلدون.التاريخ.7/4: 346 ، المقري .نفح الطيب.2: .30

6 – الأمير عبد الله. المصدر نفسه.24- 25 ، ابن بسام . الذخيرة.1/1: 457 ، ابن الخطيب. الإحاطة. 1: .477،140

7 – الأمير عبد الله.المصدر نفسه.25 – 26 ، ابن الخطيب.المصدر نفسه.1: .477

8 – الأمير عبد الله. المصدر نفسه..25

9 – ابن عذارى .البيان المغرب.3: .191

10 – ابن عذارى. البيان المغرب.3: 264 ، الأمير عبد الله.كتاب التبيان.27 ، ابن خلدون .التاريخ.7/4: 346 وهو يحدد سنة وفاته 429 هـ ، ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة. 1: 477.

ابن حيان ، بقـــوله : ((كان وقورا حليما،فظًّا مهيبا ،نـــزر الكلام،قليل الضحك ،كثـــير الفكر ، شديد الغضب ،شجاعا حسن الفروسية ،له في كل ذلك أخبار مأثورة))(1).

ويصفه الأمير عبد الله في مذكراته ، بقوله: ((صرف أحكامه أجمع إلى قضاة البلاد، وتعفف عن كل شئ ؛ وجمدت يده على الحرام من الأموال ، فأحبه الناس ، وأمنت منـــه السبل ، وقلّ الفساد وارتفع الجور))(2) .

خلَف باديس (3) في حكم غرناطة أباه حبوس،وقدر له أن يكون أقوى ملوك البربر في جنوب الأندلس ، وأعظمهم شأنا في تلك الفترة التي كثرت فيهـــا الصراعات،بســـبب التوسع أو الرياسة،و لم ينازعه في الملك أخوه بلقين بن حبوس(4) ، ولكن يدير بن حباســـة ابن ماكسن رغب في أن ينتزع السلطة من باديس لنفســـه ، كما حاول من قبل مع عمـــه حبوس وفشل في ذلك (5).

وكان من محرضي يدير في هذا السبيل، الكاتب أبو الفتوح ، ثابـــت بـــن محمـــد الجرجاني(6) ، العالم المشرقي الذي لحق بقرطبة أيام الفتنـــة ، وكان يلقي بنبوءاته في روع يدير ، أنه سوف يظفر بملك غرناطة ، ويحكمها ثلاثين سنة (7).

---

1 – ابن بسام . الذخيرة.1/1: 460 – 461.

2 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان.25 – 26.

3 – هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي،ولي إمرة غرناطة بعد وفاة أبيه سنة 428 هت ،وتلقب بالظافر بالله الناصر لدين الله.وصفه المؤرخون بالشدة والصرامة التي تصل إلى حد البطش والجور، ونقـــل ابن حيـــان بعـــض أخبـــاره في الشـــدة والقسوة.دام حكمه طويلا إلى أن توفي سنة 465 هـــ . انظر ترجمته: الأمير عبد الله . كتاب التبيان.30، ابن بســـام.الـــذخيرة.2/1: 656 ، ابن عذارى. البيان المغرب.3: 262.،ابن الخطيب.الإحاطة.1: 435،140 ، وأعمال الأعلام لنفس المؤلف.230 ، ابـــن خلدون. التاريخ.7/4: 345 ، دوزي. المسلمون في الأندلس.3: 26 ، عنان ،محمد عبد الله .دول الطوائف..129.

4 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان.28 ، دوزي. المسلمون في الأندلس.3: 26.

5 – الأمير عبد الله. المصدر نفسه..28.

6 – هو ثابت بن محمد الجرجاني،يكنى أبا الفتوح.ولد سنة 350 هـــ ،وقدم الأندلس سنة 406 هـــ .كـــان في العربيـــة،متمكنا في الأدب،مذكورا في التقدم في علم المنطق.قتله باديس بن حبوس سنة 431 هـــ ،لتهمة لحقته مع ابن عمه يدير بن حباسة. انظر ترجمتـــه: الحميدي.الجذوة.184 ، الضبي.البغية.253 ، ابن بشكـــوال .الصلة.123 ، ابن بســـام .الـــذخيرة.2/1: 668 ، دوزي .تـــاريخ المسلمين في الأندلس.3: 33 – 37.

7 – ابن الخطيب .المصدر نفسه .1: 457.

ومن كتّاب حبوس نجد أبا العباس(1) ، وله مساعــد يـــدعى أبـــو إبــراهيم إسماعيل بن نغريلة (2) ،كان يتولى جمع المال ، وعلت مترلته بعــد وفــاة أبي العبــاس ، وازدادت حظــوته في عهد باديس ، بعد أن أحبط مؤامرة قتله من قبل يــدير وجماعتــه ، وحذره من اتساع نطاق الفتنة ، ونزل باديس عند نصيحة اليهودي ، واستتب له الأمر دون منازع(3).

أول حادث خطير واجهه باديس ، حربه مع زهير العامري صاحب المرية ـــ كمــا سنرى فيما بعد ـــ ويورد عن هذا الأخير الأمير عبد الله،قوله: ((أدركه الطمع في غرناطة لما بلغه من موت حبوس بن ماكسن))(4) ، ولكن باديس انتصر على زهير العامري،وقتله مع بعض قواده وفرسانه ، وتم له التوسع على الجزء الغربي من المرية المتاخم لغرناطة (5).

وبعد أن توطد الحكم لباديس ، ترك الكثير من شؤون تصريف إدارتــه إلى كتّابــه ومعــاونيــه،وبخاصــة بن النغــريلة،وقــد جاء في بعــض ما وصفــه مــؤرخ العصر ابن حيان ، أنه ((كان هذا اللعين،من أكمل الرجال علما وحلما وفهما،ودهــاء ومكــرا ، ومعرفة بزمانه ، ومداراة لعدوه،واستسلالا لحقودهم بحلمه ؛ ناهيك مــن رجــل كتــب بالقلمين ، واعتنى بالعلمين ، وشغف باللسان العربي ، ونظر فيه وقرأ كتبه ، وصار يكتــب عنه وعن صاحبه بالعربي ، فيما احتاج إليه من فصول التحميد لله ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتزكية لدين الإسلام وذكر فضائله)) (6).

1- الأمير عبد الله. كتاب التبيان..30

2 – هو أبو إبراهيم إسماعيل بن نغريلة.اليهودي،كاتب ووزير حبوس بن ماكسن،وعلت مترلته في عهد باديس،إلى أن فضل على وزرائه في شؤون إدارته.واكتسب المــال.كما كان من أهــل الأدب والشــعر إلى أن هلك.فخلفه ابنه يوسف.انظر : ابن عــذارى .البيــان المغرب.3: 264 ، الأمير عبد الله.كتاب التبيان.30 – 32 ، ابن الخطيب. الإحاطة.438 – .439

3 – الأمير عبد الله.المصدر نفسه.30 – 34 ، ابن الخطيب. المصدر نفسه.1 :439 ، ابن بسام .الــذخيرة.2/1: 766 ، هنــري بيريس.الشعر الأندلسي في عصر الطوائف.240.،.دوزي. المسلمون في الأندلس.3: .21

4 – الأمير عبد الله .المصدر نفسه..34

5 – ابن بسام. الذخيرة.2/1: 166 ، ابن عذارى .البيان المغرب.3: 169 – 172 ، ابن الخطيب.الإحاطة.526 ، الأمير عبد الله. المصدر نفسه..34،35

6 –ابن الخطيب. الإحاطة.1: 438.

وبعد وفاة ابن النغريلة هذا ، حل ابنه يوسف بن إسماعيل (1) محـــله ، لدى باديس، و لقي ابنه بلقين حتفه على يد هذا اليهودي سنة 457 هـــ (2) ، وبرأ نفسه لدى باديس وقبل حججه ، بعد أن نالت المحنة عددا من المقربين من بلقين (3).

وبذلك انفـــرد يوســـف بن نغريلـــة بالسيطرة ، حتى أضحى أول رجل في الدولة بوصفه رئيسا للوزراء (4) ، و لم يسمح لغيره بأي ظهور،ومما زاد من تفرده ، زهد بـــاديس بالحكم الطويل الذي بلغ إلى حدود سبعة وثلاثين عاما هجريا ، وموت ولده بلقـــين(5) ، حتى وصل سلطان اليهودي حدَّ استصدار أمر من باديس بنفي ولده الثـــاني ماكســـن إلى جيان(6) ، لكن هذا التفرد لم يستمر لابن النغريلة ؛ إذ طرأ على الدولة واحد مـــن عبيـــد المعتضد بن عباد يسمى الناية كان متهما في المؤامرة التي دبرها ضده ولده إسماعيل ، ولجـــأ إلى باديس وخدمه وحظي عنده ، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة (7).

بهذا وقع التنافس بين الطارئ الناية ، وبين يوسف بن نغريلة،فكان الناية يحرض على قتله ،ويفضي إلى باديس بذلك كلما سنحت الفرص،وشعر ابن النغـــريلة، بأن النـــاية أفلح

---

1 - هو يوسف بن إسماعيل بن النغريلة،و يكنى أبا الحسن .مكن له أبوه إسماعيل في دولة بني زيري :حبوس ثم باديس.وكان فيه دهـــاء وذكاء.وقد خلت الأجواء لابن النغريلة بعد وفاة أبي العباس كاتب حبوس.وكانت الجباية التي يقدمها المتصرفون اليهود تسكت بـــاديس وتسره.غير أن الخاصة والعامة من الغرناطيين استاؤوا من تسلط ابن النغريلة والجباة من جماعته.ورأوا اســـتأثر هـــؤلاء القـــوم بخـــيرات البلاد،فأنكروا عليهم ذلك ،وحرضوا باديس وقومه مرارا،فكان بلقين بن باديس ينظر إلى ذلك بعين السخط ،ويرغب في إزالته وقتله،لكن ابن النغريلة تفطن لذلك ودعاه لمجلس شراب ودس له السم في كأسه،ومات من أثره،واتهم غيره من المشكوك فيهم.سنة 456 هـــ . ثم أن ابن النغريلة خاف على نفسه ،فراسل ابن صمادح صاحب المرية للاستيـــــــلاء على غرناطة، وتسليمه مقاليد الأمور فيـــــها،غـــير أن مؤامراته انكشفت،لدى العامة ،بتحريض من قبل العلماء والمصلحين،فهجمت على داره فأخرجته وقتلته،وفتكت بقومه وجعلتهم بين قتيـــل وجريح سنة 459 هـــ. انظـــــر تـــرجمته: ابن عـــذارى.البيان المغـــرب.3: 264 ، الأمــــــير عبـــد اللـــــه.كتـــاب التبيان.30 – 34.،36 – 42.،51 ، النبـــاهي.المـــرقبة العلبا.92 ، ابن الخطيب.الإحاطة.1: 439 ، ابن بسام .الـــذخيرة.2/1: 766 – 769 ، خليفة،عبد الكـــريم. ابن حزم الأندلسي.155 ، ابـــن ســـعيد.المغـــرب.2:114 –115 ، دوزي.المســـلمون في الأندلس.3: 75 - 76 ، هنري بيريس.الشعر الأندلسي في عصر الطوائف.244 ، أبو إسحاق الإلبيري. ديوان..128

2 – النباهي.المرقبة العليا.92 ، الأمير عبد الله .كتاب التبيان.40 ، ابن الخطيب. الإحاطة .1: 440 ، ابن سعيد .المغرب.2: .110

3 –ابن عذارى.البيان المغربز3: 265 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام..231

4 – هنري بيريس.السعر الأندلسي في عصر الطوائف..244

5 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان..42

6 – االأمير عبد الله.المصدر نفسه..55،49

7 – الأمير عبد الله المصدر نفسه.46 .

في تغيير باديس عليه.(1).

بعـــدئـــذ قـــرر ابن النغريلة الإجهاز على السلطان الزيري كله واستبداله بسلطان بني صمادح(2) أصحاب المرية ، على أن يقيم دولة لليهود في المرية(3) واتخـــذ الترتيبـــات الملائمة لتحقـــيق انتصـــارهم،بـــأن عـــين زعمـــاء صنهاجة الذين يخشـــى بأســـهم في الأماكن البعيدة (4) ،وأوعز لابن صمادح بالتقدم واستطاع احـــتلال وادي آشـــي (5) الواقعة شمال شرقي غـــرناطة . ومضى ابن النغريلة في مفاوضاته وهو محجم متـــهيب مـــن تنفيذ المشروع . كل ذلك وباديس غارق في لهوه منكب على لذاته (6).

وكان من الطبيعي أن يثير نفـــوذ وتفـــرد اليهـــودي ســـخط خصـــومه وأهـــل غرناطة،فيجدون في الشعر متنفسهم ، وذلك في قصيـــدة أبي إسحاق الإلبـــيري (7) ، التي

---

1 -الأمير عبد الله.كتاب التبيان.53 ، ابن الخطيب. الإحاطة.1: .440

2 – ينتمي بنو صمادح لتجيب العربية،وكان ظهورهم في عهد الأمير محمد،وفي عهد الطوائف نجد معْن بن صمادح قد استقل بالمرية سنة 433 هـــ على حساب عبد العزيز بن عبد الرحمن العامري صاحب بلنسية الذي هو الآخر تولى حكمها بعد مقتل زهير العامري ـــ كما تقدم ـــ ودام حكم معْن هذا عشر سنوات .وخلفه في حكم المرية ابنه محمد بن معن بن صمادح،المعتصم بالله الواثق بفضل الله ،وهـــو لم يستكمل ثمان عشرة سنة.كان المعتصم بالله حسن السيرة في رعيته وجنده وقرابته،فانتظمت أيامه واتصلت دولته واستقامت أموره. وكان المعتصم حصيف العقل ،طاهرا،معنيا بالدين وإقامة الشرع ،بقصره يعقد المجالس للمذاكرة.مات بمرض أصيب به سنة 484 هـــ .وهذه السنة زامنت سقوط المرية في يد المرابطين. انظر تفاصيل ذلك : ابن الأبار.الحلة السيراء.2: 78 ، ابـــن عـــذارى.البيـــان المغـــرب.3: 166،173 ، ابن بسام .الذخيرة.2/1: 729 ، ابن خاقان.قلائد العقيان.53 ، ابن سعيد.المغرب.2: 195 ، ابن الخطيب.أعمـــال الأعلام.189 ، المراكشي.المعجب.196 ، ابن خلدون.التاريخ.7/4: 430 ، ابن خلكان .وفيـــــات الأعيـــان.5: 39 ، العمـــاد الإصفـــهاني.الخـــريـــدة .2: 83 ، ابن دحيـــة.المطرب.34 ، المقـــري.نفـــح الطيـــــب.3: 411،395،366،وصفـــــحات متفـــرقة من الكتاب ، سالم،السيد عبد العزيز.تاريخ مدينة المرية..74

3 – 1 ابن عذارى.البيان المغرب.3: 266 ، هنري بيريس.الشعر الأندلسي في عصر الطوائف..244

4 – الأمير عبد الله.كتاب التبيان..52

5 – وادي آشي:مدينة بإلبيرة قريبة من غرناطة،وهي ملتقىالطرق،وتطوف حولها المياه والأنهار.انظر: الحميري. الروض المعطار.604 ، الإدريسي.القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس.295 ، ابن سعيد.المغرب.2: .28

6 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان.50،47،46 – 52 ، ابن الخطيب. أعمال الأعلام..440

7 – هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري الغرناطي،الزاهد،ورد في التكملة،أنه((كان من أهل العلم والعمل،وكان شاعرا مجودا)).وقال الضبي فيه،إنه كان((فقيها فضـــلا زاهدا عـــارفا)).وقد نال الإلبـــيري أذى وعسف بسبب صراحته في التحـــريض على اليهودي الذي استوزره السلطان باديس وانقياد أهل غرناطة له.وبذلك أجلي الإلبيري عن غرناطة إلى أن توفي سنة 461 هـــ .انظر ترجمته :ابن الأبـــار.التكمـــلة . 1: 136 ، الضبي.البغـــية.225 ، ابن سعـــيد.المغرب.2: 132 ، المقـــري.نفـــح الطيـــب.4: 322.،.الإلبيري.ديوان.7- ، غومس،أميليو غرسية.الشعر الأندلسي.86.11 ، بالنثا،آنخل.تاريخ الفكر الأندلسي.108.،.الزيات،عبد الله محمد.رثاء المدن في الشعر الأندلسي.172.

يحرض فيها على سحق اليهود والتخلص من طغيانهم،ومنها(1):

أَلا قُل لصنهاجة أجمعين بدورِ النـــدى وأُسْد العرين

لقد زلَّ سيدكم زلـــةً تقِر بهـــا أعيُن الشامتيـــن

تخـــيَّر كاتبه كافـــرا ولو شاء كان من المسلمين

فعزَّ اليهود به وانتموا وتاهوا وكانوا من الأرذَلَيْن

بعد أن سيطر ابن صمادح على وادي آشي ، تقدم نحو غرناطة ، في الليلـــة المتفـــق عليها من سنة 459 هــ لفتح الأبواب له من ابـــن النغريـــلة ، أفـــشى أحـــــد العبيـــد العالمين بالمؤامرة بالسر ، وصاح: ((يا معشر من سمع بالمظفر قد غـــدره اليهـــودي! ابـــن صُمادح داخل في البلدة))(2).فهبت العامة على ابن النغريلة ، وقتلوه في القصر، رغم تنكره بأن صبغ وجهه بالسواد ، وأخذوه وصلبوه على باب غرناطة ، وأحالوا السيف على يهود البلدة ، وحصلوا على عظائم من أمـــوالهم ، وقتـــل من اليهود ما ينيف على أربعة آلاف (3) ، في تلك المذبحة التي يصفها ابن بسام بأنها ((ملحمـــة من ملاحـــم بني إسرائيل باءوا بدلها ، وطال عهدهم بمثلها)) (4) . وعاد ابن صمادح أدراجه بعد أن انهار مشروعه (5).

أفاق باديس بعد هذا الحادث من خموله وتهاونه ، وباشر عمله بنفســـه ، واســـتوزر الناية ، بعد مقتل ابن النغريلة ، واسترجع وادي آشي وجيان ، وســـيطر علـــى بياســـة.، وازدادت مكانة الناية توطدا إلى أن غدر به خصومه وقتلوه (6).

هكذا استطال حكم باديس سنوات أخرى ، و توفي بعدها سنة 465 هــــــ(7)، ويخلفـــه حفيده كما سيأتي.

وتشيد بعض الروايات بما كان عليه باديس، فيقول لنا معاصره ابن حيان: ((إنه كان

---

1 – الإلبيري . ديوان.96.المقري . نفح الطيب .4: .322

2 – الأمير عبد الله.كتاب التبيان..54

3 – الأمير عبـــد اللـــه. المصـــدر نفســـه. 55 ، ابن بســـام .الـــذخـــيرة.2/1: 769 ، ابن عـــذارى..البيـــــان المغـــرب.3: 266، ابن خلدون.التـــاريخ.7/4: 346.،.دوزي المسلمون في الأندلس.3: 76 ، آنخل بالنثيا.تاريخ الفكر الأندلسي..108

4 – ابن بسام. الذخيرة. المصدر .نفسه.2/1: .769

5 – الأمير عبد الله. كتاب التبيان..54

6 –الأمير عبد الله. كتاب التبيان.63 ، عنان،محمد عبد الله.دول الطوائف..137

7 - ابن الخطيب.الإحاطة.1: 450 ، ابن خلدون .التاريخ.7/4: 346.

أرفع أملاك البرابرة في هذا الوقت شأنا ، وأشدهم سلطانا ، وأكثرهم رجالا ، وأوسعهم أعمالا ، أملى النصر العزيز على الأعداء إملاء واختيارا))(1).

أما حفيده عبد الله فإنه يقدمه في صورة أكثر إشراقا ، حين يقول: ((وكان باديس ابن حبوس ـ جدنا ـ رحمه الله ،كبير النفس، عالي الهمة،حاد المزاج ، لا يستطيع أحد أن يُمَخْرِق عليه في أمر من الأمور ، ولا ينكسر لأحد من بني عمه ، ثقة منه بسعادته ؛ وإن الانخضاع والتمريض في القول لا يعنيه ذلك ولا يزيد في أيامه))(2).

بعد وفاة باديس المظفر بالله ، اتفق رجال الدولة وشيوخ صنهاجة، على تولية حفيده عبد الله بن بلقين(3) مكانه،وكان صبيا حدثا،وأخوه كان حكما لمالقة منذ أيام جده(4).

أما عمه ماكسن بن باديس،فقد كان خارجا على أبيه ـ كما تقدم ـ لذلك لم يلتفت إليه ،وتولى تدبير الملك ورعاية الملك الصبي،أحد شيوخ صنهاجة،يدعى سماجة ، مدة تقترب من العقد(5) ، علا فيها بسبب نجاحه في صدّ هجومه العباديين على غرناطة (6) . لكن هذه الشدة في الحكم ربما أدت إلى ضيق شيوخ صنهاجة به، ومهدت بذلك الأمر لعبد الله كي يستقل بالحكم (7) . أما سماجة فإنه رحل إلى المرية ، حيث أقام بقية عمره (8) .

حاول عبد الله بعد إزالة وزيره سماجة، أن يعمل على تنظيم الإدارة، وعزل الحكام

---

1 - ابن الخطيب أعمال الأعلام..230

2 – الأمير عبد الله. كتاب التبيان..27

3هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ،ويرتفع نسبه إلى مناد.قلده شيوخ القبيلة الإمارة وهو صغير،ولقبوه المظفر بالله الناصر لدين الله.وانفرد بتدمير ملكه وزيره سماجة في صغر سنه،ولكن فيما بعد استقل بالحكم ،ورحل عنه وزيره إلى المرية.قاد الأمير عبد الله البلاد إلى أن خلعه يوسف بن تاشفين ،وآلت غرناطة للمرابطين سنة 483 هـ .أخذ الأمير عبدالله إلى أغمات ،وفيها عكف على كتابة مذكراته التي تضمنت معلومات تاريخية هامة عن عصر ملوك الطوائف بصفة عامة .وقد اطلع عليها ابن الخطيب وأشار إلى أهميتها .هذه المذكرات نشرها ليفي بروفنسال في كتاب مستقل تحت عنوان:مذكرات الأمير عبد الله بن زيري أخر ملوك غرناطة،أو كتاب التبيان.القاهرة.1955.انظر ترجمته:ابن الخطيب.الإحاطة.1: 148 ، وأعمال الأعلام لنفس المؤلف.233 ، مؤلف مجهول.مفاخر البربر.51 ، بول ، لين.قصة العرب في إسبانيا..160

4 – ابن الخطيب.أعمال الأعلام..233

5 –الأمير عبد الله .كتاب التبيان.84 ، ابن الخطيب .المصدر نفسه..234

6 – ابن الخطيب.المصدر نفسه..234

7 – الأمير عبد الله.كتاب التبيان.84 ، ابن الخطيب. المصدر نفسه.234 – .235

8 – ابن الخطيب.أعمال الأعلام.235.

الظلمة (1) ، وتصالح مع أخيه تميم بعد تدخل والدهما في الأمر ، وخشية من ميله إلى العباديين ضده (2) ، الذين تصالح معهم بعد إجراء تعديلات في الحدود وذلك سنة 477 هـ (3) . كما سوى التراع مع بني صمادح حول الحصون (4).

ولم تمض أسابيع قلائل حتى سقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة 478 هـ (5) ، فنهض ملوك الطوائف،ومنهم عبد الله إلى دعوة المرابطين لإنجادهم ــ كما سنرى ــ وخلعه من قبلهم سنة 483 هـ (6).

دولة بني عامر الصقلبية :

بعد تفكك الوحدة السياسية إثر سقوط الدولة العامرية ، ولم يكد يمضي على بيعة محمد بن هشام بن عبد الجبار سنة 399 هـ (7) ، ما يزيد عن شهر حتى نفى جماعة الصقالبة العامريين ، حسب قول ابن عذارى: ((استولوا على أطراف بلاد الأندلس ، وملكوها من ذلك الوقت)) (8).

كان هؤلاء الصقالبة قد تزعمهم خيران العامري (9)، رئيس حزب الصقالبة في قرطبة،ومن هذا الحزب تكونت دولة العامريين في شرق الأندلس؛ يترأس كل دولة واحد

1 – الأمير عبد الله.المصدر السابق..84

2 – الأمير عبد الله. المصدر نفسه.93 – 95..

3 – الأمير عبد الله.المصدر نفسه...82

4 – الأمير عبد الله.المصدر نفسه..71

5 – ابن عذارى.البيان المغرب.3: 304 ، الحميري.الروض المعطار.395 ، بروفنسال ، ليفي . الإسلام في المغرب والأندلس .120 – 150 .

6 - ابن الخطيب.أعمال الأعلام..236

7 – انظر هذا البحث.22

8 – ابن عذارى .البيان المغرب.3: 77.

9 – هو خيران الصقلبي العامري ،وكان من جلة فتيان بني عامر،ولما تخربت الخلافة المتمثلة في نظر الصقالبة في شخص هشام المؤيد بالله،وبعد ذهاب المنصور.استقل بمدينة المرية سنة 403 هـ ،وانضم إليه جميع فتيان محمد بن أبي عامر،فحولهم وخصيانهم.وكان خيران يدعى بالخليفة وبالفتى الكبير.ومدحه الشاعر ابن دراج القسطلي.وبعد مهلكه صارت المرية إلى صاحبه زهير العامري سنة 419 هـ. انظر ترجمته ابن بسام .الذخيرة.1/1: 32 ، ابن عذارى .المغرب.3: 166 ، ابن الخطيب.أعمال الأعلام.210 ، العبادي،أحمد مختار. الصقالبة في الأندلس.17 ، سالم،السيد عبد العزيز.تاريخ مدينة المرية الإسلامية.58 ، تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 109 .

من الفتيان الصقالبة ؛ فمجاهد العامري (1) يسيطر على مدينة دانية (2) والجزر المتاخمـــة: ميورقة(3) ومنورقة (4) ويابسة (5)،ولبيـــب(6) يسيطر على طـــرطوشة ، ومظــــــفر ومبارك (7) يسيطران على بلنسية (8) ، وأما خيران ـــ وهو المخـــصص للدراسة ـــ فإنه نزل بأريولة (9) ثم سيطر على المـــرية (10).

---

1 – هو أبو الجيش مجاهد العامري،كان من موالي العامريين،وقد نشأ وتربى في بلاط المنصور بن أبي عامر.وعندما اندلعت نار الفتنة خرج من قرطبة مجاهد العامري مع الفتيان العاريين إلى شـــرق الأندلس،وسيطر على مدينة دانيـــــة ســـنة 400 هــــ ثم علـــى الجــــزر الشـــرقية؛مَيـــورقة ومِنُرقة أو منورقة ويابسة في أواخر سنة405 هـــ .ومن أهم أعماله فهي فتح جزيرة سردانية،ولكنه لم يمكث فيهـــا اكثر من عشرة شهور وانسحب بعدها منها وعاد إلى بلاده ،ثم انضم إلى جانب الخليفة المرتضى مع الأندلسيين في حرب ضـــد البربـــر والقاسم بن حمود،وانتهت المعركة بقتل المرتض من قبل البربر سنة 409 هـــ .مات سنة 436 هـــ بعد حكم دام زهاء ثلاثين عاما ،ساد فيها النظام والأمن والرخاء.انظر ترجمته: ابن بسام .الذخيرة.1/4: 11 ، ابن الأبار .الحلة السيراء.2: 116 ، ابن عـــذارى. البيـــان المغرب.3: 155 ، الضبي .البغية.472 ، ابن الخطيب .أعمال الأعلام.217 ، ابن ألأثـــير . الكامــــل. 9: 100، العبادي،أحمـــد مختار.الصقالبة في إسبانيا.21 ، عنان ،محمد عبد الله.دول الطوائف.187 ، تشركوا ، كليليا سرنللي . مجاهد العامري . 123 – 175.

2 – مدينة دانية بشرق الأندلس على البحر ،عامرة حسنة لها ،والسفن واردة عليها صادرة عنها،ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو،وبها ينشأ أكثره لأنها دار إنشاء.انظر: الحميري.المصدر نفسه.231، الإدريسي.المصدر نفسه . 282 ، المقري.المصدر نفسه.1: .166

3 – مدينةَ مَيُورقة جزيرة في البحر المتوسط،يقابلها من الشرق جزيرة مِنُرقة أو منورقة، وكذلك جزيرة سردانية،ومن الغرب جزيرة يابسة وميورقة أم هاتين الجزيرتين وهما بنتاها.انظر:الحميري .الروض المعطار.567 ، صفة جزيرة الأندلس منتخبـــة مـــن الـــروض.180، الإدريسي.القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس.(من كتاب نزهة المشتاق) .308 ، المقري .نفح الطيب.1: .169،128

4 – مدينة مِنُرقة أو منورقة جزيرة تقابل برشلونة ،وهي إحدى بنتي أو جزيرتي ميورقة ،وهما منرقة هذه ويابسة. انظر: الحميري.المصدر نفسه.594 ، وصفة جزيرة الأندلس لنفس المِلف.185 ، الإدريسي.المصدر نفسه.308 ، المقري.المصدر نفسه.1: .169

5 – مدينة يابسة وهي جزيرة تلي جزيرة ميورقة ،ويقال لهذه الجزيرة ولمنورقة،بنتا جزيرة ميورقة .وهي جزيرة حسنة،وبها مدينة حسنة، وأقرب بر إليها مدينة دانية . انظر: الحميري.المصدر نفسه.616 ، وصفة جزيرة الأندلس لنفس المؤلف.198 ، الإدريســـي.المؤلـــف نفسه.308 ، المقري.المصدر نفسه..429،166

6 –لبيب من فتيان ابن أبي عامر ،سيطر على طرطوشة ،عقب اندلاع الفتنة وسقوط الدولة العامرية،وساس أموره مع رعيته ومن يجاوره من الأمراء، إلى أن توفي سنة 433 هـــ .انظر ترجمته : ابن عـــذارى.البيان المغـــرب.3: 302،250 ، ابـــن الخطيـــب.أعمـــال الأعلام.226 ، ابن خلدون .التاريخ.7/4: 354 ، العبادي ،أحمد مختار.الصقالبة في الأندلس.21 ، عنان . محمد.دول الطوائف..271

7 – مظفر ومبارك كانا من موالي ابن أبي عامر،وارتفع شأنهما حتى تسلطا على إمارة بلنسية،ولعل ابن دراج كان قد أمل لديهما ما كان المتنبي قد أمّله في كافور الإخشيدي حين قصده بعد مفارقته لسيف الدولة.وقد مدحهما بقصيدتين .مات مظفر أولا ثم لحق به مبارك سنة 408 أو 409 هـــ . انظر ترجمتهما: ابن عـــذارى.المصدر نفسه.3: 158 – 302،163 ، ابن دراج مقدمة ديوانه.60 ، العبادي ، أحمد مختار . الصقالبة في الأندلس .19 ، تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 116 – 117 .

8 – وهي مدينة من أكبر مدن الساحل الشرقي ازدهارا في العصور الإسلامية،إلى الشمال من دانية على شاطئ البحر المتوســـط.انظـــر: الحميري.المصدر نفسه.97 ، الإدريسي.المصدر نفسه.280 ، المقري.المصدر نفسه..1:166

9 – أريولة أو أوريولة مدينة بالأندلس،تقع على ضفة النهر الأبيض.وهي قديمة أزلية،وهي من أعمال مرسية. انظر: الحميري.المصـــدر نفسه.67 ، الإدريسي. المصدر نفسه.282 ، المقري.المصدر نفسه.1: 166 ، تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 116 .

10 - ابن عذارى . البيان المغرب.3: 166 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام.211.

خـــيران العامـــري:

بعد الانتصار الذي حققه المستعين على المهدي وأنصاره من أهل قرطبة ســـنة 403 هـــ فر الفتيان العامريون إلى شرق الأندلس ـــ كما تقدم ـــ وكان خيران ، ويكنى بـــالفتى الكبير(1) ، واحدا ممن فروا وأنجاه هروبه من قرطبة ، واستقر في أريـــولة، وهي يومئذ مثل في الحصانة والمنعة.وأقبل عليه الطامعون والصعالكة والدابرة ، أي قطاع الطرق،فاشتد بهـــم ساعده،وتمكن من الاستيلاء على مرسية سنة 404 هـــ ثم جيان (2).كما تمكن من التغلب على المرية معقل الأندلس ، بعد قتل أفلح الصقلبي الذي سبقه إليها بعد قيام الفتنة(3).

اتخـــذ خيران العامري المرية مقرا له ، وطبق سياسة قوامها العدل والإنصاف معتمدا في ذلك على وزيره أحمد بن عباس(4) الذي كان معروفا برجاحة العقل والدهاء (5).

ازدهرت المرية في عهد خيران هذا ازدهارا عظيما ، وأصبحت مـــن أهـــم مـــدن الأندلس ، ويرجح بيريس أن الآبار التي عرفت بها المرية ، والتي مازالت أطلالها ترى حـــتى يومنا هذا ترجع إلى أيامه (6).

وقد قصد الأدباء والشعراء خيران ، منهم ابن دراج الذي أقام ببلاطه فترة ، وفيهـــا مدحه بقصيدة مطلعها(7):

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران وبُشراك قد آواك عزٌّ وسلطانُ

أصـــيب خيران بمرض سنة 419 هـــ ، فاستدعى زهيرا الصقلبي ، نائبه في مرسية

---

1 - ابن الخطيب.المصدر السابق..211

2 - ابن خلدون .التاريخ.7/4: .348

3 - ابن الخطيب .أعمال الأعلام..211

4 – هو أبو جعفر ،أحمد بن عباس بن أبي زكريا الكاتب،كان وزيرا لزهير العامري.يصفه الأمير عبد الله،بقوله : ((كان أشد الناس حماقة واستخفافا مثيرا للشر،وكان العالب على أمر زهر))،كما كان ابن عباس هذا ((كاتبا حسن الكتابـــة ،بـــارع الخـــط فصـــيحا غزيـــر الأدب)).وقد وقع ابن عباس أسيرا في يد باديس بن حبوس ،وحاول فداء نفسه بثلاثين ألف دينار من الذهب إلا أن باديس أمـــر بقتلـــه سنة 427 هـــ .انظـــر ترجمتـــه : الأمـــير عبد الله. كتاب التبيـــان.35،44 ، ابن بســـام .الذخـــيرة.1/1: 656 – 464،667، ابن عذارى .البيان المغرب.3: 166 – 172 ، ابن الخطيب.المصدر نفسه.212،215 ، والإحاطة لنفس المؤلف.1: 259 ، دوزي. المسلمون في الأندلس .3: 28 ، سالم، السيد عبد العزيز.تاريخ مدينة المرية الإسلامية.69 - .71

5 - ابن الخطيب .المصدر نفسه..212

6 - بيريس،هنري.الشعر الأندلسي في عصر الطوائف..129

7 - ابن دراج .ديوان.73.

وجيان (1)، وأدركه ،فأوصاه بأن يخلفه.ولما توفي خيران في نفس السنة ، قام زهير في الحال مكانه ، وتسلم زمام السلطان ،ورضي به الناس ورجال الدولة(2).

زهـــير العـــامـــري:

خلف زهير العامري(3) أخاه خيران بعـــد وفاتـــه ، وهـــو مـــن أهـــم الفتيـــان العامريين،وأشدهم بأسا ((وكان شهما داهية))(4).وقد اقتفى أثر صاحبه خيران في حســـن السيرة وحفظ النظام، وكان يشارك الفقهاء ويعمل بقولهم (5).

بهذه السيرة الحسنة وحفظ للنظام،اتسع ملك زهير العامري اتساعا كبيرا ،فامتـــدت المرية في عهده إلى قرطبة ونواحيها غربا،وإلى شاطبة ومرسية في الشمال الشرقي، وإلى بياسة حتى أعمال طليطلة في الشمال الغربي(6).

أما سياسة زهير الخارجية فإنه غير فيها ،وذلك بتأثره برأي وزيره أحمد بن عبـــاس ((فألقى إليه أزمته ، فكان لا يحدث أمرا إلا بإشارته وبعد مشاورته ، فأشار عليه هذا الوزير بغزو باديس بن حبوس بغرناطة))(7).

نظم زهير حملته المشؤومة إلى غرناطة ، و لم يلتفت إلى ما طلبه إليه باديس ،من تجديد أواصـــر الصداقة التي كانت معقودة بينه وبين أبيه حبوس (8)،ثم سار إلى غرناطة في قواته الكبيرة،وقـــد أخذه الغـــرور والعجب (9) ، وهـــناك التقى بقـــوات باديـــس في القرب

1 - ابن الخطيب.الإحاطة.1: .517

2 - ابن الخطيب .المصدر نفسه.1: 518 ، وأعمال الأعلام لنفس المؤلف.215.

3 – زهير العامري الصقلبي ،فتى المنصور بن أبي عامر.ولي بعد خيران العامري صاحب المرية ،وأقام بأمره سنة 419 هـــ ،بعد أن كان أميرا له في مـــرسية وجـــيان،وذلك بطلب من خيران حين أحس بالموت.دامت ولايته عشـــرة أعوام ونصف عام إلى أن قتل سنة 429 هـــ. انظـــر تـــرجمتـــه : الأمـــير عبـــد الله . كـــتاب التبـــيان.34 – 35 ، ابن بـــسام.الذخيرة.1/2: 656 ، ابن عذارى.البيان المغرب.3: 166 – 172 ، ابن الخطيب. المصدر نفسه.1: 517 – 520 ، ونفـــس المصـــدر لـــنفس المـــؤلـــف.216 ، العبـــادي، أحمد مختار.الصقالبة في الأندلس.18 – 19 ، سالم،السيد عبد العزيز.تاريخ مدينة المرية الإسلامية.68 – 72، تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 113 .

4- ابن الخطيب.المصدر نفسه.1: .518

5 – ابن الخطيب. المصدر نفسه.1: .518

6 – ابن عذارى.المصدر نفسه.3: 168 – 169 ، ابن الخطيب .المصدر نفسه.1: .518

7 – ابن عذارى.المصدر نفسه.3: .293

8 – ابن الخطيب.أعمال الأعلام..216

9 – ابن الخطيب .الإحاطة.1: 518 ، الأمير عبد الله.كتاب التبيان.34.

من غرناطة(1) ، ونشبت بينهما معركة ،انتهت بهزيمة زهير ومصرعه وتمزيق قـــواته (2)، وقتل وزيره ابن عباس بعد أسره من قبل باديس بأسابيع قلائل(3).

بعد هذه النكبة اجتمع أهل المرية واسندوا أمرهم إلى عبد العزيز بن أبي عـــامر(4) صاحـــب بلنسية ، باعتباره صاحب الحـــق الشرعي في تـــراث الفتيـــان العـــامريين(5)، فبادر عبد العزيز على إثر ذلك إلى المرية ، وبايعه أهلها(6) ، ((واستمد بما ورثه من تـــلاد الفتيان العامريين موالي جده))(7).

بنـــو صمادح أمـــراء المـــرية:

رحل عبد العزيز عن المرية بعد أن ترك وزيره وصهره مَعن(8) بن صمادح التجـــيبي واليا عليها ، لكن هذا لأخير استولى على المرية بعد أن خلع طاعة صهره ، قال ابن حيـــان فيه: ((فكان شر مستخلَف بدار ملك ؛ فلم يكد يُواري عبد العزيز وجهَـــه حـــتى خانـــه الأمانة،وطرده عن الإمارة ، ونصب له الحرب ، وخلفها ميراثا لبنيه بعده))(9).

استمر حكم مَعن للمرية وأعمالها زهاء عشرة أعوام،وطد فيها رياسته ، ومهد الملك لعقبه ،إلى أن توفي سنة 443 هـــ فخلفه ابنه محمد بن صمادح الملقب بالمعتصم بالله(10).

سار المعتصم بالله على نهج أبيه ، في علاقة مودة وصداقة مـــع بـــاديس صـــاحب

---

1 – ابن عذارى .البيان المغرب.3: .169

2 – ابن عذارى .المصدر نفسه.3: 171، ابن الخطيب.أعمال الأعلام..217

3 – ابن عذارى .المصدر نفسه.3: .171

4 – هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر ،وكان لقبه المنصور.كان مقيما بسرقسطة ثم خرج إلى بلنسية فاستقبله الموالي ،وقلدوه رياستـــهم سنة 417 هـــ ،ثم لبى طلب أهل المرية في حكمها بعد هزيمة وقتل زهير العامري سنة 429 هـــ ، وولى عليها صهره ووزيره مَعن بن صمادح واليا له،لكن هـــذا الأخير انفرد بها لنفسه ولأبنائه .طالت إمارة عبد العزيز هذا إلى سنة 452 هـــ توفي فيها بعد حكم دام زهاء أربعين عاما.انظر ترجمته : ابن عذارى .المصدر نفســـه.3: 164، ابن الخطيب.أعمـــال الأعـــلام ، 195، ابـــن بسام. الذخيرة.2/1: 730، ابن خلدون . التاريخ.7/4: 348، عنان،محمد عبد الله.161 ، سالم، السيد عبد العزيز .تـــاريخ المرية الإسلامية ..73

5 – ابن الخطيب .أعمال الأعلام..195،216

6 – ابن عذارى.البيان المغرب.3: 293 ، ابن الخطيب.المصدر نفسه.217 ، ابن خلدون.التاريخ.7/4: .348

7 – ابن بسام .الذخيرة.2/1: .730

8 – انظر هذا البحث.68.هامش .2

9 – ابن الخطيب.أعمال الأعلام.190 ، ابن بسام .الذخيرة.2/1: 731 ، ابن عذارى.البيان المغرب.3: .174

10 – انظر هذا البحث.68.هامش 2.

غرناطة،إلى أن جره ابن النغريلة للاستيلاء على غرناطة ،وأخفق في ذلك ،كما تقـدم(1) ، ثم تجددت العلاقة بين المعتصم بالله وعبد الله بن بلقين، الذي خلف جـده في الحكـم(2)، واستمرت هذه العلاقة إلى أن توفي المعتصم بالله زمن عبور المرابطين إلى الأندلس بعد حكم دام أكثر من أربعين عاما (3).

لقد كان الصراع بين ملوك الطوائف سببا في ضعفهم ، وبالمقابـل كانـت قـوة النصارى ووحدتهم ، بزعامة الفونسو السادس الذي أخذ يضرب بعضهم ببعض ، حتى ظفر بالسيطرة على طليطـلة ــ كما سنرى ــ فكانت السبب الرئيسـي إلى لم شمـل ملـوك الطوائف للاستنصار بيوسف بن تاشفين ، كما سنرى .

هـيئـة دول الطـوائـف :

لقـد كان الصـراع بين ملوك الطـوائف من أجل اقتطاع جزء من أرض الغير ، أو الاستيلاء على مملكته ، حتى ولو أدى الأمر إلى عقد معاهدة مع النصارى ، أو دفع الجزية لهم (4)، فاضطربت الأوضاع السياسية ، وشاع العداء والتنافر والتنافس بينهم ،وآل أمرهم إلى المذلة والمهانة ، مع استمرار دفع الجزية للنصارى صاغرين ،وكأنهم لا يهتمون إلا بالبقاء في الحكم ، الذي دفع بهم إلى الارتماء في أحضان النصارى بالتعاون معهم ، أو بالتـهليل إذا ما سقط إقليم في أيديهم ، وتروي الأخبار لما سقطت طليطلة في يد الفونس السادس ، أخذ ملوك الطوائف يسعون إلى خطب وده مهنئين ، ويقدمون إليه الأموال ، حتى إن صـاحب شمنترية (5)حسام الدولة ابن رزيـن (6) ذهب إليـه بنفسه ومعه هدية سنية ليقره عاملا له على بلده ، فجازاه على هديته بقرد وهبه إليه (7) .

---

1 – انظر هذا البحث ..69

2 – انظر هذا البحث..71

3 –ابن عذارى .البيان المغرب.3: .168

4 – الأمير عبد الله . كتاب التبيان .69 ــ 70 .

5 – شنتمرية: انظر : مدينة في الأندلس على معظم البحر الأعظم ، وهي مدينة متوسطة القدر ، بينها وبين شلب ثمانيـة و عشـرون ميلاالحميري . الروض المعطار . 347.

6 – هو حسام الدولة اسمه يحي بن عبد الملك بن هذيل بن خلف بن رزين البربري، تقلد حكم شنتمرية بعد وفاة أبيـه 396 هــ ، وخلعه المرابطون بعد سنة واحدة من حكمه . انظر ترجمته : ابن عذارى . البيان المغرب . 3: .310

7 – ابن عذارى .المصدر نفسه . 3: 310 ، عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين .26.

وقد عبر ابن بسام عن هذه المأساة قائلا: ((لم يزل التخاذل يتزايــد ، والتــــــدابر يتساند ، حتى حلت الفاقرة ، وقضيت القضية ، وتعجلت البلية ، بحصول مدينة طليطلــة في أيدي النصارى)) (1) .

وقد عبر عن ذلك بصدق الشاعر ابن العسال(2) ، قائلا (3) :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرفه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ويرى ليفي بروفنسال ((أن طليطلة من أهم أحداث التاريخ الإسلامي في العصــور الوسطى ، وذلك لأنه كان تتويجا للجهود المضنية التي بذلت في حركة الاسترداد في القــرن الحادي عشر ، فقد كان له نفس الصدى الذي عند سقوط هذه المدينة ، يوم كانت عاصمة القوط الغربيين القديمة ، في أيدي المسلمين قبل ذلك)) (4) .

ومن هنا نجد الناس والشعراء يبكون طليطلة ، التي كانت واحدة من أكبر القواعــد الإســلامية ، وسقطت في وقت مبكر في يد الفونس السادس ، ورأى أن زمام الأنــدلس قد حصل في كفه ، فاتخذ لقب الإمبراطور (5) . عندئذ أدرك ملــوك الطوائــف حقيقــة موقفهم ، وخطورة تنابذهم وتنافرهم ، وشعروا بخطر الفناء يهدد مصائرهم جميعا ، اتجهت أنظارهم إلى الاستنصار بإخوانهم المرابطين ، ولبى أميرهم يوسف بن تاشفين(6) الــدعوة ، وعبر إلى الأندلس بجيوشه مجاهدا في سبيل الله .

وكانت معــركة الزلاقــة(7) بعد عام من سقــوط طليطلــــــة ، قــد قهــر فيها الجيــش الإسلامي النصارى ، وانسحب الفونسو السادس في فلــوله القليــلة مهيضا

---

1 - ابن بسام . الذخيرة .1/2: .249.

2 - هو أبو محمد عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال انظر : المقر . نفح الطيب.4: 352 .

3 – ابن بسام ز الذخيرة . 1/2: .250.

4 – ليفي بروفنسال . الإسلام في المغرب والأندلس ..120

5 – عنان ، محمد عبدالله. دول الطوائف 398 .

6 – هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين من قبيلة لمتونة سيدة الحلف الصنهاجي . ولد سنة 400 هــ وطال عمره فبلغ المائة وتوفي سنة 500 هــ . انظر ترجمته : ابن حلكان . وفيات الأعيان .7: 112 – 130 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 4: 21 – 28 ، أشباخ، يوسف . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين . 1: 70، 78 ،82 ، عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 313 .

7 – الــزلاقة : بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الأندلس ، فيها كانت الوقيعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية الفونسو السادس . انظر : الحميري . الروض المعطار . 287 .

مغلوبا (1) . وقد تركت هذه المعركة آثارا أدبية ، فعن ذلك نجد المعتمد بن عباد يصـــف الانتصار العظيم ، ويمدح ابن تاشفين ، فيقول (2) :

ويوم العروبة ذُدتَ العدا نصرت الهدى وأبيت الفرارا

ولولاكَ يا يوسف المُتَّقى رأينا الجزيرة للكُفـــر دارا

بهذا الفوز العظيم ، تلقب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ، وعاد إلى المغرب بعد أن ثبت للمعتمد بن عباد سلطته ، وأوصى ملوك الطوائف بالاتحاد ضد عدوهم المشترك ، وقبل الجميع وصيته(3)

وما كادت تنقضي ثلاث سنوات حتى أعاد النصارى الكرة ، وطلب المعتمد النجدة ثانية من ابن تاشفين ، بعد أن عبر البحر بنفسه إلى المغرب ، وشرح للأمير ما يلقاه المسلمون من شنيـــع وعيـــث النصارى في شرق الأندلس ، فأجابه إلى ملتمسه . وكان ابن تاشفين قد تلقى كثيرا من الكتب من فقهاء الأندلس وأعيانها يرجونه الإنجاد والعون(4) .

وأوفى ابن تاشفين وعبر المضيق بجنده سنة 381 هـــ ، إلى الجزيرة الخضراء ومنـــها استنفر الأندلسيين للجهاد ، فاستجابوا لطلبه ولبوا نداءه، فكون جيشا وقادهم إلى حصـــن لييـــط (5) وحاصر النصارى فيه مدة أربعة أشهر بلا جدوى (6) ، إذ فشل المسلمون في اقتحامه وأدركهم الشتاء (7) ، وأثناء الحصار اشتغل الأندلسيون في مشاكلهم الشخصية ـــ كما سنرى ـــ فاضطر ابن تاشفين إلى رفع الحصار عن الحصن (8) ، وعاد إلى المغـــرب ، وأخذ يستعد لتصفية أمراء الطوائف بعد أن تغيرت نفسه عليهم (9).وذلك بعدما شاهـــد

---

1 – راجع تفاصيل أحداث معركة الزلاقة :الأمير عبد الله . كتاب التبيان . 104. ابن بسام . الـــذخيرة .1/2: 504 ، الحمـــيري . الروض المعطار . 83 ، 98 ، المراكشي . المعجب .194 ، المقري . نفح الطيب .4: 354 .

2 - المعتمد بن عباد . ديوان .159 .

3 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان ..106

4 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف .353 .

5 – حصن لييط الواقع في منطقة مرسية على مقربة من لورقة فوق جرف عال متداخل في أراضي المسلمين بدر ، أحمد تاريخ الأنـــدلس التجزؤ ، السيادة المغربية.229 .

6 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 246 .

7 – روض القرطاس .99 .

8 – الأمير عبد الله . كتاب التبيان . 112 .

9 –ابن الخطيب . الحلل الموشية . 47 .

الخـــلاف والوقيعة بين هؤلاء الملوك ، فكان المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح يوقع كل منهما بالآخر لدى أمير المسلمين ، ويتهمه بمختلف التهم (1) ، وحتى الإخوة كانوا مثـــل الضرائر المتنازعة ، فأبناء بلكين بن زيري عبد الله وتميم أظهرا ما تجيش به نفسيهما من حقد وكراهية لبعضهما قلما أظهرا ذلك للعدو ، وكأن الأمير ليس له من عمل سوى مشـــاكل الإخوة (2).

وأما السبب الآخر فقد أساء ملوك الطوائف الظن في يوسف بن تاشفين ، وبـــادر بعضهم بربط الصلة مع الفونسو السادس من جديد على أساس البيعة والحماية ، فهذا ابـــن رشيق صاحب مرسية قدم معونة للنصارى أثناء حصار لييط من كورة تدمير (3) .وكذلك خرج كل من المعتمد وابن صمادح عن طاعة ابن تاشفين وجاهراه بالعصيان وطلبا العـــون والمساعدة من الفونسو السادس وقدما الهدايا (4).

وأما عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة فإنه يشير صراحة إلى اتصـــاله بالفونســـو السادس ، وقد دفع له الجزية ، بقوله: ((لهذا الوقت يحتاج الإنسان ما ادخر ليصون به بلده وعرضه ، وأنا جدير بأن أعطي ذلك من بيت مالي ، بحيث يسلم البلد ، وبحيـــث تشـــكر الرعية بمدافعة عدوها دون تكليفها شيئا ، ولا تقع الشَّنعة .

ورأيت مع ذلك أن أجدد معه عَقدا ألا يعترض لي بلدا ، ولا يغدرني بعدها ، خوفا أن يَقْتلِب علي ، فأجاب إلى العقد)) (5) .

وبادر بتحصين قلعته وملئها بالمؤن والعتاد ، فكان هو وملوك الطوائف هدفا لشـــعر السميسر (6) ، يقول (7) :

---

1 –عنان ، محمد عبدالله . دول الطوائف .325 .

2 – الأمير عبد الله .كتاب التبيان . .107

3 – الأمير عبد الله .المصدر نفسه . 112 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 257 ، 246.

4 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 5: 44 ، 7: 128 .

5 – الأمير عبد الله . كتاب التبيان . 125 .

6 – هو خلف بن فرج الإلبيري السميسر ، من أعلام الشعراء في عهد ملوك الطوائف ،واشتهر بالهجاء .انظر ترجمتـه: ابـن بسـام . الذخيرة. 2/1: 882 ، ابن سعيد . المغرب. 2: 100 ، ابن دحية . المطرب 93 ، المقيري . تفخ الطيب . 3: 412227 ، 291 .

7 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 885 .

ناد الملوك وقل لهم ما الذي أحدثتم

أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

ثم رأى الشعب المضطهد أن وطنه في خطر ، وجب إسقاط ملوكهم الذين خانوا الإسلام بتقاعسهم ، وخانوا الوطن بتناحرهم ، كما خانوا الشعب بجورهم وعسفهم ، قال السميسر (1) :

وليتم فما أحسنتم مذ وليتم ولا صنتم عمّن يصونكم عِرضا

ومن هنا جاءت فتوى فقهاء الأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف تعبيرا دينيا ورسميا عن هذه النقمة ، وابن تاشفين يستشيرهم في الأمور المهمة ، وكان على رأسهم قاضي غرناطة ابن القليعي (2) الذي على علاقة وطيدة به ، وقد أفتى بخلع ملوك الطوائف. أكابر فقهاء المشرق ، ومنهم الإمام الغزالي ، وأبو بكر الطرطوشي نزيل مصر يومئذ (3) .

وأما السبب الآخر ـــ كما يعتقد ـــ فقد أدرك يوسف بن تاشفين أن سقوط الأندلس بيد الفونسو السادس ، معناه سقوط خط الدفاع الشمالي للمغرب ، مما يؤدي إلى تهديد السواحل المغربية من قبل الأعداء ، فلا بد من اتخاذ الإجراءات قبل حدوث الكارثة .

وهكذا كان ضم الأندلس للمرابطين استجابة لنداء الشعب ،وبفتاوى من الفقهاء لإنقاذ الأندلس من السقوط المحتم بيد النصارى ، ودفاعا عن المغرب .

لقد اتسم القرن الخامس الهجري في الأندلس بسمة بارزة وهي :كثرة الحروب والمنازعات بين الخلفاء الأمويين والحموديين والفتيان العامريين بسبب الخلافة ، وكذلك بين ملوك الطوائف أنفسهم فيما بعد ، فكل واحد منهم يسعى للقضاء على جاره قصد التوسع والشهرة والجاه العريض . ومن هنا اضطربت الأوضاع السياسية بكثرة الثائرين .

ـــ سادت سياسة القسوة والبطش والضرب بقوة على يد الأعداء ، فالفتنة بدأت بقتل عبد الرحمن شنجول الذي أشعل نارها ،وقتل سليمان المستعين من قبل الحموديين ـــ

---

1 – المقري . نفح الطيب .4: 108.

2 – االأمير عبد الله .كتاب التبيان .119.

3 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 327 .

كما تقدم ـــ ثم نجد المعتضد بن عباد ، في عهد الطوائف ، يسجل له التاريخ أخبارا كـــثيرة في هذا المجال ، فيذكر أنه كان يحتفظ بجماجم أعدائه في خزانة قصره (1) .

شدة أحقاد خلفاء عهد الفتنة وملوك الطوائف لبعضهم البعض ، مما جعـــل العـــدو يسخف بهم ويحتقرهم ، يقـــول المراكشي: ((فأما ملـــوك الأندلس ، فلم يكن منهم أحد إلا ويؤدي إليه ـــ الفونسو السادس ـــ الإتاوة ، وهم كانوا أحقر في عينه وأقـــل مـــن أن يحتفل لهم))(2).

وكان من جراء ذلك بـــدء التنازل عن الحصون في عهد الفتنة ، وسقـــوط المدن في عهد الطوائف ، ومن أبرزها سقوط طليطلة كما تقدم .

وإزاء تفاقـــم الأحداث وتدهـــور الحالة السياسية وترديها ، نهض فقهاء الأنـــدلس إلى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين ـــ كما تقدم ـــ وأنجدهم في معركة الزلاقة ، وبعـــدها دخلت الأندلس في حكم المرابطين .

الحياة الاجتماعيـــة :

بعـــد الإشارة لأبرز السمات المميزة للظروف السياسية ، خلال القـــرن الخـــامس الهجري ، التي سادت المجتمع الأندلسي ، وفي ضوء تلك الظروف تحددت شخصية المجتمـــع الأندلسي ، وقد أسهمت دراسات (3) كثيرة في رسم صورته وتحديد ملامحه .

تألف المجتمع الأندلسي ، خلال القرن الجامس الهجري ، من عناصر بشرية متنوعـــة في أصولها وعقائدها وثقافاتها ، والتي عاشت متآخية ومتجانسة ، وكونت لنـــا الشخصـــية الأندلسية المتميزة .

العرب : دخل العرب الأندلس على شكل موجات بعد الفتح الإسلامي، وأطلـــق عليها المؤرخون اسم الطوالع ، وأول الطوالع ، طالعة موسى بن نصير ، ويسمون (بالبلديين) (4) ، ثم تعاقبت أفواج العرب بعدئذ من أهل الشام ويطلق عليهم (الشاميون) (5).

---

1 – انظر هذا البحث .62 .

2 – المراكشي . المعجب . 193 .

3 – مؤنس ، حسين .فجر الأندلس .

4 – ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس .43 .

5 – مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 14 .

لقد دخل العرب الأندلس على شكل موجات ، وانتشروا في أقاليمهـــا المختلفـــة ، وكانوا يمثلون أكثر القبائل العربية ؛ العدنانية منها والقحطانية (1). وهكذا أخذت الأندلس تموج بمن دخلها من العرب ، يقول المقري: ((واعلم أنه لما استقر قـــدم أهـــل الإســـلام بالأندلس وتتامَّ فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها ، فترل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعات أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان))(2).

ورغم هذه الكثرة للعرب في الأندلس إلا أنهم حافظوا على نســـبهم القبلـــي (3)، يدعمهم في ذلك اسقرارهم في المناطق الخصبة التي تفيض بالخيرات ، وبهـــذا اســـتطاعوا أن يكونوا نواة الأرستقراطية العربية التي ظلت غالبة على الأندلس (4)، إلى أن جاء المنصور بن أبي عامر وقطع التحامهم قصد إدماجهم في العناصر الأخرى ، ويشير المقـــري إلى ذلـــك بقوله: ((وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم في تعصبهم ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون في الجند الواحد فرق من كـــل قبيل ، فانحسمت مادة الفتن بالأندلس إلا ما جاء على غير هذه الجهة))(5) .

يتضح ـــ مما تقدم ـــ أن عرب الأندلس كانوا ((يمتلكون اقطاعات كبيرة)) (6) ، هذه الاقطاعات تركوا أمر زراعتها إلى المولدين ((ضمن شروط حرة أو مقيـــدة)) (7) ، بينما يقيمون هم في ضيعاتهم بالقرب من المدن ، بل ((وكانوا يفضلون سكنى المدينة))(8) لذلك كان عرب الأندلس يتمتعون بحياة الترف والنعيم ، أي ((ملوك)) (9) في حيـــاتهم وبخاصة في أيامهم الأولى ، لكن استقرارهم في حياة الترف والرخاء لم يبق كما كانوا عليه ،

---

1 – ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس . 20 . المقري . نفح الطيب . 1: 290 . ابن حزم . جمهرة أنساب العرب في كـــثير مـــن فصولها .

2 – المقري . المصدر نفسه . 1: 290 .

3 – الركابي ، جودت . في الدب الأندلسي . 36 .

4 – سالم ، عبد العزيز . تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس . 121 .

5 – المقري . نفح الطيب . 293 .

6 – سالم ، عبد العزيز . تاريخ المسلمين وآ ثارهم في الأندلس . 122 .

7 – الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي . 37 .

8 – الركابي ، جودت . المرجع نفسه . 37 .

9 – مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 43 .

بل قطع المنصور بن أبي عامر ـــ كما سلف ـــ التحامهم ذلك با عتماه على العنصر البربري ـــ كما سنوضح ـــ وظهر نفوذهم في إشبيلية ـــ في عهد الطوائف ـــ بقيادة بـــني عبـــاد والذين ثل عرشهم المرابطون كما تقدم .

الـــبربـــر :وهم سكان المغرب ، ومن قبائلهم زناتة وصنهاجة (1) . وأما ديانتهم فقد ثبت البحث أنهم كانوا يدينون بالوثنية كعبادة الكائنات والظواهر الطبيعية (2) ، يحدثنا التاريخ أنه ((كان لهم في القرن الأول قبل المسيح آلهة تحميهم تسمى أفريكا رأسها مغطـــى بجلد فيل)) (3) ، ثم تلا بعد ذلك وجود اليهودية و لم يعتنقها البربـــر(4) رغـــم ســـبقها للمسيحيـــة التي اعتنقـــها القلة منهـــم (5) ، لكن تدينهم هذا كان انتشاره ضعيفا بدليل أن العرب المسلمين لم يجدوا صعوبة في اجتذاب البربر إلى الإسلام ، حتى صاروا من أشـــد الناس تعصبا له ودفاعا عنه .

وبعد أن أسلم البربر قاموا بنشر الدين الإسلامي إلى جانب العرب ليعم المغرب كله، ثم بادروا بفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد البربري ، بل ربما الفتح الأول كـــان متوقفـــا على البربر وحدهم كما تشير بعض الدراسات الحديثة (6)، إلا أن المصادر العربية تكـــاد تجمع على قلة العرب إلى جانب البربر الذين يرجع إليهم فضل السبق في فتح الأندلس (7).

ومهما يكن من أمر فإن أعداد من اشترك من البربر في فتح الأندلس تزيد على أعداد العرب أضعافا ؛ منها من اشترك في الفتح ، ومنها من هاجر عقبه مباشرة ، وقد أشار المقري بقوله: ((وتسامع الناس من بر أهل العدوة بالفتح على طارق ، وسعة المغانم فيها ، فـــأقبلوا نحـــوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقـــوا

---

1 – ابن حزم . جمهرة أنساب العرب .495 – 502 .

2 – الجراري ، عباس . الأدب المغربي من ظواهره وقضاياه . 20 .

3 – الجراري ، عباس . المرجع نفسه . 20 نقلا عن تاريخ إفريقيا الشمالية لصاحبه جوليان ، شارل أندريه .تعريب محمد مزالي . الدار التونسية للنشر . 78 .

4 – الجراري ن عباس . المرجع نفسه .37 .

5 – الجراري ، عباس . المرجع نفسه . 36 ، سعدي ، عثان . الأمازيغ (البربر) عرب عاربة .57 .

6 – سالم ، عبد العزيز . تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس . 122 .

7 – مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 17 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 4: 320 ، المقري . نفح الطيب . 1: 231 .

بطارق وارتفع أهل الأندلس))(1) .

حقا إن هجرة البربر إلى الأندلس ــ كما تقدم ــ تزيد أضعاف أعداد العــرب ، وذلك راجع لحكم الجوار ، ويضيف صاحب فجر الأندلس عوامل أخرى تنحصــر في أن البربر لم يتعصبوا للجنس ، وتحمسوا للإسلام لأنهم بطبعهم جنس متــدين شــديد التعلــق بعقيدته ، فأظهروا العصبية للإسلام ، واجتهدوا في نشره (2) .

يستفاد ــ مما تقدم ــ أن البربر أسلموا عن اقتناع ، وجاهدوا في سبيل نشر الــدين الجديد إلىى جانب العرب في المغرب ، وسبقوهم في فتح الأندلس ، وشكلوا عنصرا بشــريا مهما فيه ، وعليهم اعتمد المنصور بن أبي عامر في تثبيت دولته ، وقهر الأعداء من النصارى، إلى قيام الفتنة فلحقهم الأذى من قبل الأندلسيين (3)، إلا أنهم صمدوا وقلــدوا ســليمان المستعين الخلافة (4)، ثم استقروا في مدينة غرناطة إلى أن خلفهم عليها المرابطون كما تقدم.

المــولدون : قبل التعريف بالمولدين علي أن أشير ــ بإيجاز ــ إلى سكان الأندلس الذين يعاصرون جيل البربر والعرب الفاتحين ، فالمؤرخون المسلمون القدامى يطلقون علــى سكان إسبانيا جميعا اسم ((العجم أو عجم الأندلس)) (5) ، وقد قسموهم أيضا إلى:

1 – العجم الذين احتفظوا بدينهم ، فيسمونهم أهل الذمة كما سنرى .

2 – العجم الذين اعتنقوا الإسلام ، فأطلقوا عليهم اسم المسالمة ، وأطلقــوا اســم المولدين على نسلهم (6)، فمن هم المولدون ؟

كان الفاتحون البربر والعرب قد دخلوا الأندلس في شكل جنود ، وبقــوا في هــذه البلاد الجديدة خلال السنين الأولى(7) تاركين نساءهم في بلادهم ، وأقبلوا على مصــاهرة الإسبان ، أهل البلاد ومضوا على هذا النحو يتزوجون من الإسبانيات ما شاءوا ، وعاشروا أهل البلاد وجاوروهم ، وعن طريق العشرة والمجاورة والمصاهرة ، انتشر الإسلام في الأندلس

---

1 – المقري . المصدر السابق . 1: 259 .
2 – مؤنس ، حسين . فجر الأندلس . 389 .
3 – انظر هذا البحث .22 – 26 .
4 – انظر هذا البحث . 26
5 – ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس . 36 .
6 – الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي . 35 .
7 – الركابي ، جودت . المرجع نفسه . 34 .

انتشارا تجاوز كل تقدير في الحسبان ، يقول حسين مؤنس: ((قد ارتبط الكثيرون من العرب والبربر بعلاقات المصاهرة مع أهل البلاد ، وعاشوا معهم متجاورين متساوين ، وعن طريق هذا التجاور انتشر الإسلام بين أهل الجزيرة)) (1) .

هكذا عن طريق المجاورة والعشرة والمصاهرة امتزجت دماء الفاتحين من البربر والعرب بدماء أهل البلاد ، ونشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا بالمولدين — كما تقدم — ونشأوا على الإسلام . ولعل عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج بإسبانية ؛ إذ تزوج بأرملة ((لذريق)) ويقال لها : ((أم عاصم)) (2)، وحذا حذوه كثير من المسلمين الفاتحين أمثال عيسى بن مزاحم الذي تزوج من سارة القوطية بنت المنذر بن غيطشة (3) ، وغيرهما كثير ، يقول جودت الركابي : ((كان المولدون يؤلفون القسم الأكبر من شعب الدولة الأموية . لقد اعتنقوا الإسلام بسرعة ومن الصعب بعد عدة أجيال مضت ، تمييزهم عن المسلمين الذين جاءوا الجزيرة)) (4) .

يستشف — مما تقدم — أن المولدين كانوا يؤلفون زمن الدولة الأموية الكثرة الغالبة من السكان ، ومنهم تكونت جماهير الأندلس ، وأهل البيوتات ، وكان فيهم من احتفظ باسمه الإسباني لأنه ابن إسبانية أو جدته إسبانية (5) ، إلى جانب جريان الدم الإسباني في عروق البربري والعربي ، أمثال الخليفة هشام المؤيد بالله ، وعبد الرحمن شنجول وغيرهما ، يقول جودت الركابي : ((لاشك أن الصلات أصبحت وثيقة بين العرب والمولدين على إثر الاختلاط والزواج ولم يبق بين أكثر العرب من لايجري في عروقه دم إسباني ، وهذا الاختلاط قد كثر زمن الدولة الأموية)) (6) ، ويوضح ذلك حسين مؤنس ، فيقول: ((فالأجيال الثانية من هؤلاء العرب جميعا لايمكن أن يكونوا عربا من ناحية الدم ، بل ربما جاز اعتبارهم مولدين ، وحتى البيت الأموي نفسه كان بيتا مولدا ، إنما كانوا عربا بالإحساس

---

1 – مؤنس ، حسين . فجر الأندلس . 27 – 28 .

2 – مؤلف مجهول . أخبار مجموعة ..27

3 ابن القوطبة . تاريخ افتتاح الأندلس . 32 ، 30 .

4 – الركابي ، جودت . في الأدب الندلسي . 35 .

5 – انظر : عبد البديع ، لطفي . الإسلام في إسبانيا . 24.

6 – الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي . 36 .

والاتجاه واللغة إلى حد كبير)) (1) .

إذا فالمولدون يشكلون أبرز عناصر المجتمع الأندلسي ، وأهم مكوناته البشرية، وقــد ظل اسم المولدين يطلق عليهم حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ثم تلاشت هــذه التســمية بسبب اختــلاط الناس وتحول أهل المملكة الإســلامية في الأنــدلس إلى أندلســيين دون تمييز (2) .

أهــل الــذمة : وهم الإسبان الذين بقوا على مسيحيتهم و لم يدخلوا في الإسلام ، وهؤلاء يرون أن البربروالعرب دخلاء عليهم ، وأنهم أحق بملــك بلادهــم (3) ، وكــان عددهم أكثر بكثير من عدد المسالمة والمولدين أول الأمر ، ثم لم يزل عدد هؤلاء الأخيريــن يزداد حتى أصبحوا معظم سكان الأنــدلس (4) . وقد عــومل أهل الــــذمة (5) منــذ الفتح الإسلامي معاملة طيبة ، فتمتعوا بحرية كبيرة في إقامة شــعائر دينــهم في كنائســهم وإديرتهم (6) ، وكان لهم في كل مدينة رئيس يعرف بالقومس (7) يدير أمورهم في تلــك الإديرة والكنائس التي يرق للشعراء ارتيادها ، فقد أورد ابن خاقان وصفا شعريا لإحــدى الكنائس التي بات فيها أبو عامر ابن شهيد ، قال: ((وبات ليلة بإحدى كنائس قرطبة وقــد فرشت بأضغاث آس ...وقرع النواقيس يُبهج سمعه وبرق الحميَّا يُسرِج لمعه ، والقُسُّ برز في عَبَدة المسيح ، متوشِّحا بالدنانير أبدع توشيح)) (8) .

يتضــح من هذا الوصف أن المسلمين كانوا متسامحين مع أهل الذمة ، وتركــوهم

---

1 – مؤنس ، حسين . فجر الأندلس . 376 .

2 – مؤنس ، حسين . المرجع نفسه . 425 .

3 – أمين ، أحمد . ظهر الإسلام . 3: 2 .

4 – مؤنس ، حسين . فجر الأندلس .429 .

5 – أطلق المسلمون على أهل الأندلس جميعا اسم العجم أو عجم الأندلس ــ كما تفدم ــ ثم لما تمكن سلطانهم أطلقوا عليهم أهل الذمة ، وهم النصارى الذين يعيشون بين مسلمي الأندلس وأصبحوا في ذمتهم ، فعلى المسلمين حمايتهم وتوفير الأمان لهم ، وسموا بالنصارى المعاهدين.انظر تفاصيل ذلك : فجر الأندلس لحسين مؤنس 424 ،ودول الطوائف لمحمد عبد الله عنان .409 – 415 ، والعلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانية النصرانية في عصر بني أمية وملك الطوائف لرجب محمد عبد الحليم .69،51 ، والشعر الأندلسي في عصر الطوائف لهنري بيريس . 247 .

6 – مؤنس ، حسين . المرجع نفسه .447 .

7 – كان أرطباس بن غيطشة آخر ملوك القوط أول قمامسة الأندلس وله عبد الرحمن بن معاوية .انظر : اين القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس.29 ، 58 .

8 – الفتح بن خاقان . مطمح الأنفس . 194 – 195 ، ابن شهيد الأندلسي . ديوانه ورسائله .61 .

يمارســـون شعائر دينهم في حرية تامة في كنائسهم التي يبهجها قرع النواقيس ، حتى نظـــم ابن حزم فيها ذكر لقرعها ، منها(1):

أَتيتني وهـــلالُ الجـــو مُطَّلعُ   قبيـــلَ قَرع النصـــارى للنواقيسِ

هكذا كان أهل الذمة يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة بهـــم في المدن ، وإن كان ذلك لم يمنعهم من مخالطة السكان (2) ، بقيادة القسومس ، كما كان لهم قاض نصراني يفصل في منازعاتهم بمقتضى القانون القوطي (3)، يعرف بقاضي العجم (4) . وأما ما يحدث بين مسلم وذمي من منازعات فالفيصل فيها للشريعة الإسلامية (5).

بهذا التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه أهل الذمة من نصارى الأنـــدلس ، أســـلم الكثير منهم (6)، وأقبل على تعلم اللغة العربية التي مكنتهم من دراسة الشعر العربي ونشره ، بل ولهم دور كبير في ترجمة الكتب الإسبانية بحكم إجادتهم للغتين ، فكانوا على هذا النحو حلقة الاتصال بين الثقافة العربية والأوربية (7) .

لعل ما حظي به أهل الذمة من تسامح وطمأنينة ، جعل الكثير منهم يســـلم عـــن طواعية ، فقل عددهم وأصبحوا موزعين على مدن الأندلس في ظل الدولة الإسلامية ، بـــل إن الناهين منهم تمتع بعطف الخلفاء ، وثقتهم ، وتقديرهم ، وشغل الكثير منهم مناصـــب هامة في الإدارة وفي القصر وفي الجيش (8) ، ففي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 هـــ ـــ 272 هـــ) ، استخدم ((القومس)) كاتبا مدة طويلة أثناء مرض الوزير عبد الله بن أمية (9) ، ولما مات هذا الوزير ، علم القومـــس أن الأمير محمـــد ، يقول : ((لو كان

---

1 – ابن حزم . طوق الحمامة . 193 .

2 – غبد البديع ، لطفي . الإسلام في إسبانيا . 28 .

3 – مؤنس ، حسين . فجر الندلس . 447 .

4 – ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس . 13 .

5 – النباهي . تاريخ قضاة الأندلس . 21 .

6 – الحجي ، عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي .143 ، عبد العظيم ، رجب محمد . العلاقات بين لأندلس الإســـلامية وإســـبانية النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف . 74 .

7 - سالم ، عبد العزيز . تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس .132 .

8 – بيريس ، هنري . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . 247 ، عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 409 ، عبـــد العظـــيم ، رجب محمد . العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانية النصرانية . 71 ، 73 .

9 – عبد العظيم ، رجب محمد . نفس المرجع . 72 .

قومس من أهل ملتنا لاستحجبناه)) (1) ، فما كان منه إلا أن أسلم ، وبلغ المكانة التىكان يتطلع إليها ، وأخلـــــص للدين الجديد ، حتى عـــده الناس رمز التقوى ، وأطلقوا عليـــه لقب ((حمامة المسجـــد))(2) .

وقد قلد الخليفة الناصر يحي بن إسحاق الوزارة ، وأبوه إسحاق هذا كان نصـــرانيا طبيبا مجربا (3) .

أما المسيحيون الذين لم يكونوا خاضعين للإسلام فقد اعتمد عليهم المسلمون حتى في قيادة الجيوش ضد نصارى الشمال كما هو الشأن مع عبد الرحمن شنجول وشـــنجة بـــن غرسية (4)، وفي عهد الفتنة استعان بنصارى برشلونة وطرطوشة ضد المستعين بالله (5)

وبعد الفتنة وانهيار الخلافة الأموية ، وقيام دول الطوائف ، لقي النصارى المعاهـــدين نفس المعاملة الكريمة من قبلهم ؛ فهذا أبو الوليد بن جهور ندب ابن زيدون الشاعر ((النظر على أهل الذمة في بعض الأمور المعترضة)) (6) .

و لم تقتصر هذه العناية بشؤون النصارى المعاهدين على قرطبة ، بل كان معظم دول الطوائف الأخرى لهم في بلاطهم مكانة وظهور ، ففي بني عباد منهم ابـــن المـــارغري(7) الإشبيلي الذي ظهر أيام المعتمد بن عباد وكان من المقربين إليه (8) .

أما في شرق الأندلس فإن النصارى المعاهدين تمتعوا بالرعاية والتسامح ، فقد كـــان الفتيان العامريون من أشد الناس تسامحا مع المعاهدين ، فهـــذا مجاهد العامري صاحب مملكة دانيـــة ، اشتهر في بلاطه من النصارى أبوعامر بن غرسية (9) ، وكان شعوبيا يكره العرب

---

1 – دوزي ، زينهرت . المسلمون في إسبانيا . 1: 120 .

2 – الخشني . تاريخ قضاة قرطبة . 160 .

3 – صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 187 .

4 – انظر هذا البحث . 19 .

5 – انظر هذا البحث .20 .

6 - ابن الأبار . أعتاب الكتاب . 212 – 213 .

7 - ويقول هنري بيريس : ورد المرعزي في نفح الطيب . 3: 521 .وفي المغرب في حلى المغـــرب 2: 264، المرهـــز ، وكلاهمـــا تصحيف، وصحة الاسم المارغري ، لأن أصله إسباني .الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . 306 هامش 9 .

8 – انظر : ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب 1: 269 ، المقري . نفح الطيب . 3: 521 .

9 – هو أبو أحمد بن غرسية ، من ابناء البشكنس ، سبي صغيرا وعاش في كنف مجاهد العامري ، وكان من كبار أدباء عصره . انظـــر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 3/2: 704 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 406 .

ويتعصب للإسبان ، فقد كتب رسالة ذم فيها العرب ، وافتخر بقومه العجم ، لكن بعـــض كتا ب عصره ردوا عليه وألجموه حتى أسكتوه (1)، وكان المقتدر بن هود ، من أعظم ملوك سرقسطة من أشد أنصار هذا التسامح ، وكان من بين وزرائه المقربين وزير نصـــراني هو أبو عامر بن غند شلب ، وكان أديبا شاعرا (2) ،

كما اعتمد بنو هود على المرتزقة النصارى في جيوشهم بصفة مستمرة ، وكانوا أول من استخدم السيد القنبيطور(3)، واعتمدوا على محالفته زمانا (4) .

وهكذا باقي ملوك الطوائف ، كانوا يتبعون سياسة الاعتدال والتسامح نحو رعاياهم النصارى . وعلى الرغم من هذه الرعاية والحماية ، وهذا التسامح الذي حظي به النصارى المعاهدون في ظل الحكم الإسلامي ، وفي عهد الطوائف ، ((إلا أنهم لم يشعروا قط بعاطفة من الولاء نحو تلك الحكومات المسلمة، بل لبثوا دائما علـــى ضـــغنهم وخصـــومتهم لهـــا وتربصهم بها ينتهزون أية فرصة للإيقاع بها))(5) ، وساعدهم على ذلك تحريض نصـــارى الشمال ((والروايات النصرانية لاتشير إلى هذا التحريض المتعمد إلا عرضا ، بينما تصـــمت عنه الروايات العربية ولا تشير إليه أدنى إشارة)) (6).

لقد لعب النصارى المعاهدون دورا بارزا في معونة نصارى الشمال وبتحريض منهم في غزو الممالك الإسلامية ، تمهيدا للقضاء عليها وسقوطها في أيدي ملوك النصارى ، وتجلى ذلك في أثناء محاصرة طليطلـــة من قبل ألفونسو السادس ، الأمـــر الذي أدى إلى سقوطها،

---

1 – اتظر رسالة ابن غرسية والرد عليها في : الذخيرة .2/3: 705 – 755 .

2 –المقري . نفح الطيب .1: 534 ، 3: 405 . عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 412 .

3 – تشير إليه المصادر التاريخية باسم القنبيطور أو الكنبيطور أو الكبيطور االكمبيدور،واسمه رودريجو دياث دي بيبار ، فارس قشتالي ، ولد في مدينة برغش حوالى 435 هـــ ، ورد اسمه أيضا لذريق أو روذريق . تربى في البيت الملكي ، وكان من جنود شانجة أخي الفونسو السادس ، وهذا الأخير نفاه سنة 474 هـــ ، واتجه إلى مملكة سرقسطة ، ورحب به المقتدر بن هود ، والتحق بخدمته ، وأطلق عليه اسم ((السيد)) بمعنى مولاي ، وتمكن السيد القنبيطور من السيطرة على مملكة بلنسية عام 487 هـــ ، وظلت تحت سيادته حتى وفاته عام 491 هـــ . انظر ترجمته : ابن الأبار . الحلة السيراء . 1: 125 هامش 1 ، بروفنسال ، ليفي . الإسلام في المغرب والأندلس . 175 – 183 ، عنان محمد عبد الله . دول الطوائف .232 ، ملحمة السيد ترجمة الطاهر أحمد مكي .83 – 88 ، 128 – 135 ، الحجي ، عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي .369 ، مرسي صالح ، نادية . العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانية المسيحية .61 هامش 1 ، لين بول . فصة العرب في إسبانبة .173 .

4 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 412 .

5 – عنان ، محمد عبد الله . نفس المرجع . 413 .

6 – عبد العظيم ، زجب محمد . العلاقات الإسلامية وإسسبانية النصرانية . 81 .

كما تقدم ، وهذا ما يعبر عنه بيدال بقوله: ((إن نجم المعاهدين قد بزغ ثانية عقب انحــلال الدولة الأندلسية وقيام دول الطوائف الضعيفة ، واستطاعوا أن يؤدوا خدمات جليلة لقضية النصرانية والاسترداد النصراني)) (1) .

وبعد توحيد بلاد الأندلس تحت إمرة المرابطين ، قرر أمير المسلمين وفقــا لفتــاوى الفقهاء (2) ، تغريب النصارى المعاهدين ، لأنهم نقضوا العهد وخرجــوا عــن الذمــة ، وأبعدت منهم بناء على ذلك ألوف عديدة ، فرقت في أنحاء إفريقيا (3).

اليــهود : لم يكن أهل الذمة من نصارى الأندلس وحدهم مع العناصر البشــرية ، التي قطنت الأندلس ، بل هناك عنصر اليهود(4) ؛ هؤلاء كان عددهم كبيرا فيه قبل الفتح الإسلامي وقد قدر بعض المؤرخين عددهم بما يزيد عن مئة ألف (5) ، وقد عانوا كثيرا من اضطهاد القوط لهم ، ولقد حرموهم من إقامة شعائرهم الدينية ، وأرغموهم على التنصــر، وصادروا ربع أملاك من ظلوا على اليهودية ، وتتبعوهم بالطرد (6).

ويبدو أن هذا الاضطهاد حفز يهود إسبانيا من الاتصال بأبناء ملتهم في شمال إفريقيا بعد أن علموا بالحرية الدينبة التي كانوا يتمتعون بها في ظل الحكم الإسلامي ، وقد دفعهــم ذلك إلى محاولة إسقاط الدولة القوطية والاستعانة بالفاتحين المســلمين (7) ، ولايســتبعد اتصال اليهود بهم وتحريضهم إياهم على المسير إلى إسبانيا ــ على الرغم من قلــة الأدلــة التاريخية على ذلك ــ لأن القادة المسلمين عاملوهم أحسن معاملة عند دخولهم الأنــدلس ، ويعهدون إليهم بحراسة المدن المفتوحة مع طائفة من الفاتحين (8).

لقــد تمتع اليهود بتسامح كبير من جانب الفاتحين المسلمين لمؤازرتهم لهم عند الفتح

1 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف .413. نقلا عن الأستاذ بيدال . الأصل الإسباني .424 .

2 – ابن عبدون . رسالة في الحسبة . 55 ، 57 .

3 – ابن الخطيب .الحلل الموشية . 70 – 71 .

4 - سالم ، عبد العزيز .تاريخ المسلمين وآثارهم في الأنداس . 132 .

5 –ماكيب جوزيف .مدينة العرب في الأندلس . 58 .

6 مؤنس ، حسين . فجر الأندلس . 522 .

7 – العبادي ، أحمد مختار . في تاريخ المغرب والأندلس . 50 .

8 - مؤلف مجهول . أخبار مجموعة . 22 ، 25 .

وبعده (1) . وكانت مدينة إلبيرة التي حل محلها مدينة غرناطة ـــ كما سنرى ـــ تزخر بأكبرجالية يهودية حتى سميت ((بغرناطة اليهود)) (2)

نستخلص من قول ابن الخطيب والحميري أن اليهود كانوا يؤلفون الكثرة الغالبة من سكان بعض المدن الأندلسية ـــ كإلبيرة ـــ وازداد عددهم في عهد الخلافة الأموية ، وبخاصة قرطبة ؛ إذ كانوا يمتهنون فيها تجارة العبيد ، وبيع أدوات الزينة (3).

وكان لليهود بيعهم ورجال دينهم ، يمارسون شعائرهم ما أحبوا ، وقد تقلد بعضهم في بعض مناصب الدولة ولاسيما في عهد الخلافة ، من أمثال حسداي بن شبروط الذي كان وزيرا وسفيرا وطبيبا للخليفة عبد الرحمن الناصر(4) ، وكذلك تمتع الوزير اليهودي أبو الفضل بن حسداي(5) لدى ملوك بني هود قي سرقسطة (6)، ولاشك أن مملكة غرناطة كانت موقوفة على سكنى اليهود ـــ كما تقدم ـــ فهي المدينة المفضلة لديهم في القرن الخامس الهجري، وظل اثنان من الوزراء اليهود وهما: إسماعيل وابنه يوسف (7) يوجهان سياسة بني زيري إلى أن قضى السكان على يوسف وجمع غفير من اليهود(8) .

كان اليهود مندمجين في الحياة اليومية مع كل طبقات المجتمع ؛ فانكبوا على التجارة ومارسوا مختلف المهن وتقلدوا مناصب سامية في ظل الدولة الإسلامية وفي عهد ملوك الطوائف إلى أن ((خفت صوتهم ـــ شأنهم شأن النصارى ـــ في عهدي المرابطين والموحدين، وتحولوا آخر الأمر للعمل في الممالك المسيحية)) (9).

---

1 – ابن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة .1: 17 .

2 – الحميري . الروض المعطار . 45 .

3 – الرطابي ، جودت . في الأدب الأندلسي .41 .

4 – بيريس ، هنري . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ز239 – 240 .

5 – هو حسداي بن يوسف بن حسداي من بيت شرف اليهود بالأندلس . انظر ترجمنه : صاعد الأندلسي . طبقات الأمم .205 .ابن سعيد . المغرب في حلى المعرب . 2: 241 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/3: 457 ، ابن دحية . المطرب . 196 ، الفتح بن خاقان . قلائد العقيان. 209 - 210 ، المقري . نفح الطيب . 535 هامش 1.

6 – بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي .122 .

7 – انظر هذا البحث ترجمتيهما . 66 هامش 2 ، 67 هامش 1 .

8 – انظر هذا البحث . 69 .

9 – النوش ، حسن أحمد . التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي . 50 .

الصقـــالبـــة : إلى جانب العناصر البشرية التي ذكرناها ، هناك طبقـــة اجتماعيـــة متميزة أخذت تلعب دورا سياسيا واجتماعيا هاما ، ولاسيما في قرطبة ألا وهي طبقة الرقيق المنحدرين إلى الأندلس عن طريق التجارة والسبي ، فمن تكون ؟ ومن أي أصـــل انحـــدر أفرادها ؟ومتى شكلوا هذه الطبقة الاجتماعية ؟

أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون اسم ((الصقالبة)) (1) على الشـــعوب الـــتي كانت تقطن الأراضي الممتدة بين الأستانة وبلاد المجر (2). على أن اسم صقالبة ،كان يطلق في الأصل على جميع الأسرى الذين كانت تأسرهم الجيوش الجرمانية في حملاتها ضد الأمـــم الصقلبية ، ثم يبيعونهم إلى المسلمين في الأندلس (3) ، ثم توسع المسلمون في استعمال هذا ، فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية (4). وأما طريقهم إلى الأنـــدلس فقد كان يخترق ألمانيا وإلى الموانئ البحرية بإيطاليا وفرنسا (5) .

أما تاريخ استعمال الصقالبة ، فإنه يعود إلى وقت مبكر ، يذكر الرحالة ابن حوقـــل الذي زار الأندلس زمن الخليفة الحكم الثاني (6) ، يـــذكر أن الصـــقالبة في الأنـــدلس لم ينحدروا من ساحل البحر الأسود فقط ، بل هم أيضا من جهة جليقيـــة وبـــلاد الإفـــرنج وغيرهما من الجهات كالمغرب التي جلبت الكثير منهم (7) ، ويوضح جودت الركابي ذلك، بقوله: ((فقد كان أكثرهم أسرى جلبهم رجال من القراصنة المغاربة والأندلسيين في أثنـــاء غاراتهم على الشواطئ الأوربية للبحر الأبيض المتوسط)) (8).

يتضح ـــ مما تقدم ـــ أن الصقالبة كانوا يجلبون من بقاع أوربية عديدة ، وقد عمد

---

1 – ابن حوقل . صورة الأرض . 110 . وأطلق عليهم ابن بسام اسم ((المجا جيب) . الذخيرة . 1/4: 34 . وأطلق علـــيهم ابـــن عذارى((العلوج)) . كما ترد تسميتهم ((بالخرس)) لعجمتهم . البيان المغرب .3: 162.وأما المقري فإنه يطلق عليهم ((المماليك)) ، أو الصقالبة . نفح الطيب . 1: 398 .

2 – العبادي ، أحمد مختار . الصقالبة في الأندلس .8 .تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 2 .

3 – دوزي ، رينهورت . المسلمون في الأندلس . 2: 37 .

4 – العبادي ، أحمد مختار . الصقالبة في الأندلس . 31 .

5 – متز ، آدم الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري .1: 270 .

6 – الزركلي . الأعلام . 6: 344 .

7 – ابن حوقل . صورة الأرض . 110 .

8 – الركابي . جودت . في الأدب الأندلسي . 39 .

مسلمو الأندلس شراء هم لاستخدامهم ، وبخاصة في عهد الخلافة الأموية (1) كجنود حتى وصل البعض منهم إلى المراتب الرفيعة والشرطة والخدم (2) .

وقد كون الخلفاء ، في القرن الرابع الهجري ، من الصقالبة حرسا خاصا يعتمدون عليهم كل الاعتماد ، والخضيان منهم كانوا يهيئون لخدمة الحريم ، وقد اشتهروا بالخدمة المخلصة الأمينة (3) ، وعملية الخصاء ـــ المجافية للإنسانية ـــ كان يتولاها تجار مختصون من اليهود ، يذكر ابن حوقل ((أن الخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود)) (4) ، وكانوا كثيرا ما يموتون بسبب الجراحة ، وثمنهم أغلى من العاديين (5) .

وعملية الخصاء هذه يقوم بها تجار اليهود ـــ كما أشار ابن حوقل ـــ فلهم صيادون ومعامل لخصائهم في جنوب فرنسا وفي مدينة ((فردان)) منها بخاصة (6) ، وكانوا على الأغلب صغار السن عند مجيئهم الأندلس ، ولكن سرعان ما يتعلمون العربية ، وفنون الفروسية ، ويتأدبون بآداب المجتمع الأندلسي (7).

وقد اقتنى منهم المسلمون ـــ في القرن الرابع ـــ عددا هائلا ، حتى ذكر أنه كان يوجد في بعض الأحيان أكثر من خمسة عشر ألفا في قرطبة منهم في مدينة الزهراء وحدهم أكثر من ثلاثة آلاف (8) ، لكن المنصور بن أبي عامر أدرك خطورتهم على سلطانه ، فعمل على استئصالهم وإخراجهم من القصر ، وولى صقالبة غيرهم ممن يرضاهم هو عرفوا باسم الفتيان أو المماليك العامرية (9) .

1- العبادي ، أحمد مختار . الصقالبة في الأندلس . 9 .

2- المقري . نفح الطيب . 1: 366 ، 386 ، 387 .

3 – بيريس ن هنري ز الشعر الأندلسي في عهد الطوائف . 233 .

4 – ابن حوقل . صورة الأرض . 110 .

5 – تشركوا ، كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 4 .

6 – بروفنسال ، ليفي . الحضارة العربية في إسنانية . .111

7 – عبد البديع ، لطفي . الإسلام في إسبانية . 35 .

8 – المقري . نفح الطيب . 1: 567 . ويذكر ابن الخطيب أن عددهمكان بالتحديدبمدينة الزهراء: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين . أعمال الأعلام . 40 .

9 – كان عدد الصقالبة خدام القصر الذين نكبهم المنصور ثمانمائة أو يزيدون وعلى رأسهم فائق وجؤذر . انظر : المقري . نفح الطيب . 1 : 396 ، 397 .

ولقد استطاع فريق أن يتحرر من العبودية ، ويشغل مكانا لائقابه في الحياة الاجتماعية ، ومنهم من امتلك أراضي وأصبح غنيا(1)، ونبغت طائفة منهم في العلم والأدب ؛ فكان منهم الشعراء والكتاب والمؤلفون ، وقد خصهم حبيب الصقلبي بكتاب ذكر فيه مآثرهم ، سماه ((كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة))(2) ، وهو مع الأسف مفقود .

وقد لعب الصقالبة دورا أساسيا بوجه عام ، فشاركوا في المؤامرات في قرطبة وسائر الأندلس ، في عهد الفتنة (3)، وسرعان ما تمكنوا من الانفراد بالسلطة في شرق الأندلس، في القرن الخامس الهجري ، في المرية ودانية وبلنسية وجزائر البحر الأبيض المتوسط (4)، ولكن صوتهم خفت في عهد المرابطين والموحدين حتى لانكاد نسمع عليهم شيئا .

تلك لمحة عابرة تصور عناصر المجتمع الأندلسي ، وطبيعته والديانات التي يعتنقها ، الشيء الذي أدى إلى عدم وحدتها ، يقول شوقي ضيف: ((شاركت في التكوين البشري لإيبيريا أجناس كثيرة منها الآسيوي والإفريقي والأوربي ، ولذلك أصبحت في دمائها القارات الثلاث ، مما حال دون قيام وحدة سياسية فيها)) (5)

ولعل عدم قيام وحدة سياسية ، خلال القرن الخامس الهجري ، طعمها سيرة أمراء الطوائف السيئة تجاه الرعية بالاستئثار بخيرات البلاد لصالحهم ، وفرض الضرائب الباهضة على الرعية ، لتأمين أنفسهم وممالكهم من هجمات الأعداء الجيران ـــ كما تقدم ـــ ومن نصارى الشمال بدفع الأتاوة والهدايا للتقرب منهم ، ثم إقبالهم على حياة الترف والبذخ، وقد تجلى ذلك واضحا في شرب الخمور(6) ، واقتناء الجواري(7) ، وارتكاب المعاصي(8)

---

1 – الركابي ، جودت . في الدب الأندلسي .39 .
2 – ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة . 1 :238 .
3 – انظر هذا البحث . 220 ، 22 .
4 – انظر هذا البحث 71 – 75 .
5 – ضيف ، شوقي . عصر الدول والإمارات ـــ الأندلس .15.
6 – أنظر :هذا البحث . 62 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 55 .
7 – انظـــر : ابن بسام . الذخيرة . 3/1: 112 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 43 ،المقري . نفح الطيب . 4: 170 ، 286 .
8 – أورد ابن الأبار عن كثرة حب المعتضد ان عباد للنساء ومخاطتهن إلى أن ((افتض ثمانمائة بكر)) . الحلة السيراء . 2: 43.

وسماع الغناء (1) ، وبناء القصور(2) ، والإسراف والتبذير في إقامة الاحتفالات (3).

وفي تنافس أمراء الطوائف في بناء القصور ، أورد ابن بسام قول ابن حيان يصف ما استحدثه مظفر ومبارك في بلنسية : ((وسلك مبارك ومظفر سبيل الملوك الجبابرة في إشـادة البناء والقصور ، والتناهي في عليات الأمور ، إلى أبعد الغايات ومنتهى النهايات ، بما أبقيـا شأنهما حديثا لمن بعدهما . واشتمل هذا الرأي أيضا على جميع أصحابهما ومن تعلق بهما من وزرائهما وكتابهما ، فاحتذوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في تراهـات مُضـلة ، وتسكعوا في أشغال متصلة ، لاهين عما كان يومئذ فيه الأمة ... فنفـق سـوق المتـاع ، وبعقوتهم وبعثر عن ذخائر الأملاك لقصرهم ، وضرب تجارُهما أوجه الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية وفوق ملء فؤاد الأمنية ، فما شئت من طِرف رائع ، ومركب ثقيل ، وملبس رفيع جليل ، وخادم نبيل ، وآلات متشاكلة وأمور متقابلة ، تـروق النـاظرين ، وتُغيظ الحاسدين)) (4) .

و لم يكن هذا الثراء خاصا بذوي القصور والأمراء ، بل كان يشمل طبقات أخـرى من الناس ، من أبرزهم التجار ، والمقربون من الحكام ، وطبقة الفقهاء (5).

وكانت طبقة الفلاحين التي تمثل الأغلبية من أبناء المجتمع الأندلسي ، أكثر الطبقات الاجتماعية تأثرا بهذا الاضطراب الاجتماعي ، إلى جانب أنها أول ضحايا القحط والمجاعـة، وكانت أكثر من يصاب بالاضطـرابات والحروب الداخلية أو الخارجية من حرق للمزارع وخراب للبساتين (6) ، فلا غرابة إذا سمعنا ابن عذارى يتحدث عن حالة الفلاحين المحزنة

---

1 – انظر : ابن بسام . الذخيرة .2/1: 863 ، 1/2: 385 ، المقري . نفح الطيب . 3: 614 – 615 ، 4: 94 – 96 .

2 – أنظر : ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب .1: 381 ، 2: 9 ، المقري. نفح الطيب . 1: 534 ، ابن الأبار . الحلة السيراء. 2: 69 ، سالم ،السيد عبد العزيز . في تاريخ وحضارة الإسلام قي الأندلس .194 – 200 .

3 – ذكر ابن بسام أن المامون بن ذي النون أقام حفلا بمناسة ختان ابنه يحي ، ((فحشد أمراء البلاد ، وجملة والوزراء والقواد ، فـأقبلوا إليه كالقَطا القارب أرسالا)) الذخيرة . 1/4: 128 ، ويذكره المقري ، بقوله : ((واهم الإعذار المشهور الذي يقال له : اعذار الذُّنُّني، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب)) .نفح الطيب . 1:ى .440

4 – ابن بسام . الذخيرة . 1/3: 17 .

5 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين .42 .

6 – خالص ، صلاح . إشبيلية في القرن الخامس الهجري .32 .

ولاسيما فلاحو بلنسية حين كان يحكمها مظفر ومبارك ، فيقول عنهما إنهما : ((كانا يحثان بسوق الرعية المضطهدة بسلطانهما فلا يعبآن بما آذاها من كلفهما ، يقلدانها شــرارالعمال ، ويستزيدان عليها في الوظائف الثقال ، مع الأيام والليالي ، حتى لغدا كثير منـــهم يلبســـون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش وفر أكثرهم عـــن قـــراهم))(1) ، وإذا حـــدثنا صاحب كتاب الذيل والتكملة عن حدوث مجاعة عام ثمانية وأربعين وأربعمائة في إشبيلية ، وبيَّن أنها كانت مريعة لدرجة خطيرة اضطر الناس فيها إلى دفن كل ثلاثة أو أربعة أشخاص في قبر واحد ، وخلت المساجد من الناس (2).

يتضح ــ مما تقدم ــ أن ملوك الطوائف كانوا يلجأون إلى هذا السبيل لجمع ثرواتهم الطائلة وزيادة غناهم الفاحش ، على حساب العامة من فلاحين وغيرهم ، فكـــان الخطـــر الـــداخلي منهم أيضا ؛ فكما لعبوا دورا رئيسا في خلق ملوك الطوائف قاموا بنفس الدور في إزالتهم .

الحركـــة العلـــمية والأدبيـــة:

ازدهرت الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس (3) ، برغم ما اتسم به هذا القرن من تفكـــك وانحلال سياسي شامل .

لقد آتت الحركة العلمية والأدبية التي شهدها الأندلس ،في القرن الرابع الهجـــري ، أكلها في هذا القرن ، رغم ما لحق العلماء والأدباء ــ زمن الفتنة ــ من قتل وتشريد ، وما تعرضت له المكتبات من حرق وسلب ، كما سيأتي .

ففي زمن الفتنة هزت قواعد الحركة العلمية والأدبية التي ازدهرت في عهد الخليفـــة الحكم المستنصـــر بالله ، والحاجب المنصور بن أبي عامر ؛ إذ قضت على كثير مـــن العلماء

---

1 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 162 .

2 – فلاح القيسي ، فايز عبد النبي . أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري .32 .نقلا عن عبد الملك المراكشي .الـــذيل والتكملة .1/5: 33 .

3 – بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . 13 .

والأدباء ، منهم ابن الفـــرضي (1) ، ومنهم من راموا جانبا بالصحف والأقـــلام، وصاموا عن الكلام ((وأي شيء أفصح وأبلـــغ من إضـــرابهم عن كل قـــول في تلك الظـــروف القاسية)) (2) ، فهـــذا ابن حيان لم يواصل في كتابة تاريخه إلى أن مضى صدر من الفتنة ، ويعبر عن ذلك بقوله : ((فعطلتُ التاريخ إلى أن خلا صدر منها ، نفّس الخنـــاق ، وبلـــل الرماق ، فاستأنفتُ تقييد ما استقبلتُه من أحداثها)) (3) .

وأما من كتبت له الحياة ، فقد فر من قرطبة كابن حزم ، الذي اتجه إلى المرية ســـنة 404 هــ (4) ، وفيها واصل درســـه وتحصيله الذي بدأه في قرطبة . لكن هذا الاهتزاز لم يلبث طويلا ، بل سرعان ما استعاد الناس ثقتهم بأنفسهم ، وأقبلوا على الإنتاج (5) ، وربما من الضار النافع أن تكون الفتنة سببا في بيع ما تبقى من مكتبة الحكم المستنصر بـــالله مـــن الكتب (6) ، ((وفقدت بذلك قرطبة ميزتها بوصفها حاضرة ثقافية ، كما لم تعد قاعـــدة للملك طوال عصر ملوك الطوائف)) (7) ، إلا أنها لم تفقد ، فيما يبدو ، اهتمام أغنيائهـــا بمكتباتهم الخاصة ، وفي ذلك يقول ابن رشد : ((إذا مات عالم في إشبيلية فأريد بيـــع كتبـــه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب في قرطبة فأريد بيع آلاتـــه حملـــت إلى إشبيلية)) (8) .

وبسقوط الخلافة يشهد القرن الخامس الهجري تعدد الممالك في أقاليم الأنـــدلس ، ولمعت الحركـــة العلمية والأدبـــية فيها على حساب قرطبة التي فقـــدت علماءها وأدباءها وشعراءها الذين أسرعوا إلى الممالك المستجدة يختارون من بينها أقربها إلى نفوسهم ، وأحب

---

1 – هو أبو الوليد عبد الله يوسف بن نصر المعروف بابن الفرضي (351 هــ ــ 404 هــ) ، كان فقيها متفننا في علوم الحـــديث والرجال والأدب ، من مؤلفاته : تاريخ علماء الأندلس . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 254 ، ابن بشـــكوال . الصـــلة . 251 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 614 ، الضبي . بغية الملتمس . 335 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 103 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 1: 305 – 306 ، ابن العماد . شذرات الذهب . 3: 168 .

2 – بن محمد ، علي .النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس .1: 89 .

3 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 576 .

4 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . 84 .

5 – عباس ، إحسان تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 137 .

6 – بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي .13 . صاعد الأندلسي . طبقات الأمم .

7 – بن محمد ، علي . النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري .90 .

8 – المقري . نفح الطيب . 1: 155 .

ملوكها إليهم ،وهؤلاء الملوك كانوا يتنافسون في اجتذاب العلماء ورعاية العلم والأدب تنافسا حاميا (1) ، إلى جانب روح التسامح النسبي الذي أباحوه ، وخاصة فيما يتعلق بعلوم الأوائل كما سنرى .

وكان معظم ملوك الطوائف ، في القرن الخامس ، من كبار العلماء والأدباء والمؤلفين؛ فقربوا أهله ورفعوا مراتبهم وشجعوهم ، وأغدقوا الصلات بمثابة مجامع للعلوم والآداب والفنون يحج إليها كل طالب للعلم وراغب في الأدب (2).

فقد كان المعتصم بن صمادح صاحب المرية يجلس يوما في كل أسبوع للفقهاء والخواص ، يتناظرون بين يديه في كتب الحديث والتفسير (3) .

وكان للقاضي محمد بن عباد ((في العلم والأدب باع ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحَوْك البلاغة ، بسطا لهم ، وإقامة لهممهم)) (4) . أما المعتمد بن عباد فكان ملكا جليلا ، وعالما ذكيا ، مقتصرا من العلوم على الأدب ، وما يتعلق به وينضم إليه (5) ، وكان يراسل العلامة اللغوي الأعلم الشنتمري (6) ، ويناقشه مناقشة لغوية (7) .

وكان المقتدر بن هود ملك سرقسطة من أكبر المعنيين بالعلوم والمشاركين فيها ، وكان ابنه المؤتمن رجلا عالما قد طالع الكتب (8) ، واهتم بالفلسفة والرياضيات حتى بلغ شأوا كبيرا فيهما ، وألف رسالة سماها ((الاستكمال))(9) ، وغدت سرقسطة في عهدهما

---

1 - بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الندلسي . 13 .

2 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 423 ، تشركوا ، كليليا سارنللي. مجاهد العامري .44 .

3 – ابن الأبار .الحلة السيراء.2: 82.

4 – ابن بسا . الذخيرة .1/2: 13.

5 – المراكشي . المعجب ..158

6 – هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى ، من أهل شنتمرية الغرب ، وبها ولد سنة 410 هـ ، ورحل إلى قرطبة ثم إلى إشبيلية وأقام بها مدة ، درس فيها ، وكف بصره في آخر عمره ،وتوفي سنة 476 هـ ، ومن مؤلفاته : شرح الأشعار الستة الجاهليين . انظر ترجمته : ابن بشكوال . الصلة 2: 681 ، السيوطي . بغية الوعاة . 2: 356 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 7: 81 – 82 ، المقري. نفح الطيب . 4: 75 .

7 – المقري . نفح الطيب .4: 75 .

8 – الأمير عبد الله . كتاب التبيان .78 .

9 – المقري . نفح الطيب . 1: 441 .

مركزا للعلوم والرياضيات كما سيأتي .

وكان مجاهد العامري صاحب دانية من أكبر العلماء في عصره ، ولاسيما في علم العربية ((قصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب ، وألفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم ، فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير)) (1) .

لقد ازدهرت الدراسات العلمية المختلفة ، في هذا القرن ، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء ، ففي **العلوم الدينية** تبوأ علماء الأندلس مكانة رفيعة ، ونبغ كثيرون ،منهم : ابن الصيرفي (2)، الذي كان من كبار المقرئين في عصره ، وابن حزم الذي كان فقيها مؤرخا فيلسوفا متبحرا في العلم والأدب والعقائد وأصول المذاهب والنحل وغيرها (3) ، ومنهم أبو عمر بن عبد البرّ (4) ، وكان إمام عصره وواحد دهره في الفقه (5)، ومنهم أبو الوليد الباجي (6) ، قال عنه ابن حزم : ((لم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب (7)

---

1 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 156 .

2 – هو أبو عمر بن عثمان بن سعيد الداني ، من اهل دانية ن ولد بها سنة 371 هت ، ورحل إلى المشرق فبل الأربعمائة ،وطلب علم القراءات وقرأ وسمع الكثير بمصر والقيروان ، ثم عاد إلى الأندلس وتصدر القراءات ، وألف فيها تواليف معروفة ، ونظمها في أرجوزة مشهورة ، وتوفي سنة 444 هـ .انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 305 ، ابن بشكوال . الصلة . 405 ، الضبي . بغية الملتمس .411 – 412 ، المقري . نفح الطيب . 2: 135 .

3 – الحميدي . المصدر نفسه . 308 – 311 ، صاعد الأندلسي طبقات الأمم . 97 – 99 .

4 – هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، مالكي ومن كبار حفاظ الحديث ، ومؤرخ أديب بحاثة ، ولد بقرطبة ، ورحل إلى المشرق ، ثم عاد إلى الأندلس وولي قضاء عدد من المدن منها لشبونة وشنترين ، وتوفي في شاطبة سنة 463 هـ ، ومن مؤلفاته((البيان عن تلاوة القرآن)) ، ((الكافي في الفقه))، ((الانتقاء من فضائل الثلاثة الفقهاء)). انظر ترجمته : ابن خاقان . مطمح الأنفس . 294 - الحميدي . جذوة المقتبس . 367 – 379 ،الضبي ، بغية الملتمس . 489 – 491 ، ابن بشكوال . الصلة . 677 – 779 ، ابن سعيد .المغرب . 2: 407 – 408 ،ابن خلكان . وفيات الأعيان . 7: 66 – 67 ،المقري . نفح الطيب . 4: 29 ، الزركلي . الأعلام .9: 316 .

5 – ابن بشكوال . الصلة . 677 .

6 – هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد التجيبي االمالكي الأندلسي ، من كبار أئمة المسلمين ولد بباجة سنة 403 هـ ،ورحل إلى المشرق وأقام بمكة ،رحل إلى بغداد ، ثم عاد إلى الأندلس وتولى القضاء في بعض أنحائها ، وتوفي بالمرية سنة 474 هـ . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة .2/1: 94 ، النباهي . المرقبة العليا 95 ،الضبي . بغية الملتمس . 302 ، ابن خاقان . قلائد العقيان .188 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 404 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان ، 2: 408 ، المقري . نفح الطيب . 2: 75 – 77 ، القاضي عياض . ترتيب المدارك . 4: 801 .

7 – هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي،رحل من بغداد واستقر بمصر وحمل لواء المالكية فيها . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/4: 515 ،النباهي . المرقبة العليا .40 ،القاضي عياض . ترتيب المدارك . 4ك 691 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 3: 219 ،

مثـــل أبي الوليد)) (1) ، ومنهم ابن الطلاع (2) الذي كان مفتي الأندلس ومحدثها (3) .

وحظيت **العلوم اللغوية** ، في القرن الخامس الهجري ، بمكانة رفيعة ،وبرز عدد مـــن كبار علماء اللغة والنحو في الأندلس ومنهم : ابن التَّـــــيّاني (4) ، وابـــن ســـيده (5) ، والأعلم الشنتمري الذي كان إمام النحاة في زمنه (6)،ومنهم ابن سراج النحـــوي (7) ، إمام اللغة بالأندلس ومحيي علم اللسان بها (8) ، ومنهم ابن السيد البطليوسي (9) الـــذي كان عالما بالعربية واللغة ومعاني الأشعار (10) ،ومنهم ابن الطراوة (11) نحوي المرية الذي لم يكن في علم العربية مثله (12) .

---

1 – القاضي عياض . ترتيب المدارك .4: 803 .

2 – هو أبو عبد الله محمد بن فرج القرطبي ولد سنة 404 هـــ ، من الشيوخ الأكابر في وقته ، وتوفي سنة 497 هـــ . انظـــر : ابـــن بشكوال . الصلة . 564 – 565 .

3 – ابن بشكوال . المصدر نفسه .564 .

4 – هو أبو غالب تمام بن عمر المرسي . من أعلام اللغة المشهورين بالأندلس ، سكن مرسية ، وعرف بالديانة والورع والعفة ،صـــنف كتاب ((تلقيح العين)) توفي بالمرية سنة 336 هـــ . الحميدي . جذوة المقتبس . 183 ، انظر ترجمته : الضبي . بغية الملتمس . 252 ،ابن بشطوال . الصلة . 120 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 166 ، السيوطي . بغية الوعاة . 1: 478 ،.ابن خلكان . وفيات الأعيان . 1: 300 ، ياقوت الحموي . معجم الأدباء .17: 35 .

5 – هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة ، العلامة اللغوي الأعمى المشهور ، وصاحب كتاب ((المخصص))، ولد بمرســـية ســـنة 398 هـــ ، ثم انتقل إلى دانية ، وولزم مجلس مجاهد العامري ، توفي سنة 458 هـــ . انظر ترجمته : صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 99 ، السيوطي . بغية الوعاة .2: 143 ، الحميدي . جذوة المقتبس .311 ، الضبي . بغية الملتمس . 418 ، ابن بشكوال . الصلة . 417 ، ابن خاقان . مطمح الأنفس . 291 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 259 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان .1: 431 .

6 – السيوطي . المصدر نفسه .2: 356 .

7 – هو أبو مروان عبد الملك بن سراج ، وزير من بيت علم ووقار ، ولد بقرطبة سنة 400 هـــ ، وكانت الرحلة في وقتـــه إليـــه ، ومدارأصحاب اللغات والآداب عليه ، توفي سنة 489 هـــ . انظر ترجمته : ابن بسان . الذخيرة . 2/1: 808 ، السيوطي المصـــدر نفسه . 2: 110 ، ابن خاقان . قلائد العقيان . 190 ،العماد الإصبهابي . الخريدة . 2: 374 ، الضبي . بغية الملتمس .380 ، ابن بشكوال . الصلة .363 ،ابن سعيد . المغرب .1: 115 .

8 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 808 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 115 .

9 – هو أبو عبد الله محمد بن السيِّد ، أصله من بطليوس ولد فيها سنة 444 هـــ سكن بلنسية و لم يغادر الأندلس ، وقد رحـــل إليـــه كثيرون للأخذ عنه ، وتوفي سنة 521 هـــ ، ومن مؤلفاته ((الإقتضاب في شرح أدب الكاتب)) ، و((الانتصار ممـــن عـــدل عـــن الإستبصار)) . انظر ترجمته : ابن بشكوال . الصلة . 292 ، السيوطي . بغية الوعاة . 2: 55 .

10 – السيوطي . المصدر نفسه . 2: 55 .

11 – هو أبو الحسن سليمان بن محمد السبائي المالقي ابن الطَّراوة، نحوي وأديب ، تنقل كثيرا في بلاد الأندلس معلما ، وأخذ عن عدد من أئمة العربية بالأندلس ، وله كتاب ((المقدمات على سيبويه)) ، وتوفي سنة 528 هـــ . انظر ترجمته : السيوطي . بغية الوعاة . 1: 602 ابن سعيد . المغرب . 2: 208 ، ابن الأبار . التكملة . 704 ، العماد الإصفهاني . الخريدة .

12 – ابن سعيد .المغرب . 2: 208 .

وازدهر في هذا القرن **علم التاريخ** ، واحتفل به لأنه كان يعتبر من أنبل العلوم عندهم (1) ، واهتم عدد كبير من العلماء في شتى فروع علم التاريخ ، وكأنهم أرادوا بذلك إظهار ما لهذا الصقع الناشئ من فضيلة ، يتميز بها بين بلاد العالم الإسلامي (2) .وقد ألف في تاريخ الأندلس العام أبو عامر بن مسلمة (3) كتابا وأهداه للمعتضد بن عباد ، وهو ((حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح)) (4) ، ويعد ابن حيان من أشهر مؤرخي الأندلس وعميدهم (5) .

وتميز في تاريخ العلوم صاعد الأندلسي (6) ،وبرز الأمير عبد الله بن بلقين الذي في مذكراته ، تاريخ دولة بني زيري في غرناطة (7) ، وممن اشتهر في تاريخ المدن ابن علقمة (8) ، الذي وضع كتاب ((البيان الواضح في العلم الفادح)) (9) وهو في أمر بلنسية وحصارها ثم احتلالها من قبل القنبيطور في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (10) ،

---

1 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 64 .

2 – عبد البديع ، لطفي . الإسلام في إسبانيا .66 .

3 – هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة ، أبو عامر الوزير ، أديب عالم شاعر من بيت أدب ورياسة ، سكن إشبيلية ، ألف للمعتضد بن عباد كاتبا سماه ((حديقة الإرتياح في وصف حقيقة الراح)) ، له منظوم في . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 65 ، الضبي . بغية الملتمس . 90 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 105 ، ابن خاقاب . مطمح الأنفس . 202 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 96 - 97،بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي. 212.

4 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 106 .

5 – مؤنس ، حسين . تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس . 101 .

6 – هوأبو القاسم صاعد بن احمد بن محمد بن صاعد ، ولد بالمرية سنة 420 هـ ، وكان فقيها مشهورا وعالما كبيرا ، وقد تولى القضاء في طليطلة لبني ذي النون إلى أن توفي سنة 462 هـ ، ومن مؤلفاته المطبوعة ((طبقات الأمم)) ، وهو في تاريخ العلوم وتطورها عند الأمم المختلفةفي العصور القديمة والقرون الوسطى . انظر ترجمته : ابن بشكوال . الصلة . 236 ، الضبي . بغية الملتمس . 323 ، صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . تحقيق بوعلوان ، حياة العيد ، وتحقسق آخر لحسين مؤنس .

7 – انظر هذا اللبحث . 70 هامش 3 .

8 – هو أبو عبد الله محمد بن خلف الصدفي ، من أهل بلنسية ، وممن عاصر حصارها من قبل السيد ، توفي ببلنسية سنة 509 هـ . انظر ترجمته : ابن الأبار . التكملة .1: 411 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 306 . الصفدي . الوافي بالوفيات . 3: 45 .

9 – ضاع هذا الكتاب ولم يصلنا .واحتفظ عدد من المصادر بنقل منه ، انظر : ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 23، 240 ، 486 ، المقري . نفح الطيب . 4: 354 .

10 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 412 .

واشتهر في تاريخ السير والتراجم الحُميدي (1)صاحب كتاب ((جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)).

ونبغ في **الجغرافيا** عدد من العلماء منهم ابن فياض (2)، الذي وضع كتابا عن عـــن الطرق والأنهار في الأندلس (3) ، ومنهم ابن الدلاي (4) الذي ألف كتابـــا في الجغرافيـــا بعنوان ((نظام المرجان في الممالك والأمصار)) (5) ، ومنهم أبو عبيد البكري (6) الذي ألف معجما في تاريخ التأليف الجغرافي عند العرب وهو ((معجم ما استعجم)) (7) .

إذا كان هذا هو شأن ملوك الطوائف في الأندلس ، في المجالات العلمية ، والأدبية ـــ كما تقدم وسنرى ـــ فإن بعضهم انعكف على الأخذ بما يسمى **بعلوم الأوائل** ، والمشاركة فيها بتآليف قيمة ، ولعل خير من يمثل هذا الاتجاه ، ملوك سرقسطة: المقتدر بن هود وابنـــه المؤتمن ؛ أما المقتدر فقد تعاطى الفلسفة والرياضيات والفلك ، وأما المؤتمن فقد ألف كتاب ((الاستكمال في الفلك)) ،كما تقدم (8) ، وقد نـــال هـــذا التـــأليف شـــهرة لـــدى

---

1 – هو أبو محمد عبد الله بن ابي نصر بن فتوح الحميدي ، من اهل جزيرة ميورقة بالأندلس ، رحل إلى المشرق سنة 448 هـــ ، فحج وسمع بمكة ودمشق وغيرهما ، واستوطن بغداد ، وكان فقيها محدثا متبحرا في الآداب والعربية ، توفي سنة 488 هـــ . انظـــر ترجمتـــه : الضبي . بغية الملتمس . 123 ، ابن بشكوال . الصلة 560 ، الصفدي . الوافي بالوفيات . 2: 52 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 4: 282 .

2 – هو أحمد بن سعيد ، أصله من أستجه ، سكن المرية ، وله تأليف في الخبر والتاريخ ، توفي سنة 459 هـــ . انظر : ابن بشكوال . الصلة . 60 ، المراكشي . المعجب . 431 ، 456 ، المقر] . نفح الطيب . 3: 182 .

3 – المراكشي . المصدر نفسه . 431 . وقد ضاع هذا الكتاب ولم يصلنا .

4 – هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلاي ، من أهل دلاية من أعمال المرية ، ولد ببستة سنة 393 هـــ ، وهو محدث وحافظ وجغرافي مشهور ، توفي سنة 478 هـــ . انظر ترجمته : الضبي . بغية الملتمس .195 ، ابـــن العمـــاد الحنبلـــي . شذرؤات الذهب . 3: 357 .

5 – ابن الدلاي ، أبو العباس احمد بن عمر . نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبـــاروتنويع الآثـــار والبســـتان في غرائـــب البلدانوالمسالك إلى جميع الممالك . تحقيق الأخواني ، عبد العزيز . مدريد . 1965 .

6 – هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، عالم لغوي ومؤرخ جغرافي وشاعر سياسي ، ولد في شلطيش ثم انتقل إلى دانية ثم سار إلى المرية فاصطفاه أميرها المعتصم بن صمادح 'لى أن سقطت دول الطوائف في يد المرابطين فغادر المرية إلى قرطبة ، وتوفي ســـنة 487 هـــ ،من كتبه ((المسالك والممالك)) و((فصل المقال)) . انظر أترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 232 ، ابن بشكوال .الصلة ، ابن شعيد . المغرب . 1: 347 ،السيوطي . بغية الوعاة . 2: 49 ، ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء . 505 ، الكتبي . فوات الوفيات . 1: 212 ، مؤنس ، حسين . الجغرفية والجغرافيين في الأندلس .107 – 148 .

7 – المعجم مطبوع ومنشور .

8 – انظر هذا البحث . 97 .

العلماء ، فهذا موسى بن ميمون (1) وضع له شرحا ، ورأى أنه جدير بأن يدرس .

و لم يتوقف الاشتغال بعلوم الأوائل عند الخاصة وإنما تعداه إلى الفئات الأخرى من طبقات المجتمع ، ونبغ فيها عدد من العلماء ، منهم سعيد بن فتحون السرقسطي (2) وابن البَغُونش (3) ، قال عنه صاعد الأندلسي : ((كان ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة)) (4) ، وابن خلدون (5) ، هذا إلى من ذكرنا في مجالات أخرى كالسيد البطليوسي الذي له كتاب ((الحدائق)) ، فهو لايساعد جمهرة المتخصصين في الفلسفة وحسب ، بل يعد صورة صادقة للمعرفة الفلسفية في الأندلس (6) ، وابن حزم الذي عني بعلم المنطق وألف فيه كتابا سماه ((التقريب لحدود المنطق)) (7) .

لقد تعددت مظاهر نشاط الحركة العلمية في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، ومن هذه المظاهر وفرة الإنتاج العلمي وتنوعه ، وهو يشمل كل علم من علوم العصر.

ومن أشهر مؤلفات هذا القرن ــ إضافة لما تقدم ــ ((جمهرة أنساب العرب)) لابن حزم ، ((والتوابع والزوابع)) لابن شهيد الأندلسي ، و((المخصص)) لابن سيده،

---

1 – هو موسى بن عبيد الله ميمون القرطبي ولد سنة 529 هـ ، درس في قرطبة مانشره المسلمون من فلسفة أرسطو وتوفي سنة 600 هـ ، وأشهر كتبه ((دلالة الحائرين)) كتب بالعربية ، وترجم الكتاب إلى العبرية ولغات أوربية من بينها الإسبانية .أنظر أخباره : بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . 502 .

2 – هو سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي ، كان متحققا بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى ، متصرفا في علم الفلسفة ، وكان إماما في علم النحو واللغة .، وله رسالة في المدخل إلى علم الفلسفة سماها (0شجرة الحكمة)) سجن في عهد المنصور بن أبي عامر ، وبعد انطلاقه من السجن خرج إلى صقلية وبها توفي سنة436 هـ . انظر ترجمته : صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 90 ، الحميدي . جذوة المقتبس . 223 ، الضبي . بغية الملتمس . 311 ، السيوطي . بغية الوعاة . 1: 586 ، المقري . نفح الطيب . 3: 175 .

3 – هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش ، من أهل طليطلة ، ولد سنة 369 هـ ، ورحل إلى قرطبة وطلب العلم بها ، ثم عاد إلى طليطلة واتصل بأميرها إسماعيل بن ذي النون ، وحظي عنده بمكانة رفيعة ،وكان أحد مدبري دولته ، وقد ترك آخر حياته قراءة العلوم ومال إلى الزهد ، توفي سنة 444 هـ . انظر ترجمته : صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 105 ، ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء .495 – 496 .

4 – صاعد الأندلسي . المصدر نفسه . 105 .

5 – هو أبو مسلم عمر بن أحمد الحضرمي المعروف بابن خلدون ، من أشراف أهل إشبيلية ، كان متصرفا وعلم الفلسفة والنجوم والهندسة والطب ، توفي سنة 449 هـ . انظر ترجمته : صاعد الأندلسي . المصدر نفسه . 93 ، ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء . 48، المقري . نفح الطيب . 3: 376 .

6 – بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . 334 .

7 – صاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 98 .

و((البديع في وصف الربيع)) للحميري (1) .

ومن هذه المظاهر **انتشار المكتبات** ، فقد شغف الأندلسيون في اقتناء الكتب حتى أصبح اقتناء الكتاب والسعي للحصول عليه مفخرة (2) ، فبعد انهيار الخلافة الأموية ، واجتياح قرطبة ، وزعت خزائن كتبها على ممالك الأندلس واندفع كثير من المثقفين والعلماء والملوك والوزراء والكتاب إلى اقتناء الكتب ، فانتشرت المكتبات الخاصة ، فكان من أصحاب المكتبات في قرطبة ، ابن الموصّل(3) ، قال فيه ابن الأبار : ((كان جماعا لدفاتر العلم من لدن صباه منتقيا لكرائمها بصيرا بخيارها عارفا بخطوطها يحتكم إليه في ذلك ، مؤثرا لها على كل لذة ، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة ... بيع هذا كله في تركته وأغلي فيها حتى لقوّمت الورقة في بعضها بربع مثقال)) (4) .وممن اشتهر بجمع الكتب ، أبو جعفر بن عباس ، الذي جمع من الدواوين العلمية ما لم يكن عند ملك (5) ، ومجاهد العامري الذي جمع من دفاتر العلوم خزائن جمة (6) ، وكان المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس جماعة للكتب ذا خزائن عظيمة (7) واعتمد عليها في تأليف كتابه ((المظفري)) في خمسين مجلدا ، تناول فيها الأدب والتاريخ (8)، وكان لأبي محمد الأروشي (9) همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها، وجمع من ذلك شيئا عظيما(10)، وقد ساهمت هذه المكتبات في الحركة الفكرية وخلق وعي علمي شامل.

---

1 – هذه الكتب مطبوعة ومنشورة .

2 – المقري . نفح اللطيب . 1: 462 .

3 – محمد بن يحي الغافقي المعروف بابن الموصّل ، توفي سنة 433 هـ

4 – ابن الأبار . التكملة . 387 .

5 – ابن الخطيب . المصدر نفسه . 1: 259 .

6 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 156 ، تشركوا كليليا سارنللي . مجاهد العامري . 214 .

7 – المقري . نفح الطيب . 3: 380 .ابن خلكان . وفيات الأعيان . 6: 352 .

8 – ابن بسام . الذخيرة 2/2: 640 .

9 – هو أبو عبد الله بن حيان بن فرحون الأوْرَشي فقيه محدث ، ولد سنة 409 هـ ، وسكن بلنسية ، وقد تعرضت مكتبته لنكبة ، ولايعرف سبب ذلك ، وذكر المؤرخون أن المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، أخذ كتب الأورشي من داره وسيقت إلى قصره في مائة وثلاثة وأربعين عدلا من أعدال الحمالين ، وتوفي سنة 487 . انظر ترجمته : الضبي . بغية الملتمس . 334 ، ابن بشكوال . الصلة . 288 .

10 – ابن بشكوال . المصدر السابق . 288 .

هذا وقد نشطت الحركة الأدبية ،في القرن الخامس الهجري ، ولقيت تشجيعا من ملوك الطوائف ، فقد اصطنعوا الأدباء والشعراء وتنافسوا في اجتذابهم إلى بلاطاتهم للافتخار بمدائحهم لهم ، وليضفوا على شخصياتهم الشهرة (1) ، وأخذ الشعراء يقطعون الأندلس طولا وعرضا ، ينتجعون قصور الملوك للظفر بصلاتهم والفوز بأعطياتهم (2)، وصدق الشقندي حين قال ذلك في رسالته : ((فنفقَّقوا سوق الكلام ، وتباروا في المُثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني)) (3) .

ازدهر الشعر ، في القرن الخامس الهجري ، ازدهارا عظيما حتى عرفت فيه الأندلس أكبر إشراق شعري في تاريخها الأدبي (4) ، وظهر عدد كبير من الشعراء الذين صاغوا أحاسيسهم ومشاعرهم في قصائد رائعة ترددها الأجيال جيلا بعد جيل وأصبحت المدائح تجارة رابحة ، حتى أن أحدهم وهو إدريس بن اليماني (5)، لايمدح أحدا بقصيدة إلا بمائة دينار (6) ، وقد سأله المعتضد بن عباد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها آل حمود ، فقال له : ((إشارتي مفهومة ، وبنات صدري كريمة ، فمن أراد أن يَنْكَح بكْرها ، فقد عرف مَهرها)) (7) .

لقد كان الشعر أمر مشتركا بين ملوك الطوائف جميعا (8) ، فازدهر في الممالك الأندلسية بصفة عامة ، ولكن امتازت ثلاثة من بين بلاطات ملوك الطوائف بصفة خاصة

---

1 – غومس ، إميليو غرسية . الشعر الأندلسي .45 ، عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين . 71 – 77، الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي . 163 ،بن محمد ، علي . النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري . 1: 101 .

2 – غومس ، إميليو غرسية . 46 .

3 – المقري . نفح الطيب .3: 190

4 – بروفنسال ، ليفي . سلسلة محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها . 14 .

5 – هو أبو علي إدريس بن اليماني العبدري ، من أهل جزيرة يابسة ، مدح ملوك الطوائف ، و لم يكن بعد ابن دراج القسطلي من يجري عتدهم مجراه غير ابن اليماني . انظر ترجمته . ابن بسام . الذخيرة . 1/3 : 336 ، الحميدي . جذوة المقتبس . 170 ، ابن سعيد . المغرب . 1 : 400 ، المقري . نفح الطيب . 4: 75 .

6 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/3: 336 .

7 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/3: 336 ، المقري . نفح الطيب . 4: 75 .

8 – غومس ، إميليو غرسية . 45 .

بمشاركتها في النهضة الأدبية والشعرية ، وهي بلاط بني عباد بإشبيليبة ، وبلاط بني الأفطس ببطليوس وبلاط بني صمادح بالمرية . فقد كان بنو عباد أعظم ملوك الطوائف ((هم وبنوهم ووزراؤهم صدروا في بلاغتي النظم والنثر)) (1) ، وصارت إشبيلية في عهد المعتمد ابن عباد رائدة الحركة العلمية والأدبية التي سادت ذلك العصر ((فلم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعر وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه)) (2)، وغدت الدولة العبادية في ازدهارها العلمي والأدبي ((أشبه سيئ بالدولة العباسية ببغداد ، سعة مكارم ، وجمع فضائل)) (3) ، ووصف الشقندي إيامهم بأنها ((لم تزل بهم كأعياد ، وكأن لهم من الحنو على الأدب ما لم يقم به بنو حمدان في حلب)) (4) .

وكان من شعراء بني عباد : ابن زيدون ، وابن عمار ، وابن وهبون (5)، وابن اللبانة ، وابن حمديس(6) ، ومن كتابهم ابن عبد البر ، وابن القصيرة (7).

وكان بنو الأفطس ملوك بطليوس ((ملجأ لأهل الآداب ، خُلّدت فيهم ولهم قصائد شادت مآثرهم ، وأبقت على الدهر حميد ذكرهم)) (8) ، وكان رائدهم المظفر أديب ملوك عصره ، شغوفا بالشعر والآداب ، ناقدا لها ، ومما يدل على بصره بالشعر أنه كان ينكر على قائله في زمانه ، ويقبل رأي من ارتسم في ديوانه ، ويقول : ((من لم يكن شعره

---

1 – المقري . نفح الطيب . 3: 191 .

2 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 5: 24 .

3 – المقري . نفح الطيب . 4: 255 .

4 – المقري . المصدر نفسه . 3: 191 .

5 – هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي ، شاعر مشهور ، كان حسن الشعر ، لطيف المأخذ ، حسن التوصل إلى دقسق المعاني ، وقد جمع ابن بسام شعره في كتاب سماه ((الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل)) . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 1/2 : 473 ، الإصفهاني . الخريدة . 2 : 95 ، المراكشي . المعجب . 159 ، المقري . نفح الطيب . 1: 657 .

6 – هو عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي ، ولد بسرقوسة سنة 447 هت ، هاجرل إلى الأندلس ، ووفد على المتمد بن عباد ، وأصبح من شعرائه إلى أن أسر سنة 484 هـ ، فغادر الشاعر الأندلس إلى المغرب ، وبقي متنقلا بين ملوكها إلى أن توفي سنة 527 هـ ، وله ديوان شعري . انظر ترجمتهع : ابن بيام . الذخيرة . 1/3: 320 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 194 ، ابن دحيه . المطرب.54 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 3: 212 .

7 – هو ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ابو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة ، كان من أهل التفنن في العلوم كاتبا بارع الهط ، وكان سفير المعتمد بن عباد إلى ملوك الطوائف ، وولاه يوسف بن تاشفين ديوان الكتابة ، بعد خلع ملوك الطوائف ، وتوفي سنة 508 هـ . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 1/2 : 239 ، ابن الأبار . أعتاب الكتاب . 222 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 350 ، المقري . نفح الطيب . 4 : 361 – 365

8 – المراكشي . المعجب . 128 .

مثل المتنبي والمعري ، فليسكت ولا يرضى بدون ذلك)) (1)، وكان ابنه المتوكل من أهــل الرأي والحزم والمهارة في النظم والنثر(2)، وكان في بطليوس كالمعتمد في إشبيلية ، فشدت الرحال إليه (3)، وأصبحت المملكة في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم (4) ، وكان مــن شعرائهم: ابن البين (5) وابن عبدون (6)، ومن كتابهم ابن قزمان (7) وابن القَبطُرْنة (8).

وكان المعتصم بن صمادح بالمرية ، ممن عمل على استقطاب أهل الشــعر والأدب ، فكان ((لأهل الشعر عنده سوق نافقة ، فقصده جمع منهم))(9) ، وكانت ((دولته مشرعا للكرم، ومطلعا للهمم .... ونفقت فيها أقدار الأعلام ، وتدفقت بحار الكـــــلام)) (10) وأقر له ابن بسام بهذا الفضل حين وصفه بقوله : ((كان رحب الفِنــاء جــزل العطــاء ، حليــما عن الــدماء والدهمــاء ، طافت بــه الآمال ، واتسع في مدحه المقال ، وأُعملت

1 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2 : 641 .

2 ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 185 .

3 – ابن سعيد . المغرب . 1: 364 .

4 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 185 .

5 – هو أبو عبد الله محمد بن البين، أحد الشعراء المجيدين ، كان بحضرة بطليوس مستظرف الألفاظ والمعاني ، وكان إلى طريقة محمد بن هانئ . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 799 ، ابن سعيد المغرب . 1: 370 ، ورايات المبرزين لــنفس المؤلــف . 60 ، المقري . نفح الطيب . 3: 453 .

6 – هو أبو محمد ، عبد المجيد بن عبدون الفهري ، أديب وشاعر ومترسل مشهور ، من أهل مدينة يابُرة بالأندلس ، اســتوزره بنــو الأفطس إلى انتهاء دولتهم ، ثم انتقل إلى خدمة المرابطين بعد خلع ملوك الطوائف ، ، وتوفي سنة 527 هــ . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 668 – 727 ، ابن خلكان . القلائد . 164 ، العماد الإصفهاني . الخريدة 2 : 103 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 374 والرايات . 32 ، الضبي . بغية الملتمس . 539 ، ابن بشكوال . الصلة .388 . لمن سماه عبد المجيد بن عبد الله بن عبــد ربــه الفهري ، وذكر أنه توفي سنة 527 هــ ، ابن دحية . المطرب . 180 ، ابن الأبار . التكملة . 1: 407 ، الكتبي . فوات الوفيات . 2: 388 .

7 – هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان ، (عم ابن قزمان الزجال ، من أهل البلاغة والبيان ، كان كاتبا للمتوكل بــن الأفطس . وتوفي سنة 508 هــ . انظر ترجمته : ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 774 ، ابن بشكوال . الصلة . 570 ،ابن خاقان . القلائد . 213 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 99 ، العماد الإصفهاني ، المصدر نفسه . 3: 465 .

8 – هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي ، احد فرسان العلوم الكلام ، وحملة السيوف والأقلام ، كان كاتبا مترسلا ، كتــب للمتوكل بن الأفطس ثم ليوسف بن تاشفين من بعده ، توفي سنة 520 هــ . انظر ترجمته : ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 753 ، ابن خاقان . المصدر نفسه . 184 ، ابن دحيه . المطرب . 186 ، ابن سعيد . المصدر نفسه . 1: 367 ، العمــاد الإصفهانســي . المصدر نفسه. 3: 422 ، ابن الخطيب . الإحاطة . 1: 528 .

9 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 368 .

10 – ابن خاقان . القلائد 53 .

في حضـــرته الـــرحال ، ولزمه جملة من الشعـــراء كأبي عبد الله بن الحـــداد (1)، وأبي الفضل بن شرف (2) ، وابن عُبادة القزاز (3) ، وابن الشهيد (4) ، وغيرهم)) (5) .

وقد تعددت مظاهر نشاط الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، في القرن الخـــامس الهجري ، أما مظاهر نشاط الحركة العلمية ، فهي تتمثل في انتشار المجالس العلمية ، وهـــي نوعان :

ـــ مجالس تعقد حلقاتها في المساجد للتدريس ، وقد غصت بها المساجد ، وكانت تـــدرس فيها أكثر علوم العصر ، واستأثرت علوم اللغة والشريعة معظم نشاطاتها (6) . ومن أشـــهر العلماء الذين تصدروا هذه المجالس : الهـــدهد بن الصنَّاع (7) الذي أقرأ آخر دهره بجامع

---

1 – هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحداد ، ولد في وادي آش ، واستوطن المرية ، ولازم بلاط المعتصم بن صمادح ، وهو شاعر ذكر له ابن الأبار ديوانا مرتبا على حروف الهجاء ، وكتابا في العروض سماه ((المستنبط)) ، توفي سنة 480 هــ . انظر نرجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 691 ، ابن خاقان . مطمح الأنفس . 336 ، الكتبي . فوات الوفيات . 3: 283 ، ابن الأبار . التكملة . 1: 398 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 143 ،والرايات . 106 ، الصفدي . الوافي بالوفيات . 2: 86 ، السلفي . أخبـــار وتـــراجم أندلسية . 17 ، ابن الخطيب . الإحاطة . 2: 333 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2 : 177 ، المقري . نفح الطيب . 4: 48 ، ابن الحداد الأندلسي . مقدمة الديوان .8 – 98 .

2 – هو أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن شرف^الجذامي القيرواني ، كان شاعر وقته غير مدافع، اتصل بالمعتصم بن صمادح أمـــير المرية ومدحه ، ونال لديه مكانة رفيعة حسده عليها بعض أدباء عصره ، وتوفي سنة 534 هــ . انظر ترجمته : ابن بسام . الـــذخيرة . 2/3: 867 ، ابن خاقان . القلائد . 290، ابن سعيد . المغرب . 2: 230 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 171 ، المقـــري . نفـــح الطيب . 3: 395 .ابن شرف . ديوان .19 – 32 ، الزركلي . الأعلام . 7: 10 .

3 – هو أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز ، من مشاهير الأدباء الشعراء في المرية ، في القرن الخامس الهجري ،وأكثر ما اشتهر في الموشحات ، وتوفي في حدود 500 هــ . انظر ترجمته: ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 801 ، ابن خاقـــان . القلائـــد . 14، الإصفهاني . الخريدة . 2: 182 ،ابن سعيد .المصدر نفسه . 134 ، الصفدي . الوافي بالوفيات . 3: 189 ،السلفي . أخبار وتراجم أندلسية . 76 المقري . أزهار الرياض 2: 252 ، ونفح الطيب : 411 ، 493 ، 610 ، 4: 13، 103 .

4 – هو الوزير الكاتب أبو حفص عمر بن الشهيد ، من ائمة أدباء المرية ، وفرسان الشعر والنثر فيها ، اشتهر بمدح المعتصم بن صمادح بقصائد رائعة ، ولقيه الحميدي سنة 440 هــ . انظر نرجمته : ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 670، 690 ، الحميدي . جـــذوة المقتبس . 302 ، الضبي . بغية الملتمس . 407 المقري . المصدر نفسه . 3: 413 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 732 – 733 .

6 – حسين ، كريم عجيل . الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية .217

7 – هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الصنَّاع ، الملقب بهدهد ، كان من كبار المقريين في عصره ومن المشاركين في الأدب واللغة والحفـــظ للأشعار والأخبار ، توفي في بلنسية سنة 508 هــ . اتظر ترجمته : ابن الأبار . التكملة 1: 411 .

بلنسية ، وأخذ عنه جماعة كبيرة (1) . وأبو علي الصدفي (2) الذي جلس في مرسية يحدث الناس بجامعها ، ورحل الناس إليه من مختلف البلدان (3) .

ـــ ومجالس تعقد للمناقشات والمناظرات في المسائل العلمية والفكرية وخاصة في الفقه والمذاهب ، ومنها تلك المجالس التي شهدتها بلنسية في عهد مظفر العامري ، وكانت تدور فيها المناظرات حول مذهب الإمام مالك (4) ، ومنها أيضا تلك المجالس التي شهدتها مناظرات ابن حزم مع فقهاء المالكية بالأندلس ،وخاصة مع أبي الوليد الباجي (5) .

وأما مظاهر انتشار المجالس الأدبية فإن أكثرها يعقد في بلاطات الملوك والوزراء (6) ، وقد يعقدها نبهاء الأدباء والشعراء وسط الرياض والمنتزهات (7)، وكانت هذه المجالس ميادين يجتمع فيها الأدباء والشعراء لمدارسة مسائل الأدب، وبحث نثره ونقد شعره (8) .

لقد كانت هذه المجالس تضم الصفوة الراقية من أساطين العلماء والأدباء والشعراء لعرض ثمرات أفكارهم ، وإلقاء ما تجود به قرائحهم فيها (9) ، فكانوا قدوة جمهور الأدباء، ولذلك برع أهل الأندلس في فنون الأدب والشعر براعة شهد لهم بها جلة الناس ، وكانت مجالسهم لذيذة ومحاضرهم فكهة)) (10) .

ومما نقلته الكتب من هذه المجالس ، مجلس المعتضد بن عباد الذي كان يعقده يوم

---

1 – ابن الأبار . المصدر السابق . 1: 411 .

2 – هو أبو علي حسين بن محمد فيرة بن حيون ابن سُكَّرة الصدفي ، وهو من أهل سرقسطة ، سكن مرسية ، رحل إلى المشرق ثم عاد واستوطن مرسية ، كان فاضلا دَيِّنا عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، مات سنة 514 هـ .انظر ترجمته : ابن بشكوال . الصلة . 144 ، المقري . نفح الطيب .2: 90 .

3 – المقري . المصدر نفسه . 2: 90 .

4 – الذهبي . سير النبلاء ، جزء خاص بترجمة الإمام ابن حزم الأندلسي . 29 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 96 .

6 – انظر ابن خاقان . القلائد .44 ، 49 ، ابن دحية . المطرب . 36 ، المقري . نفح الطيب . 3: 243 ، 265 ، 4: 260 – 261 .

7 – أنظر : ابن خاقان . المصدر نفسه . 150 ، المقري . المصدر نفسه . 1: 638 ، 657 – 659 ، 667 – 669 .

8 – محمد عيسى ، عبد العزيز . تاريخ الأدب الأندلسي . 199 .

9 – الكيلاني ، كامل . نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي . 319 .

10 – ضيف ، أحمد . بلاغة العرب في الأندلس . 22 .

الإثنين من كل أسبوع (1) ، وللمعتصم بن صمادح مجلس بقصره كان يعقده كل يوم ((جمعة للفقهاء والخواص ، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث ، ولزم حضرته فحول من الشعراء)) (2) .

لم يتوقف عقد مثل هذه المجالس الأدبية في الأندلس على الرجال ، بل هناك من النساء من عقدها ، فهذه ولادة (3)بنت المستكفي بالله ، التي ((فتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر فصار (صالونا) أدبيا)) (4) ، يقبل عليه الشعراء والكتاب ((فكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو أهلُ الأدب إلى ضوء غُرَّتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها)) (5) .

وفي نفح الطيب يورد المقري نصين لابن بشكوال وابن سعيد يتحدثان فيهما عن ولادة ، يقول ابن بشكوال : ((كانت أديبة ، شاعرة ،جزلة القول ، حسنة الشعر ، ، وكانت تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء)) (6).

وأما ابن سعيد ، فيقول : ((وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها)) (7) .

كانت هذه المجالس العلمية والأدبية سمة العصر لكثرتها ، ولم يسبق لها مثيل ـــ إضافة لما تقدم ـــ لبقية ملوك الطوائف ، والمولعين بها كولادة ، فمارسوا هذا النشاط ، وسعى كل ملك إلى استقطاب أكبر عدد من العلماء والأدباء والشعراء .

---

1 – المقري . نفح الطيب . 4: 243 – 244 .

2 – ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: .82

3 – هي ولادة بنت تامستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر ،شتعرة أديبة لها مجلس أدبي يغشاه الشعراء ومنهم الشاعر ابن زيدون . أنظر ترجمتها : ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 829 ، الضبي . بغية الملتمس . ابن بشكوال . الصلة . 696 ، ابن دحية . المطرب . 7 ، المقري . نفح الطيب . 4: 205 ، الكتبي . فوات الوفيات . 4: 532 ، والكتبي يجعل وفاة ولادة بعد الخمسمائة ، ويرجح رأي ابن بشكوال والضبي ، ويؤ ذلك المقري ايضا ، بوفلاقة ، سعد . الشعر النسوي في الأندلس .81 – 113 .

4 – بوفلاقة ، سعد . المرجع نفسه . 83 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 429 .

6 المقري . تفح الطيب . 4: 207 .

7 – المقري . المصدر نفسه . 4: 208 .

ومن هذه المظاهر أيضا انتشار الشعر على ألسنة كثير من أهل الأندلس على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم الاجتماعية ، حتى شمل الصناع الفلاحين والتجار والنساء والجـــواري ، ومما يـــدل على ذلك ما يرويه ياقوت الحموي عن أهل شلب : ((قلَّ أن ترى من أهلـــها من لايقول شعرا ، ولا يـــعاني أدبا ، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه ، وسألتَه عن الشـــعر قرض من ساعتـــه ما اقترحتَ عليه ، وأيّ معنى طلبتَ منه)) (1) .

ومن مظاهر نشاط الحركة الأدبية نبوغ أسر كاملة في الأدب والشعر ؛ فقد شـــاع الشعـــر والنثر بين عدد من أفراد الأسرة الواحدة كأسرة بني عبـــاد (2) ، وأســـرة بـــني صمادح (3) التي كانت ((بيت العلوم الفائقة والآداب الرائقة)) (4) .

وكان بنو الطبني(5) بين أدب وشعر (6) ، وكان بنو القَبْطُرْنة (7) عيونا من عيون الأدب الأندلسي (8) .

---

1 – ياقوت الحموي . معجم البلدان . 3: 357 - 358.

2 – بنو عباد ممن اشتهر بقول الشعر محمد بن إسماعيل ، وعباد بن محمد المعتضد ، وابنه محمد بن عباد المعتمد ، وولده الراضي ، وشرف الدولة ، وابنته بثينة ، وزوجته إعتماد . انظر : ابن خاقان . القلائد . 4 – 35 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 13 ، 23 ، 41، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 34 – 76 ، المقري . نفح الطيب . 4: 211 ، 284 .

3 – بنو صمادح منهم : المعتصم بالله ، وأبناؤه أبو مروان عز الدولة ، ورفيع الدولة ، وأم الكرام . اتظر : ابن خاقان . المصدر نفسه . 53 – 57 ، ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 729 – 737 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 78 – 96 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 195 – 203 ، ابن دحية . المطرب . 34 .

4 – ابن دحية . المطرب .34 .

5 –نسبة لطبنة : وهي أعظم بلاد الزاب بينها وبين لمسيلة مرحلتان ، ومن لمسيلة إلى مَقَّرة ومن مقرة إلى طبنة مرحلة، وهي مما افتـــتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقيا ، ولم يكن ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها ، وهي مدينة حسنة كثيرة الميـــاه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، والتمر بها كثير وكذالك سائر الفواكه .انظر : الحميري . الـــروض المعطـــار . 387 ، الإدريسي . القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، (من كتاب نزهة المشتاق) .164 .

6 – بنو الطبني أصلهم من طبنة ، قاعدة الزاب ، ومنهم : محمد بن يحي بن أبي مضر الطبني ، وصف يللأدب والشعـــر ، وكان ممـــن يجالس أبا الحزم بن جهور ، وابنة أبا الوليد . وأبو مروان عبد الملك ين زيادة الله الطبني ، ولد سنة 396 هـــ ، وهو من أهـــل الأدب والحديث وإمام اللغة ، وتوفي سنة 457 هـــ . وأبو الحسن علي بن عبد العزيز أبي زيادة الله الطبني ، وصف بأنه أشعر بني طبنة . انظر تراجم الثلاثة : ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 535 – 548 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 92 – 93 .

7 – بنو القبطرنة : ثلاثة إخوة يعرفون ببني القبطرنة ، وهم أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي ـــ السايق الذكر ـــ وأبـــو محمـــد طلحة بن سعيد البطليوسي ، الذي كان أحد الأدباء الأذكياء ، في القرن الخامس الهجري ، توفي قبل سنة 520 هـــ . وأبو الحسن محمد ابن سعيد البطليوسي ، الذي كان كاتبا للمتوكل بن الأقطس . انر تراجم الثلاثة : ابن خاقان . القلائد . 148 ، ابن يسام . المصـــدر نفسه . 2/2: 735 – 773 ، ابن سعيد . المصدر نفسه . 1: 367 ، ابن الخطيب . الإحاطة . 1: 528 .

8 – ابن الحطيب . المصدر نفسه . 1: 528 .

ومن هذه المظاهر أيضا تميز الأندلسيون **في فن الموشحات** ، وإليهم يرجع اكتشافه ، كما أشار ابن بسام ، بقوله: ((وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها)) (1) ، هذا الاكتشاف للموشحات يرجع إلى أواخر القرن الثالث الهجري ، وشهدت إقبال الشعراء عليها في القرن الرابع الهجري (2) ، ونبغ الأندلسيون فيها ، في هذا القرن ، ابن عبادة القزاز (3) ، شاعر المعتصم بن صمادح ، الذي يعد أول من برع في هذا الفن ، وزعموا أنه لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوا زمن ملوك الطوائف (4) .

وممن اشتهر من الوشاحين في هذا القرن: ابن اللبانة (5) ، وابن رافع رأسه (6)، والكميت البطليوسي (7) ، والجزار السرقسطي (8) ، وابن الأبيض (9) .

إن الأدب ، في القرن الخامس الهجري ، كان انعكاسا للبيئة الأندلسية بكل أبعادها

---

1 – ابن بسام . الذخيرة .1/1: 469 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/1: 468 – 470 ، 2/1: 801 – 802 ، ابن خلدون . المقدمة . 593 – 594 .

3 – انظر موشحاته : ابن سناء الملك . دار الطراز في عمل الموشحات . 70 ، 81 ، 88 ، 93 ، 97 ، الصفدي . توشيع التوشيح . 113 ، ستيرن ، صمويل م . الموشح الأندلسي . 186 – 198 .

4 – ابن خلدون . المقدمة . 594 .

5 – انظر موشحاته : ابن سناء الملك . دار الطراز . 68 ، 73 ، 75 ، 76 ، وابن الخطيب . حيش التوشيح . 59 – 72 ، ستيرن ، صمويل م . الموشح الأندلسي .175 – 186 .

6 – ابو عبد الله بن محمد بن رافع رأسه ، ويقال ابن أرفع راسه ، من أهل طليطلة ، اتصل بأميرها المأمون بن ذي النون ومدحه ، وكانت له موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب . انظر ترجمته وموشحاته : ابن سعيد . المغرب . 2: 18 ، ابن خلدون . المقدمة . 594 ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه . جيش التوشيح . 83 – 85 ، الصفدي . توشيع التوشيح . 204 .

7 – هو أبو بكر محمد بن الحسن المشهور بالكميت البطليوسي ، شاعر أديب كان من شعراء عماد الولة أبي جعفر المستعين بن هود بسرقسطة . انظر ترجمته وموشحاته : الحميدي .جذوة المقتبس . 334 ، الضبي . بغية الملتمس . 452 ، ابن سعيد .المصدر نفسه . 1: 370 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 86 ، الصفدي . توشيع التوشيح . 204 ،ستيرن ، صمويل م . المشح الأندلسي . 201 .

8 – هو أبو بكر يحي الجزار السرقسطي ، كان في دكان يبيع اللحم فتعلقت نفسه بقول الشعر فبرع فيه ، وله أشعار مدح بها ملوك بني هود ووزرائهم ، ثم ترك الأدب والشعر واعتكف على القصابة ، وأمر المقتدر بن هود وزيره أن يوبخه على ذلك . انظر ترجمته وموشحاته : ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 905 ، ابن سعيد . المصدر نفسه .2: 444 – 445 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 147، الصفدي. المصدر نفسه . 212 ، المقري . نفح الطيب . 3: 609 ، ستيرن ، صمويل م . الموشح الندلسي . 201 .

9 – هو أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الأبيض ، من فحول الأندلس ، أصله من هم1ان ، وتأدب بإشبيلية وقرطبة ، وكان وشاحا مشهورا ،وتوفي بعد سنة 525 هـ . انظر ترجمته وموشحاته : صفوان بن إدرسي . زاد المسافر . 108 ، ابن دحيه . المطرب . 81 ، ابن سعيد . المصدر نفسه . 2: 127 – 128 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 48 – 58 ، ابن خلدون . المقدمة . 593 .

الطبيعية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، فقد أجاد الأندلسيون في فنون الطبيعة والغــزل والموشحات إلى جانب فنون أخرى كان لقيام دول الطوائف والتنافس فيما بينها أثر كبير في ازدهارها ، ومنها المديح والاعتذار والفخر والهجاء السياسي ، وشعر السجن وما تبع ذلك من رثاء المدن ودول الطوائف والتفجع عليها بعدما انهارت وذهب ملوكها ، كــذلك مــا انعكس في الأدب من أحداث شهدها الأندلس ، في القرن الخامس الهجــري ، تتمثــل في اتقسام الأمة واختلاف كلمتها ، وسقوط المدن الأندلسية الواحدة تلــو الأخــرى في يــد النصارى ، فظهر أدب النكبات (1) ـــ شعرا ونثرا ـــ يبكي الأمة ومــدنها المتســاقطة ، ويدعو إلى استثارة الهمم للالتئام والوحدة ، وينبه على مواطن الخطر المحدقة بالأمة .

ويعــد أدب النكبات أوما يطلق عليه أدب المحنة في الأندلس (2) ، الذي يبكي فيه الشعــراء سقوط بعض الممالك في يد النصارى والحث على الجهاد ، يعد من موضــوعات الشعر السياسي كما سيــأتي .

---

1 – انظر: عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والكرابطين .178 – 188 ، ابن سلامة ، الربعي . أدب المحنة في الأندلس .

2 انظر تفاصيل ذلك : بن سلامة ، الربعي . أدب المحنة الإسلامية في الأندلس . 1 – 16 .

الشـــــعر السيـــــــاسي

تمهيـــــــــــــد

ما مفهـــوم الشعـــر السياسي ؟ وما مضامينه ؟ وما علاقته ببيئته السياسية ، ومـــا دوره فيها ؟

لعل أقرب تعريف للسياسة هو أنها: فن التدبير أو الرياســـة ، أو طريقـــة الحكـــم وأشكاله في قطر من الأقطار (1) .

وما من شك في أن الأدب يتأثر بالأحوال السياسية ، وينفعل بها ، لأنـــه صـــورة المجتمع ومرآة البيئة (2) ، والأديب صاحب موهبة فنية يدركها طبع مرهف ، واســـتعداد فطري ، وذكاء متقد ، ومن العبث محاولة تجريده وعزله عن التأثر بما يعيشه مجتمعه ، ذلـــك لأن الأديب في أصدق صفاته يمثل الإحساس الصادق للمجتمع في رضاه أو ســـخطه ، وفي استكانته ، أو ثورته من خلال الأحداث السياسية المختلفة(3).

ويحـــدد الدارسون نوع العلاقة بين الأدب والسياسة في تعريفات ، يقـــول أحمـــد الحوفي : الأدب السياسي ، أو أدب السياسة ، فن القول ـــ شعرا أو كتابة وخطابة وحوارا ـــ الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييدا أو تفنيدا ، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في ســـلم أو حرب (3) .

وقد قدرت الحكومات الإسلامية في شتى العصور مدى سطوة الشعر على النفـــوس وخاصة ما للجانب المعارض فيه من أثر في إثارة الشعوب ، فحركها الخوف على امتيازاتهـــا في أغلب الأحيان إلى الملاحقة والاغتيال . والقرن الخامس في الأندلس شاهد علـــى أمثلـــة كثيرة مؤسية ، لأن ملوك ذلك العصر نظروا له من واقع أخطائهم السياسية المتراكمة فعدوه هجاء ومجاوزة للحد ، وذلك في محاولة لإيجاد مبرر لاضطهاد الشعراء .

وهـــذا ما يشير إليـــه شوقي ضيف : ((وقد يمتد الهجـــاء إلى إلى الخلفاء والحكام

---

1 – الشايب ، أحمد . تاريخ الشعر السياسي . إلى منتصف القرن الثاني . 1 ، نقلا عن دائرة المعارف البريطانية مادة (ساس) .

2 – التونجي ، محمد . المعجم المفصل في الأدب . 48 .

3 – انظر : عبد النور . جبور . المعجم الأدبي . 10 – 11 .

3 - الحوفي ، أحمد . أدب السياسة في العصر الأموي . 8 .

والوزراء ، وهو حينئذ يريد أن يعدل بهم إلى السبيل القويم من الأخلاق الفردية والاجتماعية ومن سياسة الأمة سياسة رشيدة ، ففي الظاهر هجاء ، وفي الحقيقة إصلاح وتهذيب وتقويم لكل إعوجاج في المجتمع سـواء اتصل بالفرد أو اتصل بالحماعـة وهو لذلك في حاجـة إلى أن يدرس كوثيقة اجتماعية وسياسية)) (1) .

ويحدد (كارلونالينو) دور الشعر السياسي في فهم أحوال المجتمع الواقع تحـت نـير الأحداث السياسية الخطيرة ، في قوله : ((إن الشعر من هذا الصنف ، ذو شأن خطير سواء لقيمته الأدبية أم لما يستفيده منه من أراد البحث العميق المُنْصف ، لايخفى عليكم أن القدماء الذين صنفوا الكتب في التاريخ والسير قلما ذهبوا إلى إيضاح الأحوال الاجتماعية والأغراض العاملة في الحوادث ، وإنما اقتصروا أو كادوا على ذكر ما يظهر مـن التقلبـات والوقـائع والحروب ، ومن دون الإفادة عن أسبابها الباطنية الخفية مثل آراء طبقات الناس ، وأهوائهم وميولهم ومصالحهم)) (2)

فنحن بواسطة التاريخ لانملك إدراك عوامل التماسك أو الاختلال في بناء الـدول ، ولكننا بالأدب وحده نستطيع القبض على انفعالات المجتمع وحركـة حياتـه ، لأن الأدب يضيف للتاريخ أبعادا عميقة لفهم أحوال المجتمع ، وهذا ما قصده (لانسـون ومابيـه) في قولهما : ((ولكن التاريخ يستطيع أن يفصل عنا حساسيتنا الفتية أو على الأقـل يخضـعها لحكم الصور نكونها عن الماضي أي اننا نأخذ أنفسنا بأن نحس تاريخيا فنقيم سلم القيم لاتبعا لميولنا الخاصة ، بل وفقا لقوة ودقة ما أمكن التعبير عنه)) (3)،ويضـيفان ((أمـا الأدب فيكمل هيئة الصورة الاجتماعية ، إذ يعبر عن كل ما لم يمكن تحقيقه من حسرة وقلق وآمال للرجال ، وهو بهذا لايزال تعبيرا عن الهيئة الاجتماعية ، بل يمتد إلى ما لم يوجد بالفعل ، إلى الخفايا التي لاتفصح عنها الوقائع ولا وثائق التاريخ)) (4) .

فالفرق واضح بين التناولين التاريخي والإدبي للأحـداث السياسـية المضـطربة ، فالتاريخ يتنـاولها بمنهجه الذهني المقارن وبأسلوبـه النثري ، ولكن الشعر يخالف التاريـخ

---

1 – ضيف ، شوقي . فصول في الشعر والنقد . 20 .

2 – كارلونالينو . تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية .228 .

4 – مندور ، محمد . النقد المنهجي عتد العرب . 405 .

4 – مندور، محمد . المرجع نفسه . 413 .

في المنهج والأسلوب ، فهو لايهتم بالمقارنة ، ولا بالانتظار ، بل يضع المشكلة تحت العين مباشرة ، وفوق فوهة بركان ثائر بالعواطف المشبوبة فيهز المجتمع هزا عنيفا ، ويخرجه من خموله وحيرته . يقول أحمد أمين : ((وليست وظيفة الأدب أن يعلم الحقائق المعروفة وإنما وظيفته أن ينتفع بالحقائق المعروفة ويهيج بها عواطف الناس ويجعلهم يشعرون بها أكثر مما كانوا يشعرون)) (1) .

وينبغي أن نلاحظ أن تناول الشعر للسياسة يختلف عن تناول النثر لها ، فالشعر كفن من الفنون الإبداعية يتناول الأحوال السياسية بطريقته الفنية التصويرية التي لاتعتمد الجدل ولا تلتزم بالبراهين ، ولا تعنى بالفصيلات الدقيقة ، وإنما يلجا إلى الخيال الذي يرسم الصور الملائمة للإجلال أو الاحتقار ، وما إلى ذلك من موضوعات السياسة ، وقد يلجأ أحيانا إلى البراهين الخطابية المؤثرة ، وأما الثر السياسي فإنه يعتمد على البراهين المنطقية الصريحة والجدل الدقيق ذاهبا إلى ذلك مذهبا علميا (2).

ومهما يكن من شيء فإن الشعر السياسي يتناول موضوعاته في توخ للسهولة واليسر مستهدفا فهم الجماهير له ، وتأثرهم به ، وذيوعه بينهم ، فهو يعد في جملته شعر صادق العاطفة قريب المعني ،وسهل الأسلوب من شعر الفنون الأخرى بصفة عامة ، كما سيتضح فيما بعد .

والشعر السياسي قديم قدم الأدب العربي ، ففي الجاهلية كان مصطبغا بالصبغة القبلية، وقد كانت القبيلة أشبه بالدولة الصغيرة تربطها روابط الجنس واللغة والثقافة المشتركة ووحدة الإقليم ، ووحدة المصالح والأهداف والآمال والآلام والمشاعر ، وكان هناك بين القبائل علاقات الحلف والولاء والجوار ونحو ذلك من العلاقات السياسية ، وبذلك يمكن أن نعد الشعر الذي يعبر عن مصالح القبيلة والدفاع عنها ومواجهة خصومها شعرا سياسيا .

فلما جاء الإسلام كون مجتمعا متماسكا تربطه روابط الأخوة والدين ، إلى جاتب الروابط السابقة ، فهو مجتمع لايقوم على نظام القبيلة ، وإنما هو مجتمع متماسك يقوم على

---

1 – أمين ، أحمد . النقد الأدبي . 48 .

2 – انظر : الشايب ، أحمد . الشعر السياسي . 5.

الإخاء البشري ، فهو مجتمع سياسي يشكل دولة قوية تجمع المسلمين جميعا من شتى الألوان والأجناس .

ولقد اتسعت هذه الدولة شرقا وغربا ، ومارست كل شؤون السياسة ، من حكم ودفاع وقضاء وتعليم واقتصاد وغيرها من ممارسات الدول المتحضرة ، داخليا وخارجبا ، والإسلام دين وسياسة .

وفي العصر الأموي ظهرت الأحزاب السياسية المتصارعة ، التي كان من نتائجها ذلك الكم من الشعر السياسي الذي يمثل كل الاتجاهات ، ومبادئها وصراعها.

هكذا واصل الشعر السياسي طريقه على مر العصور مواكبا ما جد من شؤون الحكم ، داخليا وخارجبا ، وتقلبات الدول في المشرق والأندلس .

تقدم الحديث في الأندلس عن الجانب السياسي المضطرب ، والاجتماعي المتعدد العناصر المتصارعة، والحركة العلمية والأدبية المزدهرة ، في القرن الخامس الهجري ، الذي انعكست فيه المواقف السياسيية المخبطة للآمال والتي دفعت الشعراء إلى التعبير عنها في غضب ثائر وحنين بالغ واستعطاف ذليل أو رثاء حزين ، فمازالت تلك الاتجاهات الشعرية حتى يومنا هذا تدفع إلى النفوس شتى العواطف المحتدمة ، وتحرك في قرارة الوجدان منا أحزان الماضي ، وتدفع في ذواتنا تقلبات المصائر وقسوة المعاناة التي عاشوها ، لأن تجربة الشاعر في ثورته أو نكبته وفي رثائه أو استعطافه قد فجرها من نفسية ساخطة مكلومة ، وهذا ما يشير إليه علي أدهم في قوله : ((وتلزم الاشارة إلى مسألة لها أهميتها البالغة ، وهي الحالة النفسية التي تلم بالشاعر حينما ينظم القصيدة)) (1) .

أما الحياة الاجتماعية ، في هذا القرن، فلقد طبعت على العموم ــ كما تقدم ــ بطابع القلق المضني والضنك المتصل ، وذلك بفعل الحروب المستعرة ، في عهد الفتنة وبين ملوك تلك الممالك ، وأيضا لما كابدته الجماهير من غارات ملوك النصارى الشرسة .

ويصور دور الأدب في ذلك العهد احمد مكي بقوله : ((كان أدب انعكاسا صادقالحياة أهله بكل ما فيها من من تناقضات ، الأبيقوريون يعبون ما تتيحه لهم الفرص ،

---

1 – أدهم ، علي . بين الفلسفة والأدب . 48 .

ثراء عاجــلا ، وحياة صاخبة يشربون ويطربون وعلى الدنيا الصــفاء ، ويعــبرون عــن أحاسيسهم في شعر فاجر وأدب داعر غزلا بالمذكر ، أو تجــاهرا بالمعاصـــي أو دعــوة إلى التحلل ، والجادون في دروب الحياة يضيفون بما حولهم ، عميت عليهم المسالك وضـــاقت بهم الحيلة ، يرون المدى البعيد مجتمعا ينحدر نحو الهاوية لا يكاد يتبين النهاية ، اغشته الحياة فهو لايبصر ما حوله ، ويعبرون عن ذلك في أدب ممرور تارة، وثائر تارة أخرى ، وأحيانــا تنفجر على شباة أقلامهم فلسفة تحاول أن تزن الحياة وتستخرج منها مكامن العظة وتقنن في تطورها عل في عملهم ما يوقظ غافلا ويهدي صالحا)) (1)

ويشمل كذلك رثاء الساسة وبكاء المدن والممالك وما إلى ذلك من كل ما يــنجم عن الحياة السياسية اضطابها وتقلباتها .

كل هذه الموضوعات أبرز مظاهرها الشعر السياسي الأندلسي ، في القرن الخـــامس الهجري ، وهذا ما سيتناول بالدراسة والتفصيل والتحليل في هذا البحث المتواضع .

---

1 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسة في مصادر اللغة والأدب . 75 .

الفصـــــل الأول

الهجـــــتاء السيـــــــاسي :

لعل موضاعات الهجاء البارزة ، في القرن الخامس الهجري ، وجود الهجاء السياسي والاجتماعي ، ولكننا سنركز على الهجاء السياسي ، اعتمادا على القصائد والمقطوعات التي عثرنا عليها في المصادر التاريخية والأدبية التي اهتمت بالشعر ونثره .

ويعرف فوزي عيسى الشعر السياسي بقوله : ((الهجاء السياسي هو كل ما يتصل بشؤون الحكم وأمور السياسة وفيه يصدر الشاعر عن عصبية للوطن أو الإقليم او القبيلة أو الحزن أو الدين)) (1) .

بهذا التعريف للهجاء واستقراء للقصائد والمقطوعات الشعرية التي تتصل بهذا الفن ، يتضح لنا أنه هو أكثر الاتجاهات رواجا في الأندلس ، في القرن الخامس الهجـــري ، وقـــد تباينت صوره إذ توزعت بين هجاء الخلفاء والحجاب والوزراء والقضاة والعناصر البشـــرية المكونة للمجتمع الأندلسي .

والملاحظ أن أغلب النصوص الشعرية لاتنسب إلى قائل بعينه ، وذلك لخشية الشعراء من بطش الحكام بصفة عامة .

ورغم تشدد الحكام تجاه شعراء الهجاء السياسي ، إلى أنه لم يؤد إلى تكميم افواههم أو إسكات ألسنتهم عن المجاهرة عن مساوئهم ومثالبهم ، فعبروا عن ضيقهم بهم ، وكسفوا عن أوجه الفساد في سياستهم ، وتشبثهم بكرسي الحكم على حساب مصالح الرعية .

وفي القرن الخامس نجد بعض شعرائه قد هاجموا سياسة حكام الفتنة وملوك الطوائف وانتقدوا تصرفاتهم ، فكان الهجاء السياسي ــ كما سبق ــ من الموضوعات التي برزت في هذا القرن ، وكان ذلك نتيجة لعدم سلامة الوضع وترديه، كما تقدم في الحياة السياسية .

ووضع كهذا من شأنه أن يثير بعض الشعراء ، وينطقهم بمـــا يعـــبر عـــن ســـخط الساخطين وتبرم المتبرمين (2) ومن ذلك قول بعضهم فالخلفاء وملوك الطوائف كما سيأتي.

---

1 - عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 37 .

2 – هيكل ، أحمد . الأدب الأندلسي . 280 .

هجاء الخلفاء وملوك الطوائف :

شاع هذا اللون من الهجاء في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، فمن ذلك ما وجهه الشعراء من نقد للخليفة المهدي (1) الذي أظهرمن الخلاعة والفسق ما حدا بالشعراء إلى هجائه (2):

أمير الناس سخنة كل عين	يبيت الليل بين مختشين
يجشم ذا ويلثم خد ذا	ويسكر كل يوم سكرتين
لقد ولوا خِلافتهم سفيها	ضعيف العقل شينا غير زين

ويشير ابن عذارى إلى أن المهدي كان أكثر خلفاء بني أمية عرضة لهجاء الشعراء وانتقادا لتصرفاته ، فيقول: ((وقيل فيه كثير من هذا يطول الكتاب به)) (3) .

ومما قيل فيه أيضا (4) :

أشأم خلق على العباد	والناس من حاضر ومن باد
أبو الوليد الذي اقشعرت	لنحسه شعرة البلاد
كان على قومه جميعا	مزار عاد لقوم عاد

ويُرى أن اختلال الأوضاع السياسية كان من أكبر العوامل التي وجهت الشعراء إلى هجاء ملوك الطوائف ، فقد غضب الشعراء لما أصاب الأندلس من تفكك وانحلال ـــ كما تقدم ـــ فكان لهم الشعر بالمرصاد ، ((يفضح تصرفاتهم ويكشف زيفهم وخداعهم))(5)، ومما يدل على شيوع الهجاء السياسي ، في عهد الطوائف ، أن أحدا من الحكام لم يسلم من هجاء الشعراء ، حتى بني عباد ملوك إشبيلبة الذين شجعوا الشعراء والأدباء ، فقد قيل في نقدهم الشعر الكثير ، وإلى جانب الدوافع السياسية ، هناك جانب من هجاء الشعراء

---

1 انظر هذا البحث في شعر في هجائه . 21 .

2 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 80 .

3 – ابن عذارى ا. المصدر نفسه . 3: 80 .

4 – ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 80 .

5 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 47 .

للحكام قيل لدوافع ذاتية ، كقول أجعفر بن إبراهيم اللورقي (1) الذي ارتحل إلى اشبيلية للظفر بعطاء بني عباد ولكنه لم يظفر منهم بطائل فهجاهم بقوله (2) :

تَعزَّ عن الدُّنيا ومعروف أهلها — إذا عُدم المعروف في آل عباد

حَللتُ بهم ضيفا ثلاثة أشهُر — بغيرِ قِرى ثم ارتحلتُ بلا زاد

ومن هذا القبيل نجد الحصري (3) يعرض بهم عندما أرسل غلامه ــ لما كان مقيما في طنجة ــ يبغي عطاء المعتمد صاحب إشبيلية ، واسمها في بلادهم حمص فلم يجبه (4) :

نبِّه الركب الهُجُــوعــا — ولُم الدهر الفَجُــوعــا

حِمْصٌ الجنــة قــالت — لغلامي لا رُجــوعــا

رحــم اللــه غــلامي — مات في الجنــة جــوعا

ويعرض ابن شرف القيرواني بالمعتضد بن عباد ، ويندد بما قيل عن بطشه بكثير مــن وزرائــه وندمائــه حتى لقــد خــاف أن يفــد إليه لئلا يتعرض لما تعــرض له غيره من مصير مؤلم ، فيقول في أسلوب لاذع (5):

أأن تصيَّدتَ غيري صيد طائــرةٍ — أوسعتَها الحَبَّ حتى ضمها القفــصُ

حسبتني فرصةً أخرى ظفــرتَ بها — هيهات ما كلّ حين تُمكِنُ الفُــرصُ

لك الموائدُ للقُصــّاد مُترعــــةً — تُروي وتشبعُ لكنْ بعــدها غصــص

ولستُ أعجب من قوم بها انتشبوا — لكنــما عجبي من معشر خَلَصــوا

و لم يطبْ قــطٌّ لي مَنٌّ يَلــذٌّ ولا — سَلوى إذا كان في عُقــباهما مَغَــص

و لم يقف الشعراء في هجائهم لبني عباد عند هذا الجانب من هجائهم بل اكثروا من

---

1 – هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي أنظر : ابن خاقان . قلائد العقيان. 158 ، المقري . نفح الطيب . 4: 226 ، ابن دحية . المطرب . 177 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 226 .

3 –هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرىء الضرير الحصري القيرواني الشاعر ، خرج من القيروان بعد خرابه في منتصف المئة الخامسة للهجرة ،وأقرأ الناس بسبتة ، وله ديوان شعر . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 296 ، ابن بشكوال . الصلة . ابــن خلكان . وفيات الأعيان . 3: 331 – 334 .

4 - خلكان . وفيات الأعيان . 3: 333 .

5 - ابن شرف القيرواني . ديوان .68 – 69 .ابن بسام . المصدر نفسه . 1/4: 182 .

نقد سياستهم ووصفهم بالجور الطغيان ، ويبدو أن المعتضد بن عباد كانت أكثر تعرضا لهجاء الشعراء ، فهذ ابن زيدون يعبر عن شماتته عندما نعاه الناعي ويصفه بالطاغية (1) :

لقد سرنا أن النعي موكل   بطاغية قد حم منه حمام

تجانف صوب الغيث عن ذلك الصدى   ومر عليه البرق وهو جهام

لكن مثل هذا الهجاء بعيد عما يعرف عن الشاعر ، فابن زيدون لايهجو إنسانا ميتا ، لأن علاقته مع المعتضد بن عباد استمرت على طيبها ، وهو يعلم أن ابنه المعتمد متول الحكم بعده ، وأن منزلته ومركزه عند المعتمد قد يفوق ما كان يتمتع به من منزلة ومكانة لدي والده . قد يكون هذان البيتان من وضع حساد ابن زيدون وأعدائه ، في رأي محمد مجيد السعيد (2) .

ومما ينسب لابن رشيق القيرواني (3) في هجاء بني عباد وذلك في تهافتهم على ألقاب خلفاء بني العباس فكان منهم المعتضد والمعتمد ، قوله (4):

مما يزهدني في أرض أندلس   أسماء معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد

وتعد قصيدة الهجاء المنسوبة إلى ابن عمار أطول ما وصلنا في هجاء بني عباد وأكثرها إقذاعا وإسفافا والذي يجعل محمد مجيد السعيد يشك في نسبتها إليه أمور كثيرة، منها ما تقدم الحديث عن ابن زيدون ، مع حساده وأعدائه ، ولا يستبعد صدور هذه القصيدة عنهم ونسبتها لابن عمار لأجل الإيقاع بين الملك ووزيره (5).

ثم إن ابن بسام حين ثبت القصيدة ، قال : ((نسب شعر كثير إلى ابن عمار ، فيه

---

1 – ابن زيدون . ديوان .286 .

2 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 199 .

3 – هوأبو علي بن الحسن بن رشيق ، ولد بالمحمدية أو لمسيلة في سنة 390 هـ وانتقل إلى القيروان سنة 406 هـ ، وتتلمذ هناك لأكابر العلماء في الفقه والأدب والبلاغة ، ثم رحل إلى المهدية ثم إلى صقلية وبها توفي سنة 463 هـ . لابن رشيق ديوان شعري حققه عبد الرحمن ياغي . بيروت ، والعمدة . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/4: 597 ،ابن العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 230 ، ياقوت الحمي ، معجم البلدان . 8: 110 ، المقري . نفح الطيب . 1: 413 .

4 – المقري . المصدر نفسه . 1: 213 ،4: 255 ، ابن الخطيب . اعمال الأعلام . 144.وهذا الأخير ذكر الأبيات دون نسبتها لشاعر ، ابن بسام .المصدر نفسه . 1/4: 172 ،وهو يذكر الشطر الأول من البيت الأول : مما يغضني .....

5 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 199 .

قدح في المعتمد وآله وذويه وعياله (1) ، وفيها يقول (2) :

ألا حيِّ بالغرب حيا حِلالا أناخوا جِمالا وحازوا جَمالا
وعرّج بيومين أمِّ القـــرى ونمْ فعــسى أن تراها خيالا
لتسأل عن ساكنيها الرمـــاد و لم ترى للتدنار فيها اشتعالا
أيافارسِ الخيـــل يا زيـــدَها حميتَ الحمى وأبحت العِيالا
أراك تُورِّي بـــحب النـــساء وقِما عهدك تهوى الـــرجالا
تخيَّرتها من بـــنات الجـــهان رُميكـــيَّة ما تساوي عقـــالا
فجاءت بكل قصير الـــذراع لئيـــم النِّجارين عما وخالا
بصُفر الوجوه كأن استَـــها رماهم فجاءوا حَيارى كُسالى
قِصـــارُ القـــدود ولكنهـــم أقاموا عليها قـــرونا طِـــوالا
أتذْكـــر أيامـــنا في الصـــبا أنتَ إذا لُحتَ كنتَ الهـــلالا
أُعانقُ منكَ القضيبَ الرطيبَ وأرشُـــفُ من فَيك ماء زُلالا
وأقنعُ منك بدون الحـــرام فتُقسم جهدكَ أن لا حـــلالا
سأكشفُ عِرضك شيئا فشيئا وأهتكُ سِترك حالا فـــحالا

فالباحث يؤكد عدم صحة نسبتها ، اعتمادا على رواية ابن بسام ، لابـــن عمـــار الـــذي كان له حساد ومنافســـون كثيرون لايستبعد صدورها عنهم ،ويرجح أن تكـــون هـــذه الأبيات ((نظمت بتحريض من ابن عبد العـــزيز أمير بلنسية وعدو ابن عمار اللدود الذي هجاه قبل هذا)) (3) ، ويبني تشككه أيضا على ((أن الأفكار والمعاني الـــتي تقـــوم عليها القصيدة من فحش بذيء وإقذاع مقزز ، وتشهير شنيع ، لاتسمح بنسبتها إليه ، مهما تصاعد الحقد والكراهية بينهما ، بالإضافة إلى عدم انسجامها مع أفكاره ومعانيه ، لكنـــه حتى في هجائه لابن عبد العزيز وهو من أشد أعدائه لم يقذع ، و لم يصل إلى ما وصـــل إليه

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 414 .

2 – ابن عمار ديوان .88 – 89 .

3 - السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 199 .

في هجائه لصديقه الحميم المعتمد من إسفاف وانحطاط)) (1) .

وهناك ما يؤكد نسبة هذه القصيدة إليه ، ذلك أنه لما استقل ابن عمار بمرسية و لم يبال بعتاب المعتمد ولومه له ، واكتفى بالمراوغة (2) ، فانزعج ابن عبد العزيز صاحب بلنسية من سلوك ابن عمار وتوقع منه شرا ،فحاول أن يزيد من تعميق الهوة بين الملك ووزيره ، باعتبار أن ذلك يعد أنجع طريقة للتخلص منه ، وقد تحصل ابن عبد العزيز على بعض أبيات من القصيد قالها ابن عمار في تهديده منها (3) :

كيف التفلُّت بالخديعة من يديْ رجلِ الحقيقة من بني عمار

فأوصلها للمعتمد وغضب على وزيره لأن ابن عبد العزيز كان صديقا له ، واكتفى بأن ذيل هذا البيت ساخرا من أصل ابن عمار الوضيع ومستهزئا من أمه ، بقوله (4):

تبكي عليهم شَنَّبوس(5) بعبْرة كأَتِيِّها المتدافع التيار

باشمسَ (6) ذاك القصر كيف تخلصتْ فيه إليكِ طوارق الأقدار

ولما بلغت الأبيات إلى ابن عبد العزيز سر بها ، وأرسلها لابن عمار ((ودس إلى مرسية نبيلا من الشرق ، لابس ابن عمار حتى اطمأن إليه وأحله محل الرواية لأشعاره في هجاء ابن عباد))(7) ، في قوله يرد على هجاء المعتمد له ويهجو زوجته إعتماد .

ويقول صاحب الخريدة إن هذه القصيدة في هجاء المعتمد وذكر فيها أم بنيه كانت من أقوى الأسباب التي جعلت المعتمد بن عباد يقتل ابن عمار (8) .

ويؤكد إحسان عباس نسبة هذه القصيدة لابن عمار الذي عاش في هذا المجتمع الذي يخضع للمصالح والأهواء ، يقول: ((وفي هذا الجو المتقلب المتموج ، برزت شخصية الرجل

---

1 – السعيد ، محمد مجيد . المرجع نفسه . 200 .

2 – ورد في هذا العتاب بيتين من الشعر للمعتمد وجواب ابن عمار عنه .ابن عمار . شعره . 35 – 36 .

3 – ابن عمار الأندلسي . شعره . 74.

4 – المعتمد . ديوان . 142 .

5 – شنبوس : قرية بمدينة شلب كانت مقرا لسلف ابن عمار . ابن الأبار .الحلة السيراء . 2: 157

6 – شمس : اسم لأم ابن عمار .ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 157 .

7 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 157 .

8 – العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 71 .

القلق المغامر الذي يتجول من بلد إلى بلد عارضا مهارته على من يقدرها حـــق قـــدرها ، يستوي في هذ مختلف ذوي المهارات المطلوبة من جندي وكاتب وشاعر ومعماري وصاحب أي حرفة أخري ، ولم يكن اختلاف الدين حاجزا في هذه الأمور ، فكان السيد القنبيطـــور يخدم المصلحة ، فتارة يحارب من أجل أمير مسلم ، وتارة من أجل أمـــير نصـــراني . ولمـــا سقطت طليطلة في يد النصاري حلق الفقيه أبو القاسم بن الخياط وسط رأسه وشد الزنـــار وأخذ يعمل كاتبا عند الأذفونش (1) ، وأنموذج هذه الشخصية من الجانب الإسلامي ، في مقابل القنبيطور ، شخصية الشاعر ابن عمار ، فقد نشأ فقيرا محرما ، ولكنه كـــان مشـــربا بالطموح ، إنتهازيا ، ميكيافيليا ، مستعدا لأن يركب إلى غايته كـــل واســـطة ، مؤمنـــا بالصداقة بمقدار ما تبلغه أهدافه)) (2) .

ويؤكد دارس آخر لابن عمار نسبة هذه القصيدة إليه ، فيقول باحث : ((كان ابن عمار وصوليا ـــ إذا صح التعبير ـــ مع أخلص أصدقائه ، فقد خان المعتمد صـــديقه وولي نعمته ، واستغل ضعف ابن طاهر ، رغم ما بينهما من علاقات وثيقة ليوقع بـــه ، كمـــا لم يسلم من لسانه السليـــط ، أمير بلنسية عبد العزيز بن أبي عامر ، والمعتصـــم بن صـــمادح الذي تربطـــه بالشاعر أوثق الصـــلات غضب عليه واستنكر أعماله)) (3) .

ويؤكد فوزي سعد عيسى هذه النسبة للشاعر ، بقوله : ((تبدو نسبة هذه القصيدة إليه أمرا طبيعيا ، وحتى وإن كانت هذه القصيدة محل شك ـــ وهو ما لا نميل إليه)) (4) .

يستشف ـــ مما تقدم ـــ أن القصيدة لابن عمار ولامجال لاستبعادها عنه كما يؤكد محمد مجيد السعد .

ومن الطريف أن الحكام أنفسهم يشاركون في الهجاء ، فثمة رواية تقول : إن مجاهدا العامري كتب إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة (1):

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

1 – ابن سعيد . المغرب .2: 22 .

2 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندليب ، عصر الطوئف والمربطين . 34 .

3 – ابن عمارالأتدلسي شعره . 81 .

4 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 52 .

5 – ابن سعيد . المغرب . 1: 332 .

فأحرجت المنصوروأقامته وأقعدته ، ورد عليه برقعة جاء فيها (1) :

شمتت مواليها عبيد نــــزار شِيم العبيد شتيمة الأحــــرار

وهو بيت يلمح لعبودية مجاهد ، فهو مولى لبني عامر ، وهجاؤه بأحد منـــهم إنمـــا تطاول العبيد على ساداتهم .

ولعل أجمل ألوان الجهلاء هو ما يتجاوز فيه الشاعر رغباته ومصـــالحه الذاتيـــة إلى أحاسيس الناس عامة ، فيصور مشاعر الغضب والسخط التي تختلج في نفوسهم إزاء حاكم خائن أو ملك ظالم مستبد ، وكلما مال الشاعر إلى التعمية والتعميم كان هجـــاؤه أوقـــع وأقرب إلى الخلود ، فمن ذلك هذه الأبيات لأحد الشعراء ينحي فيها باللائمة على أولئـــك الحكام الذين عميت أبصارهم ، وافتقدوا الحزم في تدبير أمورهم ، وتصاغروا أمام أعدائهم ، وقد نظمها صاحبها بعد خراب قرطبة ، وفيها يقول (2):

أضعتم الحزم في تدبير أمــــوركــــمُ ستعلمون معا عقبى البوار غـــدا

فلـــو رأيتم بعين الفكر حالكـــم بكيتـــم بدم إن دمتـــمُ بـــددا

لكن سُبْل العمى أعمت بصائركم فألبستْكم ثيابا للبـــلى جُـــدُدا

ياأمـــة هتكت مستور ســـوءها ما كل من ذل أعطى بالصغار يدا

في سورة الحشـــر آيات مفصلـــة في شأنكم أنزلت لم تعدكم عددا

نعم وفي الكهف عشرين خاتمـــة تقضي عليكم بأن لا تفلحوا أبـــدا

فاستشعروا سوء عقباكم فقد شملت جميعكم محنـــة لا تنقـــضي أبـــدا

ويعد الشاعر السمـــيسر أحد الشعراء الذين يمثلون هذا الاتجاه تمثيلا صادقا ، وهـــو من أبرز شعراء الهـــجاء في الأندلس عامة ، قال عنـــه ابن بسام : ((كان باقعـــة عصره ، وأعجوبة دهره ، له طبع حسن، وتصرف مستحن في مقطوعات الأبيات ، وخاصة إذا هجا وقدح ..وله مذهب أستفرغ فيه مجهود شعره ، من القدْح في أهل عصره)) (3) ، ووصفه المقري بأنه ((كان كثير الهجاء ، وله كتاب سماه شفاء الأمراض في أخذ الأعراض)) (4).

---

1 – ابن سعيد . المصدر السابق . 1: 332 .

2 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 110 .

3 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 882 – 883 .

4 – المقري . نفح الطيب . 4: 108 .

وما يلاحظ في هجاء السميسر ، أنه ليس ذاتيا يستهدف تحقيق منفعة خاصة ، ولكنه هجاء ((تعميمي المترع يدل على قلق وعدم ارتياح لبعض ما يراه من أوضاع))(1)، فهو يوجه هجاءه لملوك الطوائف جميعا فيقول (2) :

تاد الملوك وقل لهم	ماذا الذي أحدثتمُ
أسلمتم الإسلام في	أسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم	إذ بالنصارى قمتم
لا تنكروا شق العصا	فعصا النبي شققتم

هؤلاء الملوك خانوا دينهم وامانتهم ومواثيقهم ، فأسلموا الإسلام في يد النصارى ، وهم يدفعون لهم الجزية عن صغار ، ولو أدى بهم الأمر إلى شق عصا الطاعة للدين الإسلامي ونبيه ، ويتخذ السميسر من ذلك ذريعة للقيام عليهم ذون مظنة عصيان لله ورسوله وأولي الأمر ، لأنهم ليسوا من أولي الأمر الذين في عصيانهم غقاب أو مأثمة ، بل أن القيام عليهم حكمة الوجوب ، شقا لعصا طاعتهم ، وقد شقوا من قبل عصا طاعة الله ورسوله .

وفي أبيات أخرى نجد السميسر يتهم أولئك الملوك بالخيانة والهوان ، ويشير إلى ضعف مكانتهم ، واهتزاز صورهم وترديها في أعين كل الناس ، ويترلهم مترلة قوم عاد ، فيقول (3) :

خنتم فهنتم وكم أهنتم	زما كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كل تحتٍ	وأنتم دون كل دونْ
سكتمُ ياارياح عادٍ	وكلٌّ ريح إلى سكون

ولايزال السميسر في مواجهة جديدة لهؤلاء الملوك تبرئ ذمته وذمة الأمة من مغبة ما ينتظرهم وينتظر أمة ضيعوها ، فيقول (4) :

رجوناكم فما انصفتمونا	وأملناكمُ فخذلتمونا

---

1 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين . 141 .
2 – ابن بسام . الذخيرة .2/1: 885 .
3 – المقري . نفح الطيب . 4: 108 .
4 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 885 .

سنصبر والزمان له انقلاب وأنتم بالإشارة تفهمونا

ولكي يقطع السميسر على ملوك الطوائف كل سبل الشفقة من قبل ضعفاء الرعية ، فتأخذهم بهم شفقة ، نرله يفيقهم ، فيقول (1) :

يامُشفقا من خُمول قوم ليس لهم عندنا خــلاق
ذُلوا وقد وقد طالما أذلُّوا دَعهم يذوقوا الذي أذاقوا

ففي اليتين هجاء سام يكشف للضعفاء من الرعية حقيقة ملوك الطوائف أمام مجموع الناس ، ومنهم الشاعر ، ممن فقهوا فلسفة الثواب والعقاب ، حيث لا خلاق لهم عند عامة الأمة ، وهذه الصيغة التنكيرية لكلمة خلاق ، تشير إلى استلاب كل حظ ونصــيب مــن الأخلاق والشهامــة والعفاف ، ويعمقه إحساسه بموقف ملوك الطوائــف إذلالا وخســة وخيانة.

وما يستخلص من هجاء السميسر أنه غيور على وطنه الأندلسي ، فهو ((يصدر في هجائه عن دافع وطني أصيل ، ويتعدى هجاؤه النظرة الذاتية أو الإقليمية ، إلى وجهات أعم وأشمل)) (2) .

وقال السميسر في هجاء الأمير عبد الله ابن بلقين صاحب غرناطة لما رآه مشــغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها عند نزول كارثة (3):

يبني على نفسه سَفاها كأنه دودة الحــرير

ولما أكثر من هذا الهجاء المؤلم توعده الأمير عبد الله بسفك دمه ، فر إلى المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وأجاره إلى أن استولى المرابطون عليها (4).

لقد لفت السميسر بمقطوعاته الهجائية اللاذعة أنظار بعض الباحثين فرأى أحــدهم أنهيعد أكثر شعراء ملوك الطوائف جرأة وجسارة ، وأنه عبر بحق عن ضمير الأمة ، وكــان صوته الغاضب هو صوت ضمير الشعب)) (5).

ـــــــــــــــــــــــــــــت

1 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 886 .
2 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 58 .
3 – المقري . نفح الطيب . 3: 412 .
4 – المقري . المصدر نفسه . 3: 412 – 413 .
5 عيسى ، فوزي سعد الهجاء في الأدب الأندلسي . 59 .

ويوضح الطاعر مكي موقف الشاعر الرافض ، بقوله : ((وله من زمنه موقف رافض حين رأى اختلال القيم ، وزهوة الباطل ، وغلبة الصغار ، وعجزه عن التغير ، فأدار ظهـــره لكل مما حوله ، وجاء شعره رافضا بكل ما تعنيه الكلمة في عصرنا الحديث ، سخر مما يعظم الناس ، وهجا من يمدحون ن واحتقر من يكبرون ، وجاء هجوه لهم مفحشا ، ونقده قاسيا ، فأهمله المؤرخون خوفا ممن هجاهم ... كان داعية ثورة حين استطاب الناس المتع واللذة ، وخلدوا إلى الدعة الراحة وآثروا الأمن والسلامة)) (1) .

وإلى جانب هجاء السميسر لملوك الطوائف ، هناك شعراء آخرون شاركوه ثورتـــه على هؤلاء الملوك المتخاذلين ، فانطلقوا يتوعدون ويلوحون بتخاذلهم وخيانتهم للمســـلمين ولاسيما بعد سقوط طليطلة بسبب مصانعةأولئك لبملوك للنصارى واتفاقهم فيمـــا نينـــهم وعلى التخاذل وإيثار العقود ، وتواطئهم على خطة مشينة عجلت بسقوط طليطلة ، عاصمة القوط قبل الفتح ، وإلى ذلك يشير أحد الشعراء بقوله (2) :

وقيـــل تجمعوا لفراق شمل	طليطلة تملَّكـــها الكَفـــورُ
فقـــل في خُطة فيها صَغار	يشيب لكَرِها الطفل الصغير
لقد صمَّ السميع فلم يعول	على نبـــإ كما عميَ البصير

وحين سقط ملوك الطوائف تشفى فيهم الشعراء ، وتعالت أصواهم معـــبرة عـــن أحاسيس الشماتة إزاء أولئك الملوك الذين طالما استمرأوا الفساد ، وروحوا عـــن أنفســـهم بالقصف واللهو والغناء عن الجهاد ، ولم يبالوا فيما ينتظرهم من مفجعة وأليمة ، ويعـــــبر أبو الحسين بـــن الجد(3) عن هذه الحياة اللاهية ، مصورا ملوك الطوائف تصويرا مزريـــا ، فيقول (4):

في كل يوم غريب فيه معتـــبر	نلـــقاه أو يتلقَّـــانا بـــه خـــبر
ارى الملوك أصابتهم بأندلـــس	دروائر السوء لا تُبقي ولا تذر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجىقدرٌ	هوى بانجمهم خسْفًا وما شعروا

1 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة . 74 .

2 – المقري . نفح الطيب . 4: 485 .

3 – هو أبو الحسين يوسف بن محمد بن الجد انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 556 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 340 .

4 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 242 .

وكيف يشعر من في كفه قـــدح   يحدو بـــه مُلهيـــاه الناي والوتر
صمَّت مسامعه من غير نغْمتـــه   فما تمـــر بـــه الآيات والســـور
تلقاه كالفحل معبودا بمجلســـه   لـــه خـــوار ولكن حشوه خور
من حوله كلُّ مغترٍّ وما علمـــوا   أنَّ الـــذي زخرفتْ دنياهم غرر

يمكن أن نعتبر هذا النوع من الهجاء والانتقاد أرقى وأعمق ، لأنه يتصـــل بصـــميم السلوك السياسي للخلفاء ، في عهد الفتنة ،وما يتعرضون له من عزل وموت ،كما هو شأن الخليفة هشام المؤيد ، وعزل وقتل للخلفاء الآخرين ، وكذلك ملوك الطوائف ، الذين أثبتوا ضعفهم وخضوعم للنصارى بدفع الجزية أو التنازل على الحصون أو التآمر ضـــد بعضـــهم البعض ، فكانت هذه المواقف المزرية محل هجاء الشعراء لهم وتعريتهم وأصبحوا محل سخرية من الأمة الإسلامية في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، إلى أن هوى سلطانهم في يـــد المرابطين ، ونالهم التشفي كما تقدم .

هجـــاء الـــوزراء:

إذا كان منصب الخلافة ، وهو أعلى منصب في الدولة ، بلغ هذه الدرجة من الـــذل والمهانة ، فليس غريبا أن تصبح بقية المناصب العليا في الدولة مناصب جوفاء ، فالوزارة مثلا أصبحت منصبا شكليا ، وحضور الوزير أو غيابه لايغير من الأمر شيئا قال حسان بن مالك ابن أبي عبدة الوزير (1) يخاطب الخليفة المستظهر (2) :

إذا غبتُ لم أحضرْ وإن جئتُ لم أُسل   فسيان مني مشهدٌ ومغيـــب
فأصبحتُ تيمـــيًّا وما كنت قبلهـــا   لِتَيْمٍ ولكـــن الشبيه نسيـــب

وهذ المناصب أصبحت اسما بدون مسمى فهي ((زخرف من التسطير وضع علـــى غير حاصل ، ومراتي وضعت على غير طائل ، تنافسها طالبوها يومئذ بالأمل لم يحلوا منـــها بطائل ولا قبضوا منها مرتبا ولانالوا بها مرتفقا)) (3) .

وبهذا أصبح منصب الوزارة كمنصب الخلافة وملوك الطوائف محل هجاء الشعـــراء

---

1 – هو حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وزير من العلماء باللغة والأدب في الأندلس ، توفي سنة 316 هــ . انظر ابن شهيد . ديوان تحقيق يعقوب زكي . 44 .

2 – المقري . نفح الطيب . 7: 436 .

3- ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 137 .

فقد قال أبو الربيع (1) في حكم بن سعيد الحائك وزير هشام المعتد الأموي (2) :

هبْك كما تدعي وزيـــرا   وزيـــر من أنت ياوزير ؟
والـلـــه ما للأمـــير معنى   فكيف من وزَّر الأمـــيرُ

غـــير أن أغلب هذا الهجاء ، كان يخفي وراءه بواعث ذاتية ، إذ كـــان منصـــب الوزارة مطمحا للكثيرين ، فكان هجاء الوزراء في معظمه ناجما عن حقد وضغينة للمكانة التي يتبوأها هذا أو ذاك)) (3) ، كابن شهيد له بعض القصائد(4) في هجـــاء الـــوزراء ، صدر فيها عن دوافع ذاتية ، لاداعي لذكرها ، مادمنا نحن بصدد هجاء صدر فيه أصـــحابه عن دوافع سياسية ،كما هو الشأن في هجاء الوزراء اليهود ، في عهد ملوك الطوائف ، بعد تسلطهم في غرناطة وتمكنهم من منصب الوزارة ، وهو منصب يمكن صاحبه في ذلك الوقت من السيطرة المطلقة في الدولة ، وسبب ذلك يكمن في أن ملوك غرناطة ((لم يلتمسوا العون لدعم حكومتهم عند بربر قبيلتهم ، ولا من العرب أو الأندلسيين لعدم الثقة فـــيهم ، ولمـــا يضمروه لهم هؤلاء من البغض (5) .

و لم يمض غير يسير من الوقت حتى أصبح اليهود في غرناطة ، يشكلون قوة إقتصادية وسياسية ، فأثار ذلك غضب بعض العناصر المسلمة من بربر وغيرهم .

وقد أخذ غير شاعر يستثير العامة للثورة على اليهود ،وزعميهم يوسف بن النغريلة ، ومنهم السميسر وأبو الحسين بن الجد ، القائل في سخط وغضب (6) :

تحكمت اليهود على الفروج   وتاهـــت بالبغال وبالســـروج
وقامت دولة الأنـــذال فينا   وصار الحكـــم فينا للعلـــوج
فقل للآعور الدجال هـــذا   زمانك إن عزمتَ على الخروج

فالشاعر يشكو وبمرارة من تحكم اليهود الأنذال وما يتمتعون به من مظاهر البذخ

---

1 – لم نعثر على ترجمة له .
2 – ابن عذارى . البيان المغرب .3: 147 .
3 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأتدلسي . 122 .
4 – ابن شهيد . ديوان .تحقيق يعقوب زكي . 8 ، 138 ، 164.
5 – غرسية إميليو غومس . مع شعراء الأندلس والمتنبي . 83 .
6 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 562 .

والترف كالخيول المطهمة ، ونحو ذلك مما حرم منه المسلمون ، ويأسى لهذه الدولة التي يحكمها هؤلاء العوج ، ويرى أن ذلك من أكبر علامات الساعة ولذلك يدعو المسيح الدجال إلى الخروج لأن هذا زمانه .

وقد عبر أبو إسحاق الإلبيري ، عما كان يختلج في نفوس هؤلاء من يوسف بن النغرلة واليهود ، بقصيدة كان لها صداها قي مختلف أوساط الغرناطيين ، فيقول (1) :

أَلا قل لصنهاجة أجمعين   بُدورِ الندى وأُسْد العرين

لقد زلّ سيدكم زلة   تقِرُّ بها أعين الشامتين

تخيَّر كاتبه كافرا   ولو شاء كان من المسلمين

فعزّ اليهود به وانتخوا   وتاهوا وكانوا من الأرذلين

ونالوا مناهم وجازوا المدى   فحان الهلاك وما يشعرون

فكم مسلم فاضل قانت   لأرذلِ قرد من المشركين

وما كان ذلك من سعيهم   ولكن منا يقوم المعين

فهلاَّ اقتدى فيهمُ بالأُلي   من القادة الخِيْرة المتقين

وأنزلهم حيث يستاهلون   وردهم أسفل السافلين

أباديس أنت امرؤ حاذق   تصيب بظنك نفس اليقين

فكيف اختفت عنك أعيانهم   وفي الأرض تضرب منها القرون

وكيف تحب فراخ الزنا   وهم بغَّضوك إلى العالمين

وكيف يتم لك المرتقى   إذا كنتَ تبني وهم يهْدمون

وكيف استنمتَ إلى فاسق   وقارنته وهو بِيْس القرين

وقد أنزل الله في وحيه   يحذِّر عن صحبة الفاسقين

فلا تتخذ منهم خادما   وذَرهم إلى لعنة اللاعنين

فقد ضجَّت الأرض من فِسقهم

وكادت تَمَيْد بنا أجمعين

تأمَّل بعيْنيْك أقطارها   تجِدهم بها كلابا خاسئين

---

1 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان .96 – 100 .

وإني احتللــــتُ بغرناطـــة　　　فكنـــــتُ أراهـــم بهـــا عابثيـــن
وقـــد قسمـــوها وأعمالَها　　　فمنهـــم بكـــل مكـــان لعيـــن
وهـــم يقبضـــون جباياتها　　　وهم يخضمـــون وهم يقبضـــون
وهم يلبَسون رفيع الكسا　　　وأنتـــم لأوضعـــهـــا لابســـون
وهم أمناؤكم على سركم　　　وكيف يكون خَـــؤون اميـــن ؟
ويأكل غيرهـــم درهمـــا　　　فيُقصى ، ويُدنَـــون إذ يأكلـــون
وهم يذبحون باسواقهـــا　　　وأنتـــم لأطـــرافـــها آكلـــون
ورخَّـــم قردهـــم داره　　　وأجْـــرى إليـــها نَميْر العيـــون
فصارت حوائجنا عنده　　　ونحـــن على بابـــه قائمـــون
ويضحك منا ومـــن دينا　　　فـــإنـــا إلى ربنـــا راجعـــــون
ولو قلتض في مـــاله إنـــه　　　كمالك كنتَ مـــن الصـــادقين
فبـــادر إلى ذبحـــه قربـــة　　　وضحِّ بـــه فهـــو كبـــش سميـــن
ولاترفع الضغط عن رَهْطه　　　فقـــد كنَـــزوا كـــل عِلْـــق ثمين
وفرِّق عِداهم وخذ مالهم　　　فـــأنت أحـــق بمـــا يجمعـــــون
ولاتحسبنْ قتلهم غـــدرة　　　بـــل الغدرِ في تـــركهـــم يعبثون
وقد نكثوا عهدنا عندهم　　　فكيـــف تـــلام على الناكثيـــن
وكيف تكون لهم ذمـــة　　　ونحـــن خُمـــول وهـــم ظاهرون
وراقب إلهك في حـــزبه　　　فحـــزب الإلـــه هـــم الغـــالبون

لم يجرأ الشاعر على هجاء باديس بن حبوس وتوجيه النقد إليه مباشرة ، آثر توجيـــه قصيدته هذه إلى عامة الغرناطيين يستثيرهم ويستفزهم ، ويصف لهم ما آل إليه حال الـــبلاد والعباد في ظل هذا الملك البربري ، ((هل يستطيع هؤلاء البربر أن يفهموا الشعر العـــربي ؟ ربما كان محتملا أنهم لايستطيعون التقاط معاني كل الكلمات تفصيلا ، لكنهم على الأقـــل يفهمون الفكرة العامة التي يريد أن يعبر عنها الشاعر)) (1) ، فقد لجأ الشاعر إلى اختيـــار العبارات السهلة والمعاني العامة التي يفهمها أي مسلم حفظ القرآن أو درسه ، كما اخـــتار

---

1 – بيرس ، هنري . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . 246 .

أبياتا قصيرة ذات إيقاع سهل ، وحتى المعاني التي عبر عنها بسيطة وواضحة لاغموض فيها ، واختار لها الألفاظ الصلبة القاسية التي يمكن أن تقع في أذهان الغرناطيين فيدركونها في يسر وسهولة ، ومع ذلك فإن القصيدة لاتخلو من بعض الصور والمعاني الدقيقة.

فالشاعر يوجه النصيحة إلىالصنهاجيين وهي نصيحة مشفق عليهم محب لهم ، يرى النصيحة قربى لله ودينا يدين به ، فينبههم إلى خطأ الملك باديس في اختيار وزير يهودي ، من غير المسلمين ، مما جعل اليهود يتطاولون عليهم ويعتزون بعدما كانوا أذلة ، وحققوا كل أمانيهم في الظفر بالجاه والمال والسلطان ، فكم من مسلم ذل أمام قرد من هؤلاء القردة اليهود .

لقد كان الأجدر بباديس أن يقتدي بالأولين في إعزاز المسلمين ، وإنزال هؤلاء اليهود منازلهم التي يستحقونها والتي كانوا فيها أذلة صاغرين تطوف بنا أفواجهم في ذلة وصغار ، ولكنه جعلهم يستخفون بأعلامنا ويستصغرون شأننا ويستهزئون بديننا .

ثم توجه الشاعر إلى الأمير باديس يلومه ويعاتبه وينبهه إلى هؤلاء اليهود الذين قربهم ، ومكن لهم من شؤون المسلمين .

ويعجب من أمر هذا الملك ، وهو الحاذق الذكي اللبق إذ ركن إلى هؤلاء اليهود وأحبهم ، وهم فراخ الزنا واستنام إلى زعيمهم الفاسق وركن إليه ووثق به مع أن الله سبحانه وتعالى حذر من صحبة الفاسقين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، ثم يطالب بنبذهم ، فقد ضجت الأرض من رجسهم وكادت تميْت من شرهم ، ثم يعجب من إيثاره لهم ، وتقريبه لهم ، وهم المبعدون في الأرض والمنبذون من الخلق .

لقد اقتسموا غرناطة واستأثروا بخيراتها وجباياتها وحكمها ، ويلبسون أفخر الثياب بينما المسلمون يرتدون أحقره وأوضعه ، وهم الأمناء على أسراركم مع أنهم خائنون لا يؤمنون على سر .

ومن العجيب لا يسألون عما ينهبون ، ولا يحاسبون على ما يلبسون بينما يقصى من غيرهم من يجمع درهما ، وهم يذبحون ويستأثرون بأشهى المطاعم ، بينما المسلمون لايحصلون على أدناه ، وهذا وزيرهم اليهودي يعيش عيشة مترفة في قصر فاخر محلى بالرخام مزين بالنقوش ، والمسلمون يتسولون على بابه ويلتمسون في ذلة حوائجهم عنده ، وهو

يسخر من ديننا فإلى الله المشتكى منه ، وأما ثروته فإن عادلتها بثروتك ياملك لكانت مثلها.

ثم يطلب من الملك باديس المبادرة بذبح هذا الوزير فإنه كبش سمين يصلح للتضحية ، كما يطلب إليه أن يأخذ بالشدة قومه من اليهود ، وأن يمزق شملهم ويصادر أموالهم ، فإن المسلمين أحق بها . ويبرر للملك هذا الإنتقام ، حيث أنه ليس نكثا ولا غدرا بميثاق ، فإنه لا عهد لهم ، ولاميثاق ، فكم نكثوا من عهد ونقضوا من ميثاق ، إن الغدر في تركهم يعيثون ويعبثون .

كيف تكون لنا همة وينهض لنا كيان ، ويكون لنا شأن وهم الظاهرون ونحن الخاملون المتقاعسون ؟

ثم يحمل الملك باديس مسؤولية تركهم على هذا الحال وعدم أخذهم بالشدة ، ويذكره بأن الله رقيب عليه يحاسبه على ما إئتمنه عليه من تولي شؤون المسلمين .

وقد كانت هذه القصيدة السياسية سببا في شهرة الشاعر عند الأوربيين ، وذلك لدورها الخطير لعبته في إثارة مسلمي غرناطة ضد اليهود ، يقول غومس : ((والحق أن القصيدة تستحق ما حظيت به من شهرة ، ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتا من الشعر لعبت دورا سياسيا مباشرا في التاريخ السياسي لأمة من الأمم ، فكهربت العزائم ، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق ، وشحذت السيوف للقتل ، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة)) (1) ، ويضيف قائلا : ((الشعر الأندلسي لم يعرف أبدا البساطة عارية كما عرفها في هذه القصيدة ، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها ، يلفها مثل هذا الإعصار من المشاعر لقد اجتاحت أنغامها ، حية متوهجة ، أعماق المدينة ، مع زفير النيران وحشرجة الموتى)) (2) .

وهكذا عبر أبو إسحاق الإلبيري في هذه القصيدة المناهضة لليهود عما كان يجيش في نفوس أوساط المجتمع الغرناطي ، فوقع الهجوم على اليهود بالمدينة وقتل منهم عدد كبير وفي مقدمتهم يوسف بن النغرلة كما تقدم (3) .

---

1 – غومس ، إميليو عرسية . مع شعراء لأندلس والمتنبي . 97 .

2 – غومس ، إميليو غرسية . المرجع نفسه . 98 .

3 – انظر هذا البحث .66 ،67 .

ويـــرد كامل الكيلاني قدرة تأثير الشاعر في المجتمع الغرناطي إلى معرفته كيف يوالي في قصيدته ((اطراد الأدلة واتساقها وتدفق المعاني وغزارتها مع دقة عجيبة في التعـــبير عـــن أغراضه وخـــوالجه بكلام فخم يتطاير حماسة ويتأجج نارا ، وشعر صارخ . وبهذا استطاع أن يوهم سامعيها أن قتل أولئك اليهود فرض لامناص من أدائه .. وكذلك لم يترك وســـيلة من الوسائل إلتي تستفز أخفى العواطف الدينية الكامنة إلا استخدمها ولا نغمة من نغمـــات التعصب للعقيدة إلا ضرب على وتيرتها)) (1) .

وأمـــا فوزي سعد عيسى فإنـــه ، يقول : ((ولم يتكلف الإلبيري ، ولم يغرب في صوره ومعانيه وألفاظه ، بل اختار هذا الأسلوب السهل المباشر الذي يقترب من أسلوبالنثر إلى حد بعيد ، لأنه أدرك بحاسته الفنية الدقيقة أن حظ أولئك البربر من الثقافة العربية ضئيل، وأن نصيبهم من تذوق الشعر والوقوف على أسراره محدود)) (2) .

لقد كان لهذه القصيدة صدى كبيرا عند كثير من الشعراء ، إلى جانب ذلك الأثـــر السياسي الذي رأيناه ، فقد اخذ كثير من الشعراء يعتمدون هذا الأسلوب ، ويحملون على اليهـــود حملة شرسة ، ويندددون بمن مكن لهم من هذا السلطان والنفوذ ، وكذلك منصب الوزير ، في أي مملكة كان ، فهو محل هجاء ونقد سواء أكان في تطرفـــه في نفـــوذه أو في إهماله من دوره كوزير .

هـــجـــاء العمـــأل (الـــولاة) :

لم يكتف الشعراء بهجاء الخلفاء وملوك الطوائف وانتقاد تصرفاتهم وفضح اساليبهم ، والتجريح بهم إلى حد الفحش أحيانا ، ولم نورد مثل هذا الهجاء الفـــاحش والمقـــذع لأن الذوق ينأى عن إثباته كشعر السميسر (3) ، ولم يسلم أحد ممن شغل مناصب رسمية مـــن ألسنتهم كالوزراء، ، فقد نال بعضهم شيئا من الإنتقاد لسبـــب أو لآخر ـــ كما تقدم ـــ كذلك طائفة أخـــرى من رجال السياسة ، وهم وعمال الكور، نالوا نصيبهم من الهجـــاء لأنهم يمثلون السلطة بشكـــل أو بآخر، ولأنهم ينفذون سياســـة الحاكـــم أيا كان لـــونها ،

---

1 – الكيلاني ، كامل . مختارات في التاريخ والأدب . 244 .

2 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 88 .

3 – السلفي . أخبار وتراجم أندلسية . 84 .

وكان عليهـــم أن يديروا أعمالهم على أسس من العدالة والتراهة ، ولكن كثيرا منهم انحرف عن مهمته الموكلة إليه ، فانتهجوا أساليب القسوة والغلظة في معاملة الرعية ، ولم يتورعـــوا عن ارتكاب الجرائم والموبقات ، وانصرفوا إلى الإثراء الفاحـــش بالطرق غير المشـــروعة ، فتصدى الشعراء لهـــؤلاء لفضح أساليبهـــم ، وكشف عن فسادهم ومن ذلك قول حبلاص الرنـــدي(1) في هجاء أحد الولاة (2) :

لاتفرحن بولاية سوغتها	فالثور يعلف أشهرا كي يذبحا

وهذا الأصيلى أبو عامر محمد (3) له غير مقطوعة شعرية في هجاء عمال بـــني ذي النون ورؤساء حصونه ، يقول (4) :

قل لابن ذي النون الرئيس الذي	ليس لـــه شيء من البخـــت
يـــا مالكـــا يجعـــل قـــواده	قـــوما غدوا عليـــه باللفـــت
جـــاءوا إلى الشرق جياعا فما	فما يشبعهم شيء من السحب
مـــن كـــل حـــراث له لحية	تدهن بالشحـــم وبالـــزيـــت
إن صـــر في حصـــن رأى أنه	قـــد أدخل العالم في تخـــت
يحســـد فـــرعون على قوله	((وهذه الأنهار مـــن تحـــتي))
ما هـــذه الأشـــباح تبا لهـــا	قـــد ملئت بالسفـــه البحـــت
هيهـــات لاحـــر ولا حـــرة	في بـــاب إقليـــش إلى البـــنت

أمـــا المقطـــوعات الأخرى في هجاء رؤساء جزيرة شقر وهجاء رئـــيس حصـــن بلنسبة (5) ، ومثل هذا الهجاء الذي فيه كثير من الإقذاع، قد يكون منطلقه ذاتيا وله علاقة بالحاجة المادية .

---

1 – حبلاص الرندي كان شاعرا برندة ، لما حل المرابطون بالأندلس مدح أحد رؤسائهم . انظر أخباره : المقري . نفح الطيب . 4: 133 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 336 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 133 .

3 – هو أبو عامر محمد بن الأصيلي ، كان جوابة الآفاق ، ومن كبار فحول الشعراء والكتاب في القرن الخامس الهجري . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 875 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 308 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 444 .

4 – العماد الإصفهاني .المصدر نفسه . 2: 309 .

5 – العماد إصفهاني . المصدر نفسه . 2: 309 – 310 .

لقد كان الهجاء السياسي الذي وصل فيه الشعراء إلى درجة الإنتقاد العنيف والهجاء المقذع للحلفاء والحكام ، في القرن الخامس الهجري ، كات سببا في مواجهة هؤلاء الشعراء وملاحقتهم وترصدهم للإيقاع بهم الأذى من قتل ونفي وسجن .

وقد أتاح السجن لبعض هولاء مجالات أخرى للقول والتعبير عن وضعهم الجديـــد نتيجة لمواقفهم السابقة ، وبذلك يعتبر شعر السجن مرتبطا بالهجاء السياسي أعمق الإرتباط.

الفصـــــــــــــل الثـــــاني

شعـــــــــر السجـــــــن

يعد شعر السجن شديد الصلة بشعر الهجاء السياسي ، فهو نتيجـــة لــــه في معظـــم الأحيان ، إذ كثيرا ما يؤدي الموقف الأول بصاحبه إلى السجن عقابا له ، وقد يكون السجن لأسباب أخري لاداعي للخوض فيها .

ومع أننا سنقتصر في هذا المجال على شعر السجن الرتبط بالسياسة وأحداثها ، فـــإن دواعي السجن السياسي وظروفها تختلف من سجين لآخر ، وسنتعرف على ذلـــك أثنـــاء دراستنا للنصوص الشعرية التي عبرت عن عن هذا الاتجاه في الشعر الأ،دلســـي ، في القـــرن الخامس الهجري .

أما الذين توافرت لنا نصوص من شعرهم في السجن ، فهم في الغالب مـــن الـــذين اتخذوا مواقف لم ترض الحكام ، أو اقترفوا ما استوجب سجنهم في نظرهم ، أو حتى قتلهم ، وهم أحيانا من كبار رجال السياسة انفسهم ، ومن أشهرهم : أبو عامر أحمـــد ابن عبد الملك بن شهيد (1) ، وابن حزم (2) ، عبد الملك وابن غصن الحجاري (3) ،

---

5 – كان ابن شهيد ينعم بظلال والعامريين ، لكن الفتنة سلبته هذا العز وهذا الرفه ، فلحقته سعايات ووشايات ، واوقعه سوء حظه مع الحموديين ، فسعي به إلى المعتلي يحي بن حمود أثناء خلافته بقرطبة زمن الفتنة فنكبه وسجنه ، وفي السجن وصف السجين وأشـــار إلى الحساد والواشين ، وتحدث عما يعانيه إلى أن أطلق سراحه . انظر تفاصيل ذلك : ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 203 ، بلا، شارل . ابن شهيد الأندلسي ،حياته وآثاره .43 ، عبد العزيز ، أحمد .قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي . 46 .

3 - كان ابو محمد علي بن حزم في عصر الفتنة وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله ، ثم لهشام المعتد بالله ، وقد سجنه يحي بن علـــي بـــن حمدون لاتهامه بالميل إلى المويين قبل ذلك . انظر تفاصيل ذلك : ابن حزم . ديوان . 14 ، ابن بسام . الذخيرة 1/1: 169 .

1 – هو أبو عبد الملك بن غصن ، نكبه المأمون بن ذي النون ، واعتقله مع جماعة من النبلاء بوبذة من أعمال طليطلة ، فكتـــب إليـــه رسالة((في صفة السجن والمسجون والحزن والمحزون)) دلت على مكانه من العلم والأدب والحفظ ، وأودعها ألف بيت من شـــعره في الاستعطاف ، وسبب نقمة المامون عليه صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة ، وبلغ المأمون أنه يقع فيه كثيرا ، فنكبه شر نكبة وحبسه .، وتوفي سنة 454 هـــ . وقد خلط الرواة بينه وبين عبد الملك بن حصنالذي نكبه المأمون بن ذي النون ، فيما يرى شوقي ضيف ، ورد عليـــه إحسان عباس مرجحا أنه عبد الملك بن غصن. أنظر نرجمته : ابن بسام . الذخيرة. 1/3: 332 ، ابن سعيد . المغرب. 2: 30 العماد الإصفهاني . الخريدة 2: 166 ، ابن الأبار إعتاب الكتاب . 218 – 220 ، والمقري . نفح الطيب . 3: 263 ، 264 .

وابن زيدون (1)، وابن عمار (2) ، والمعتمد بن عباد ، وغير هؤلاء .

وبالنظر إلى شعرهم اذي عبروا به عن نكباتهم ، نلاحظ تشابها في المواقف حينـــا ، وتمايزا حينا لآخر ، ومع أنهم حاولوا الاعتماد على الكلمة لإثارة الشفقة ونيل رضا وعطف الحكام ، فقد أجيب بعضهم ، ولم يجب البعض الآخر ، على أن هذا الشعر لم يكتف بمجرد تسجيل النكبات ، بل تعدى ذلك إلى تناول عدة قضايا يمكن عدها من العناصر الرئيسية في شعر السجن .

وهكذا اتخذ هؤلاء الشعراء السجناء الشعر وسيلة للاستعطاف الاعتـــذار ووصـــف الهموم النفسية التي ، وتصوير السجن وما ينتاب السجين من مشاعر ويعرض له من هواجس في هذه التجربة القلسية والمرة التي يفقد فيها السجين حريته .

وصف السجن:

لقد وصف شعراء القرن الخامس الهجري في شعرهم السجون التي ســـجنوا فيهـــا بصور مختلفة ، فهذا عبد الملك بن غصن الحجاري يصور السجن بالقبر الذي دفن به حيا، ويلتمس رحمة المأمون بن هود حتى يفارقه ، فينشر مرة أخرى ، يقول (3):

فديتُك هل لي منك رُحمى لعلني   أُفارق قبرا في الحياة فأُنشرُ

ويكرر ابن حزم صورو الحجاري ، فهو حي يسكن قبرا ، فكيف تكون حالته ؟ إنه ينظر بعين أسير قل رجاؤه وعز مطمعه ، فقد طال محبسه في هاويات السجن، وتفرق

---

1 – يعد ابن زيدون من الشعراء المقدمين لدى ابي الحزم بن جهور ، فإنه وقع فريسة المؤامرات التي حيكت حوله ، وأوقعت عليه اتهامات بمحاولة القيام على دولة بني جهور ، ((وأن غشيانه مجالس ولادة غشيان مريب ، قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقاربها الأمـــويين المغلوعين)) ، وماكان من ابن جهور أن لفق له تهمة وسجنه ، وفر بعدئذ منه إلى إشبيلية عند المعتضد بن عباد . انظر هذه الخبار : ابـــن زيدون . ديوانه ورسائله . تحقيق على عبد العظيم . 40 ، الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي .175 ، عبد العزيز ، أحمد . قضـــية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. 40

2 – كان ابن عمار وزيرا للمعتمد بالله وسيره إلى مرسية ، فاستخلصها من بني طاهر ، ثم استأثر بها لنفه وأنزل اسم الملك المعتمد مـــن منابرها ، ولكن سرعان ما وقع في يد المعتمد وقتله بيده بعد سجنه لمدة . انظر تفاصيل ذلك : ابن بســـام . الـــذخيرة . 1/2: 268 ، 403 ، 422 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 159- 161 ، المراكشي . المعجب . 125 ، 129 ، ابن عمار . شعره تحقيق صلاح خالص .152، وتحقيق مصطفى الغديري . 14 .

3 – المقري .نفح الطيب . 3: 424 .

شمله ، يقول (1) :

أم كيف حالة حيٍّ ساكن جَـــدثا   يرنـــو بعين أسير عزَّ مطمعـــه
قد طال في هاويات السجن محبسه   وانشتَّ من شمله ما كان يجمعه

ثم نجد عبد الملك الحجاري ، قد ضاق سنه وضاقت حليته حتى صار كعش الحيـــة الصغيرة ، وهو يتجنب ذكر خله في سجنه إكراما له ويخجل حتى من طيف الخيال الذي يلم به مسلما ، فيقول ((2) :

على أنني من صيق سجني وحِليتي   بَليتُ كما حُدِّثْتَعن حِفش أيِّم(3)
أُجانبُ فيه ذكرى خِلِّي كرامة   وأخجلُ من طيف الخيال المسلِّم

ونجد عبد الملك الحجاري يصف حالته في سجن أرضي ، ليس له في وطء الأرض حظ ، وليس له نصيب في نشق الهواء ، وإن سجنه في ضيقه كأنه ظلف شاة ولايسمع فيه دبيب لذي دبيب ، فيقول (4) :

مالنا في وطء البسيطة حظ   لا ولا في نشق الهواء نصيب
في محلٍّ كأنه ظِلـــف شاة   ليس فيه لذي دبيب دبيب

وهذا السجن الضيق في الأرض الشبيه بالقبر المتصف بالسكون والوحشة ، قد يكون أيضا في السجن العالي المنقطع عن العالم ، الذي يزيد وحشة السجين وحشة فوق وحشـــة التي هو فيها ، فكأنه ملاذ الجن والنسور ، وهو مكان موحش لايعرف فيه الإنسان أخـــاه الإنسان ، وهو قصر شيد بين النجوم وأوكار النسور ، يقول ابن عمار في وصف ســـجنه (5) :

عال كأن الجن إذا مَردتْ   جعلتْـــه مَـــرقاة إلى النســـر
وحش نتاكرت الوجوه به   حتى استربتُ بصفحة البــــدر

---

1 – ابن حزم . ديوان .70 .
2 - ابن الآبار . إعتاب الكتاب .220 .
3 – الحفش . البيت الصغير . لسان العرب مادة (حفش) .
4 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .
5 - – ابن عمار . شعره تحقيق مصطفى الغديري .71 .

قصْرٍ تمهّضد بين خافقتيْ نِسريْن(1) من فلك ومن وكْر
متحير سال الــوقار على عطفيه من كبْــر ومن كبَــر
ملكتْ عنان الريح راحتُه فجيــادُها من تحتــه تجــري

أما ابن شهيد فإنه يصف السجن وصفا تفصيليا مؤثرا ، فقد ابتلي بخمس مصائب، هي فراق أحبته وسجنه والشوق إلى خلانه والذل في سجنه ، وسجان جبار عتيد ، ويلتمس من يبلغ إخوانه أنه مقيم بدار الطغاة طريد ، وهذه الدار ، ينال ساكنيها من الذى ما يجعلهم يقومون ويقعدون على جمر الموت ، ويسمع للجن في أرجائها صوت

كرجع الصدى ونشيد ، وإذا اهتز باب السجن تفطرت قلوب السجناء ، وتقطعت أكبادهم خشية الموت لما ينالهم من العذاب (2) :

فراق وسجن واشتيــاق وذِلــة وجبَّــار حُفَّاظ عليَّ عتيــد
فمن مُبلِّــغ الفتيان أَنِّيَ بعدهُــم مقيم بدار الظالمــين طريــد
ويُسمَــع للجنَّــان في جنباتهــا بسيط كترجيع الصدى ونشيد
وما اهتز باب السجن إلا تفطرتْ قلوب على جمْرِ الحِمام قُعود

وقد أخذ ابن شهيد يطارح الحمام ، ويتباكيان جاهدين ونار الشوق تتقــد بيــــن الضلوع حتى بكت جدران السجن من طول حزنهما وبكائهما ، وأجهش بالبكاء بــاب السجن الحديدي ، يقول (3) :

ومــا زال يُبكيني وأُبكــيه جاهــدا وللشوق من دون الضلوع وَقُود
إلى أن بكى الجدرانُ من دون شَجوها وأجهش بابٌ جانبــاه حديــد

ومثل ذلك نجده المعتمد بنى عباد في سجنه بأغمات ، حيث يقول عنــد حــديث لسرب قطا مررن بسجنه (2):

هنيئا لها أن لم يفرق جميعــها ولا ذاق فيها البعد من أهلــها أهــلّ

---

1 – النسران: كوكبان معروفان على التشبيه بالنسور الطائرة . انظر شعر ابن عمار تحقيق محمد لغديري . 71 هامش 6 .
2 - - ابن شهيد . الديوان .100 .
3 – ابن شهيد ز المصدر نفسه . 101 .
4 – المعتمد بن عباد . ديوان . 187 .

وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

ومع السجن والجدران والأبواب الحديدية نجد بعض الشعراء ، قد صوروا قيـــودهم وكبولهم بصفة خاصة ، فهذا عبد الملك الحجاري يصف الكبل الثقيل في ساقه حين يـــرن كأنه خطيب للمصائب ، يقول (1) :

وكأن الكبل الثقيل إذا ما رنَّ في الساقي للخطوب خطيب

وابن حزم يشكو إلى قيده ما يلقاه من ألم فيئن له القيد لدى شكواه وإن هذا الكبل ليعوقه عن الراحة والنوم ، فكيف يهجع وهو مكبل ، يقول (2) :

يشكو إلى القيد ما يلقاه من ألم فبـــالأنيـــن لـــدى شكـــواه يَرجعُـــه

يا هاجـــعا والرزايا لا تؤرِّقـــه قل كيف يَهجَع من في الكَبل مَهجَعـــه

ويصـــور المعتمد بن عباد مكثه في قيده مبينا أنه يعوقه عن قضاء وطره من أهلـــه ومداواة علة جوارحه ، فإنه رهين القيد الحديدي المبهم ولاسبيل إلى نجاته ، يقول (1):

قضى وطرا من أهله كلُّ نازح وكُرّض يداوي علةُ في الجوارح

سِواي فإني رهنُ أدهمَ مُبهم سبيـــلَ نجاتي آخـــذٍ بالمَبَـــارح

وقد آلم القيد المعتمد في أسره فراح يتضذكر ماضيه وكيف انه تبدل من عز ظـــل البنود ، بذل الحديد وثقل القيود ، وكان حديده رمحا نافذا وسيفا رقيقا مصقول الحديد ، فتحول كلاهما إلى قيد حديدي يعض بساقيه عض الأسود ، فيقول (3) :

تبدّلتُ من عِزِّ ظل البنود بذُلّ الحديد وثِقْل القُيـــود

وكان حديدي سِنانا ذليقا وعَضْبا رقيقا صقيلَ الحديد

فقد صار ذاك وذا أَدْهَما يعَضُّ برجليَّ عض الأسود

ويصور المعتمد أيضا قيوده الحديدية التي التفت حوله والتـــوت عليـــه في شـــكلها وخلقتها بالنعابين التي تتلوى ، وفي قوتها وبطشها ، وهذه القيود لم يحن فكها ، وذلـــك لما رأى من أفرج عنهم من السجناء من أهل أغمات الذين رافقوه في سجنه مدة ، يقول

---

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

2 – ابن حزم . ديوان . 70 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان .170 .

مخاطبا (1) :

تخلصتم من سجن أغْماتَ والتوت   عليّ قيودٌ لم يحن فَكُّها بعـــد
من الدّهْم أمَّا خَلْقُها فأساويـــد   تَلوَّى وأما الأيْدُ والبطشُ فالأسْدُ

وإن قيود المعتمد الحديدية لتنشده بصوتها المفزع نشيدا ثقيلا ، فتبكي عينه لـــذلك النشيد الحزين ، فيقول (2) :

فلو عدتما لاخترتما العَود في الثرى   إذا أنتـــما أبصرتمانير في الأســـر
يعيـــد على سَمـــعي نشيـــــده   ثقيلا فتبكي العينُ بالجِسِّ والنَّقْـــر

والشاعـــر السجين يستخـــدم هنا مصطلحات الغناء كالنشيد والثقيـــل والجـــس والنقر ، ونراه يصف الكبل بأنه يتعطف ويتلوى على ساقيه تعطف الثعبان الذي يســـاورها عضا بأنياب كأنياب الأسد ، ويحذر قيده ، فلو كان صانعوه يشعرون أنه ســـيفعل ذلـــك بالمعتمد لانقطعت أكفهم ومعاصمهم مهابة له ، وهو الذي كان الرجال بعطائه في جنـــة ومن سيفه في جهنم ، يقول (3):

تعطّفَ في ساقي تعطف أَرْقـــم   يُساورها عضًّا بأنياب ضيغم
إليك فلو كانت قيودك أُشعرت   تضرم منها كلُّ كف ومِعصم
مهابة من كان الرجـــال بسببه   ومـــن سيفه في جنة وجهنـــم

ويكر المعتمد صورة القيد كالثعبان الذي يتمدد بحذاه متعطفا متلونا لايرحمه وهـــو السير ، وكان رمحه من قبل في الوغى كالثعبان الذي ينهش رؤوس أعدائه ، فيقول (4):

قد كان كالثعبان رمحك في الوغى   فغدا عليك القيدُ كالثعبان
متمـــدِّدا بحِـــذَاك كل تمـــُّدد   مُتعطِّفـــا لارحمـــة للعاني

وعندما يدخل على المعتمد ابنه الصغير ويرى الطفل أباه في السلاسل ، تتحـــرك

---

1 – المعتمد بن عباد . المصدر السابق .185 .
2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 163 .
3 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 182 .
4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 183 .

مشاعر الأب نحو أبنائه الذين يرون معاناته ،فيقول (1):

قيدي أما تعلمني مسلـــما ؟ أبيتَ أن تشفق أو تَرحـــما
دمي شراب لك ، واللحمَ قد أكلتـــَه لا تَهْشم الأضلـــعا
يُبصـــرُني فيك أبـــو هاشم فينثـــني القلبُ وقد هُشِّـــما
ارحم طُفيلا طائشـــا لُبـــُّه لم يخشى أن يأتيكَ مسترحِما
وارحم أخـــيات لـــه مثلـــه جرَّعتهن السُّـــم والعلقمـــا
منهن من يفهَـــم شيئا فقـــد خِفنا عليـــه للبُكاء العـــمى
والغير لا يفهـــم شيئا فمـــا يفتـــح إلاَّ لرَضـــاع فَمـــا

فالمعتمد يخاطب القيد في رقة يطلب منه ، لماذا لايشفق عليه أو يرحمه ؟ أما يعلم أنه مسلم ؟ فقد شرب دمه وأكل لحمه ، ويناشده بألا يهشم عظامه ، وإن ابنه أبا هاشم حين أبصره في قيده ارتد قلبه كسيرا مهشما فيناشد القيد أن يرحمه ، فهو طفل صـــغير طـــائش اللب ، لم يخش أن يأتيه مسترحما ، وليرحم أخياته فهن قد مثله تجرعن الســـم والعلقمـــا ، ومنهن يفهم شيئا فهي تبكي بكاء مرا حتى إن المعتمد الشاعر السجين ليخاف عليها العمى ، والباقي لايفهم شيئا لصغر سنه فهو لايفتح فمه إلا للرضاع .

لقد صورالشعراء السجن بأنه مكان موحش ضيق يؤذي النفس ويجعل للحياة لونـــا قاتما يناقض لون الحرية ، أما مكانه فتحت الأرض أو في الأماكن العالية رغبـــة في قطـــع السجين عن العالم ، وهم مقيدون بأنواع من القيود الملتوية كالثعابين ، وأبواب الســـجون الحديدية إذا اهتزت انفطرت النفس مخافة الموت ، ثم وجود كائنات حية تزيـــد في رهبـــة السجن وقسوته وكأنها تصـــير لازمة من لوازمه ،ويحدثنا المعتمد عن غربان السجن وأقاربه ، ويمكن لنا أن نتخيل ما يمكن أن يكون هناك أيضا من هذه المخلوقات المخيفة .

ويدعو لغربان أغمات التي نعبت فسمع بعدها خبر قدوم بعض نسائه عليه فأســـره ذلك ، ولكنه يدعو على عقاربها التي ما زالت تخيفه وترهبه ، فيقول (2) :

---

1 – المعتمد بن عباد . المصدر السابق . 181 .

2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 189 .

غربان أغمات لاتعْدَ من ّ طيِّبة   من الليالي وأفنانا من الشجـــر
كما نعِبتُنّ بالفأل يُعجبـــني   مُخبِّرات به عن أطْيب الخـــبر
ويا عقارها لا تعْـــدمي أبـــدا   شجٌّ وعَقْرا ولا نوعا منَ الضرر
كما ملأْتُنَّ قلبي مذ حللتُ بها   مخافةً أسْلمتُ عيني إلى السهـــر

وقد وصف لنا الشعراء السجناء طول مدة سجنهم ، فهذ ابن زيدون يعـــبر عنـــه ، مصورا نفسه بالسيف في قرابه ، فقال (1) :

إن طال في السِجن إيداعي فلا عجبٌ   قد يودعُ الجفنَ حدُّ الصارم الذّكرِ

وعبر كذلك عن نفاد صبره لطول سجنه ، فقال (2) :

وبقاء الحسام في الجفن يَثني   منه بعد المضاء والتصميم
أفصبر مئين خمسا من الأيـــ   ام ناهيك من عذاب أليم

وصور سوء حاله في السجن الذي تطاول أمده بالروضة التي طاولها القحط ، فصوح زهرها ، فقال (3) :

وطال سوء الحال نفسي فأذكرتْ   مَنَى الروضةِ الغَنَّاء طاولَها القحطُ
مِئين من الأيام خَمسٌ قطعتْـــها   أسيرًا وإن لم يبدُ شدٌّ ولا قمـــط

ويصور عبد الملك بن غصن سوء حالته الذي بلغ مدى لايوصف حتى إن الـــردى ليتلظى لأيسر من حالته ، كما تبكي الخطوب في سجنه الأرضي ـــ كما تقدم ـــ ، ويرسم صورة طريفة لرنين كبله الثقيل في ساقه ، ويشبهه في رنينه بالخطيب ، ولكن أي خطيب ؟ إنه خطيب للمصائب ، وإن يد الخطوب قد رمته بقوس ، وكم طاشت فلم تصبه قبل ذلك ، يقول (4) :

نحن في حالـــة ليسر منها   يتلظى الردى وتبكي الخطـــوب
وكأن الكبل الثقيل إذا ما   رنّ في الساق للخطوب خطيـــب

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 147.
2 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 123 .
3 – ابن زيدون . المصدر نفسه .84 .
4 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

إن رمتنا يدُ الخطوب بقوس طالما كان سهمــــها لا يصيـــب

ويصــــور عبد الملك بن غصن حاله كذلك بالجنين في بطن الثرى ، والثرى حامل به ، وإن شفاعة ابن هود التي يرجوها لتيسر مولده ، أي إخراجه من سجنه ، يقول (1):

وها أنا في بطن الثرى وهو حاملٌ فيسِّر على رُقبى الشفاعة مولدي

ويصور ابن زيدون حاله في سجنه ، والتي اصبحت ظاهرة للعيان ، لاتخفي على أحد من الناس ، فمن يسأل عن حاله ، فشاهدها محض العيان الذي يغني عن الخبر ، فقد اعتلى برق المشب عارضه ، ولما يزل شابا لم يخلع برد الشباب ، فسنه دون الثلاثين ، قريب عهد بالصبا ، وهو في معية الشباب ، فغصن شبابه لم يزل غضا فينانا لم يهتصر بعــد ، وقــد أصابته لوعة قدحت نار الأسى في صدره ، وشيبت رأسه إذ طار الشرر إليها فاشتعلت شيبا ، وللرزايا ، فقد شافه منهلها غمرا فغمرته وجرعته من غصصها أقداحا كبارا ، وقد دهمته ألحوادث دون ارتقاب ونالته فحطمته ، وهو في غفلات الدهر آمن قرير، فيقول (2) :

من يسأل الناسَ عن حالي فشاهدُها محضُ العِيان الذي يُغني عن الخـــبر
لم تَطوي بُرْدَ شبابي كَبــْـرةٌ وأرى بَرق المشيب اعتلى في عارضِ الشَّعَر
قبلَ الثلاثينَ إذ عهدُ الصِّبا كَثَبٌ وللشبيبـــة غصــــن غــير مُهتصَـــر
ها إنها لوعةٌ في الصـــدر قادحـــةٌ نار الأسى ومشيبي طائـــرُ الشَّـــرر
يا لَلرَّزايا ! لقد شافَهْتُ منهلَهـــا غَمْرا ، فما أشْرَبُ المكروه بالغُمـــر
حوادثُ استعرضتْني ما نُذِرتُ بها غَـــرارةً ثُـــم نالتْـــني على غَـــرر

ويصف ابن عمار بؤسه في شقورة (3) بأنه يربى على كل بؤس ، فيقول (4):

بُؤْسى شَقـــورة عندي أربى على كل بوسى

---

1 – المقري . نفح الطيب . 3: 363 .

2 – ابن زيدون . ديوان .147 .

3 – مدينة شقورة من أعمال جيان بالأندلس . انظر : الحميدي . الروض المعطار 349 .

4 – ابن عمار . شعره . 122 .

فقدت هارون (1) فيها   فَظَلْتُ أطلُبُ موسى

أما المعتمد بن عباد فقد أفاض في تصوير حاله في سجنه ، وما أصابه من فقر وهم وكمد وقيود مقارنا ذلك بماضيه ، فيصف حاله حيث اتصل به زعانفة الشعر وملحفو أهل الكدية في طنجة أثناء رحلته إلى أغمات ، فسألوه العطاء ، فيرى أنهم إربوا فيما ذهبوا إليه إذ سألوه عسيرا وهو الأسير الفقير الذي لايملك شيئا، وإنه أحق منهم بالسؤال، ولولا حياؤه وعزته التي ورثها عن أسرته والتي تملأ عليه أقطار نفسه ، لحاكاهم في الطلب فسأل الناس مثلهم ، وهو الذي كان يجزل العطاء إن سئل الندى ، ويركب فور سماع نداء الصريخ للحرب ، ويبدو في هذه الأبيات تحسر المعتمد على ماضيه الذي فجره في نفسه سؤال الشعراء ، يقول (2) :

شعراء طنجة كلهم والمغربِ   ذهبوا من الإغراب أبْعد مذهب
سألوا العسير من الأسير وإنه   بسؤالهم لأحقُّ منهم فاعْجبِ
لولا الحياءُ وعزّةٌ لَخْمِيَّةٌ   طَيَّ الحَشا لحاكهمُ في المطلب
قد كان إذا سئل الندى يجزل وإن   نادى الصَّريخُ ببابه: اركَب يَركَب

ويصور المعتمد بن عباد ذله وفقره في رده على رجل يعرف بابن الزنجاري سأله أن يزوده من شعره فيقرر أن لو يستطيع لزوده بالذب بدلا من الشعر ، ولكن النوائب التي أصابته منعته من ذلك ، فقد اصبحت يده صفرا خالية مما تجود به ، وذلك من أعجب العجب الذي قدر عليه وهو في شهر رجب ، فقد آل أمره إلى ذل وفقر أزال عنه عزته وغناه ، وذلك شان الليالي فنعماها قريبة من بلواها ، إذ سرعان ما تتقلب البلوى إلى نعمى ،يمثل ذلك بنفسه ، فقد شجاعا يسلب أرواح الجبابرة في المعارك ، ويحيي قتلى الفقر بتلبية مطالبهم ، وكان ذا ملك تحرسه جنود شجعان من العجم والعرب ، وحين شاء الله نزع ملكه منه ، لم ينفعه دفاعه عن ملكه و لم يغني عنه شيئا ، يقول (3) :

لو أستطيع على التزيود بالذهب   فعلتُ ، لكنْ عداني طارقُ النُّوَبِ

---

1 – يعني بهارون أخا يؤازره، متضمنا الآية الكريمة : (0 واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي)) سورة طه : 28 .
2 – المعتمد بن عباد . ديوان . 154 .
3 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 190 – 191 .

يا سائلَ الشِّعر يجتابُ الفلاةَ به ... تزويدكَ الشّعر لا يُغني عن السَّغـب

زادٌ من الريح لارَيٌّ ولا شِبـعٌ ... غـدا له مؤْثِـرًا ذو اللُّبِّ والأدب

أصبحتُ صفرا يدي مما تجود به ... ما أعجبَ الحادثِ المقدور في رجب

ذُلٌّ وفقـرٌ أزالا عِـزَّةً وغِنى ... نُعمى الليالي منت البَلوى على كثب

قد كان يستلبُ الجَبَّار مُهجته ... بَطْشي ، ويحيا قتيلُ الفقْـر في طلبي

والمُلْكُ يحْرُسُه في ظل واهبـهِ ... غُلْبٌ من العُجْم أو شَمٌّ من العرب

فحين شاء الذي أتاه ينْـزَعُـه ... لم يُجد شيئا قِراع السُّمْـر والقُضُب

فهاكها قطعةً يُطوى لها حَسدا ... السيفُ أصـدق إنباء من الكتـب

ومعظم شعر المعتمد بن عباد في أسره يسير على هذا النحو من الحنين إلى الماضـي والمقارنة بينه وبين حاضره المؤلم ، حيث يعاني الضيم والفقر والذل ، وقد كان شـعره في غاية الرقة والصدق العاطفي ، مما يعطف القلوب نحوه ، نظر لصدق التجربة والمعاناة فضل عن شاعريته الرقيقة التي زادها المحنة رقة وصدقا (1).

ويصور عز الدولة بن صمادح (2) عظم همه وكمده ، فيرى أنه إذا سلم الناس من الهم والكمد ، فغنه قد جمعها حتى إنه لم يبق منهما لغيره ما يحاذره ، فلا يقصدان أحدا في الخلق غيره ، يقول (3) :

إن يسْلَم الناسُ من هَمٍّ ومن كمدٍ ... فإنني قـد جمعْتُ الهَمَّ والكمـدَا

لم أُبقي منه لغيري مـا يُحـاذره ... فليسَ يَقصِدُ دوني في الورى أحدَا

ولاشك أن الشاعر السجين ، يكون له حاسدون وشامتون ، يفرحون لسجنه ومـا يلحقه من أذى ، وقد صور الشعراء هؤلاء الحساد والشـامتين ، وتجلـدوا أمـامهم درءا لشماتتهم ، ومن هؤلاء الشعراء ابن زيدون ، كان قد أكثر من الحديث عن الوشين بـه

---

1 – انظر على سبيل المثال إضافة لما تقدم ، ديوانه .155 ، 187 .

2 – هو أبو مروان عبيد الله عز الدلة بن المعتصم بن صمادح ، كان أبوه قد أرسله في آخر دولته رسولا إلى يوسف بن تاشفين ليهنئـه بالاستلاء على غرناطة ، فاعتقله ،ومكث هناك إلى أن خلصه أبوه وبقي بالمرية إلى ان انقرض أمده . أنظر ترجمته : ابن خاقان . مطمح الأنفس . 403 ، 404 ، ابن الأبار . الحلة السيراء 2: 88 – 92 ، ابن سعيد . المغرب . 2 : 201 – 202 ، المقري . نفح الطيب . 7: 40 – 42 ، ابن خاكان . وفيات الأعيان . 5: 39 ــ 45 ،هذا البحث . 68 هامش . .1.

3 – ابن سعيد . المغرب . 2: 202 .

عند ابن جهور ، ويخاطب هذا الأخيرداحضا أكاذيب الوشاة ، فيقول له : ما بالـــك أيهـــا ألأمير تصغي لأكاذيب الوشاة الواضحة البطلان فتقصر في شد أزري ، وتلتمس الأعذار في التخلي عني ، يقول (1) :

إن زعم الواشون ما ليس مَزعما تُعَذِّرُ في نصري وتُعْذشر في خذلي

ويرسل ابن زيدون لصديقه ابي حفص بن برد يصف أخلاق رجال البلاط والحاشية وغدرهم ونكثهم بالعهد حيث ابتعدوا عنه وكأنه السلمري الذي يعدي من يقترب منـــه بالحمى ، ويصورهم بالذئاب التي هامت بلحمه فأخذت تنهشه بأضراسها وتمزقه بأسنانها ، وإنهم ليسألون عن حاله ، ولكنه سؤال الذئب الذي يحاول افتراسه فيتسلل ليجـــد فرصـــة لالتهامه وافتراسه في الظلام ، يقول (2) :

ما تـــرى في معشر حـــا لوا عن العهد وخاسوا
ورأوني ســـامــــريًّـــا يُتَّـــقي منـــه المِســـاس
أَذْؤُبٌ حامـــت بلحمي فانتهـــاشٌ وانتهـــــاس
كلُّهـــم يسأل عن حـــا لي وللذئـــبِ اعتساس

ويصـــور ابن زيدون موقف أعدئه وحقدهم عليه وكراهيتهم له ، عاتبا على ابن جهور أنه أصم سمعه عن عتابه ، وأصغى إلى وشايات أعدائه الذين يمزقون سمعتـــه كلمـــا وجدوا إلى ذلك سبيلا ، لأنه بلغ الغاية وهم مقصرون فامتلأت قلوبهم حقـــدا عليـــه ، فصارت كالحية الرقطاء ، وهي من أخبث الحيات ، وقد أولاه هؤلاء الحاســـدون جانـــب البغض ، ولا عجب فإن حياتهم قائمة على الحقد والحسد ، فقد نعتوه بالخيانة وليس لها أهلا ، وليس من شأن أمثالـــه أن يرموا بهذا الخلق الذميم ، ويعلل فراره بأنه كان مضطرا إلى ذلك ، فإن جعلوا فراره مثبتا الشك في أمره ، فقد وهموا ، لأن سدنا موسى فـــر مـــن مصر خوفا من فتك الأقباط ، يقول (3) :

عدا سمعَه عني وأصغى إلى عدًا لهم في أديمي كلما استمكنوا عَـــطٌّ

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 159 .
2 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 81 .
3 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 84 .

بلغتُ المدى إذ قصَّروا فقلوبهم مكامِنُ اضغانٍ أَساوِدُهـــا رُقْـــطُ

يُولونني عُرض الكراهة والقِلى وما دهرهم إلا النفاسةُ والغَمْـــطُ

وقد وسموني بالتي لستُ أهلَها و لم يُمن أمثالي بأمثـــالهـــا قـــطُّ

فررتُ فإن قالوا : الفرارُ إرابة فقد فرّض موسى حين همَّ به القِبط

وقد يصور السجين خصومه إلى سجانه ويدعوه إلى ترك أقوال الوشاة الحاســـدين الذين يزيدون في سوء مصيره ، فابن عمار يستعطف المعتمد بن عباد في قصيدته الحائيـــة ، ويقول معرضا بالوشاة (1) :

ولاتلتفت رأي الوشاة وقوْلَهُـــم فكلٌّ إناء بالـــذي فيه يَرْشَـــحُ

سيأتيك في أمري حديث وقد أتى برأي بني عبد العزيز مُوشَّح (2)

وما ذاك إلا ما علمْـــتَ فإنـــني إذا تُبْتُ لا أنْفكُّ آسو وأجْـــرح

تخيلتُهّـــم لا دَرَّ للـــه درّهـــم أشاروا تجاهي بالشمات وصرَّحوا

وقالوا: سيجـــزيه فلان بذنبـــه فقلتُ: وقد يعفو فلان ويصفـــح

ألا إن بطشا للمؤيَّـــد يرتمـــي ولكنَّ حِلمـــا للمؤيَّـــد يرجـــح

وماذا عسى الواشون أن يتزيدوا ســـوى أن ذنبي ثابت مُتصحـــح

نعم لي ذنب غـــير أن لحِلمِـــه صفاة يزِلُّ الذنبُ عنها فَيَسفَـــح

فالشاعر هنا خاضع في استعطافه ، ويقال :((آخر ما أرسل إليه من اســـتعطاف)) ، وهو يوضح مواقف خصومه الذين يزيدون النار اشتعالا ، وهو يحاول بكل ما استطاع ، أن يقنعهم بأن مساعيهم ستبوء بالخسران مقابل رجائه وأمله بحلم المعتمد وصفحه عنه .

وأحيانا نجد هؤلاء السجناء في وصفهم للوشاة من الحساد والخصوم يأخـــذ شـــكل تحذير وتلويح لهم بأن المصير الذي لاقوه سوف يلاقونه هم أيضا ، وأن للأيام يدا طـــولى تنال الجميع ، فهذا ابن غصن الحجاري يسوق تحذيره للشامتين في شكل حكمة (1) :

---

1 – ابن عمار . شعره . 38 – 39 ، ابن بسا . الذخيرة . 1/2: 421 .

2 – ويعني بهؤلاء أصحاب بلنسية ، منهم الوزير أبوبكر بن أحمد بن عبد العزيز خاصة ، وهو الذي كان خصم ابن عمـــار . انظـــر تفاصيل ذلك : ابن بسام . المصدر نفسه . 1/3: 40 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 155

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 218 – 219 .

أزاح الدهر حلـــو الماء عني على ظمأ وأسقاني زُعاقَه

ورُبَّتما استحال السعدُ نَحْسا فـــذاق المعتدي مما أذقـــه

إذا صار الهـــلال إلى كَمال وتم بهاؤه فارقُـــب محاقـــه

وإنَّ عُبوس هذا الدهر يأتي على أثر البشاشة والطلاقه

إذ يعترف الحجاري بمصيره وبقلب الزمان الذي الذي اصابه ، ويؤكد لخصـــومه أن السعد ينقلب نحسا وأن حال البشاشة لابد له من نهاية عابسة دائما .

بهذا نرى الشعراء في السجن وصفوا الشامتين بهم خارج السجن ، وحذروهم ممـــا سيلحقهم ، فلم يفرحوا لأنهم سيلاقون نفس المصير .

الاستعطاف والاعتذار :

طرق الشعراء السجناء هذا الموضـــوع لأنه كان يمثل لديهم أمـــل الخـــلاص مـــن السجن ، والانطلاق إلى علم الحرية من جديد ، فكانت جـــل اشـــعارهم تـــدور حـــول الاستعطاف والعتاب والاعتذار والتماس شفاعة الشافعين ممن يمتون بصلة إلى الحكام .

وكانت اشعار الاستعطاف أحيانا تغلفها مسحة من التذلل والخضوع للحاكم مـــع الاعتراف بالذنب ،لتكون أبلغ تأثيرا في سبيل غايته ، أو قد يختلط هذا الاستعطاف بالمـــدح ليأخذ مأخذه في سبيل الحاكم فيعفو ويصفح ، وقد يتجه الشاعر باستعطاف عـــن طريـــق شفيع يشفع له ، ويتوسل له للوصول إلى ما يتمنى .

ومن الشعـــراء الذين دارت أشعارهـــم في السجن حول الاستعطاف والعتاب ، في القرن الخامس الهجر ، عبد الملك بن غصن الحجاري الذي يستعطف المأمون بن ذي النـــون مع جماعة من النبهاء ، وذلك في رسالته في صفة ((السجن والسجان والحزن والمحزون)) ، يحاول فيها أن يرفق قلبه ، فقد أزاح الدهر حلو الماء وهو ظمآن وسقاه الملح الأجاج الذي لايروي عطشا ولا يبدل اواما ، وإن رجاءه في الظفر برضى المأمون ، فهو إن ظفر برضـــاه حلاله مذاق الماء ، وساغ طعم الحياة ، ولعله يرمز بالماء إلى الحياة ، ولم لا ؟ أليس الله قـــد جعل من الماء كل شيئ حي ؟ يقول (1):

---

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 218 .

أزاحَ الدهرُ حُلوض ماء عنِّي   على ظمأٍ وأسْقاني زُعاقــهْ

وبالمَرْجَوِّ أن أظْفَرْ به مـــن   رضا المأمون يُحلي لي مذاقَهْ

ثم يصـــف حاله وعلاقته بمن قبض عليهم معه ، محاولا التنصل منهم ومن علاقته بهم ، فما جمعه بهم إلا شقاوة ، وما هم منهم إلا في العير ولافي النفير ، وليس له ناقة ولاجمل في أمرهم ، يقول الحجاري (1):

ونـــاسٌ لفَّني بهـــمُ شقـــاءٌ   اَلّمض فزمَّ في ساقي سباقهْ

و لم يك لي بذاك العِير عَيْره   ولا بقطيع ذاك الذَّود ناقه

ونجد الحجاري في مقطوعة أخرى يقول مستعطفا ومعاتبا ومقرا بذنبه (2) :

وليس عقاب المذنبـــين بمنكـــرِ   ولكن دوام السُّخط والعَتبِ ينكر

ومن عجبٍ قولُ العِـــداة مُثقَّلٌ   ومثليَ في إلحاحه الدهـــرَ يُعـــذِر

فهو يقـــر بذنبه وبالخطأ الذي ارتكبه في قح المأمزن بن ذي النون لما بلغه أنه يقع فيه ، لكنه يلح في طلب العفو تحت تأثير النفسي الشديد الواقع عليه في هذه الماساة .

أما أحمد ابن شهيد فكان مواليا للأمويين لكنه لم يحظ مع الحموديين بعلاقة حسنة في قرطبة ـــ كما تقدم ـــ فسجن ، ووجه إلى المعتلي من سجنه قصيدة طويلة ،يصـــور فيهـــا حالهومأساته في السجن ويمدحه في سياق استعطافه واعتذاره غليه ، فيقول (3) :

قريبٌ بمحتلِّ الهوان بعيـــدُ   يجود ويشكو حُزنه فيُجيـــد

نعى ضرَّه عند الإمام فيا له   عدُوٌّ لأبناء الكرام حسُـــود

وفي آخرها يقول (4) :

وراضتْ صِعابي سطْـــوةٌ علوِيـــةٌ   لها بارقٌ نحوض الندى ورُعُود

تقول التي من بيتها خف مـــركبي   أَقْرَبُكَ دان أم نـــوكَ بعيـــد ؟

فقلتُ لها: امري من سَمضتء به   إلى المجـــد آباءٌ لـــه وجُـــدود

---

1 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 218 .

2 – المقري . نفح الطيب ز 3: 424 .

3 – ابن شهيد . ديوان . 99 .

4 – ابن شهيد . المصدر نفسه . 101 – 102 .

أما ابن حزم فإنه يستشفع عند الخليفة بمن يدعوه الحاجب المرتجى السامي أرومتـــه ، متمنيا على الله ، وقد حط الدهر مترلته ، أن يلطف به ، فلا شيء يعجزه ، وأن يحنو علــى شمله فيجمعه بهذا الحاجب الذي أرسى قواعد المجد في بواكير شبابه ، بحيث لاتضعضعه نوب الدنيا ومصائبها ، مادحا أياه بالشجاعة في ساحات القتال حيث تشتجر الرماح ويــتحكم السيف في الرقاب ، كما يمدحه بالاتفاع إلى أسمى غايات المجد ، حيث نال غاية ما كــان يتمناه فخضعت الرقاب لعزه ، وصار موضعه في سماء المجد ، فهو يرتاح لبــذل المعــروف وإجابة سؤال ذوي الحاجات فغص ناديه بالوفود الآمال ، وهو نعم الشفيع لمــن ضــاقت مذاهبه وأسمى من يشفع لدى الخليفة ، ثم يغريه بفعل الخير ، فكل زارع خير عند مضطهد ، سوف يحصد ما كان يزرعه ، داعيا له أن يعيش عزيزا محتكما على الأيام مادام حيا ، يقول : (1)

أقولُ والدهر قد غالتْ غَوائلهُ	وحط مني مكانا كان يرفعــهُ
عسي لطائفُ من لا شيء يعجزه	تَحنو على شَملنا يوما فتجمعه
بمُبتني المجد مذ حُــلَّت تمائمــه	بحيث لا نُوَب الدنيا تضعضعه
بحيث يَشتجِــر الخَطيُّ في صَفد	ويَفطم السيف ذا بأس ويُرضعه
بالحاجب المرتَجى السامي أرومتُه	إلى هلال الذي بالسعْد مَطلعه
سمــا إلى غايــة في المجد ساميــة	فنال غايةَ ما قد كان يُــزمعه
فأصبحتْ قُلل السامين خــاضعةً	لِعزه و سماءُ المجــد مَوضــعه
وارتاح للعُرف و الحاجات يسألها	فغصَّ بالوفْد و الآمال مَصنعه
نِعْم الشفيعُ لمن ضاقت مذاهــبه	لدى الخليفة أسمى من يُشفِّعــُه
و كل زارعِ خير عند مُضطَــهد	فسوف يحصُد ما كان يزرعُــه
فعــش عزيزا على الأيام مُحتكِما	ما هزَّ ذيل الصَّبا غُصنا يُزعزعه

وابن زيدون فإنه قد ضرب بسهم وافر في الاستعطاف والاعتذار والاستشفاع ،

---

1 – ابن حزم . ديوان . 71 – 72 .

ففي قصيدته التي يصف فيها مرارة الاعتقال ، يقول(1) :

يا بهجة الدهر حيًّا وهْو -إن فنيت	حياته-زينة الآثـــــار والسَّيرِ
لي في اعتمادكَ بالتَّأميل سابقـــــةٌ	وهِجرة في الهوى أَوْلى من الهِجَرَ
ففيم غَضَّت همومي من عُلا هِممي؟	وحاصَ بي مَطلبي عن وِجهة الظَّفر؟
هل من سبيل فماءُ العَتْب لي أَسِنٌ	إلى العُذوبة من عُتباك والخَصَرَ؟
نذرتُ شُكرك لا أنسى- الوفاءَ به	إن أسفرتْ لِيَّ عنها أوجُه البشر
لا تلهُ عنيِّ فلم أســأَلْك مُعتسفا	رَدَّ الصِّبا بعد إيفاءٍ على الكِـــبر
و استوفر الحظ من نُصح وصاغيَّة	كلاهماالعِلْقُ لم يُوهب و لم يُعـــر
هبني جهِلتُ فكـــان العلق سيئةً	لا عُذرمنها سوى أني من البشر
إن الســـيادة بالإغضـــاء لابسةٌ	بهاءَها، و بهاء الحسن في الخَفر
لك الشفـــاعةُ لا تُثـــنى أعِنَّتُـــها	دون القَبول بمقْبول من العُذُر
فاشفع أكن مثل مَمطور ببلـــدته	جذلانَ بالوطن المألوف والوطر
و ألبس من النعمة الخضراء أيكتَها	ظلا حراما على الإرماض والخدر
نعيمَ جنةِ دنيا ، إن هي انصرمت	نعمتْ بالخُلد في الجنات و النَّهَر

استهل ابن زيدون قصيدته في مدح ابن جهور بالغزل المرتبط بموضـــوع القصـــيدة ارتباطا عضويا ، حيث يتعرض للذكريات الجميلة التي أعقبها ألم الفراق ، ثم يصـــور حاله في السجن ، ويرد على الشامتين به ، ثم ينتقل إلى مدح ابن جهور ، ويصور حرمانـــه مـــن الأمير وشقاءه في ظله ، على حين سعد به جميع الناس وتلك كبرى العبر ، حيـــث كـــان يحسب نفسه في أوج العلا في ظل الأمير ، فإذا به يصبح ملتصقا بالتراب ، ثم يفتخـــر ابـــن زيدون بأدبه ، في مزج المدح بالاستعطاف ، فالأمير بهجة الدهر في حياته ، وإذا مات فهـــو زينة الآثار والسير ، ويناشده أن يحقق آماله فيه ، فقد هاجر قلبه إليه وتعلق به ، وهجلـــرة القلوب أحق وأولى بالرعاية من هجرة الأجسام . فما للهموم تغض من همم ابن زيدون

1 – ابن زيدون . ديوان . 1 .

العالية ؟ وما لآماله العرضة تنحرف به عن الظفر ؟ ويتساءل ابن زيون ويلح في السؤال عن سبيل ، أي سبيل إلى تذوق رضا ابن جهور العذب السائغ ، بعد أن تكدر الصفو بالعتاب . ثم ينذر لله أن يقوم بشكر الأمير والثناء عليه إن جاءه البشير بصفحه عنه وإقباله عليه ، نذرا واجب الوفاء ، ويحاول أن يعطفه عليه منبها أياه إلى عدم التشاغل عنه ن فإنــه لايطلــب مستحيلا مثل رد الشباب بعد الاشراف على الكبر ، ويغريه بأن يبادر بالصــفح والمغفــرة ليستكثر من نصحه له وميله إليه ، فالنصح الخاص والود المتين كلاهما كالشــيء الــثمين لايوهب ولا يعار ، ويعتذر إليه مفترضا أنه أخطأ ، فإن عذره في جهالته أنه مــن البشــر ، ويغريه بالعفو عنه ، فإن السيادة تزدان بالإغضاء والصفح والغفران ، كما يــزدان الحســن بالحياء ، والأمير له الشفاعة المطلقة التي لايقف في سبيلها أي عذر من الأعذار ، فليشفع له ، فإن شفاعته ستجلب له الأمان ، فيكون مثل من يأتيه الخصب والنمــاء في وطنــه دون اغتراب ، فيسعد بإقامته في وطنه وقضاء حوائجه فيه ، ويدعو ابن زيدون للأمير في ختــام قصيدته بأن يتمتع بظلال النعيم ، آمنا من لفحات الحر ولذعات البرد ، متمنيا له النعــيم في الدنيا حتى إذا رحل عنها بالخلد في الجنات والنهر .

ونلاحظ على استعطاف ابن زيدون واعتذاره ، أنه لا يخضع ولا يذل بل يضع نفسه على قدم المساواة مع ابن جهور ، بل إنه في بعض الأحيان بل في كثير منه ، يفتخر بنفســه ورأيه وأدبه ومؤهلاته التي يفتقدها حاسدوه ، وهذا مال نراه في استعطاف ابن عمار حينما عرضه صاحب شقورة للبيع ، في مدة اعتقاله ، كتب إلى صاحب المرية ، يقول (1):

نفــسي تحــــن إلىفـــــداء تفديـــــك نفســـــي مـــن شراء

فاسبق بنــفسك وعدهــــم مسترخـــــصا لي بالغــــلاء

ثم امـــــض فيّ على اختيـــا رك من فنــــــاء أو بقــــاء

و اللـــــه مــــــا أدري إذا قالوا : غـــــدا يوم اللقـــاء

ما أقتــــل الحالـــين لـــي إن كان خــوفي أو حيـــائي

---

1 – ابن عمار . شعره . تحقيق مصطفى الغديري . 92 .

فابن عمار يستعطف صاحب المرية في هذه الأبيات وويستحثه على شرائه ليخدمه ما بقي من حياته ، مقسما أنه لن يجور نقده من يشتريه بغالي الثمن ويضــمه لخدمتــه ، بــل سيكون رابحا في سفقته ضاربا المثل في البر.

ويستعطف ابن عمار في سجنه بإشبيلية المعتمد بن عباد في قصيدة كتبها إلى الرشيد بن المعتمد يطلب شفاعته لدى أبيه ،فيقول (1) :

قل لبرق الغمام ظاهر بريدي	قاصدا بالسلام قصر الرشيد
فتقلب في جــوّه كفــؤادي	وتناثر في صحنه كالفريــد
وانتحِب صلاصل الرعد تحكي	ضجتي في سلاسلي وقيودي
فإذ ما اجتَلاك أو قال مــاذا	قلتَ: إني رسول بعض العبيد
بعض من أبعدته عنــك الليالي	فاجتنى طاعةَ المحبِّ البعيــد

ففي مطلعــها يخاطب برق الغنام أن يظاهر بريده في إبلاغ السلام إلى قصر الرشيد ، فيتقلب جوه كفؤاد ابن عمار ، وأن يتناثر في صحنه كالفريد ، وأن ينتحب في صلاصل الرعد محاكيا ضجة ابن عمار وسلاسله وقيوده ، حتى إذا ما لفت نظر الرشيد فسال عنــه ، قال إنه رسول عبده أو بعض عبيده ، الذي أبعدته عنه الليالي فطاعته طاعة المحب البعيد ، ثم يمدح الرشيد ووالده المعتمد مشيدا بمترلته لدى والده ، ويختم قصيدته مسائلا نفسه ، بقوله : (2)

فعلام السُّرى بصبح رضــاه	معْ سنا وجهكَ الأغرِّ السعيــد
وإلى أين في الشفيــع إذا ما	لم أُلــذ منك عنده بالرشيــد
بفتىً نازح المكــان مطــلٍّ	غائب الشخص ذي اعناء عتيد
مُشفق يستجيب لي من قريب	وأنــا استغيثــه مــن بعيــد
لو أطلَّتْ عليَّ رحمة عينيــــ	ــه أنجلتْ شِدتي وذاب حديدي

فعــلام يسرى ويتخبط ليصل إلى صبح رضاه مع وجود ضوجه الرشيد الأغر

---

1 – ابن عمار . شعره ز تحقيق مصطفى الغديري . 55 .

2 – ابن عمار المصدر نفسه . 56 .

السعيد ، وليس له من شفيع إذا لم يلذ عند المعتمد بالرشيد ، ذلك الفتى البعيد المكان القريب بعطفه ، الغائب الحاضر بعنايته الشديدة وإشفاقه على ابن عمار ، حيث يستجيب له من قريب ويستغيثه من بعيد ن ولو أطلت على ابن عمار رحمة عينيه ، لانكشفت مصيبته وذابت قيوده وتخلص مما هو فيه من شدة .

ونجد ابن عمار قد نظم قصيدة في سجنه بإشبيلية ، جعل من نفسه فيها عبدا للمعتمد بن عباد ، متعجبا من شرائه له مرة أخرى وافتدائه بالمال متشككا في ذلك الأمر مستريبا منه حين يقول في مطلع هذه القصيدة (1) :

يقول قومٌ: إن المُؤَيَّد قد	أحالَ في فِديتي على نَقْدِهْ
ياقومُ ماذا الشِّراء ثانيةً	ترى لمعنى يَريب من عنده؟!
أوحشني ، السماحُ عادتُه	سماحُه للغلاءِ في عَبْده

ويمضي ابن عمار على هذا النحو من استعطاف المعتمد والاعتذار إليه ، متلمسا منه أن يقيله بما بينهما من رضى له باب مفتوح إلى رحمة الله ، وأن يغضي عن جرمه ، ويعفي على أثاره بنفحة رحمة تمحوه ، وألا يلتفت إلى رأي الوشة فيه وقولهم عنه ، لأنهم ممتلئون حقدا عليه ينضح على ألسنتهم ، كما تقدم (2) .

وقد ذهب كل هذا الاعتذار والخضوع والتذلل والا ستعطاف أدراج الرياح ، حيث كاد المعتمد بن عباد يرق له لولا أن زوجه دكرته بما كان من هجاء ابن عمارلها ــ كما تقدم ــ وأوغرت صدره عليه ، فقتله بيده وندم فيما بعد على فعلته .

وشاء القدر أن يجري على المعتمد ما جرى على شاعره من أسر و ذل ، و لكن المعتمد لم يستعطف أحدا ، و لم يعتذر لأحد ، فقد كان معتزا بنفسه ، و لم ينس يوما أنه كان ملكا ، و لكن ذلك لم يمنعه من الاعتذار لشاعره ابن حمديس حين مضى لزيارته بأغمات فصرفه بعض خدمه ، فلما علم المعتمد عز عليه ذلك و عنف خدمه ، و كتب إليه بالغداة قصيدة يعتذر إليه مطلعها (3):

ـــــــــــــــــــــــــــــت

1 – ابن عمار . ديوان . تحقيق مصطفى الغديري . 59 .

2 – انظر هذا البحث . 150 .

3 –المعتمد بن عباد .ديوان.173.

حجبت ، فلا و الله ما ذاك عن أمري

فاصغ فدتك النفس سمعا إلى عذري!

هكذا نجد موضوع الاستعطاف و الاعتذار كان من أهم ما قالـــه الشـــعراء السجناء ، لأنه كان يمثل لهم في كثير من الأحيان أمل الخلاص و استعادة الحرية من جديد، و وجدنا في استعطافهم هذا تفاوتا بين متذلل للسجان و بين معتز بنفسه و من دون ذلك ، و في كل ذلك يمزجون بين المدح و الاستعطاف أو بين الاعتذار والاستعطاف و منهم مـــن يتوسل في استعطافه بشفيع له مترلته عند السجان يجعله يعفو عن المذنب و يسامح المسيء.

الحديث عن الذكريات :

في غيـــابات هذا السجن المظلم يرى السجين أمله و بارقة الضوء في أيامه الماضـــية الجميلة ، أيام الحرية و الذكريات الحلوة ،فنراه يسكن إلى تلك الذكريات يقبس منها جذوة تنير له حاضره ، و قوة تعينه على تحمل ما وصل إليه في مأساته فالشاعر السجين في لجـــوءه إلى ذكرياته يقارن بين ماض جميل جميل سعيد و حاضر قاتل تعس و في خضم كل ذلـــك يفتقد وطنه و أهله و أحبته ، و لذلك نراه يبثهم أشواقه و حنينه المتأجج ، لأهم أيضا جزءا لا يتجزأ من ذلك الماضي الذي يتحسر عليه و يتمنى عودته، ففي هذه الدراســـة نفضـــــل الحديث في هـــذا الموضوع المقارنـــة بين الماضي و الحاضر ، و الحنين إلى الأهل و الأحبة.

أما المقارنة بين الماضي و الحاضر فإن شعراء السجون يتحدثون عن حاضرهم التعس المؤلم و مصيرهم غير المحمود ، نجدهم يلتفتون إلى الماضي فتتداعى صوره أمـــامهم زاهيـــة مشرقة ، صور اللعب و اللهو و صور الراحة و السرور.

فالمعتمد بن عباد في سجنه يتحسر بألم جديد على ماضيه العزيز الذي سلبه الزمـــان إياه ، و أودعه حياة ذليلة في سجنه بأغمات ، فنجد أشعاره جميعا قـــد غلفهـــا الأســـى و الإنكسار ، لكن ذلك لم يزده إلا عزة و أنفة أمام سجانه . و قد احتلت الذكريات حيـــزا لابأس به من أشعارة في السجن لأن حياته السابقة الحافلة المليئة قد توارت خلف قضبان

سجنه ، فلم يبق معه منها غير ذكرى جميلة تعاوده بين حـــين و حـــين ، تـــثير في نفســـه الشجـــن و الأحزان ، ففي جواب له على قصيدة من ابنه الرشيـــد يصـــف فيها حاضره و يقارنه بماضيه السعيد قائلا (1):

كنت حلف الندى و رب السماح   و حبيب النفوس و الأرواح

إذ يميني للبذل يوم العطـــــــــاء   و لقبض الأرواح يوم الكفاح

و أنا اليوم رهن أسر و فقـــــــر   مستباح الحمى مهيض الجناح

عاد بِشري الذي عهدت عبوسا   شغلتني الأشجان عن أفراحي

فماضيه يزخر بحياة مفعمة بالكرم و البذل و الشجاعة و الفروسية يوم الكفاح ، أمل حاضره فيتصف بالفقر و ذل الأسر ، إذ عبس الزمان بوجهه بعد أن كان طلقا بشوشا فقد كان المعتمد في ماضيه الملك الآمر الناهي و أصبح الآن عبدا ذليلا في أسره.

و نجده يتذكر في سجنه أيامه الهانئة في قصوره الفخمة التي يبكيها في محنته(2):

بكى المبارك في إثـــر ابن عبـــاد   بكى على أثر غزلان و آســـاد

بكت ثرياه لا غُمت كواكبـــها   بمثل نوء الثـــريا الرائـــح الغالي

بكى الوحيد ، بكى الزاهر و قبته   و النهر ، و التاج ، كل ذله باد

فأبياته تلك التي تقطر دموعا و لوعة يتضح فيها الحزن و الذل و الإنكسار الذي لحق كل شيء يتعلق بالمعتمد و يرتبط به ، فبكت قصوره على فارسها المقدام و رثـــت لـــه في محنته.

و قصـــورالمعتمد بالله و أبهة الملك ليست وحدها ما يتعلق به ، فأهله و أبنائه أكثر لصوقا به ، كما سيأتي .

وأما الحديث عن الحنين إلى الأهل والأحبة والديار والوطن فهو جزء مـــن معـــالم الماضي الجميل ، وقد كانت المرأة أما أو زوجة أو حبيبة حاضـــرة في أشـــعار الســـجناء ، والحديث إليها في أشعارهم كان يبعث في نفوسهم الراحة والأمل فهذا ابن زيدون يحاول

1 –المعتمد بن عباد .ديوان ..157

2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه .161 .

أن يخفف عن أمه مصـــابها به ، ممثلا حالتها بحالة أم موسى عليه السلام إذ رمت بطفلها في اليم ن ويوكل أمـــرها بابنها إلى الله أحكـــم الحاكمين ، وأنه لابد لهذه المحنة من نهايـــة ، فيخاطبها من سجنه (1) :

أمقتولةَ الأجفان مالكِ ومالها ؟ ألم تُـــركِ الأيام نجـــما هـــوى قبلي ؟

اقِلّي بكاء لســـتِ أول حُـــرةٍ طوت بالأسى كَشْحا على مضض الثُّكْل

وفي أمِّ موسى عِبرة إذ رمت به إلى اليمِّ في التابوت ، فاعتبـــري واسْلي

ولله فينا عِلم غيب ، وحَسْبُـــنا به ـــ عند جَورالدهر ـــ من حَكَم عدل

والشوق شديد جدا في نفس السجين لهله وأصحابه لأنه انتزع انتزاعا ، وألقي به في حياة الوحدة الموحشة ، ونجد هذا في قول ابن حزم يتشوق لأهله وزوجته (2) :

يا راحلا عند حَيٍّ عنده رمقي اقْر السلام على من لم أودِّعه

وسَله بالله عن عهدي أيَحفظه فهـــدُه بمـــكان لا أُضيِّعـــه

وكيف عني وعن أُنسي يُصيرُه أم كيف بعد بعَادي عنه أربُعه

وأطول شوقاه ما جَدَّ البُعاد بهم إليهم مذ سعـــوا للبين أقمعه

لئن تباعد جثماني فلم أرهـــم فعندهم ـــ وأبيكَ ـــ أجمعـــه

يبلغهم شوقه الشديد فهو قد ترك قلبه وروحه وسبب حياته عند أهله ، وهو يسأل عنهم وعن عهودهم معه ، وكأنه على الرغم من بعاد جسده عنهم لايـــزال قلبـــه المـلـــيء بالأشواق لديهم .

ونجد ابن حزم يتذكر أطفاله الذين تركهم خلفه ، فتثير الذكرى في نفسه الشـــجون على البعاد عنهم وطول السهر بعدهم ، يقول (3) :

ذكرى لفراخه في كل ناحية توحي إلى القلب أسرارا تُقطّشعه

كم قد تحمِل من أعباء نَأْيهِم نَضـــوا نبا بلذيذ النوم مضجعُـــه

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 159 .

2 – ابن حزم . ديوان . 71 ، عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 386 .

3 – ابن حزم . ديوان . 69 .

إن انقطاع الشاعر عن أبنائه يشعره بعظم المصيبة الواقعة عليهم والنتائج الترتبة على هذا البعد، فهو يعي أهمية دور الأب ومكانته بين أبنائه وعلى راس اسرته .

ومثلما لقي ابن حزم في سجنه هم فراق الأبناء ، فإن مصيبة المعتمد قد فاقد ســـابقه لأنه لم يفجع بفراق أبنائه وحسب بل فجع في سجنه بنبأ مقتل ابنيه الراضي والمأمون فرثاهما بأشعار تدمي الفؤاد، فقال (1):

يقولون صبرا ، لاسبيل إلى الصبر   سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري

مدى الدهر فليبكي الغمام مُصابه   بصَنْويه يُعذَر في البكاء مدى الدهـــر

هوى الكوكبان: الفتح ثم شقيقه   يزيـــدُ فهل بعد الكواكب من صـــبر

ففقـــدان ابنيه وهو في السجن ، قد زاد في المصيبة التي ألمت به بعد خلعه عن عرشه ، وأفقدته كل صبر .

وأما الوطن والديار فهي حاضر في وجدان الشعراء في سجنهم ، والـــوطن صـــورة زاهية مفعمة بالحرية والأمل ، على نفيض الواقع الذي يعيشونه ، فيشتد الشوق والحنين إلى الوطن والديار ، وهو في حقيقته شوق وحنين إلى الحرية خارج جدران السجن الضيق.

ونجد عبد الملك بن غصن لاتفارقه دياره في سجنه ، يقول (2) :

وخلٍّ يُسليني على بُعد داره   ويكشف من قُرب الحبيب المتيم

وداري موقوفٌ عليه وخلّتي   وفِكري مشغول بـــه وتوهُّمي

فالعلاقة القوية التي تربطه باهله وأصدقائه تسليه في محنته ، ولاتغيب عن ذهنه ، على الرغم من المسافة الفاصلة بينه وبينهم ، وهذا الاحساس الذي يغمر الشاعر في تطلعه وتلهفه إليهم خارج السجن ، يعكس تلهفهم إلى عالم الحرية .

وهذا عبيد الله بن المعتصم يحن إلى المرية وماضيه فيها حيث الرفعة والمعالي وركوب الخيل والحرية والعزة، ويقابل ذلك بما آل إليه أمره من خمول وكبول وأسر وذل،

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 162 .

2 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 219 .

وحقه أن يكرم ، وفي ختام مقطوعته يحن إلى المرية الكريمة عليه ، معلنا لهفه للوصول إليها ، فيقول (1):

أبعد السَّنا والمعالي حُمول　　　وبعد ركوب المذاكي كبول؟

ومن بعدٍ ما كنتُ حرا عزيزا　　　أنا اليوم عبـــدٌ أسير ذليـــل

حللتُ رســـولا بغرناطـــة　　　فحلَّ بها بي خَطْبٌ جليـــل

وثُقِّفتُ إذ جئتها مُرســـلا　　　وقد كان يُكرمُ قبلي الرسول

فقـــدتُ المرية أَكـــرِمْ بها　　　فمـــا للوصول إليها سبيـــل

وهكذا ففي الحديث عن الذكريات عند الشعراء السجناء يدور حول المقارنة بـــين الماضي والحاضر لما بينهما من تناقض ، وهم يتشوقون إلى الماضي الحر ليزيل عنـــهم هـــذه القيود وهذا العذاب ، كما نجد الحنين إلى الأهل والأحباب والوطن جزء لايتجزأ من صور الماضي المشرقة بالحرية ، ولذلك فالشوق إليهم كبير على بُعد الديار .

الأمـــل واليأس والاستسلام :

لقدكشف لنا الشعر الذي كتب في أعماق السجون عن مواقف الشعراء الســـجناء المتباينة والمتمثلة في مواقف متباينة منها : موقف الأمل الذي ظل السجناء متشـــبثين بـــه ، وعبروا به باعتذارهم واستعطافهم وعتابهم لنيل رضا وعفو رضي وعفو السجان عنـــهم ـــ كما سبق ـــ لكن هناك من أدركوا غايتهم ، فكانوا يخففون من مصابهم ، ويعزون أنفســـم بالأمل الذي يتشبثون به بكل ما يملكون من قوة، وهذا عبد الملك بن غصن الـــذي ظـــل يستعطف المأمون بن ذي النون في أشعاره ويرجو العفو عن طريق بعث قصـــص الأنبيـــاء السابقين في حلية ذكية لطيفة ، يقول (2):

إن رمتنا يدُ الخطوب بقوس　　　طالما كان سهمُها لا يصيـــبُ

أو يكن عَثَّر الزمان فمرجوٌّ　　　لإنعاشنـــا القريـــب المجيب

قد أجاب الإلـــه دعوةَ نُوح　　　حين نادى بأنـــه مغلـــوب

---

1 – ابن خاقان . مطمح الأنفس . 404 .

2 – ابن الأبار 220

وشفى ذو الجلال عِلّـــة أيـــو ــبَ وقد شارف الردى أيوبُ

وانقضى سجن يوسف وقد استيـــ ــأس ،وارتـــدَّ مُبصرا يعقوب

فهذا التوظيف المناسب لقصص الأنبياء السابقين أبرز لنا قسمات الأمل والبشر تعلو وجهه ، وقد تخلص من الشاعر فيما بعد من سجنه وأصح حرا طليقا .

وعلى نقيض الأمل الذي يتشبث به بعض السجناء ، فإن آخـــرين غيرهـــم ملـــوا الاستعطاف وخضوا لليأس والاستسلام كإبن زيدون مع ابن جهور ، الذي انقلب من مدح إلى هجاء سجانة ابن جهور ، يقول(1) :

بني جهورٍ!أحرقتم بجفائِكم جَناني ، ولكـــنَّ المدائح تعبقُ

تعُدونني كالعَنبرِ الوَرد ، إنّما تطيب لكم أنفاسه حين يُحرق!

وأما المعتمد بن عباد فإنه لم يستعطف ابن تاشفين ـــ كما تقدم ـــ وإنما استســـلامه كان غاية اليأس التي وصلت إليها نفسه ، والذي دار الزمان عليه وبدله من ((عز البنود إلى ثقل القيود)) ، فها هو يخاطب الوزير الطبيب ابن زهر (2) ، يقول (3) :

دعا لي بالبقاء ، وكيف يَهوى أسيرٌ أن يطول بـــه البقـــاءُ؟

أليس الموت أرْوحَ من حياةٍ يطول على الشقيِّ بها الشقاء؟

فمن يك من هواهُ لقاءُ حبٍ فإنَّ هواي من حتْفي اللقـــاء!

فشدة اليأس التي وصل إليها المعتمد بن عباد جعلته يرى الحياة في السجن لا قيمة لها ، ولذلك يفضل الموت عليها ليتخلص من بؤسه وشقائه .

ونجده في هذه الأبيات يقنط وينقلب من موقف الأمل والصبر الذي كان عليـــه إلى موقف اليأس والاستسلام لقضاء الله وقدره ، فيقول (4) :

ماذا رمتكَ به الأيام ياكبدي من نُبلهن و لارامٍ سوى القدرِ

---

1 – ابن زيدون . ديوان .255 .

2 – هو أبومروان عبد الملك بن زهر ، نشأ بشرق الأندلس ، ورحل إلى قرطبة وتعلم فيها ، ودرس الطب وأخذ وأخذه عن أبيه ، وكان إلى مهارته في الطب مقدما في الأدب .، توفي بقرطبة سنة 525 هـــ . انظر ترجمته ابت الأبار . التكملة . 334 ، صاعد الأندلســـي . طبقات الأمم . 106 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان . 176 .

4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 189 – 190 .

أَسْرٌ وعُسر ولا يُسر أؤَمِّلُــه   استغفـــرُ اللهَ كم للهِ من نظرِ

وبهذا يتبين لنا أن الشعراء السجناء ، وقفوا في سجنهم موقفين موقف الأمل وموقف اليأس ، وكان الأمل يشيع في قلوب بعضهم ، فيدعون الله ويتأملون فرجه ، وبعضم تشفع بالنبي الكريم ، وأما الذين وقفوا موقف اليأس ، فكانوا من الذين عـــانوا الســـجن طـــويلا مستسلمين لقضاء الله وقدره.

يتضـــح ـــ مما تقدم ـــ من أمثلة ، أن شعر السجن نظمـــه شـــعراء في غياهـــب السجون ، في شكل قصائد ومقطوعات شعرية ، تعبر عن مأساتهم سواء في وصفهم للسجن والسجان أم في استعطافهم واعتذارهم وعتابهم ، أم في ما أثاره وضعهم ومحنتهم من حـــنين إلى الماضي وإلى الأهـــل والأحباب والوطن وإلى عالم الحرية ، وتتجلـــى في كـــل ذلـــك عواطفهم الصادقة ، كما يتجلى صدقها أيضا في وصف ما أصابهم من يأس في الخـــلاص أو في تعبير بعضهـــم عن لحظة الفرح عقب العفو عنه أو الفرار من السجن ، في القرن الخامس الهجري ، الذي يتسم بالصراع الداخلي على الخلافة في عهد الفتنة وفي عهد ملوك الطوائف بغية التوسع على حساب غيرهم ، ولو أدى ذلك بالاستنجاد بالنصـــارى الذين ســـهلت عليهم مهمة استرداد هذه الممالك ، كما سيأتي الحديث في رثائها ، وكانت معركة الزلاقة بداية النهاية لعهد ملوك الطوائف .

الفصـــــــــــــل الثـــاني
شعــــــــــر السجــــــن

يعد شعر السجن شديد الصلة بشعر الهجاء السياسي ، فهو نتيجة لـــه في معظـــم الأحيان ، إذ كثيرا ما يؤدي الموقف الأول بصاحبه إلى السجن عقابا له ، وقـــد يكـــون السجن لأسباب أخرى لاداعي للخوض فيها .

ومع أننا سنقتصـــر في هذا المجال على شعر السجن المرتبط بالسياسة وأحـــداثها ، فإن دواعي السجن السياسي وظروفها تختلف من سجين لآخر ، وسنتعرف على ذلـــك أثناء دراستنـــا للنصـــوص الشعرية التي عبرت عن عن هذا الاتجاه في الشعر الأندلسي ، في القرن الخامس الهجري .

أما الذين توافرت لنا نصوص من شعرهم في السجن ، فهم في الغالب من الـــذين اتخذوا مواقف لم ترض الحكام ، أو اقترفوا ما استوجب سجنهم في نظـــرهم ، أو حـــتى قتلهم ، وهم أحيانا من كبار رجال السياسة انفسهم ، ومن أشهرهم : أبو عامر أحمـــــد ابن عبد الملك بن شهيد (1) ، وابن حزم (2) ، عبد الملك وابن غصن الحجاري (3) ،

1 – كان ابن شهيد ينعم بظلال والعامريين ، لكن الفتنة سلبته هذا العز وهذا الرفه ، فلحقته سعايات ووشايات ، واوقعه سوء حظه مع الحموديين ، فسعي به إلى المعتلي يحي بن حمود أثناء خلافته بقرطبة زمن الفتنة فنكبه وسجنه ، وفي السجن وصف السجين وأشار إلى الحساد والواشين ، وتحدث عما يعانيه إلى أن أطلق سراحه . انظر تفاصيل ذلك : ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 203 ، بلا، شارل . ابن شهيد الأندلسي ،حياته وآثاره .43 ، عبد العزيز ، أحمد .قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي . 46 .

2 - كان ابو محمد علي بن حزم في عصر الفتنة وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله ، ثم لهشام المعتد بالله ، وقد سجنه يحي بن علي بن حمدون لاتهامه بالميل إلى المويين قبل ذلك . انظر تفاصيل ذلك : ابن حزم . ديوان . 14 ، ابن بسام . الذخيرة 1/1: 169 .

3 – هو أبو عبد الملك بن غصن ، نكبه المأمون بن ذي النون ، واعتقله مع جماعة من النبلاء بوبذة من أعمال طليطلة ، فكتب إليـــه رسالة((في صفة السجن والمسجون والحزن والمحزون)) دلت على مكانه من العلم والأدب والحفظ ، وأودعها ألف بيت من شعره في الاستعطاف ، وسبب نقمة المامون عليه صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة ، وبلغ المأمون أنه يقع فيه كثيرا ، فنكبه شر نكبة وحبســـه .، وتوفي سنة 454 هـــ . وقد خلط الرواة بينه وبين عبد الملك بن حصنالذي نكبه المأمون بن ذي النون ، فيما يرى شوقي ضيف ، ورد عليه إحسان عباس مرجحا أنه عبد الملك بن غصن. أنظر نرجمته : ابن بسام . الذخيرة. 1/3: 332 ، ابن سعيد . المغرب. 2: 30 العماد الإصفهاني . الخريدة 2: 166 ، ابن الأبار إعتاب الكتاب . 218 – 220 ، والمقري . نفح الطيب . 3: 263 ، 264 .

وابن زيدون (1)، وابن عمار (2) ، والمعتمد بن عباد ، وغير هؤلاء .

وبالنظر إلى شعرهم الذي عبروا به عن نكباتهم ، نلاحظ تشابها في المواقف حينا ، وتمايزا حينا لآخر ، ومع أنهم حاولوا الاعتماد على الكلمة لإثارة الشفقة ونيل رضا وعطف الحكام ، فقد أجيب بعضهم ، ولم يجب البعض الآخر ، على أن هذا الشعر لم يكتف بمجرد تسجيل النكبات ، بل تعدى ذلك إلى تناول عدة قضايا يمكن عدها من العناصر الرئيسية في شعر السجن .

وهكذا اتخذ هؤلاء الشعراء السجناء الشعر وسيلة للاستعطاف والاعتذار ووصف الهموم النفسية التي تصور السجن وما ينتاب السجين من مشاعر ويعرض له من هواجس في هذه التجربة القاسية والمرة التي يفقد فيها السجين حريته .

وصف السجن:

لقد وصف شعراء القرن الخامس الهجري في شعرهم السجون التي سجنوا فيها بصور مختلفة ، فهذا عبد الملك بن غصن الحجاري يصور السجن بالقبر الذي دفن به حيا، ويلتمس رحمة المأمون بن هود حتى يفارقه ، فينشر مرة أخرى ، يقول (3):

فديتُك هل لي منك رُحمى لعلني   أُفارق قبرا في الحياة فأُنشرُ

ويكرر ابن حزم صورة الحجاري ، فهو حي يسكن قبرا ، فكيف تكون حالته ؟ إنه ينظر بعين أسير قل رجاؤه وعز مطمعه ، فقد طال محبسه في هاويات السجن، وتفرق

---

1 – يعد ابن زيدون من الشعراء المقدمين لدى ابي الحزم بن جهور ، فإنه وقع فريسة المؤامرات التي حيكت حوله ، وأوقعت عليه اتهامات بمحاولة القيام على دولة بني جهور ، ((وأن غشيانه مجالس ولادة غشيان مريب ، قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقاربها الأمويين المخلوعين)) ، وماكان من ابن جهور أن لفق له تهمة وسجنه ، وفر بعدئذ منه إلى إشبيلية عند المعتضد بن عباد . انظر هذه الخبار : ابن زيدون . ديوانه ورسائله . تحقيق على عبد العظيم . 40 ، الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي .175 ، عبد العزيز ، أحمد . قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. 40

2 – كان ابن عمار وزيرا للمعتمد بالله وسيره إلى مرسية ، فاستخلصها من بني طاهر ، ثم استأثر بها لنفسه وأنزل اسم الملك المعتمد من منابرها ، ولكن سرعان ما وقع في يد المعتمد وقتله بيده بعد سجنه لمدة . انظر تفاصيل ذلك : ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 268، 403 ، 422 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 159- 161 ، المراكشي . المعجب . 125 ، 129 ، ابن عمار . شعره تحقيق صلاح خالص .152، وتحقيق مصطفى الغديري . 14 .

3 – المقري .نفح الطيب . 3: 424 .

شمله ، يقول (1) :

أم كيف حالة حيٍّ ساكن جَــــدثا   يرنـــو بعين أسير عزَّ مطمعـــه
قد طال في هاويات السجن محبسه   وانشتَّ من شمله ما كان يجمعه

ثم نجد عبد الملك الحجاري ، قد ضاق سنه وضاقت حليته حتى صار كعش الحية الصغيرة ، وهو يتجنب ذكر خله في سجنه إكراما له ويخجل حتى من طيف الخيال الذي يلم به مسلما ، فيقول ((2) :

على أنني من ضيق سجني وحِليتي   بَليتُ كما حُدِّثتَ عن حِفش أيِّم(3)
أُجانبُ فيه ذكرى خِلِّي كرامة   وأخجلُ من طيف الخيال المسلِّـــم

ونجد عبد الملك الحجاري يصف حالته في سجن أرضي ، ليس له في وطء الأرض حظ ، وليس له نصيب في نشق الهواء ، وإن سجنه في ضيقه كأنه ظلف شاة ولايسمع فيه دبيب لذي دبيب ، فيقول (4) :

مالنا في وطء البسيطة حظ   لا ولا في نشق الهواء نصيب
في محلٍّ كأنه ظِلـــف شاة   ليس فيه لذي دبيب دبيب

وهذا السجن الضيق في الأرض الشبيه بالقبر المتصف بالسكون والوحشـــة ، قـــد يكون أيضا في السجن العالي المنقطع عن العالم ، الذي يزيد وحشة السجين وحشة فـــوق الوحشة التي هو فيها ، فكأنه ملاذ الجن والنسور ، وهو مكان مـــوحش لايعـــرف فيـــه الإنســـان أخـــاه الإنسان ، وهو قصر شيد بين النجوم وأوكار النسور ، يقول ابن عمار في وصف سجنه (5) :

عال كأن الجن إذا مَردتْ   جعلتْـــه مَـــرقاة إلى النســـر
وحش نتاكرت الوجوه به   حتى استربتُ بصفحة البـــدر

---

1 – ابن حزم . ديوان .70 .
2 - ابن الآبار . إعتاب الكتاب .220 .
3 – الحفش . البيت الصغير . لسان العرب مادة (حفش) .
4 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .
5 - – ابن عمار . شعره تحقيق مصطفى الغديري .71 .

قصْرٍ تمهَّـــد بين   خافقتيْ   نِسريْن(1) من فلك ومن وكْر
متحير سال الـــوقار على   عطفيه من كبْـــر ومن كبَـــر
ملكتْ عنان الريح راحتُه   فجيـــادُها من تحتـــه تجـــري

أما ابن شهيد فإنه يصف السجن وصفا تفصيليا مؤثرا ، فقد ابتلي بخمس مصائب، هي فراق أحبته وسجنه والشوق إلى خلانه والذل في سجنه ، وسجان جبـــار عتيـــد ، ويلتمس من يبلغ إخوانه أنه مقيم بدار الطغاة طريد ، وهذه الدار ، ينال ســـاكنيها مـــن الذى ما يجعلهم يقومون ويقعدون على جمر الموت ، ويسمع للجن في أرجائها صوت كرجع الصدى ونشيد ، وإذا اهتز باب السجن تفطرت قلـــوب الســـجناء ، وتقطعـــت أكبادهم خشية الموت لما ينالهم من العذاب (2) :

فراق وسجن واشتيـــاق وذِلـــة   وجبَّـــار حُفَّاظ عليَّ عتيـــد
فمن مُبلِّـــغ الفتيان أَنِّيَ بعدهُـــم   مقيم بدار الظالمـــين طريـــد
ويُسمَـــع للجِنَّـــان في جنباهـــا   بسيط كترجيع الصدى ونشيد
وما اهتز باب السجن إلا تفطرتْ   قلوب على جمْرِ الحِمام قُعود

وقد أخذ ابن شهيد يطارح الحمام ، ويتباكيان جاهدين ونار الشوق تتقد بيـــــن الضلوع حتى بكت جدران السجن من طول حزنهما وبكائهما ، وأجهش بالبكاء باب السجن الحديدي ، يقول (3) :

ومـــا زال يُبكيني وأُبكـــيه جاهـــدا   وللشوق من دون الضلوع وَقُود
إلى أن بكى الجدرانُ من دون شَجوها   وأجهش بابٌ جانبـــاه حديـــد

ومثل ذلك نجده المعتمد بنى عباد في سجنه بأغمات ، حيث يقول عنـــد حديثـــه لسرب قطا مررن بسجنه (4):

هنيئا لها أن لم يفرق جميعـــها   ولا ذاق فيها البعد من أهلـــها أهـــلّ

---

1 – النسران: كوكبان معروفان على التشبيه بالنسور الطائرة . انظر شعر ابن عمار تحقيق محمد لغديري . 71 هامش 6 .
2 - - ابن شهيد . الديوان .100 .
3 – ابن شهيد ز المصدر نفسه . 101 .
4 – المعتمد بن عباد . ديوان . 187 .

وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

ومع السجن والجدران والأبواب الحديدية نجد بعض الشعراء ، قد صوروا قيودهم وكبولهم بصفة خاصة ، فهذا عبد الملك الحجاري يصف الكبل الثقيل في ساقه حين يـــرن كأنه خطيب للمصائب ، يقول (1) :

وكأن الكبل الثقيل إذا ما رنَّ في الساقي للخطوب خطيب

وابن حزم يشكو إلى قيده ما يلقاه من ألم فيئن له القيد لدى شـــكواه وإن هـــذا الكبل ليعوقه عن الراحة والنوم ، فكيف يهجع وهو مكبل ، يقول (2) :

يشكو إلى القيد ما يلقاه من ألم فبـــالأنيـــن لـــدى شكـــواه يَرجعُـــه

يا هاجـــعا والرزايا لا تؤرِّقـــه قل كيف يَهجَع من في الكَبل مَهجَعـــه

ويصـــور المعتمد بن عباد مكثه في قيده مبينا أنه يعوقه عن قضاء وطره من أهلـــه ومداواة علة جوارحه ، فإنه رهين القيد الحديدي المبهم ولاسبيل إلى نجاته ، يقول (3):

قضى وطرا من أهله كلٌّ نازح وكُرَّ يداوي علةُ في الجـــوارح

سِواي فإني رهنُ أدهمَ مُبهم سبيـــلَ نجاتي آخـــذٍ بالمَبَـــارح

وقد آلم القيد المعتمد في أسره فراح يتذكر ماضيه وكيف أنه تبدل من عز ظـــل البنود ، بذل الحديد وثقل القيود ، وكان حديده رمحا نافذا وسيفا رقيقا مصقول الحديد ، فتحول كلاهما إلى قيد حديدي يعض بساقيه عض الأسود ، فيقول (4) :

تبدّلتُ من عِزِّ ظل البنود بذُلّ الحديد وثِقْل القُيـــود

وكان حديدي سِنانا ذليقا وعَضْبا رقيقا صقيلَ الحديد

فقد صار ذاك وذا أَدْهَما يعَضُّ برجليَّ عض الأسود

ويصور المعتمد أيضا قيوده الحديدية التي التفت حوله والتوت عليـــه في شـــكلها وخلقتها بالثعابين التي تتلوى ، وفي قوتها وبطشها ، وهذه القيود لم يحن فكها ، وذلـــك

---

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

2 – ابن حزم . ديوان . 70 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان .170 .

4 – المعتمد بن عباد . ديوان . 170 .

لما رأى من أفرج عنهم من السجناء من أهل أغمات الذين رافقوه في سجنه مدة ، يقول مخاطبا (1) :

تخلصتم من سجن أغْماتَ والتوت   عليّ قيودٌ لم يحن فَكُّها بعــد
من الدّهْم أمَّا خَلْقُها فأساويـــد   تَلوَّى وأما الأيْدُ والبطشُ فالأسْدُ

وإن قيود المعتمد الحديدية لتنشده بصوتها المفزع نشيدا ثقيلا ، فتبكي عينه لذلك النشيد الحزين ، فيقول (2) :

فلو عدتما لاخترتما العَود في الثرى   إذا أنتـــما أبصرتماني في الأســـر
يعيـــد على سَمــعي نشيــــده   ثقيلا فتبكي العينُ بالجِسِّ والنَّقْـــر

والشاعـــر السجين يستخـــدم هنا مصطلحات الغناء كالنشيد والثقيل والجـــس والنقر ، ونراه يصف الكبل بأنه يتعطف ويتلوى على ساقيه تعطف الثعبان الذي يساورها عضا بأنياب كأنياب الأسد ، ويحذر قيده ، فلو كان صانعوه يشعرون أنه سيفعل ذلـــك بالمعتمد لانقطعت أكفهم ومعاصمهم مهابة له ، وهو الذي كان الرجال بعطائه في جنة ومن سيفه في جهنم ، يقول (3):

تعطّفَ في ساقي تعطف أَرْقـــم   يُساورها عضًّا بأنياب ضيغم
إليك فلو كانت قيودك أُشعرت   تضرم منها كلُّ كف ومِعصم
مهابة من كان الرجـــال بسببه   ومـــن سيفه في جنة وجهنـــم

ويكرر المعتمد صورة القيد كالثعبان الذي يتمدد بحذاه متعطفا متلونا لايرحمه وهو الأسير ، وكان رمحه من قبل في الوغى كالثعبان الذي ينهش رؤوس أعدائه ، فيقول (4):

قد كان كالثعبان رمحك في الوغى   فغدا عليك القيدُ كالثعبان
متمـــدِّدا بحِـــذَاك كل تمـــُّدد   مُتعطِّفـــا لارحمـــة للعاني

وعندما يدخل على المعتمد ابنه الصغير ويرى الطفل أباه في السلاسل ، تتحـــرك

---

1 – المعتمد بن عباد . المصدر السابق .185 .
2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 163 .
3 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 182 .
4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 183 .

مشاعر الأب نحو أبنائه الذين يرون معاناته ،فيقول (1):

قيدي أما تعلمني مسلـــما ؟ أبيتَ أن تشفق أو تَرحـــما
دمي شراب لك ، واللحمَ قد أكلتـــَه لا تَهْشم الأضلـــعا
يُبصـــرُني فيك أبـــو هاشم فينثـــني القلبُ وقد هُشِّـــما
ارحم طُفيلا طائشـــا لُبُّــه لم يخشى أن يأتيكَ مسترحِما
وارحم أخـــيات لـــه مثلـــه جرَّعتهن السُّـــم والعلقمـــا
منهن من يفهَـــم شيئا فقـــد خِفنا عليـــه للبُكاء العـــمى
والغير لا يفهـــم شيئا فمـــا يفتـــح إلاَّ لرَضـــاع فَمـــا

فالمعتمد يخاطب القيد في رقة يطلب منه ، لماذا لايشفق عليه أو يرحمه ؟ أما يعلـــم أنه مسلم ؟ فقد شرب دمه وأكل لحمه ، ويناشده بألا يهشم عظامه ، وإن ابنه أبا هاشم حين أبصره في قيده ارتد قلبه كسيرا مهشما فيناشد القيد أن يرحمه ، فهو طفل صـــغير طائش اللب ، لم يخش أن يأتيه مسترحما ، وليرحم أخياته فهن قد مثله تجـــرعن الســـم والعلقما ، ومنهن يفهم شيئا فهي تبكي بكاء مرا حتى إن المعتمد الشاعر السجين ليخاف عليها العمى ، والباقي لايفهم شيئا لصغر سنه فهو لايفتح فمه إلا للرضاع .

لقد صورالشعراء السجن بأنه مكان موحش ضيق يؤذي النفس ويجعل للحياة لونا قاتما يناقض لون الحرية ، أما مكانه فتحت الأرض أو في الأماكن العالية رغبـــة في قطـــع السجين عن العالم ، وهم مقيدون بأنواع من القيود الملتوية كالثعابين ، وأبواب السجون الحديدية إذا اهتزت انفطرت النفس مخافة الموت ، ثم وجود كائنات حية تزيد في رهبـــة السجن وقسوته وكأنها تصـــير لازمة من لوازمه ،ويحدثنا المعتمد عن غربـــان الســـجن وأقاربه ، ويمكن لنا أن نتخيل ما يمكن أن يكون هناك أيضا من هذه المخلوقات المخيفة .

ويدعو لغربان أغمات التي نعبت فسمع بعدها خبر قدوم بعض نسائه عليه فأسره ذلك ، ولكنه يدعو على عقاربها التي ما زالت تخيفه وترهبه ، فيقول (2) :

---

1 – المعتمد بن عباد . المصدر السابق . 181 .

2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 189 .

غربان أغمات لاتعْدَ منّ طيِّبة   من الليالي وأفنانا من الشجـــر

كما نعِبتُنّ بالفأل يُعجبــني   مُخبِّرات به عن أطْيب الخـــبر

ويا عقاربها لا تعْــدمي أبــدا   شجٌّ وعَقْرا ولا نوعا منَ الضرر

كما ملأْتُنَّ قلبي مذ حللتُ بها   مخافةً أسْلمتُ عيني إلى السهـــر

وقد وصف لنا الشعراء السجناء طول مدة سجنهم ، فهذا ابن زيدون يعبر عنه ، مصورا نفسه بالسيف في قرابه ، فقال (1) :

إن طال في السِجن إيداعي فلا عجبٌ   قد يودعُ الجفنَ حدُّ الصارم الذَّكرِ

وعبر كذلك عن نفاد صبره لطول سجنه ، فقال (2) :

وبقاء الحسام في الجفن يَثني   منه بعد المضاء والتصميم

أفصبر مئين خمسا من الأيـــ   ـام ناهيك من عذاب أليم

وصور سوء حاله في السجن الذي تطاول أمده بالروضة التي طاولهـــا القحـــط ، فصوح زهرها ، فقال (3) :

وطال سوء الحال نفسي فأذكرتْ   من الروضةِ الغَنَّاء طاولَها القحطُ

مِئون من الأيام خَمسٌ قطعتْـــها   أسيرًا وإن لم يبدُ شدٌّ ولا قمـــط

ويصور عبد الملك بن غصن سوء حالته الذي بلغ مدى لايوصف حتى إن الـــردى ليتلظى لأيسر من حالته ، كما تبكي الخطوب في سجنه الأرضي ـــ كمـــا تقـــدم ـــ ، ويرسم صورة طريفة لرنين كبله الثقيل في ساقه ، ويشبهه في رنينه بالخطيب ، ولكن أي خطيب ؟ إنه خطيب للمصائب ، وإن يد الخطوب قد رمته بقوس ، وكم طاشت فلـــم تصبه قبل ذلك ، يقول (4) :

نحن في حالـــة ليسر منها   يتلظى الردى وتبكي الخطـــوب

وكأن الكبل الثقيل إذا ما   رنّ في الساق للخطوب خطيـــب

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 147.

2 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 123 .

3 – ابن زيدون . المصدر نفسه .86 .

4 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

إن رمتنا يدُ الخطوب بقوس طالما كان سهمـــها لا يصيـــب

ويصـــور عبد الملك بن غصن حاله كذلك بالجنين في بطن الثرى ، والثرى حامل به ، وإن شفاعة ابن هود التي يرجوها لتيسر مولده ، أي إخراجه من سجنه ، يقول (1):

وها أنا في بطن الثرى وهو حاملٌ فيسِّر على رُقبى الشفاعة مولدي

ويصور ابن زيدون حاله في سجنه ، والتي أصبحت ظاهرة للعيان ، لاتخفى علـــى أحد من الناس ، فمن يسأل عن حاله ، فشاهدها محض العيان الذي يغني عن الخبر ، فقد اعتلى برق المشب عارضه ، ولما يزل شابا لم يخلع برد الشباب ، فســـنه دون الـــثلاثين ، قريب عهد بالصبا ، وهو في معية الشباب ، فغصن شبابه لم يزل غضا فينانا لم يهتصـــر بعد ، وقد أصابته لوعة قدحت نار الأسى في صدره ، وشيبت رأسه إذ طار الشرر إليها فاشتعلت شيبا ، وللرزايا ، فقد شافه منهلها غمرا فغمرته وجرعته من غصصها أقـــداحا كبارا ، وقد دهمته ألحوادث دون ارتقاب ونالته فحطمته ، وهو في غفلات الدهر آمـــن قرير، فيقول (2) :

من يسأل الناسَ عن حالي فشاهدُها محضُ العِيان الذي يُغني عن الخـــبر
لم تَطوي بُرْدَ شبابي كَبـــْرةٌ وأرى بَرق المشيب اعتلى في عارضِ الشَّعَر
قبلَ الثلاثينَ إذ عهدُ الصِّبا كَثَبٌ وللشبيبـــة غصـــن غـــير مُهتصَـــر
ها إنها لوعةٌ في الصـــدر قادحـــةٌ نار الأسى ومشيبي طائـــرُ الشَّـــرر
يا لَلرَّزايا ! لقد شافَهْتُ منهلَهـــا غَمْرا ، فما أشْرَبُ المكروه بالغُمـــر
حوادثُ استعرضتْني ما نُذِرتُ بها غَـــرارةً ثُـــم نالتْـــني على غَـــرر

ويصف ابن عمار بؤسه في شقورة (3) بأنه يربى على كل بؤس ، فيقول (4):

بُؤْسى شَقـــورة عندي أربى على كل بوسى

---

1 – المقري . نفح الطيب . 3: 363 .

2 – ابن زيدون . ديوان .147 .

3 – مدينة شقورة من أعمال جيان بالأندلس . انظر : الحميدي . الروض المعطار 349 .

4 – ابن عمار . شعره . 122 .

فقدت هارون (1) فيها فَظَلْتُ أطلُبُ موسى

أما المعتمد بن عباد فقد أفاض في تصوير حاله في سجنه ، وما أصابه من فقر وهم وكمد وقيود مقارنا ذلك بماضيه ، فيصف حاله حيث اتصل به زعانفة الشعر وملحفو أهل الكدية في طنجة أثناء رحلته إلى أغمات ، فسألوه العطاء ، فيرى أنهم إغربوا فيما ذهبوا إليه إذ سألوه عسيرا وهو الأسير الفقير الذي لايملك شيئا ، وإنه أحق منهم بالسؤال، ولولا حياؤه وعزته التي ورثها عن أسرته والتي تملأ عليه أقطار نفسه ، لحاكاهم في الطلب فسأل الناس مثلهم ، وهو الذي كان يجزل العطاء إن سئل الندى ، ويركب فور سماع نداء الصريخ للحرب ، ويبدو في هذه الأبيات تحسر المعتمد على ماضيه الذي فجره في نفسه سؤال الشعراء ، يقول (2) :

شعراء طنجة كلهم والمغربِ ذهبوا من الإغراب أبْعد مذهب

سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحقُّ منهم فاعْجبِ

لولا الحياءُ وعزّةٌ لَخْمِيَّةٌ طَيَّ الحَشا لحاكهمُ في المطلب

قد كان إذا سئل الندى يجزل وإن نادى الصَّريخُ ببابه: اركَب يَركَب

ويصور المعتمد بن عباد ذله وفقره في رده على رجل يعرف بابن الزنجاري سأله أن يزوده من شعره فيقرر أن لو يستطيع لزوده بالذهب بدلا من الشعر ، ولكن النوائب التي أصابته منعته من ذلك ، فقد أصبحت يده صفرا خالية مما تجود به ، وذلك من أعجب العجب الذي قدر عليه وهو في شهر رجب ، فقد آل أمره إلى ذل وفقر أزال عنه عزته وغناه ، وذلك شأن الليالي فنعماها قريبة من بلواها ، إذ سرعان ما تتقلب البلوى إلى نعمى ، يمثل ذلك بنفسه ، فقد كان شجاعا يسلب أرواح الجبابرة في المعارك ، ويحيي قتلى الفقر بتلبية مطالبهم ، وكان ذا ملك تحرسه جنود شجعان من العجم والعرب ، وحين شاء الله نزع ملكه منه ، لم ينفعه دفاعه عن ملكه و لم يغن عنه شيئا ، يقول (3) :

لو أستطيع على التزويد بالذهب فعلتُ ، لكنْ عداني طارقُ النُّوَبِ

---

1 – يعني بهارون أخا يؤازره، متضمنا الآية الكريمة : ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي ﴾ سورة طه : 28 .

2 – المعتمد بن عباد . ديوان . 154 .

3 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 190 – 191 .

يا سائلَ الشِّعر يجتابُ الفلاةَ به   تزويدكَ الشِّعر لا يُغني عن السَّغب
زادٌ من الريح لارَيٌّ ولا شِبعٌ   غـدا له مؤْثِـرًا ذو اللُّبِّ والأدب
أصبحتُ صفرا يدي مما تجود به   ما أعجبَ الحادثِ المقدور في رجب
ذُلٌّ وفقـرٌ أزالا عِـزَّةً وغِنى   نُعمى الليالي من البَلوى على كثب
قد كان يستلبُ الجَبَّار مُهجته   بَطْشي ، ويحيا قتيلُ الفقْـر في طلبي
والمُلْكُ يحْرُسُه في ظل واهبـهِ   غُلْبٌ من العُجْم أو شَمٌّ من العرب
فحين شاء الذي أتاه ينْـزَعُـه   لم يُجد شيئا قِراع السُّمْـر والقُضُب
فهاكها قطعةً يُطوى لها حَسدا   السيفُ أصـدق أنباء من الكتب

ومعظم شعر المعتمد بن عباد في أسره يسير على هذا النحو من الحنين إلى الماضي والمقارنة بينه وبين حاضره المؤلم ، حيث يعاني الضيم والفقر والذل ، وقد كان شعره في غاية الرقة والصدق العاطفي ، مما يعطف القلوب نحوه ، نظرا لصدق التجربة والمعاناة فضل عن شاعريته الرقيقة التي زادها المحنة رقة وصدقا (1).

ويصور عز الدولة بن صمادح (2) عظم همه وكمده ، فيرى أنه إذا سلم الناس من الهم والكمد ، فإنه قد جمعها حتى إنه لم يبق منهما لغيره ما يحاذره ، فـلا يقصـدان أحدا في الخلق غيره ، يقول (3) :

إن يسْلَم الناسُ من هَمٍّ ومن كمدٍ   فإنني قـد جمعْتُ الهَمَّ والكمـدَا
لم أُبق منه لغيري مـا يُحـاذره   فليسَ يَقصِدُ دوني في الورى أحدَا

ولاشك أن الشاعر السجين ، يكون له حاسدون وشامتون ، يفرحون لسجنه وما يلحقه من أذى ، وقد صور الشعراء هؤلاء الحساد والشامتين ، وتجلـدوا أمـامهم درءا لشماتتهم ، ومن هؤلاء الشعراء ابن زيدون ، كان قد أكثر من الحديث عن الوشين بـه

---

1 – انظر على سبيل المثال إضافة لما تقدم ، ديوانه .155 ، 187 .

2 – هو أبو مروان عبيد الله عز الدلة بن المعتصم بن صمادح ، كان أبوه قد أرسله في آخر دولته رسولا إلى يوسف بن تاشفين ليهنئه بالاستلاء على غرناطة ، فاعتقله ،ومكث هناك إلى أن خلصه أبوه وبقي بالمرية إلى ان انقرض أمده . أنظر ترجمته : ابن خاقان . مطمح الأنفس . 403 ، 404 ، ابن الأبار . الحلة السيراء 2: 88 – 92 ، ابن سعيد . المغرب . 2 : 201 – 202 ، المقري . نفـح الطيب . 7: 40 – 42 ، ابن خاكان . وفيات الأعيان . 5: 39 ــ 45 ،هذا البحث . 68 هامش . 1.

3 – ابن سعيد . المغرب . 2: 202 .

عند ابن جهور ، ويخاطب هذا الأخير داحضا أكاذيب الوشاة ، فيقول له : ما بالك أيها الأمير تصغي لأكاذيب الوشاة الواضحة البطلان فتقصر في شد أزري ، وتلتمس الأعـــذار في التخلي عني ، يقول (1) :

أأن زعم الواشون ما ليس مَزعما تُعَذِّرُ في نصري وتُعْذر شر في خذلي ؟

ويرسل ابن زيدون لصديقه أبي حفص بن برد يصف أخـــلاق رجـــال الـــبلاط والحاشية وغدرهم ونكثهم بالعهد حيث ابتعدوا عنه وكأنه السامري الذي يعدي مـــن يقترب منه بالحمى ، ويصورهم بالذئاب التي هامت بلحمه فأخذت تنهشه بأضراســـها وتمزقه بأسنانها ، وإنهم ليسألون عن حاله ، ولكنه سؤال الذئب الذي يحـــاول افتراســـه فيتسلل ليجد فرصة لالتهامه وافتراسه في الظلام ، يقول (2) :

ما تـــرى في معشر حـــا لوا عن العهد وخاسوا
ورأوني ســـامـــــريًّـــا يُتَّـــقى منـــه المِســـاس
أَذْؤُبٌ حامـــت بلحمي فانتهـــاشٌ وانتهـــــاس
كلُّهـــم يسأل عن حـــا لي وللذئـــبِ اعتساس

ويصـــور ابن زيدون موقف أعدائه وحقدهم عليه وكراهيتهم له ، عاتبا على ابن جهور أنه أصم سمعه عن عتابه ، وأصغى إلى وشايات أعدائه الذين يمزقون سمعته كلمـــا وجدوا إلى ذلك سبيلا ، لأنه بلغ الغاية وهم مقصرون فامتلأت قلوبهم حقـــدا عليـــه ، فصارت كالحية الرقطاء ، وهي من أخبث الحيات ، وقد أولاه هؤلاء الحاسدون جانـــب البغض ، ولا عجب فإن حياتهم قائمة على الحقد والحسد ، فقد نعتوه بالخيانة وليس لها أهلا ، وليس من شأن أمثالـــه أن يرموا بهذا الخلق الذميم ، ويعلل فراره بأنه كان مضطرا إلى ذلك ، فإن جعلوا فراره مثبتا الشك في أمره ، فقد وهموا ، لأن سدنا موسى فر مـــن مصر خوفا من فتك الأقباط ، يقول (3) :

عدا سمعَه عني وأصغى إلى عدًا لهم في أديمي كلما استمكنوا عَـــطٌّ

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 159 .

2 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 81 .

3 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 84 .

بلغتُ المدى إذ قصَّروا فقلوبهم — مكامِنُ أضغانٍ أَساوِدُهـا رُقْـطُ

يُولونني عُرض الكراهة والقِلى — وما دهرهم إلا النفاسةُ والغَمْـطُ

وقد وسموني بالتي لستُ أهلَها — و لم يُمن أمثالي بأمثـالهـا قـطُّ

فررتُ فإن قالوا : الفرارُ إرابة — فقد فرَّ موسى حين همَّ بـه القِبط

وقد يصور السجين خصومه إلى سجانه ويدعوه إلى ترك أقوال الوشاة الحاسدين الذين يزيدون في سوء مصيره ، فابن عمار يستعطف المعتمد بن عباد في قصيدته الحائية ، ويقول معرضا بالوشاة (1) :

ولاتلتفت رأي الوشاة وقوْلُهـم — فكلُّ إناء بالـذي فيه يَرْشَـحُ

سيأتيك في أمري حديث وقد أتى — برأي بني عبد العزيز مُوشَّح (2)

وما ذاك إلا ما علمْـتَ فإنـني — إذا تُبْتُ لا أنْفكُّ آسو وأجْـرح

تخيلتُهُـم لا دَرَّ للـه درّهـم — أشاروا بجاهي بالشمات وصرَّحوا

وقالوا: سيجـزيه فلان بذنبـه — فقلتُ: وقد يعفو فلان ويصفـح

ألا إن بطشا للمؤيَّـد يرتمـي — ولكنَّ حِلمـا للمؤيَّـد يرجـح

وماذا عسى الواشون أن يتزيدوا — سـوى أن ذنبي ثابت مُتصحـح

نعم لي ذنب غـير أن لحِلمِـه — صفاة يزِلُّ الذنبُ عنها فَيَسفَـح

فالشاعر هنا خاضع في استعطافه ، ويقال :((آخر ما أرسل إليه من استعطاف)) ، وهو يوضح مواقف خصومه الذين يزيدون النار اشتعالا ، وهو يحاول بكل ما استطاع ، أن يقنعهم بأن مساعيهم ستبوء بالخسران مقابل رجائه وأمله بحلم المعتمد وصفحه عنه .

وأحيانا نجد هؤلاء السجناء في وصفهم للوشاة من الحساد والخصوم يأخذ شكل تحذير وتلويح لهم بأن المصير الذي لاقوه سوف يلاقونه هم أيضا ، وأن للأيام يدا طولى تنال الجميع ، فهذا ابن غصن الحجاري يسوق تحذيره للشامتين في شكل حكمة (3) :

---

1 – ابن عمار . شعره . 38 – 39 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 421 .

2 – ويعني بهؤلاء أصحاب بلنسية ، منهم الوزير أبوبكر بن أحمد بن عبد العزيز خاصة ، وهو الذي كان خصم ابن عمار . انظر تفاصيل ذلك : ابن بسام . المصدر نفسه . 1/3: 40 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 155

3 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 218 – 219 .

أزاح الدهر حلـــو الماء عني   على ظمأ وأسقاني زُعاقَه
ورُبَّتما استحال السعدُ نَحْسا   فـــذاق المعتدي مما أذقـــه
إذا صار الهـــلال إلى كَمال   وتم بهاؤه فارقُـــب محاقـــه
وإنَّ عُبوس هذا الدهر يأتي   على أثر البشاشة والطلاقه

إذ يعترف الحجاري بمصيره وبقلب الزمان الذي اصابه ، ويؤكـــد لخصـــومه أن السعد ينقلب نحسا وأن حال البشاشة لابد له من نهاية عابسة دائما .

بهذا نرى الشعراء في السجن وصفوا الشامتين بهم خارج السجن ، وحذروهم مما سيلحقهم ، فلم يفرحوا لأنهم سيلاقون نفس المصير .

الاستعطاف والاعتذار :

طرق الشعراء السجناء هذا الموضـــوع لأنه كان يمثل لديهم أمل الخـــلاص مـــن السجن ، والانطلاق إلى عالم الحرية من جديد ، فكانت جل أشـــعارهم تـــدور حـــول الاستعطاف والعتاب والاعتذار والتماس شفاعة الشافعين ممن يمتون بصلة إلى الحكام .

وكانت أشعـــار الاستعطاف أحيانا تغلفها مسحة من التذلل والخضوع للحـــاكم مع الاعتراف بالذنب ، لتكون أبلغ تأثيرا في سبيل غايته ، أو قد يختلط هذا الاســـتعطاف بالمدح ليأخذ مأخذه في سبيل الحاكم فيعفو ويصفح ، وقد يتجه الشاعر باستعطاف عـــن طريق شفيع يشفع له ، ويتوسل له للوصول إلى ما يتمنى .

ومن الشعـــراء الذين دارت أشعارهـــم في السجن حول الاستعطاف والعتاب ، في القرن الخامس الهجر ، عبد الملك بن غصن الحجاري الذي يستعطف المأمون بـــن ذي النون مع جماعة من النبهاء ، وذلك في رسالته في صفة ((السجن والســـجان والحـــزن والمحزون)) ، يحاول فيها أن يرفق قلبه ، فقد أزاح الدهر حلو الماء وهو ظمآن وسقاه الملح الأجاج الذي لايروي عطشا ولا يبدل أواما ، وإن رجاءه في الظفر برضى المأمون ، فهو إن ظفر برضاه حلاله مذاق الماء ، وساغ طعم الحياة ، ولعله يرمز بالماء إلى الحياة ، و لم لا ؟ أليس الله قد جعل من الماء كل شيئ حي ؟ يقول (1):

---

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 218 .

أزاحَ الدهرُ حُلو ماء عنِّي　　　على ظمأٍ وأسْقاني زُعاقــهْ
وبالمَرْجَوِّ أن أظْفَرْ به مــن　　　رضا المأمون يُحلي لي مذاقَهْ

ثم يصـــف حاله وعلاقته بمن قبض عليهم معه ، محاولا التنصل منهم ومن علاقته بهم ، فما جمعه بهم إلا شقاوة ، وما هو منهم إلا في العير ولافي النفير ، وليس لـــه ناقـــة ولاجمل في أمرهم ، يقول الحجاري (1):

ونـــاسٌ لفَّني بهـــمُ شقـــاءٌ　　　اَلَمّ فزمَّ في ساقي سباقـــهْ
و لم يك لي بذاك العِير عَيْر　　　ولا بقطيع ذاك الذَّود ناقه

ونجد الحجاري في مقطوعة أخرى يقول مستعطفا ومعاتبا ومقرا بذنبه (2) :

وليس عقاب المذنبـــين بمنكـــرٍ　　　ولكن دوام السُّخط والعَتبِ ينكر
ومن عجبٍ قولُ العِـــداة مُثقِّلٌ　　　ومثليَ في إِلحاحه الدهـــرَ يُعـــذِر

فهو يقـــر بذنبه وبالخطأ الذي ارتكبه في حق المأمون بن ذي النون لما بلغه أنه يقع فيه ، لكنه يلح في طلب العفو تحت تأثير النفسي الشديد الواقع عليه في هذه المأساة .

أما أحمد ابن شهيد فكان مواليا للأمويين لكنه لم يحظ مع الحموديين بعلاقة حسنة في قرطبة ـــ كما تقدم ـــ فسجن ، ووجه إلى المعتلي من سجنه قصيدة طويلة ،يصـــور فيها حاله ومأساته في السجن ويمدحه في سياق استعطافه واعتذاره عليه ، فيقول (3) :

قريبٌ بمحتلِّ الهوان بعيـــدُ　　　يجود ويشكو حُزنه فيُجيـــد
نعى ضرَّه عند الإمام فيا له　　　عدُوٌّ لأبناء الكرام حسُـــود

وفي آخرها يقول (4) :

وراضتْ صِعابي سطْـــوةٌ علويـــةٌ　　　لها بارقٌ نخوض الندى ورُعُود
تقول التي من بيتها خف مـــركبي　　　أَقْرَبُكَ دان أم نـــوكَ بعيـــد ؟
فقلتُ لها: أمري من سَمَتْ بـــه　　　إلى المجـــد آباءٌ لـــه وجُـــدود

---

1 – ابن الأبار . المصدر السابق . 218 .
2 – المقري . نفح الطيب . 3: 424 .
3 – ابن شهيد . ديوان . 99 .
4 – ابن شهيد . المصدر نفسه . 101 – 102 .

أما ابن حزم فإنه يستشفع عند الخليفة بمن يدعوه الحاجب المرتجى السامي أرومته ، متمنيا على الله ، وقد حط الدهر مترلته ، أن يلطف به ، فلا شيء يعجزه ، وأن يحنو على شمله فيجمعه بهذا الحاجب الذي أرسى قواعد المجد في بواكير شبابه ، بحيث لاتضعضعه نوب الدنيا ومصائبها ، مادحا أياه بالشجاعة في ساحات القتال حيث تشتجر الرماح ويتحكم السيف في الرقاب ، كما يمدحه بالارتفاع إلى أسمى غايات المجد ، حيث نال غاية ما كان يتمناه فخضعت الرقاب لعزه ، وصار موضعه في سماء المجد ، فهو يرتاح لبذل المعروف وإجابة سؤال ذوي الحاجات فغص ناديه بالوفود الآمال ، وهو نعم الشفيع لمن ضاقت مذاهبه وأسمى من يشفع لدى الخليفة ، ثم يغريه بفعل الخير ، فكل زارع خير عند مضطهد ، سوف يحصد ما كان يزرعه ، داعيا له أن يعيش عزيزا محتكما على الأيام مادام حيا ، يقول (1) :

أقولُ والدهر قد غالتْ غَوائلهُ	وحط مني مكانا كان يرفعـــهُ
عسي لطائفُ من لا شيء يُعجزه	تَحنو على شَملنا يوما فتجمعه
بمُبتني المجد مذ حُـــلَّت تمائمـــه	بحيث لا نُوَب الدنيا تضعضعه
بحيث يَشتجِـــر الخَطيُّ في صَفد	ويَفطم السيف ذا بأس ويُرضعه
بالحاجب المرتَجَى السامي أرومتُه	إلى هلال الذي بالسعْد مَطلعه
سمـــا إلى غايـــة في المجد سامـــية	فنال غايةَ ما قد كان يُـــزمعه
فأصبحتْ قُلل السامين خـــاضعةً	لِعزه و سماءُ المجـــد مَوضـــعه
وارتاح للعُرف و الحاجات يُسألها	فغصَّ بالوفْد و الآمال مَصنعه
نِعْم الشفيعُ لمن ضاقت مذاهـــبه	لدى الخليفة أسمى من يُشفِّعـــُـه
و كل زارعِ خير عند مُضطَـــهد	فسوف يحصُد ما كان يزرعُـــه
فعـــش عزيزا على الأيام مُحتكِما	ما هزَّ ذيل الصَّبا غُصنا يُزعزعه

وابن زيدون فإنه قد ضرب بسهم وافر في الاستعطاف والاعتذار والاستشفاع ،

---

1 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة .386 - 387 .

ففي قصيدته التي يصف فيها مرارة الاعتقال ، يقول(1) :

يا بهجةَ الدهر حيًّا وهْو -إن فنيت	حياته -زينةُ الآثــــار والسِّيَرِ
لي في اعتمادكَ بالتَّأميل سابقــــةٌ	وهِجرة في الهوى أَوْلى من الهِجَر
ففيم غَضَّت همومي من عُلا هِممي؟	وحاصَ بي مَطلبي عن وِجهة الظَّفر؟
هل من سبيل فماءُ العَتْب لي أَسِنٌ	إلى العُذوبة من عُتباك والخَصَر؟
نذرتُ شُكرك لا أنسى - الوفاءَ به	إن أسفرتْ لِيَّ عنها أوجُه البُشر
لا تلهُ عنِّ فلم أســأَلْك مُعتسفا	رَدَّ الصِّبا بعد إيفاءٍ على الكِـــبر
و استوفر الحظ من نُصح وصاغيَّة	كلاهماالعِلْقُ لم يُوهب و لم يُعــر
هبني جهِلتُ فكـــان العلق سيئةً	لا عُذرمنها سوى أني من البشر
إن الســيادة بالإغضـــاء لابسةٌ	بهاءَها، و بهاء الحسن في الخَفر
لك الشفــاعةُ لا تُثــنى أعِنَّتُــها	دون القَبول بمقْبول من العُذُر
لك الشَفاعةُ لا تُــثنى أَعِنَتُهــــا	جَذلانَ بالوَطنِ المألُوف و الوطَر
و ألبس من النعمة الخضراء أيكتَها	ظلا حراما على الآفات والغِيــر
نعيمَ جنةِ دنيا ، إن هي انصرمت	نعمتْ بالخُلد في الجنات و النَّهَر

استهل ابن زيدون قصيدته في مدح ابن جهور بالغزل المرتبط بموضوع القصـــيدة ارتباطا عضويا ، حيث يتعرض للذكريات الجميلة التي أعقبها ألم الفــراق ، ثم يصــــور حاله في السجن ، ويرد على الشامتين به ، ثم ينتقل إلى مدح ابن جهور ، ويصور حرمانه من الأمير وشقاءه في ظله ، على حين سعد به جميع الناس وتلك كبرى العبر ، حيث كان يحسب نفسه في أوج العلا في ظل الأمير ، فإذا به يصبح ملتصقا بالتراب ، ثم يفتخر ابـــن زيدون بأدبه ، في مزج المدح بالاستعطاف ، فالأمير بهجة الدهر في حياته ، وإذا مات فهو زينة الآثار والسير ، ويناشده أن يحقق آماله فيه ، فقد هاجر قلبه إليه وتعلق به ، وهجـــرة القلوب أحق وأولى بالرعاية من هجرة الأجسام . فما للهموم تغض من همم ابن زيدون

1 – ابن زيدون . ديوان . 151.150.

العالية ؟ وما لآماله العريضة تنحرف به عن الظفر ؟ ويتساءل ابن زيدون ويلح في السؤال عن سبيل ، أي سبيل إلى تذوق رضا ابن جهور العذب السائغ ، بعد أن تكـــدر الصـــفو بالعتاب . ثم ينذر لله أن يقوم بشكر الأمير والثناء عليه إن جاءه البشير بصفحه عنه وإقباله عليه ، نذرا واجب الوفاء ، ويحاول أن يعطفه عليه منبها أياه إلى عدم التشاغل عنه ، فإنه لايطلب مستحيلا مثل رد الشباب بعد الإشراف على الكبر ، ويغريه بأن يبادر بالصـــفح والمغفرة ليستكثر من نصحه له وميله إليه ، فالنصح الخاص والود المتين كلاهما كالشـــيء الثمين لايوهب ولا يعار ، ويعتذر إليه مفترضا أنه أخطأ ، فإن عذره في جهالته أنه مـــن البشر ، ويغريه بالعفو عنه ، فإن السيادة تزدان بالإغضاء والصفح والغفران ، كما يـــزدان الحسن بالحياء ، والأمير له الشفاعة المطلقة التي لايقف في سبيلها أي عذر من الأعـــذار ، فليشفع له ، فإن شفاعته ستجلب له الأمان ، فيكون مثل من يأتيه الخصـــب والنمـــاء في وطنه دون اغتراب ، فيسعد بإقامته في وطنه وقضاء حوائجه فيه ، ويدعو ابـــن زيـــدون للأمير في ختام قصيدته بأن يتمتع بظلال النعيم ، آمنا من لفحات الحر ولذعات الـــبرد ، متمنيا له النعيم في الدنيا حتى إذا رحل عنها بالخلد في الجنات والنهر .

ونلاحظ على استعطاف ابن زيدون واعتذاره ، أنه لا يخضع ولا يذل بل يضـــع نفسه على قدم المساواة مع ابن جهور ، بل إنه في بعض الأحيان بل في كثير منه ، يفتخر بنفسه ورأيه وأدبـــه ومؤهلاتـــــه التي يفتقدها حاسدوه ، وهذا مال نراه في استعطاف ابن عمار حينما عرضه صاحب شقورة للبيع ، في مدة اعتقاله ، كتب إلى صاحب المرية ، يقول (1):

نفـــسي تحـــــن إلىفـــــداء	تفديـــــك نفســـي مـــن شراء
فاسبق بنـــفسك وعدهـــــم	مسترخـــــصا لي بالغـــــلاء
ثم أمـــــض فيّ على اختيـــــا	رك من فنـــــــاء أو بقـــــاء
و اللـــــه مـــــــا أدري إذا	قالوا : غـــــدا يوم اللقـــــاء
ما أقتـــــل الحالـــــين لـــي	إن كان خـــوفي أو حيـــــائي

1 – ابن عمار . شعره . تحقيق مصطفى الغديري . 92 .

فابن عمار يستعطف صاحب المرية في هذه الأبيات و يستحثه على شرائه ليخدمه ما بقي من حياته ، مقسما أنه لن يجور نقده من يشتريه بغالي الثمن ويضمه لخدمتـــــه ، بل سيكون رابحا في صفقته ضاربا المثل في البر.

ويستعطف ابن عمار في سجنه بإشبيلية المعتمد بن عباد في قصـــيدة كتبـــها إلى الرشيد بن المعتمد يطلب شفاعته لدى أبيه ،فيقول (1) :

قل لبرق الغمام ظاهر بريدي ... قاصدا بالسلام قصر الرشيد

فتقلب في جـــوّه كفـــؤادي ... وتناثر في صحنه كالفريـــد

وانتحِب صلاصل الرعد تحكي ... ضجتي في سلاسلي وقيودي

فإذ ما اجتَلاك أو قال مـــاذا ... قلتَ: إني رسول بعض العبيد

بعض من أبعدته عنـــك الليالي ... فاجتنى طاعةَ المحبِّ البعيـــد

ففي مطلعـــها يخاطب برق الغنام أن يظاهر بريده في إبلاغ الســـلام إلى قصـــر الرشيد ، فيتقلب جوه كفؤاد ابن عمار ، وأن يتناثر في صحنه كالفريد ، وأن ينتحب في صلاصل الرعد محاكيا ضجة ابن عمار وسلاسله وقيوده ، حتى إذا ما لفت نظر الرشـــيد فسأل عنه ، قال إنه رسول عبده أو بعض عبيده ، الذي أبعدته عنه الليالي فطاعته طاعـــة المحب البعيد ، ثم يمدح الرشيد ووالده المعتمد مشيدا بمترلته لدى والده ، ويختم قصـــيدته مسائلا نفسه ، بقوله (2) :

فعلام السُّرى بصبح رضـــاه ... معْ سنا وجهكَ الأغرِّ السعيـــد

وإلى أين في الشفيـــع إذا ما ... لم أُلُـــذ منك عنده بالرشيـــد

بفتىً نازح المكـــان مطـــلٍّ ... غائب الشخص ذي اعتناء عتيد

مُشفق يستجيب لي من قريب ... وأنـــا استغيثـــه مـــن بعيـــد

لو أطلَّتْ عليَّ رحمة عينيـــــ ... ـــه انجلتْ شِدتي وذاب حديدي

فعـــلام يسرى ويتخبط ليصل إلى صبح رضاه مع وجود ضوء وجه الرشيد الأغر

---

1 – ابن عمار . شعره ز تحقيق مصطفى الغديري . 55 .

2 – ابن عمار المصدر نفسه . 56 .

السعيد ، وليس له من شفيع إذا لم يلذ عند المعتمد بالرشيد ، ذلك الفتى البعيد المكان القريب بعطفه ، الغائب الحاضر بعنايته الشديدة وإشفاقه على ابن عمار ، حيث يستجيب له من قريب ويستغيثه من بعيد ، ولو أطلت على ابن عمار رحمة عينيه ، لانكشفت مصيبته وذابت قيوده وتخلص مما هو فيه من شدة .

ونجد ابن عمار قد نظم قصيدة في سجنه بإشبيلية ، جعل من نفسه فيها عبدا للمعتمد بن عباد ، متعجبا من شرائه له مرة أخرى وافتدائه بالمال متشككا في ذلك الأمر مستريبا منه حين يقول في مطلع هذه القصيدة (1) :

يقول قومٌ: إن المُؤَيَّد قد	أحالَ في فِديتي على نَقْدِهْ
ياقومُ ماذا الشِّراء ثانيةً	ترى لمعنى يَريبُ من عندهِ؟!
أوحشني ، السماحُ عادتُه	سماحُه للغلاء في عَبْده

ويمضي ابن عمار على هذا النحو من استعطاف المعتمد والاعتذار إليه ، متلمسا منه أن يقيله بما بينهما من رضى له باب مفتوح إلى رحمة الله ، وأن يغضي عن جرمه ، ويعفي على أثاره بنفحة رحمة تمحوه ، وألا يلتفت إلى رأي الوشاة فيه وقولهم عنه ، لأنهم ممتلئون حقدا عليه ينضح على ألسنتهم ، كما تقدم (2) .

وقد ذهب كل هذا الاعتذار والخضوع والتذلل والاستعطاف أدراج الرياح ، حيث كاد المعتمد بن عباد يرق له لولا أن زوجه ذكرته بما كان من هجاء ابن عمارلها ـــ كما تقدم ـــ وأوغرت صدره عليه ، فقتله بيده وندم فيما بعد على فعلته .

وشاء القدر أن يجري على المعتمد ما جرى على شاعره من أسر و ذل ، و لكن المعتمد لم يستعطف أحدا ، و لم يعتذر لأحد ، فقد كان معتزا بنفسه ، و لم ينس يوما أنه كان ملكا ، و لكن ذلك لم يمنعه من الاعتذار لشاعره ابن حمديس حين مضى لزيارته بأغمات فصرفه بعض خدمه ، فلما علم المعتمد عز عليه ذلك و عنف خدمه ، و كتب إليه بالغداة قصيدة يعتذر فيها إليه ، مطلعها (3):

1 – ابن عمار . ديوان . تحقيق مصطفى الغديري . 59 .

2 – انظر هذا البحث . 150 .

3 –المعتمد بن عباد .ديوان.173.

حجبت ، فلا و الله ما ذاك عن أمري

فاصغ فدتك النفس سمعا إلى عذري!

هكـــذا نجد موضوع الاستعطاف و الاعتذار كان من أهم مـــا قالـــه الشـــعراء السجنـــاء ، لأنـــه كان يمثل لهـــم في كثير من الأحيان أمل الخلاص و استعادة الحريـــة مـــن جديـــد ، و وجدنا في استعطافهم هذا تفاوتا بين متذلل للسجان و بين معتز بنفسه و من دون ذلك ، و في كل ذلك يمزجون بين المدح و الاســـتعطاف أو بـــين الاعتـــذار والاستعـــطاف و منهم من يتوسل في استعطافه بشفيع له مترلته عند السجان يجعله يعفو عن المذنب و يسامح المسيء.

الحديث عن الذكريات :

في غيـــابات هذا السجن المظلم يرى السجين أمله و بارقة الضوء في أيامه الماضية الجميلة ، أيام الحرية و الذكريات الحلوة ، فنراه يسكن إلى تلك الذكريات يقـــبس منـــها جذوة تنير له حاضره ، و قوة تعينه على تحمل ما وصل إليه في مأساته فالشاعر السجـــين في لجوئه إلى ذكرياته يقارن بين ماض جميل سعيد و حاضر قاتل تعس و في خضم كـــل ذلك يفتقد وطنه و أهله و أحبته ، و لذلك نراه يبثهم أشواقه و حنينه المتـــأجج ، لأنهـــم أيضا جزء لا يتجزأ من ذلك الماضي الذي يتحسر عليه و يتمنى عودته، ففي هذه الدراسة نفضـــل الحديث في هـــذا الموضوع المقارنـــة بين الماضي و الحاضر ، و الحنين إلى الأهل و الأحبة.

أما المقارنة بين الماضي و الحاضر فإن شعراء السجون يتحدثون عـــن حاضـــرهم التعس المؤلم و مصيرهم غير المحمود ، نجدهم يلتفتون إلى الماضي فتتداعى صوره أمـــامهم زاهية مشرقة ، صور اللعب و اللهو و صور الراحة و السرور.

فالمعتمد بن عباد في سجنه يتحسر بألم جديد على ماضيه العزيز الذي سلبه الزمان إياه ، و أودعه حياة ذليلة في سجنه بأغمات ، فنجد أشعاره جميعا قـــد غلفهـــا الأســـى والانكسار ، لكن ذلك لم يزده إلا عزة و أنفة أمام سجانه . و قد احتلت الذكريات حيزا لابأس به من أشعارة في السجن لأن حياته السابقة الحافلة المليئة قد توارت خلف قضبـــان

سجنه ، فلم يبق معه منها غير ذكرى جميلة تعاوده بين حين و حـين ، تـثير في نفسه الشجـن و الأحزان ، ففي جواب له على قصيدة من ابنه الرشيـد يصـف فيها حاضره و يقارنه بماضيه السعيد قائلا (1):

كنت حلف الندى و رب السماح　　و حبيب النفوس و الأرواح

إذ يميني للبذل يوم العطـاء　　و لقبض الأرواح يوم الكفاح

و أنا اليوم رهن أسر و فقـر　　مستباح الحمى مهيض الجناح

عاد بِشري الذي عهدت عبوسا　　شغلتني الأشجان عن أفراحي

فماضيه يزخر بحياة مفعمة بالكرم و البذل و الشجاعة و الفروسية يوم الكفـاح ، أما حاضره فيتصف بالفقر و ذل الأسر ، إذ عبس الزمان بوجهه بعد أن كان طلقا بشوشا فقد كان المعتمد في ماضيه الملك الآمر الناهي و أصبح الآن عبدا ذليلا في أسره.

و نجده يتذكر في سجنه أيامه الهانئة في قصوره الفخمة التي يبكيها في محنته(2):

بكى المبارك في إثـر ابن عبـاد　　بكى على أثر غزلان و آسـاد

بكت ثرياه لا غُمت كواكبـها　　بمثل نوء الثـريا الرائـح الغالي

بكى الوحيد ، بكى الزاهر و قبته　　و النهر ، و التاج ، كل ذله باد

فأبياته تلك التي تقطر دموعا و لوعة يتضح فيها الحزن و الذل و الإنكسار الـذي لحق كل شيء يتعلق بالمعتمد و يرتبط به ، فبكت قصوره على فارسها المقدام و رثت لـه في محنته.

و قصـورالمعتمد بالله و أبهة الملك ليست وحدها ما يتعلق به ، فأهلـه و أبنائـه أكثر لصوقا به ، كما سيأتي .

وأما الحديث عن الحنين إلى الأهل والأحبة والديار والوطن فهو جزء من معـالم الماضي الجميل ، وقد كانت المرأة أما أو زوجة أو حبيبة حاضرة في أشـعار السـجناء ، والحديث إليها في أشعارهم كان يبعث في نفوسهم الراحة والأمل فهذا ابن زيدون يحاول

---

1 –المعتمد بن عباد .ديوان ..157.

2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه .161 .

أن يخفف عن أمه مصـــابها به ، ممثلا حالتها بحالة أم موسى عليه السلام إذ رمت بطفلها في اليم ، ويوكل أمـــرها بابنها إلى الله أحكـــم الحاكمين ، وأنه لابد لهذه المحنة من نهاية، فيخاطبها من سجنه (1) :

أمقتولةَ الأجفان مالكِ ومالها ؟	ألم تُـــركِ الأيام نجـــما هـــوى قبلي ؟
أقِلّي بُكاء لســـتِ أول حُـــرةٍ	طوت بالأسى كَشْحا على مضض الثَّكْل
وفي أمِّ موسى عِبرةٌ إذ رمت به	إلى اليمِّ في التابوت ، فاعتبـــري واسْلي
ولله فينا عِلم غيب ، وحَسْبُـــنا	به ـــ عند جَورالدهر ـــ من حَكَم عدل

والشوق شديد جدا في نفس السجين لأهله وأصحابه لأنه انتزع انتزاعا ، وألقـــي بـــه في حياة الوحدة الموحشة ، ونجد هذا في قول ابن حزم يتشوق لأهله وزوجته (2) :

يا راحلا عند حَيٍّ عنده رمقي	اقْر السلام على من لم أودِّعه
وسَله بالله عن عهدي أيَحفظه	فعهـــدُه بمـــكان لا أُضيِّعـــه
وكيف عني وعن أُنسي يُصبُّرُه	أم كيف بعد بعَادي عنه أربُعه
واطولَ شوقاه ما جَدَّ البُعاد بهم	إليهمُ مذ سعـــوا للبين أفظعه
لئن تباعد جثماني فلم أرهـــم	فعندهم ـــ وأبيكَ ـــ أجمعـــه

يبلغهم شوقه الشديد فهو قد ترك قلبه وروحه وسبب حياته عند أهلـــه ، وهـــو يسأل عنهم وعن عهودهم معه ، وكأنه على الرغم من بعاد جسده عنهم لايـــزال قلبـــه المليء بالأشواق لديهم .

ونجد ابن حزم يتذكر أطفاله الذين تركهم خلفه ، فتثير الذكرى في نفسه الشجون على البعاد عنهم وطول السهر بعدهم ، يقول (3) :

ذكرى لفراخه في كل ناحية	توحي إلى القلب أسرارا تُقطِّعه
كم قد تحمّل من أعباء نَأْيِهم	نِضْـــوا نَبا بلذيذ النوم مضجعُه

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 160 .

2 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 386 .

3 – عباس ، إحسان . المرجع نفسه . 386 .

إن انقطاع الشاعر عن أبنائه يشعره بعظم المصيبة الواقعة عليهم والنتائج المترتبة على هذا البعد ، فهو يعي أهمية دور الأب ومكانته بين أبنائه وعلى رأس أسرته .

ومثلما لقي ابن حزم في سجنه هم فراق الأبناء ، فإن مصيبة المعتمد قد فاقد سابقه لأنه لم يفجع بفراق أبنائه وحسب بل فجع في سجنه بنبأ مقتل ابنيه الراضي والمأمون فرثاهما بأشعار تدمي الفؤاد ، فقال (1):

يقولون صبرا ، لاسبيل إلى الصبر   سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري

مدى الدهر فليبكي الغمام مُصابه   بصَنْويه يُعذَر في البكاء مدى الدهر

هوى الكوكبان: الفتح ثم شقيقه   يزيدُ فهل بعد الكواكب من صبر

ففقدان ابنيه وهو في السجن ، قد زاد في المصيبة التي ألمت به بعد خلعه عن عرشه ، وأفقدته كل صبر .

وأما الوطن والديار فهي حاضر في وجدان الشعراء في سجنهم ، والوطن صورة زاهية مفعمة بالحرية والأمل ، على نقيض الواقع الذي يعيشونه ، فيشتد الشوق والحنين إلى الوطن والديار ، وهو في حقيقته شوق وحنين إلى الحرية خارج جدران السجن الضيق.

ونجد عبد الملك بن غصن لاتفارقه دياره في سجنه ، يقول (2) :

وخلٍّ يُسليني على بُعد داره   ويكشف من قُرب الحبيب المتيم

وداري موقوفٌ عليه وخلّتي   وفِكري مشغول بـه وتوهُّمي

فالعلاقة القوية التي تربطه بأهله وأصدقائه تسليه في محنته ، ولاتغيب عن ذهنه ، على الرغم من المسافة الفاصلة بينه وبينهم ، وهذا الإحساس الذي يغمر الشاعر في تطلعه وتلهفه إليهم خارج السجن ، يعكس تلهفهم إلى عالم الحرية .

وهذا عبيد الله بن المعتصم يحن إلى المرية وماضيه فيها حيث الرفعة والمعالي وركوب الخيل والحرية والعزة، ويقابل ذلك بما آل إليه أمره من خمول وكبول وأسر وذل،

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 162 .

2 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 219 .

وحقه أن يكرم ، وفي ختام مقطوعته يحن إلى المرية الكريمة عليه ، معلنا لهفه للوصول إليها ، فيقول (1):

أبْعد السَّنا والمعالي حُمول وبعد ركوب المذاكي كبول؟

ومن بعدٍ ما كنتُ حرا عزيزا أنا اليوم عبـــدٌ أسير ذليـــل

حللتُ رســـولا بغرناطـــة فحلَّ بها بي خَطْبٌ جليـــل

وثُقِّفتُ إذ جئتها مُرســـلا وقد كان يُكرمُ قبلي الرسول

فقـــدتُ المرية أكـــرِمْ بها فمـــا للوصول إليها سبيـــل

وهكذا ففي الحديث عن الذكريات عند الشعراء السجناء يدور حول المقارنة بين الماضي والحاضر لما بينهما من تناقض ، وهم يتشوقون إلى الماضي الحر ليزيل عنهم هـــذه القيود وهذا العذاب ، كما نجد الحنين إلى الأهل والأحباب والوطن جزء لايتجزأ من صور الماضي المشرقة بالحرية ، ولذلك فالشوق إليهم كبير على بُعد الديار .

الأمـــل واليأس والاستسلام :

لقدكشف لنا الشعر الذي كتب في أعماق السجون عن مواقف الشعراء السجناء المتباينة والمتمثلة في مواقف متباينة منها : موقف الأمل الذي ظل السجناء متشبثين بـــه ، وعبروا به باعتذارهم واستعطافهم وعتابهم لنيل رضا وعفو رضي وعفو السجان عنهم ــــ كما سبق ـــ لكن هناك من أدركوا غايتهم ، فكانوا يخففون من مصـــابهم ، ويعـــزون أنفسهم بالأمل الذي يتشبثون به بكل ما يملكون من قوة ، وهذا عبد الملك بـــن غصـــن الذي ظل يستعطف المأمون بن ذي النون في أشعاره ويرجو العفو عن طريق بعث قصص الأنبياء السابقين في حلية ذكية لطيفة ، يقول (2):

إن رمتنا يدُ الخطوب بقوس طالما كان سهمُها لا يصيـــبُ

أو يكن عَثَّر الزمان فمرجوٌّ لإنعاشنـــا القريـــب المجيب

قد أجاب الإلـــه دعوةَ نُوح حين نادى بأنـــه مغلـــوب

---

1 – ابن خاقان . مطمح الأنفس . 404 .

2 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

وشفى ذو الجلال عِلّـــة أيـــو　　بَ وقد شارف الردى أيوبُ

وانقضى سجن يوسف وقد استيـــ　　أس ،وارتـــدَّ مُبصرا يعقوب

فهـــذا التوظيـــف المناسب لقصص الأنبياء أبرز لنا قسمات الأمل والبشر تعلـــو وجهه ، وقد تخلص من الشاعر فيما بعد من سجنه وأصح حرا طليقا .

وعلى نقيض الأمل الذي يتشبث به بعض السجناء ، فإن آخرين غيرهـــم ملـــوا الاستعطاف وخضعوا لليأس والاستسلام كابن زيدون مع ابن جهور ، الذي انقلب مـــن مدح إلى هجاء سجانة ابن جهور ، يقول(1) :

بني جهورٍ!أحرقتم بجفائِكم　　جَناني ، ولكـــنَّ المدائح تعبقُ

تعُدونني كالعَنبرِ الوَرد ، إنّما　　تطيب لكم أنفاسه حين يُحرق!

وأما المعتمد بن عباد فإنه لم يستعطف ابن تاشفين ـــ كما تقدم ـــ وإنما استسلامه كان غاية اليأس التي وصلت إليها نفسه ، والذي دار الزمان عليه وبدله من ((عز البنـــود إلى ثقل القيود)) ، فها هو يخاطب الوزير الطبيب ابن زهر (2) ، يقول (3) :

دعا لي بالبقاء ، وكيف يَهوى　　أسيرٌ أن يطول بـــه البقـــاءُ؟

أليس الموت أرْوحَ من حياةٍ　　يطول على الشقيِّ بها الشقاء؟

فمن يك من هواهُ لقاءُ حبٍ　　فإنَّ هواي من حتْفي اللقـــاء!

فشدة اليأس التي وصل إليها المعتمد بن عباد جعلته يرى الحياة في السجن لا قيمة لها ، ولذلك يفضل الموت عليها ليتخلص من بؤسه وشقائه .

ونجـــده في هذه الأبيات يقنط وينقلب من موقف الأمل والصبر الذي كان عليـــه إلى موقف اليأس والاستسلام لقضاء الله وقدره ، فيقول (4) :

ماذا رمتكَ به الأيام ياكبدي　　من نُبلهن و لارامٍ سوى القدرِ

---

1 – ابن زيدون . ديوان .255 .

2 – هو أبومروان عبد الملك بن زهر ، نشأ بشرق الأندلس ، ورحل إلى قرطبة وتعلم فيها ، ودرس الطب وأخذ وأخذه عن أبيـــه ، وكان إلى مهارته في الطب مقدما في الأدب .، توفي بقرطبة سنة 525 هـــ . انظر ترجمته ابت الأبار . التكملة . 334 ، صـــاعد الأندلسي . طبقات الأمم . 106 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان . 176 .

4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 189 – 190 .

أَسْر وعُسر ولا يُسر أؤَمِّلــه   استغفــرُ الله كم للهِ من نظرِ

وبهذا يتبين لنا أن الشعراء السجناء ، وقفوا في سجنهم موقفين موقــف الأمــل وموقف اليأس ، وكان الأمل يشيع في قلوب بعضهم ، فيدعون الله ويتــأملون فرجــه ، وبعضم تشفع بالنبي الكريم ، وأما الذين وقفوا موقف اليأس ، فكانوا من الــذين عــانوا السجن طويلا مستسلمين لقضاء الله وقدره.

يتضــح ـــ مما تقدم ـــ من أمثلة ، أن شعر السجن نظمه شــعراء في غياهــب السجون ، في شكل قصائد ومقطوعات شعرية ، تعبر عن مأساهم ســواء في وصــفهم للسجن والسجان أم في استعطافهم واعتذارهم وعتابهم ، أم في ما أثاره وضعهم ومحنتــهم من حنين إلى الماضي وإلى الأهــل والأحباب والوطن وإلى عالم الحرية ، وتتجلى في كل ذلك عــواطفهم الصادقــة ، كما يتجلى صــدقها أيضا في وصف ما أصابهم من يأس في الخــلاص أو في تعبير بعضهــم عن لحظة الفرح عقب العفو عنــه أو الفــرار مــن السجن، في القرن الخامس الهجري ، الذي يتسم بالصراع الداخلي على الخلافة في عهــد الفتنة وفي عهد ملوك الطوائف بغية التوسع على حســاب غيرهــم ، ولــو أدى ذلــك بالاستنجاد بالنصــارى الذين سهلت عليهم مهمة استرداد هذه الممالك ، كما ســيأتي الحديث في رثائها ، وكانت معركة الزلاقة بداية النهاية لعهد ملوك الطوائف .

الفصـــل الثالـــث

شعـــــر الحـــرب

لقد شهدت الأندلس غزوات عديدة ومستمرة لاتكاد تنقطع في عهـــد الخلافـــة الأموية ، وفي ظل الدولة العامرية ، سواء تلك التي تجهز في قرطبة ، وتنطلق للجهـــاد في أطراف البلاد وثغورها ، اعتمادا على الاستنفار والتعبئة العامة ، أو تلك الـــتي تخوضـــها الجيوش المرابطة في الثغور باسم الجهاد في قيامها بالرد على غارات الممالك النصرانية .

ونظرا لاتصال هذه الغزوات بحياة المسلمين اتصالا مباشرا ، باعتبارها صراعا مـــع قوات أجنبية تهدد وجودهم ومقدساتهم ، وتستنفرهم على الدوام ، ولكون الجيوش المحاربة تمثل فلذات أكباد المسلمين فإن قلوبهم ومشاعرهم كانت تتعلق بتلك الغزوات وتواكبـــها باهتمام كبير ، فلا غرو أن تنطق الشعراء وتثيرهم ، لأنهم يمثلون الجانب الرسمي من خلال وضعيتهم في القصر ، ودورهم في الإشادة بمآثر الدولة من جهة لكونهم يمثلون المســـلمين ولسانها المعبر من جهة أخرى ، فضلا عن كونهم شهود عيان حضر معظمهم كثيرا مـــن تلك المعارك أو وشارك فيها ، فعبروا عن ذلك في شعرهم وشـــاركوا في صـــنع تـــاريخ بلادهم.

ومن أهم المظاهر التي تجلت فيها مواكبة الشعر للحروب الخارجية : الحث علـــى الجهاد ، وبث الحماس في النفوس ، ووصف المعارك وأدواتها والإشادة بالجيش الإسلامي ، والثناء على الحكام وما حققوه من فتوح وانتصارات ، والشعراء في كل ذلك يحرصـــون على إثارة حماس المحاربين والرفع من معنوياتهم في أشعارهم .

وبالوقوف على حال المسلمين في عهد الفتنة فإننا نجدهم يستعينون بهؤلاء النصارى ضد بعضهم البعض (1) من أجل البقاء على كرسي الخلافة ، والنصارى عملـــوا علـــى تأجيج نار الفتنة بين المتنازعين بمد يد المساعدة لمن يطلبها منهم مقابـــل التنـــازل علـــى الحصون (2) .

1- انظر هذا البحث . 29، 33 .

2- انظر هذا البحث . 33 .

و لاشك أن مشاركة النصارى مع بعض الأطراف المتنازعة في الفتنـــة العظمـــى كشف لهم النقاب ـــ و قد احتكوا بالأندلسيين احتكاكا مباشرا ـــ عن حقائق أذهلتهم .

فالخـــوف والهلـــع الذي قذفـــه المنصور بن أبي عامر في قلوبهم إثر غزواته الموفقة طيلـــة ربع قـــرن على أراضيهـــم جعلتهم يعتقدون أن الجيش الأندلسي هـــو جـــيش لايقهر (1) ، فلما شاركوا في معارك هذه الفتنة تبين لهم أنهم واهمون وأن الأندلســـيين ، وقد أعوزتهم القيادة ، أضحوا عديمي العقل والشجاعة والدين (2) .

يتضح ـــ مما تقدم ـــ أن فترة الفتنة العظمى لم تكن هناك غزوات للمسلمين ضد النصارى ، بسبب كثرة الأحداث الداخلية والفتن المحلية بين المسلمين أنفسهم ، فكانـــت لهم الفرصة لمعرفة حال المسلمين عن قرب ، ولما تفتت الوحدة الأندلســـية ، وتمخضـــت الفتنة عن دويلات متناحرة (3) ، شعـــر هؤلاء النصارى أن زمن المنصور بقوته الضارية قد ولّى وانقضى ، و لم يعد من يواجههم في حربهم مع المسلمين إلا دويـــلات ضـــعيفة ومتصارعة ، انصرف كل مليك إلى شؤون مملكته على حساب جيرانه حتى ولو أدى ذلك للاستعانة بالنصارى أو دفع الجزية لهم مقابل مهادنتهم ـــ كما تقدم ـــ ولكن ما يهمنـــا في هـــذه الفترة هو حدث خارجي هام كان له أثره الكبير في الحياة السياسية والأدبيـــة ، ألا وهو معركة الزلاقة .

معركـــة الزلاقة :

قبل الخوض في وصف معركة الزلاقة يجدر بنا الحديث عن أسبابها ، فبعد ســـقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ، ازدادت سياسته التعسفية تجاه ملوك الطوائف بالأندلس، والغاية منها استنزاف مواردهم المالية على المدى القريب ، وإضعافهم حربيا على المـــدى البعيد . فضعف قوة ملوك الطوائف الحربية يفرض عليهم الاستجابة لمطالـــب الفونســـو السادس ، ويضطرون إلى إرهاق رعاياهم بضرائب باهضة ، فتكون لها دون شك آثـــار

1 – انظر تفاصيل ذلك : بن سلامة ، الربعي . شعر الحرب في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة ، فورار أمحمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية .168 – 207 .

2 – ابن عذارى . البيان المغرب . 89 .

3 – انظر هذا البحث . 67 .

سلبية في قلة الأرزاق ونضوب الموارد، مما يحول دون الاستعداد للحرب واستنفار الجيوش من نفقات وتجهيزات .

ويبدو أن ملوك الطوائف ، أو بعضهم على الأقل ، لم يفكروا في إيجاد مخرج مما يحدث لهم من قبل النصارى ، بل بالعكس عمدوا إلى لسان بعض شعرائهم المعبرين عن تبرير موقفهم الشائن الدال على خنوعهم ، فهذا حسان بن المصيصي (1) ، يقول (2) :

و لم تطو دون المسلمين ذخيرةً تُهين كرام المُنفِسات لتكرُما
يحيَّلوا في فكِّ الأسارى وإنما تُعاقِدُ كُفّارا لتُطلقَ مُسلما
وما كنتَ ممن شَحَّ بالمال و القنا فتكْنزَ دينارا وتَركُز لَهْذَما
فتُرسِلَه للصُّفْرِ أصفرَ عَسْجَدا وإن خالفوا أَرسلْتَ أبيض مِخْذَما

ومن الصعب أن نخفي على المعتمد قيامه ، أحيانا ، بدفع الإتاوات في سبيل إطلاق سراح بعض الأسرى ، لكن أغلب الأموال التي كان يدفعها للنصارى كانت بمثابة جزية يؤديها الضعيف للقوي .

أما ابن اللبانة فيرى أن سياسة المعتمد في دفع الجزية هي سياسة حكيمة غايتها حماية الدين ونصرته .ولئن عبرت الرعية عن استنكارها لسياسة ملكهم هذه ، فهي لاشك مخطئة ، والملك أدرى بمصالحهم ببعد نظره وحصافة رأيه ، قال (3) :

في نُصرة الدين لا أُعدِمتَ نُصرتَه تلقى النصارى بما تلقى فتنخَدِعُ
تُنيلُهم نِعَما في طَيِّها نِقَمٌ سيستضِرُّ بها من كان ينتَفِع
وقَلَّما تسَلَمُ الأجسامُ من عَرَضٍ إذا توالى عليها الرِّيُّ والشِّبَع
لايخبطُ الناسُ عَشْوا عند مُشكلة فأنت أدرى بما تاتي وما تدَع

و لم يخف هذا التبرير بما فيه من تملق عن صاحب الذخيرة ، فعلق على هذه

1 – هو الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي من شلب ، أصبح من كبار الشعراء في بلاط المعتمد بن عباد ، ولما استولى المعتمد على قرطبة ، تولى أبو الوليد كتابة سرِّ الفتح بن المعتمد . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2*/1: 433 ، ابن سعيد المغرب . 1: 385 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 191 ، 3: 588 ، المقري . نفح الطيب . 4: 307 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 248 .

3 – ابن اللبانة الداني . ديوان . 63 .

الأبيات ، بقوله : ((وهذا مدح غرور ، وشاهد زور ، ومَلَق مُعتَفٍ سائل ، وخديعة طالب نائل ، وهيهات !)) (1) .

و لم يكن لهذا الشعر دور بالغ في نفوس الرعايا إذ سرعان ما صدموا بالواقع بكثرة الضرائب . وعندئذ تيقن ملوك الطوائف بمعية بعض الفقهاء (2) أن أطماع الفونسو السادس في أموالهم وأراضيهم لا حد لها وإذا لم يفكروا في وضعهم الحرج لإيجاد حل له فإن مصير ممالكهم سيكون كمصير طليطلة .

ومن هنا جاءت فكرة الاستنجاد بيوسف بن تاشفين على اختلاف في الرأي بين ملوك الطوائف بين رافض وراغب (3) ، ونجد الشعراء قد صمتوا عن وصف هذا الاستنجاد لأنهم يلتزمون بمواقف ملوكهم الرسمية ـــ كما تقدم ـــ رغم تحمس الأندلسيين لمثل هذا الاستنجاد ، وبدليل وصول بعض الوفود إلى يوسف بن تاشفين قبل سقوط طليطلة طالبة النجدة (4) .

وكان من الممكن أن نجد بعض المقطوعات الشعرية ، بعد أن اتضح موقف ملوك الطوائف ، ووصلت بعثاتهم الرسمية المشتركة إلى ابن تاشفين تستنهض هممه (5) .

إننا لانجد إلا بعض الرسائل الرسمية لبعض الكتاب وإن كانت نثرا فهي على درجة كبيرة من التصوير الرائع للحالة التي أصبح عليها المسلمون في الأندلس ، في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري .

وقد صدرت هذه الرسائل عن ابن طاهر (6) الذي رأى أن المسلمين ((بالجزيرة على طرف ، وفي سبيل تمام وتلف)) (7) ، بين ((نكد فاضح ، وتلف فادح)) (8).

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 249 .

2 – عنان ، محمد عبدالله . دول الطوائف . 306 .

3 – الحميري . الروض المعطار . 85 .

4 – ابن الخطيب . الحلل الموشية . 20 .

5 – عنان محمد عبدالله . دول الطوائف .317 .

6 – اخذت هذه الأمثلة من ترسل ابن طاهر بعد عزله من الحكم . انذر : ابن بسان .الذخيرة . 1/3: 24 .

7 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 254 . 8 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 86 .

كما صـــدرت رسالة على لسان المتوكل بن الأفطس (1) إلى يوسف بن تاشفين كتبها أبو عبد الله بن أيمـــن (2) استهلها ، بقوله : ((لما نور الهـــدى ، أيـــــدك الله ، دليلك ، و سبـــيل الخير سبيلك ، ووضحت في الصـــلاح معالمكم ، ووقفت على الجهاد عزائمك و صح العلم بأنك بدعوة الإسلام أعز ناصر وعلى غزو الشرك أقـــدر قـــادر ، وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء)) (3).

ولمزيد التحريض و إثارة الحساسية الدينية يضيف ابن أيمن ((أيسطو هكذا بالحق الإفك ، ويغلب التوحيدَ الشرك ، و يظهر على الإيمان الكفر ، و لا يكتنف هـــذه الملـــة النصر ؟)) (4) .

وهكذا نرى أن الشعر فسح المجال ـــ ولو إلى حين للنثر يحل محله ، و ليس ذلـــك بدعا ، فالشاعر اعتاد أن يربط ما هان وتفه ، أو جل وعظم بشخص يكون مركز الثقل ، يستقطب إحساسه فيدير حوله شعره . والمنجد المرابطي بعيد وغير معروف ، ولا صـــلة تربطه بالشاعر الأندلسي فكيف نأمل أن يجذب إليه انتباه الشاعر المداح ؟

و خير دليل على ذلك أن المعتمد قرر العبور بنفســـه إلى ابـــن تاشـــفين ليحثـــه علىنجدة الأندلس (5) عند ذلك انطلقت ألسن الشعراء من عقالها ، ووجد الشعر المعبر عن هذا الحدث ، و لقد أشار المعتمد نفسه إلى عبوره و إن كان ذلك متأخرا (6) ، فقال :(7)

تُراهم نَسُوا حِين جُزتَ القِفَارَ	حَنينًا إليهم وخُضتَ البِحـــارا
بعَهدٍ لَزُومٍ لِسُبلِ الوَفـــــــا	إذا حاد من حاد عنها و جارا
وقلبي نُزوعٌ إلى يُوسُـــــــفٍ	فلولا الضُّلوع عليـــه لطـــارا

---

1 – ابن الخطيب . الحلل الموشية . 20 .

2 - انظر ترجمته : ابن بسام المصدر السابق . 2/2: 652 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 366 .

3 - ابن بسام . المصدر نفسه2/2: 654 .

4 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 654 – 655 .

5 – أشباخ يوسف . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين 1: 70 .

6 –قال هذه الأبيات وهو في طريقه إلى غماة منفيا يخاطب المرابطين ويذكرهم بوفائه لهم ، و كأنه يطالبهم ، وقد فـــات الأوان أن يعاملوه بما هو جدير به .

ونجد ابن وهبون قد مدح المعتمد بن عباد بهذا الجواز الذي أرخ له ابن الخطيب بسنة 478 هـ (1) ، أي أن هذا العبور تم قبل معركة الزلاقة ، والأبيات لا تتنافى مع ما ذهب إليه ابن الخطيب من تحديد زمني ، فحسب الشاعر ، يجب أن يكون المرء في مثل حزم المعتمد وحكمته ليتجرأ ويقوم بهذه المغامرة المجهولة العواقب ، فقال (2) :

عَزمٌ تجدَّدَ فيه النَّصرُ و الظَّفَرُ وفِكرَةُ خَمَدَت من دُونِها الفِكرُ

عساك خِلت حَبَابَ الماء من زَرَدٍ تعوَّدالخوضَ فيه طِرافُك الأشرُ

أوقُلتَ:في المَوجِ خُرصان مُفرَّقةٌ تُحارب الجيش أو مَصقُولةٌ بُتُرُ

ومع هذا الإطراء للمعتمد ، لايخفي الشاعر قلقه من هذا الجواز ، فنراه ينصح الممدوح بالحيطة والحذر لأن حياته لم تعد ملكا له ، فهو أمل هذه الجموع الغفيرة التي جاءت تودعه ، وهو أمل بالنسبة إليها في دينها ودنياها ، قال (3) :

هي البسالة إلا أنها شَرَف تنفي الحذار ، ومما يُؤثَرُ الحَذرُ

لا تحمل الدينَ والدُنيا على خطرٍ وليس يُحمَدُ في أمثالك الغَرَرُ

إن كان ثوبك مُختصا بلاَبِسهِ فقد تعلَّق من أَذيالِكَ البَشَرُ

هلاَّ رَحِمت نُفُوساً حَامَ حَائِمهاَ عليك واستَولتِ الأشواق والذُكَرُ

إن المعتمد غير قادم على حرب ، فما الذي يبرر خوف الشاعر على سيده من هذا الجواز ؟ إنه الشك في نوايا هذا المنجد الغريب الذي سيراه المعتمد لأول مرة ، وهي الريبة في هذا المغيث المجهول الذي علق عليه الممدوح ، قبل أن يختبره ، آمال واسعة ، وهذا من شأنه يجعل النفوس غير مطمئنة ، قال ابن وهبون (4) :

لا نُحسِنُ الظَنَّ إشفاقاوقد ضمنت لنا مساعيك أن يعن لك القدر

ولم يخيب ابن تاشفين ظن المعتمد ، ولا ظن الأندلسيين ، فكان ذلك أملا على تشجيع المعتمد بن عباد بالتخلي عن الجزيرة الخضراء بما فيها للمرابطين ،

---

1 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 246 .

2 – ابن الخطيب . المصدر نفسه . 246 .

3 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 504 .

4 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 504 .

وعند ذلك اجتاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة 479 هـ (1) ، وبعد أن انضمت إليه القوات الأندلسية بمشاركة أغلب دويلاتها ، قصد غربي الأندلس ، وكان ملكه ابن الأفطس أول من راسل ابن تاشفين يستنجد به لما حاصره النصارى ، وسقطت بأيديهم بعض حصونه الشمالية ، وما أن سمع الفونسو السادس بتحرك الجيوش الإسلامية حتى قطع حصاره لسرقسطة ، وارتد إلى طليطلة لحشد الجيش ، ثم زحف بجيشه الجرار نحو بطليوس ونزل على بعد منها بمكان يعرف بالزلاقة (2) .

وقد فصل المؤرخون (3) القول في هذه المعركة ، وتتبعوا جميع تفاصيلها بدقة ، وقام بعض الكتاب في تلك الفترة بكتابة رسائل على لسان ملوكهم في وصف الظفر المبين الذي حققته الجيوش الإسلامية على القوات النصرانية (4) .

وأما الشعراء فإنهم قالوا في يوم الجمعة ـــ أي يوم الزلاقة ـــ أشعارا سارت بالمغارب والمشارق على حد قول ابن بسام (5) ، وأورد المقري أنه ((لما رجع ابن عباد إلى إشبيلية جلس إلى الناس ، وهنئ بالفتح ، وقرأت القراء ، وقام على رأسه الشعراء فأنشدوه)) (6)

ويبدو أن الشعراء الذين أشادوا بهذا الانتصار كانوا كثرا ، ولكن شعرهم لم يصل إلينا منه إلا القليل ، فهناك بعض المقطوعات لم يصل منها إلا المطلع أو بيت فريد ، واتفقت كلها على تسمية معركة الزلاقة بيوم العروبة تعظيما له وتنويها بشأنه ، قال ابن جهور أحد أدباء إشبيلية (7) :

لم تعلم العُجْم إذ جاءت مُصممةً يوم العروبة أنَّ اليوم للعرب

---

1 – انظر هذا البحث .71 .

2 – عنان ، محمد عبدالله . دول الطوائف .311 .

3 – ابن الخطيب . الحلل الموشية . 42 – 42 .

4 – انظر رسالة ابن القصيرة في انتصار الزلاقن . ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 240 ، وهناك رسالة أرسلها ابن تاشفين إلى تميم بن المعزبالمهدية يخبره فيها بهذا الفتح . عنان ، محمد عبد الله . المرجع نفسه . 424 .

5 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 244 .

6 – المقري . نفح الطيب . 4: 370 .

7 – ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 101 .

وقال ابن اللبانة (1) :

يوم العروبة كان ذلك الموقــفُ أنَّى شهدتَ فأين من يَستوصفُ؟

وقال ابن وهبون (2) :

وما يوم العروبـــة يوم ســـــــرٍّ لقد نطق الزمـــــانُ به فقـــالا

ويوم العروبة لغة هو يوم الجمعة . قال أبو طالب عبد الجبار في أرجوزته (3) :

لله دَرُّ مثلِـــــها من وقــــــعهْ قامتْ بنصــر الدين يوم الجمعهْ

و هذه الأ بيات لاتبرز أحداث المعركة كثيرا بقدر ما تكشف عن تغني شــعراء تلك الفترة بانتصار الزلاقة ، فكيف بدت لنا هذه المعركة الحاسمة من ما بقي لنـــا مـــن أشعارهم ؟

إن أول ما يبدو من خلال هذه النصوص الشعرية ، هو تحميلها النصارى مسؤولية ما وقع بالزلاقة ، فهم السبب الرئيسي في اندلاعها ، وهي بذلك تحمل طبيعة هذه المعركة بالنسبة للمسلمين ، فهي معركة دفاعية أجبر عليها المسلمون بعد أن روِّعوا في ديـــارهم وأهينوا في مقدساهم ، قال ابن حمديس بعد الانتصار في الزلاقة ، وهو يميط اللثـــام عـــن الحالة التي كانت عليها الأندلس قبلها (4):

الآن أَفْرخَ روعُ كلِ مُهيَّد وأُعِزَّ دينُ محمدِ بمحمدِ

لقـــد انتهج النصارى سياسة توسعية لاحد لها ، فلم تكتف باستتراف الأموال ، بـــل تعدهّا إلى الحصول على ثغور المسلمين في الشمال ، ثم اكتســحت أراضـــيهم في الجنوب ، ونسي هـــؤلاء أنهم بأطماعهم تلك وتعديهم هذا ، قد عملوا على إثارة الشر من مكمنه وإيقاظ النوائب من سباهًا ، قال ابن وهبون (5) :

لم يهشموا الثغر إذ عاثتْ أَكُفُّهمُ لو يعقِلون ولكن تلكمُ الثُّغَرُ

---

1 - ابن اللبانة الداني . شعره ، 67 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 510 .

3 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 944 ، وهذا البيت لم يأت منفردا .

4 – ابن حمديس . ديوان .172 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 255 .

وليس ما غيَّروا إلاَّ لأنفسهـــم   كأنما نبهوا إذ نامت الغِيَـــر

والغرور حمل هؤلاء النصارى على تناسي من يواجههم من الأعـــداء ، فســـاقهم طيشهم إلى مافيه حتفهم وهلاكهم ، فقال (1) :

أتُنكِر العُجْم أن العُرْب سادتُهـــا   وتشهد البيض والخطِيَّة السُّمُرُ

لما تعارض دون الشُّكْر كُفْرهم   عادت بوادِرَ فيهم تلكمُ البِدَرُ

والشاعر في إلقائه هذة التبعة على عاتق النصارى ، يبدو متحصرا في أعماقه على ضياع فرصة ذهبية ، لو أدرك العدو في تعايش سلمي بين المسلمين والنصارى .

والنصارى هم السبب في هذه المعركة وكانوا هم الضحية فيها ، فقد ألحق بهـــم المسلمون هزيمة نكراء ، ووصفهم الشعراء قبل الهزيمة وبعدها .

لقد لفت انتباه الشعراء قبل المعركة ما كان عليه جنود العدو مـــن ضـــخامة في الجسم مع خفة في الحركة : فهم علوج شياطين ، قال ابن حمديس (2) :

غداةَ أتى بصُلبـــانٍ أضـــلَّتْ   عُـــــلُوجا أبرموا كيد البَريمِ

كأنهـــــمُ شيـــاطينٌ و لكن   رَميتهمُ بمُحـــرِقةِ النُّـــــجُوم

ولفت انتباههم ما تعود عليه النصارى في حروبهم من تغطية أجسامهم بأكملـــها بالحديد ، وهو ما لم يكن يفعله المسلمون ، قال ابن حمديس (3) :

عُلوج قُمصُ حَربهم حـــديدُ   يُعبر عنـــهمُ سَهَـــكُ النَّسيمِ

وهم يفعلون ذلك حذرا واحتياطا ، قال ابن حمديس (4) :

أفاضوا من المذِيِّ ماءً عليهمُ   ليُطْفِىءِ عنهم منْ لظى الحرب جاحِما

وكما حشوا أجسامهم داخل الحديد اتقاء للطعنات ، حشوا قلوبهم غيظا وظهـــر ذلك في أعينهم المتقدة حقدا ، قال ابن حمديس (5) :

---

1 – ابن بسام . المصدر السابق . 1/2: 255 .

2 – ابن حمديس . ديوان . 437 .

3 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 438 .

4 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 427 .

5 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 427 .

علوج حَشوا في الكفر بالغيظ أعيُنا   و قد مَلأُوا منها قُلوبا سَخائِما

و أشار ابن وهبون إلى عادة نصرانية لازالت إلى اليوم ، وهي رفع كأس الخمـــرة عند الاتفاق على أمر خطير أو الإقدام على حدث جسيم ، وقـــد فعـــل هـــذا الجنـــود النصارى، فدارت الخمرة بينهم قبل بدء المعركة وقت السحر ، وهم يشربونها على نخـــب ما يؤملونه من انتصار حتى يزدادوا عزما وثباتا عند مواجهة العدو ، فقال (1) :

مَضوا في أمرهم سَحرا ودارتْ   بما عقدوا من الحَلِف المُدام

ومع هذا الاستعداد الكامل اعتمد النصارى طريقة المكر والخداع ، فقـــد اقتـــرح الفونسو السادس تجنب الحرب يوم الجمعة والسبت والأحد ، احتراما لقدسية هذه الأيام في الأديان السماوية الثلاثة (2) ، وأن يكون اللقاء يوم الإثنين ، وتفطن المعتمد لهذه الحيلة وأعلم المرابطين بذلك حتى يحتاطوا ويستعدوا ، وأشار ابن حمديس إلى ذلك (3) :

نوَى خِدعةً في الحرب والحرب خِدعةٌ   فأدبرَ مَهزوما وقد كان هازمـــًا

ولكن لا الاستعداد نفع ، ولا الحيلة انطلت ولحقت بالفونسو الهزيمة النكراء .

ويؤكد الشعر ما أكده التاريخ من كثرة القتلى في صفوف النصارى ، فقد أطبـــق عليهم الجيش الإسلامي من أمامهم ومن خلفهم : من الأمام برجوع القوات الأندلسية إلى أرض الميدان بعدما ظهر عليها من التقهقر في بداية المعركة ومن الخلف بـــنزول الجـــيش المرابطي من أعلى الربوة التي كان فيها واقتحامه لمحلة الجيش النصراني ، فوقع جنوده بـــين قوات أندلسية رجع لها أمل الانتصار ، وقوات مرابطية في أوج حماسها واندفاعها . فكثر القتل في صفوف العدو مقبلين ومدبرين ، وتغيرت الأرض غير الأرض فارتفع مـــا كـــان منخفضا منها وانبسط ما كان مرتفعا ، فقال ابن وهبون (4) :

فهِيلَ به كثيبُ الكُـــــفر هِيلا   و كلُّ رُفَيعَـــــة منه رُكـــــامُ
و صاروا فوق ظهْر الأرض أرضا   كأن وِهادَها منهـــــم إِكَـــام

---

1 – ابن دحية . المطرب . 120 .
2 – عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف . 312 .
3 – ابن حمديس . ديوان . 427 .
4 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 246 .

عَديدٌ لا يُشـــارفه حســـــاب   و لا يحوِي جماعـــــتَه زِمـــام

ويحمل ابن حمديس مسؤولية ما وقع لهؤلاء الجنود من تقتيل ، قائدهم الذي غرهم فساقهم السوائم إلى مرعى الهلاك وأوردهم حياض الموت . فكانوا في سقوطهم صـــرعى على أرض الميدان كقوم عاد ، وقد حلت بهم نقمة السماء ، قال (1) :

يقودُهم لِحَيْنِهـــــم ظَـــــلُوم   لأنفسِهم،فويْـــــل للــــــظَّلومِ

رعىنَبْتَ الوَشِيج بهم فمـــادُوا   وتلك عواقبُ المـــرعى الوَخيم

وأَوردَهم حِيَاضا في المَواضــــي   بماء الموت ساقٍ من جَمـــــــــوم

و لَّما أن أتـــاك بقـــــوم عادٍ   أتيتَ بصَرْصر الريــــــح العَقيم

وهـــم في نهاية الأمـــر كالحطب الـــذي جمع وألقي به في النار ، قـــال نفـــس الشاعر (2):

كأنما احتطبَ العُلوج وساقهم   بحريقِ ضَرْب بالصَّـــــــوارم مُوقد

وكان من نتيجة هذه المقتلة الجماعية أن تناثرت الرؤوس علـــى أرض المعركـــة ، فتراءت لابن حمديس ككرة الصولجان ، قال (3):

كأن كُراتِ وَهي هامُهم غدتْ   صَوالجُها بيضا تحُزُّ الغَـــلاصِما

وفي لونها وقد استترف دمها ، كالبيض ، قال (4) :

و الحربُ من بيض الذُّكور كأنما   باضتْ بهن رَقَائدُ في الفَـــدفْدِ

وفي رائحتها كالبصل البري ، فقال (5) :

وتحسبُها في كل بيداءَ عُنصُلا   ترى ناثِرا فيها لهنَّ و ناظِـــما

أما الجثث وقد حزت منها الرؤوس فهي في نظر الشاعر أجسام لنشاوى أناملـــهم مرقد مخدر ، قال (6) :

---

1 – ابن حمديس . ديوان . 438 .

2 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 172 .

3 - ابن حمديسش . المصدر نفسه . 427 .

4 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 173 .

5 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 427 .

6 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 172 .

يَعدو الجوادُ بـــه على فُرســـــانه صرعى كأنَهُمُ نَشاوى مُرقِـــــد

من كل ذي سُكريْن من خمرٍ ومن حَدٍّ لِذي فَــتْك عليـــــه مُعربِد

ويسخر الشاعر من الفونسو السادس وقد فرّ من ميدان المعركة على فرس يـــدوس بحوافره جثث من صرع من جنوده فيسأله متشفيا ويجيبه مستهزئا ، قال ابن وهبون (1):

أنام رجالُك الأشْقُون ؟ كـــلاًّ ! وهل يَحْلو بلا رأس مَنـــــــامُ؟

ويكشف الشعر من أن المسلمين جمعوا رؤوس القتلى على شكــــــل صومعـــة ، و صعد من أذَّن عليها وكّبر.قال ابن حمديس (2):

وأيْد بنتْ في القَفْر منها صَوامعا و كانت لها بالُمرهَفـــات هَوادِما

علاهُن للتَّــــــأْذين كلُّ مُكبِّـــر تكاد له كَفٌّ تُمسُّ الغَمـــــائما

وكأن القدر أراد أن ينتقم من جند العدو . فها هي الصوامع التي كثيرا ما اعتدوا عليها هدما وتدنيسا تبنى برؤوسهم ، قال ابن حمديس (3):

تُبنى الصَّوامع مـــــن رؤسهم بما كانت على هَدْم الصوامع تَغْتدي

و ذكرت المصادر أن لمـــة من فرسان الفونسو السادس قائد النصارى في معركـــة الزلاقة حملته وفرت به (4) ، وأكد الشعر بأنه قد استطاع أن ينجو فارا وهو جريح بعد أن أسدل الظلام ستاره خوفا وفزعا ، قال ابن حمديس (5) :

ومُعترَكٍ تلقَّى الفُنْـــــشُ فيــه غَريما مُهْلكا نفـــس الغـــــريمِ

تَستَّر بالظِّـــــلام وفرَّ خَـــوفا بِرَوْع شَقَّ سامعَتـَـــــيْ ظَلــيم

وأشار ابن وهبون بأنه نزع كل ما كان عليه من دروع حتى يسهل عليه الفـــرار ويتمكن من النجاة ، وفي ذلك الموقف ما فيه من هوان وذل ، وخاصة بالنسبة إلى قائـــد الجيش وفارسه،ويمعن الشاعر في استهزائه بهذا القائد المهزوم الذي ــ كما يرى الشاعر ــ

---

1 – ابن بسام ز الذخيرة . 1/2: 247 .

2 – ابن حمديس . ديوان . 427 .

3 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 173 .

4 – ابن الخطيب . الحلل الموشية . 43 .

5 ابن حمديس . ديوان . 437 .

سيغير منذ ذلك اليوم دينه ، وسيعبد الظلمة لما أسدته له من يد بيضاء بإخفائه عن عيـــون أعدائه ، فقال (1) :

نَضَا أدْراعهُ و اجتـــــاب ليلا يَودُّ لو أن طولَ الليـــــل عـــامُ

سيعبدُ بعدهـــا الظَّلْمــــــاءِ لَّما أتيـــحَ له بجانبـــــها اكتِـــتَام

ثم يمعن الشاعر في تشفيه من ملك قشتالة ، فيشبهه بأحقر الطيور وينعته بـــأرذل النعوت دينيا وأخلاقيا (2) :

ولا ينفَكُّ كالخُـــفَّاش يُغـــضي إذا لم يُباشـــــــرْه الظـــــلامُ

فإن ينجُ اللعـــين فلا كَـــــحُرٍّ ولكن مثلَما ينجـــو اللِّئـــــام

ويرى ابن حمديس كابن وهبون ، أن ظلام الليل هو الذي مكن الفونسو السادس من النجاة حيا ، فكان فرسه يعدو به كالبرق على هام جنوده وجثثهم (3) :

صَدعتْ كتائبُه الضُّبى حتى إذا هَمَّتْ به أَعْطى قَذَال مُعـــــرِّدِ

في ليلة لبستْ لتـــستُر شَخصَه عنَّا فلم تلحظْه عينُ الفَـــــرقَد

أَمسى يُكذِّب مائِنا في ظُلمـــة خَفَرتْه فهي لديه بيضــــاءُ اليد

و لَّى يُحاكي البرقَ لَمْعُ مُجـــرَّد و الرعدَ في حَذر تَحَمحُم أجرد

يَعدو الجوادُ به على فُرســـانه صَرعى كأنـــهُم نشاوى مُرقِد

والشاعر بخياله يتبع الفونسو السادس ، وقد وصل إلى أبواب طليطلة حزين القلب مكسور الجناح ، فخرجت النساء إليه يسألنه عن أزواجهن وآبـــائهن وإخـــوتهن ، وفي سؤالهن تأكيد له تحمله مسؤولية ما وقع لهم ، ألم يجمعهم ورمى بهم في أتـــون الحـــرب فهلكـــوا ؟ ولكن بمـــاذا سيخبرهنّ الفونسو السادس ، فالحال أفصح من اللسان ، وهو يتحمل هـــذه المسؤولية الجسيمة بمفرده ، فقد حملته نفسه بعجبها وغرورهـــا إلى تلـــك الكارثة ، وهذا يدل على أن تجربة الفونسو الطويلة في الحياة والحكم لم تمنعه من أن يكون كالغلام طيشا ونزقا، وما أحرى هذا الغلام الشيخ أن يترك القيادة لمن جمع مع تقدم السن

1 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 247 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 246 .

3 - ابن حمديس . ديوان .172 .

اتزان النفس وحكمة العقل ، قال ابن وهبون (1) :

فيا أنفونشُ يا مغـــرورُ هلاَّ تجنبتَ المشيخة يا غـــلامُ؟

ستسأُلك النساء ولا رجالٌ فتُخبِر ما وراءك يا عصام

ومما لاشك فيه أن لهذا النصر المظفر الخالد أسبابا ، أشـــار الشـــعراء إلى حســـن الاستعداد ، وذكروا حكمة القيادة ، ونوهوا بوحدة الصفوف .

أما من حيث الاستعداد فقد عمل يوسف بن تاشفين على استنفار أكبر عدد مـــن الجنود والمتطوعة حتى يضمن النصر ، فاستجاب الناس إلى هذا الاستنفار ، يقول ابن بسام : ((ووفد عليه عوضا من آلاف الدنانير الأموال ، ضعفُهم من الفرسان الأبطال))(2) ، وفي ذلك قال ابن وهبون (3) :

وهبَّ عن كلِّ دينار لهم بطـــلُ كخالص التِّبْر مسبـــوكٌ و مُختَبرُ

فليقبَلوها أُلوفا من أُسود وغى تَزكو على السَّبك لاجُبْنٌ ولا خور

وَليرقُبُوا من أمير المسلمين ومنْ مُـــؤَّيد الديـــن ليلا ما له سَحـــر

أما من حيث القيادة ، فقد برهنت بما أظهرته من رباطة جأش وروائع بطولتـــها ، ومهارة تخطيطها ، إنها جديرة بالنصر، والمصادر التاريخية اعتبرت أن بطل معركة الزلاقـــة هو يوسف بن تاشفين ، إلا أن الشعراء جعلوا بطلها المعتمد بن عباد لأسباب متعـــددة ، وكأن القدر أراد أن ينتصف لابن تاشفين ، وقد بخس حقه ، فجعل المعتمد نفسه يقر بأن بطل المعركة هو يوسف بن تاشفين ، قال (4) :

ويومَ العروبة ذُدتَ العِدا نصرتَ الهُدى وأبيت الفِرارا

ثبتَّ هناك وإن القلـــو بَ بين الضلوع لتأبَى القَرارا

ولولاكَ يا يوسُفُ المتَّقَى رأينا الجزيرة للكفـــر دارا

وبقطـــع النظر عن الأشخاص فإن أهم سمة امتاز بها بطل الزلاقة هو قدرته على

1 – ابن خاقان . قلائد العقيان . 15 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 255 .

3 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/1: 255 .

امتلاك زمام نفسه في الأوقات الحرجة ، نجد أبي بحر بن عبد الصمد (1) يقول (2):

لو زُلتَ زال الدينُ و انتهــبَ الهدى   و نبا اليقينُ و أذعن التوحيــــدُ
لكنْ وقفتَ و ملءُ دِرعِك للعــــدا   دَرعٌ يَهُدُّ الرَّاسياتِ شديــــد
و الوجْه لامتغَيَّــرٌ و الــــرأيُ لا   مُتَبَلَّدٌ و العزم لا مَـــــردُود

ويبــدو القائــد البطل قطب رحى المعركة فكل الأنظار متجهة إليه يستــمدون من رباطة جأشه ، وقد حفت به الأخطار من كل صوب ، العزم والثبات في مــوقفهم ، قال ابن القزاز (3) :

وقفتَ وموقفُ الهيجاء ضَنْكٌ   وفيه لباعكَ الرّحْبِ انفساحُ
وألسِنــةُ الأسِنَّــةِ قائــلاتٌ   إذا ظهــر المؤيِّــد لا براح

لقد ثبت فعلا المعتمد على رأس القوات الأندلسية إثر هجوم النصارى العنيف في بداية المعركة ، ولم يفت في عضده تصدع الصفوف من حوله وتراجعهم بل استمات في الدفاع ، وقد ولى كثير من جند الأندلس الأدبار والنصارى من ورائهم يعملون الســيف فيهم ، قال ابن وهبون (4) :

وقفتَ بحيث تلحظُك العوالي   و هنَّ إلى مَوارِدها هُيــــامُ
ولم يثبُتْ من الأشيَــاع إلا   شقيقُك وهو صارمُك الحُسام
يمانٍ في يديْ ماضٍ يمــانٍ   فلا نابي الغِــرار ولا كَهــام
و لم يَحمِلْكَ طِرْفُك بل فؤادٌ   تَعوَّد أن يُخاض به الحِمــام
ثبتَّ به ثبات القُطــبِ لَمَّــا   أدارَ رحــاهُ خَطْبٌ لا يُــرام

وإذا كانت الوجوه عابسة فإن المعتمد تعلوه الابتسامة ، لما رآه الفونس السادس ، لأنه متأكد من النصر ، قال ابن حمديس (5) :

---

1 – هو أبو بحر يوسف بن أبي القاسم بت أحمد بن خلف بن عبد الصمد وهو من شعراء المعتمد بن عباد . انظر ترجمته : ابن بسام. المصدر السابق . 2/3: 809 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 302 ، المقري . نفح الطيب . 3: 534 ، 4: 259 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 815 – 816 .

3 – ابن سعيد . المغرب . 2: 135 .

4 – ابن دحية . المطرب . 120 .

5 – ابن حمديس . ديوان ز 437 .

رآكَ وأنت مبتسمٌ كضارٍ   تثاءبَ عن نواجذه شتيمِ

ومع أن القائد البطل تميز بهذه الخصال عن غيره ، فهو يبقى دائما البطل الإنســـان بعواطفه ومشاعره ، فالمعتمد وهو يخوض غمار المعركة ولايدري ما يخبئه له القـــدر مـــن مصير ، تذكر ابنا له صغيرا عليلا بإشبيلية ، ولاشك أن فكرة الفرار راودت نفسه في تلك اللحظة فاندلع صراع عميق في أعماقه بين عاطفة الأبوة والواجب المقدس ، لكن المعتمد شأنه شأن البطل الجلد والقائد المسؤول يتغلب فيه دائما صوت الضمير والواجب علـــى نداءات العاطفة والمشاعر ، فقال (1) :

أبا هاشم هشَّمتَني الشِّفـــــار   فلله صَبري لذاك الأوارْ

ذكرتُ شُخيْصَك ما بينهـــا   فلم يدْعُني حُبه للفـــرار

ويتعرض كما هو متوقع القائد بمواقفه الجريئة إلى كل ما من شأنه أن يتعرض لـــه الجندي الباسل على أرض المعركة فيشجّ وجهه ، قال ابن حمديس (2) :

كم شجَّة في حُرِّ وجهكَ لم يزل   لك الحُسنُ منها بالشجاعة واسما

ومرة أخرى تجرح يده ، وهذه اليد كما تسيل جودا وكرما على الأقرباء ، فهـــي تفيض بأسا ونقمة على الأعداء ، فقال ابن القزاز (3) :

و قالوا :كفُّه جُرحـــــتْ فقلنا: أَعاديهِ تُواقِعُها الجِـــــــراحُ

و ما أثرُ الجراحة ما رأيتـــــم   فترهبها المناصلُ و الرمـــــاح

و لكن فاض سَيْل البأس منهـــا   ففيها من مجاريه انسيـــــاح

وكما وصف الشعراء القائد الجريح وصفوا البطل الشهيد فرثوه ، ونوهوا بعظـــيم دوره في المعركة مبرزين فداحة فقده ، بخاصة إذا كان القتيل ممن جمـــع في مهامـــه بـــين السيف والقلم ، وفي مجده بين الطريد والتليد ، وهذا ابن وهبون يرثي واحدا مـــن وزراء المعتمد ، وقد سقط شهيدا في معركة الزلاقة ، وهو أبو محمد بن خلدون ، يقول (4):

ملكْتَ فاسجحْ لا أبالك يا دهرُ   أفي كلِّ عام في العُلا فَتْكةٌ بِكْرُ

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 106 ، ابن الخطيب . الحلل الموشية . 42 .

2 – ابن حمديس . ديوان . 425 .

3 - ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 245 .

4 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 719 – 720 .

رثتْـــه فقلنا : إنهـــا لَتُماضــرٌ وإنَّ ابن خلدون لمفقودُهـــا صَخْرٌ

مضى لم يرثْ عنه الِّرئاسة وارثٌ ولولا المساعي الزُّهْرُ لانقطع الذِّكْر

وما كان إلاّ الغيثَ أقلعّ جُملةً فلم يك منه لا غديـــرٌ ولا زَهْـــر

فيا ليتني بيـــن العـــوالي وبينـــه وقـــد ملَّكتْني من أعِنَّتهـــا فِهـــر

لأُطبِق منه بالعَشَا حَدَقَ القَنـــا ضِرابي وإن كانت لها الأعيُن الخُزْر

وفي هذه المعركـــة نجد أبا يعقوب يوسف قد اعترف لأهل الأندلس في شـــخص ابن عباد بقوة تضحياهم ، وفائق بطولاهم ، وخص ملك إشبيلية بوافر إعجابه وتقديره ، فقال ابن القزاز (1) :

رأى منـــهُ أبو يعقوب فيهـــــــــا عُقابا لا يُهاضُ لها جَنـــــاحُ

فقال له : لك القِدْحُ الُمعـــــــــلَّى إذا ضُربتْ بمشهَدِك القِـــداح

وبالمثـــل كان المعتمد ، فقد اعترف هو الآخر بدور أمير المسلمين ـــ كما وصفه الشاعر ـــ في المعركة ، فلولا ما أبداه من حنكة في التخطيـــط وثبات في الوقت الحرج ، ما كان ليتم النصر للمسلمين في النهاية ، فقال (2):

فَلِلَّهَ درُّك في هولـــــــه لقد زَاد بَأسُكَ فيه اشتهـــارا

تَزِيدُ اجتِرَاءً إذا ما الرِّمَـــا ح عِند التَّناجُز زِدنَ اشتِجَارَا

أما من حيث الاتحاد والانسجام ، فإن ما رأيناه من تقدير متبادل بين بطلي الزلاقة لدليل قاطع على خالص الرجلين فيما عقدا عليه من عزم لمواجهة العدو ، وقد تجسم هذا التقدير ، في العلاقة التي أصبحت تربط ابن عباد بابن تاشفين ، فالأول للثـــاني في حبـــه وإخلاصه كبنيامين لأخيه يوسف الصديق ، وتجسم بين جنود جيشهما ، ولـــيس ذلـــك بغريب فكلهم إخوة ، كما يجمعهم المصير المشترك في هذه المعركة تجمعهم أصول عربيـــة من حمير و لخم ، قال ابن وهبون (3):

فثار إلى الطِّعان حَليفُ صِدقٍ تَثُورُ بِهِ الحَفِيظة و الذِّمـــامُ

1 – ابن بسام . المصدر السابق . 1/2: 245 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 244 .

3 - ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2 : 244 .

نُمي في حِميرٍ وَنَمَتكَ لــَخمٌ وتلك وشائجٌ فيها التِحَـــام

فَيُوسُفُ يُوسُفٌ إذ أنت منــهُ كَيَامُنَ لا وَهَى لكُمَا نِظَام

وإذا تحقق النصر بثبات القائدين ، فقد تحقق باستمالة الجيشين : العرب بسيوفهم نزالا ، قال ابن حمديس (1) :

وَمُعتَادَةٍ أكلَ الكُماةِ ، جُيُوشـــها أعَارِبُ تَدعُو لِلنِّزَالِ أعَاجِمَا

إذَا اختَصَمُوا في الله كانت قُضاهَم قَوَاضِبَ تَقضِي بَينَهُم وَلَهَاذِمَا

والملثمون طعنا ، وأكمل القول (2) :

وآذنتَ عُمَّار القِفار بحربِهم فيا قُربَ ما شقوا إليكَ الخضارما

بنو الحربِ غَذَّهم لبانَ ثُدِيِّها و لم يستطيبوا منه بالقلوب العلاقما

إذا طعنوا بالسَّمْهَرِيَّةِ خِلتهم ضراغِم تُغري بالقلوب أراقِمـــا

وكانت النتيجـــة واحدة وهي سحق العدو ، وقال الشاعر منوها بطريقة العرب في الحرب(3) :

أدارتْ رحاها دورة عربيةً تركتْ عظام الروم فيها هشائما

ويذكر المؤرخون سببا آخر لهذا الانتصار الذي حققـــه المســـلمون في الزلاقـــة ، ويتمثل في استخدام عنصرين جديدين على أرض المعركة لم يكونا معهودين في الحرب إلى ذلك الوقت بالأندلس ، وخاصة عند النصارى ، وهما الطبل والجمل : أما الطبول فقـــد ذكر ابن خلكـــان أنه وقع ضربها ((فاهتزت الأرض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجـــع الروم))(4) ، وقدامتلأت قلوبهم خوفا وفزعا ، وقد أشار ابن الخطيـــب إلى ذلـــك في وصفه لمعركة الزلاقة ((وهي أول غزوة غزاها المرابطون بالأندلس وكان الناس يرحلـــون برحيل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ويترلون بتروله تقديما له ورعبا لمكانه من الســـر وعظيم الملك ووفور العدد وجودة الرأي وكمال العقل ، فسمعنا طبوله تضرب وقيل أمير

1 – ابن حمديس . ديوان . 427 .

2 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 426 .

3 – ابن حمديس . المصدر نفسه . 427 .

4 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 7: 118 .

المؤمنين يتقدم إلى العدو)) (1) ، ولكن الشعراء لم يشيروا إلى ذلك من قريب أو بعيد .

وأمـــا الجمـــال فقد عبر منها إلى الأندلس مع ابن تاشفين عدد لابأس بـــه ، ولم يكن الأندلسيـــون رأوا جمـــلا قط ولاخيلهم ، فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمـــال ومن رُغائها (2) ، وقد أشار ابن حمديس إلى استعمال المرابطين للجمال في جيشـــهم ، فقال (3) :

يحُثُّون للهيجاء جُردا سلاهبا ويُنضُون في البيداء بُزْلا صَلادما

وأشار ابن عبد الصمد إلى دور الجمال في ترويع الخيل ونكوصها على أعقابهـــا ، فقال (4) :

والخيلُ قد نكصتْ على أعقابها والروم زَرعٌ والرؤوس حصاد

الأندلسيون و معركة الزلاقة:

كشفت لنا الأشعار التي قيلت في هذه المعركة الكـــبرى عـــن بعـــض عـــادات الأندلسيين ، يمكن أن نستخلص من خلالها جوانب من عقلية الأندلســـيين ونفســـيتهم وأخلاقهم ، ومن هذه العادات ما كان يقوم به المنجمون لبعض ملوكهم عند الإقدام على عمل خطير أو حدث جليل من قراءة طوالعهم (5) ، وهذا ما فعله المعتمد قبل أن يســـير على رأس جيشه مع المرابطين إلى معركة الزلاقة ، فأخبره منجمه الخاص أبو بكر بن يحي الخولاني بحسن طالعه في تلك الفترة ، فتفاءل المعتمد ، وقال (6) :

لابد من فرج قريب يأتيكَ بالعُجْب العَجيب
غزو عليك مُبـــارَك في طيِّه بالفَتـــح القريب
للـــه سيفُك إنـــــه سُخطٌ على دين الصليب

1 - ابن الخطيب . الحلل الموشية . 39 .
2 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 7: 116 .
3 – ابن حمديس . ديوان . 426
4 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 809 .
5 – ابن الخطيب . الحلل الموشية .40 .
6 – المعتمد بن عباد . ديوان . 127 ، ابن الخطيب أورد ألأبيات من 2 – 4 في الحلل الموشية . 40 ،

لابد من يوم يكـــو ن ، له أخ يوم القَليب.(1)

ومن هـــذه العادات ما يكشف مزاج خاص لنفسية الأندلسيين ، فهي لاتتجـــاوز نطاق تفكيرها اللحظة التي هـــي فيها ، ولا تأخـــذها بالحزم في مـــواقف الجد ، فهـــذا أبو الحسن بن اليسع (2) لاينسيه ما هو مقدم عليه من لقاء مصيري للعدو شهواته ، فنراه يرسل إلى أبي بكر بن القبطورنه وهو ببطليوس ، يستهديه شرابا خمريا معتقدا أن الخمـــر قبل المعركة مسوغ شربها ما دام أنه سيخوضها ، وخوض المعركة في حـــد ذاتـــه يخفـــر الذنوب والآثام ، فيقول (3):

عطشتُ أبا بكرٍ وكفكَ ديمـــةٌ وذبتُ اشتياقـــــا والمزارُ قريبُ

فَخفِّف ولو بعض الذي أنا واجدٌ فليس بحق أن يُضـــــاع قريب

ووفِّر لنا من تلك حظًّا نُرى به نَشاوى وبعدَ الغزو سوف نَتُوب

فبعث إليه ابن القبطورنة ما يبتغي وأجابه ، بقوله (4) :

أبا حسنٍ مثلي بمثلـــك عالِـــمٌ ومثلُك بعد الغزو ليـــس يتوب

فخذْها على محض الصّفاء كأنها سنًى ما لها بَعْدَ الحِساب ثَؤُوب

و المعتمد لا يهدأ من ترديد الشعر أثناء المعركة ، و لم يكن أبو هاشم هو الـــذي تذكره المعتمد و نظم فيه الشعر فحسب ، بل إن هناك غلاما آخر ، حسن الوجه ، جميل الصورة ، رآه المعتمد وهو يقارع الأبطال و يسفك الدماء ، و كأنه الأســـد في وســـط الميدان ، فتغزل فيه و قال عنه (5):

أبصرتُ طَرفَك عند مُشتَجَرِ القَنا فبدَا لطرْفي أنه فَلَـــكْ

أوَ ليس وجهُـــك فوقه قَمَـــرا يُجْلى بنيِّر نُوره الحَلك؟

وتبدو شدة تعلقه به في قوله يصفه وقد دخل المعركة مغفرا ، قال (6) :

---

1 - ويوم القليب هو يوم معركة بدر الذي انتصر فيه المسلمون على المشركين ،

2 –انظر ترجمته : ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 172 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 87 .

3 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 174 .

4 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 174 .

5 – المعتمد بن عباد . ديوان . 60 .

6 – المعتمد بن عباد . ديوان . 61 ، المقري في نفح الطيب ((أورد ولما اقتحمت ...)). 4: 282

و لما اقتحمتَ الوغى دَارِعا   و قنَّعتَ وجْهك بالمِغْفرِ

حسِبنا مُحيَّاك شمس الضُّحى   عليها سحاب من العَنْبر

وهكذا كانت الزلاقة المعركة الكبرى الأولى في عصر الطوائف بإنجاد المرابطين لهم ضـــد النصارى ، ودفعت كثيرا من الشعـــراءِ إلى التغني بنصرها ، وبالتعبير عما يجـــدون في نفوسهم تجاه هذا النصر و تمجيد العروبة و الإسلام ، وكـــذا المـــؤرخين إلى رصـــد تفاصيلها، ولكن هذا الظفر المبين لم يحسن استغلاله لاسترجاع طليطلة من أيدي النصارى مـــن قبل ملوك الطوائف الذين عادوا لسيرهم الأولى ، وما كان من يوسف بن تاشـــفين إلا أن جـــاز إليهـــم وأزالهم عن ممالكهم ـــ كما تقدم ـــ وكان لسان الشعراء حـــالهم في الرثاء السياسي كما سيأتي .

الفصـــــــل الرابـــع

الـــرثـــاء السيـــاسي

و هو أكثر فنون الشعر قولا و صدقا و أصالة ، حيث توجد الدوافع النفسية وراء إنشاده ، وكذلك وفرة التجارب و الأحداث المتلاحقة على أرض الأندلس ، و المؤثرات الداخلية و الخارجية التي أثرت في عواطف الشعراء ، وهذا الفن خاص بالأندلس ، رغـــم أن له جذورا في المشرق (1) ، ولكنها لم تأت في روعة وجودة الشعر الأندلس .

و الرثاء السياسي يتفرع إلى **فرعين** ، فرع يتجه نحو **رثاء المدن** ، وفرع أخر **يرثي الممالك الزائلة** ، وكلا الفرعين يتسم بالصدق الفني والعاطفة القوية و العبارات الحزينـــة والألفاظ الباكية و الصور الشجية ، ومن ثم فقد كان هذا الفن على درجة كـــبيرة مـــن الشهرة والذيوع يقول غرسية غومس : ((وقد أدركت طائفة من المراثي السياسية شهرة واسعة في الأدب الأندلسي وقد قيلت هذه المراثي في مناسبات زوال الدول مثل رائية ابن عبدون في زوال ملك بني الأفطس أصـــــحاب بطليوس ، أو بمناسبة ضيـــــــــاع بلـــد كبير من بلاد المسلمين)) (2) .

أما **رثاء المدن** فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة اتجاهات ، اتجاه يرثـــي مدينـــة خربهـــا المسلمون بأيديهم ، فتهدمت قصورها و امحت رسومها بسبب الفتن التي توالت عليـــها ، و اتجاه آخر يرثي مدينة استولى عليها النصارى و خربوها ثم استردت منهم ، واتجاه ثالث يرثي مملكة سقطت في يد النصارى إلى الأبد .

فالاتجـــاه الأول و يمثلـــه مدينة قرطبـــة ، ذات البهاء و العظمـــة و القصـــور والمتنزهات و الحدائق و المساجد ، مدينة مثل هذه تغنى الشـــعراء بجمالهـــا ، و فتنـــوا بمتنزهاتها، يجيء عليها يوم مشئوم من أيام الفتنة العمياء ، فتتحول إلى خراب و أنقـــاض ونهب وتدمير و حرائق ، و تتحول الزهراء الجميلة و الزاهرة البديعة إلى كومتي رمـــاد ، ويموت الناس جوعا ، و تشهد العاصمة الجليلة ألوانا من الـــذل و المهانة . و هنا يتأثـــر

---

1 - مكي ، الطاهر أحمد .دراسات أندلسية . 201 .

2 – غومس ، إميليو غرسية . الشعر الأندلسي . 106 – 107 .

الشعراء بما ألم بعاصمة الخلافة فيعبرون عن شعورهم بأبيات من الرثاء ، تصور عظم المصيبة و فداحة الخطب لما حل بالمدينة و أهلها.

و يكون لهول الكارثة وقع شديد على أبنائها من الشعراء ، الذين عاشوا على أرضها ، و تفيأوا ظلالها ، و أكلوا من ثمارها ، و شربوا من أنهارها ، فقاموا يبكونها بكاء شديدا ، و منهم ابن حزم و ابن شهيد .

أما ابن حزم فقال في مدينته نثرا و شعرا ، يهمنا الشعر الذي بدأه ، بقوله (1) :

سلامٌ على دار رَحْلنا و غُودرت خلاءً من الأهلِين مُوحشةً قَفْرا

تراها كأنْ لم تَغن بالأمس بَلقعا و لا عُمِّرت من أهلِها قبلَنا دهرا

فهو يشير إلى المصيبة التي حلت بمدينته ، و التي أضحت بسببها خرابا بلقعا ، خالية من الأهل و الولد ، و كأنها لم تعمر من قبل ، و يجب أن نشير إلى أن ابن حزم كان قد ترك قرطبة ، واستقر في المرية لما ألمت بها تلك المحنة ، و لذا يناديها قائلا (2) :

فيا دارُ لم يُقفِرك مِنا اختيارُنا و لو أننا نستطيع كنتِ لنا قَبرا

و لكن أقدارًا من الله أُنْفِذَتْ تُدمِّرنا طَوعا لما حلَّ أو قهرا

و يا خير دارٍ قد تُرِكَتِ حميدة سقتكِ الغوادي ما أجلَّ و ما أسرا

و يأخذ الشاعر في نداء مدينته متمنيا أن تكون له قبرا ، لأنه تركها بحكم القدر ، الذي لا مفر منه ، ويطلب من الدهر أن يحمل تحيته و يبلغها إلى أهل قرطبة في كل مكان، داعيا إياهم إلى الصبر حتى و لو كان مرا ، قال (3) :

و يا دهرُ بلغ ساكنيها تَحيَّتي و لو سَكنوا المَرويْن أو جاوزوا النَّهرا

فصبرا لسَطوِ الدهر فيهم و حُكمه و إن كان طعمُ الصبر مستثقِلا مُرا

ثم يخاطب قرطبة مرة أخرى واصفا حالها بالقفر ، و كأنها لم يسكنها أحد من قبل، مطالبا أهلها بالصبر طاعة لله ، لعل الصبر يجعل من بعد العسر يسرا ، قال(4) :

---

1 - ابن الخطيب .أعمال الأعلام.107 – 108 .

2 – ابن الخطيب . المصدر نفسه . 108 .

3 – ابن الخطيب . المصدر نفسه . 108 .

4 – ابن الخطيب . المصدر نفسه . 108 .

و أيَّتها الدارُ الحبيبة لا يَـــــرْم ربوعكِ جَونُ المزْن يَهْمي بها القَطْرا

كأنكِ لم يسكنكِ غِيدُ أَوانسُ و صِيد رجال أُشْبِهُوا الأنجم الزُّهرا

سنصبر بعد اليُسر للعُسر طاعةً لعل جميلَ الصبر يُعقِبُـنا يُسـرا

ويتمنى أن تعــود قرطبة إلى عهدها الذهبي طالبا من الدهر تحقيق هذه الأمنيـة ، فقال (1) :

و إني و لو عادتْ و عُدنا لعهْدها فكيف بمن مِنْ أهلها سكنَ القبــرا

و يا دهرَنا فيها متى أنتَ عائــدُ فنحمدُ منكَ العَوْدَ أن عُدت و الكَرَّا

ثم يتذكر ما كان يفعله أثناء الليل و أطراف النهار في ربوع قرطبة من لهو و لعب ، و ما حل به الآن من سقم الجسم و عزاء القلب و ثكل النفس و حرق الكبد، يقول (2):

فيا ربَّ يوم في دارها و ليلـــةٍ وصلنا هناك الشمسَ باللهو و البدْرا

فوا جسمي المُضْنى و واقلبي المعزَّى و وانفسي الثَّكْلى و واكبدي الحَرَّا

و أخـيرا يختم أبياته طالبا من الدهر ألا يبعد ، و من العهد ألا يحـول ، و مـن الدمع ألا يجمد ، و من السقم ألا يشفى ، طالما أن قرطبة بهذه الحال فهـو ـــ دائمـا ـــ سيندها و يبكيها لأنه تربى على أرضها و شرب من مائها.

و أما ابن شهيد فقد بكى قرطبة هو الآخر في قصيدة ، و ذلك بعد أن صـارت أطلالا ، بكاها عن كثب ، و شهد مأساها عن قرب ، لأنه لم يفارقها كابن حزم ، فهو ينادي الطلول و لكنها لا تجيبه ، فيسأل الفراق و يتألم لجور الزمان على هذا البلد ، لأنه جعلهم يتفرقون في كل ناحية ، علاوة على قتل الكثيرين و هلاكهم ، يقول (3) :

ما في الطُّلول من الأحِبَّة مُخبـِر فمن الذي عن حالها نَستخبِر ؟

لا تسألَنَّ سوى الفِراقِ فإنـــه يُنْبيكَ عنهم أَنْجدوا أم أَغْـوَروا

جار الـــزمانُ عليهم فَتفرّقـوا في كل ناحيــة و بادَ الأكْثَـر

---

1 – ابن الخطيب . المصدر السابق . 108 .

2 – ابن الخطيب ا. المصدر نفسه . 108 .

3 – ابن شهيد . ديوان . 109 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 105 .

جرت الخُطوبُ على مَحل ديارِهم　　و عليهم فتَغيَّرت و تَغيــّـــروا

فدع الزمانَ يصُوغ في عَرصاهم　　نُورًا تكاد له القلوب تُنـــوِّر

ثم يتجه إلى قرطبة مشيرا إلى أن الإنسان مهما ذرفت عيناه من الدموع فهو قليـــل إذا قيس بفداحة الخطب ، داعيا الله أن يقيل عثرها ، ثم يبكي أهلها الذين تبربروا و تغربوا و تمصروا ، و ذهب كل فريق إلى ناحية ، فقال (1) :

فلمثلِ قرطبةٍ يَقلُّ بكاءُ مَن　　يبكي بعين دمعُهـــا مُتفجِّـــــر

دارٌ ، أقالَ اللهُ عثرة أهلِهـــا　　فتبربروا و تغربوا و تمصـــــروا

في كل ناحية فريقٌ منهـــمُ　　مُتفطِّر لفراقِهـــــا مُتحيِّـــــر

ثم يتذكر ما كانت عليه المدينة من لم الشمل و اخــضرار العيش و رياحها الطيبة وجمــالها البارع و كمال رواقها و قصورها و خدورها و بدورها ، و الزاهرية و العامرية و الجامع الأعلى و أسواقها ، حتى يقول في رثائها (2) :

يا جنةً عصفتْ بها و بأهلِهـــــا　　ريحُ النوى فتدمرتْ و تَدمَّروا!

آسي عليكِ من الممات و حُق لي　　إذا لم نزل بكِ في حياتك نَفخر

يا منزلا نزلتْ به و بأهلــــــه　　طيرُ النوى فتغيَّروا و تنكَّـــــروا!

جاد الفراتُ بساحَتَيْكِ ودِجلةٌ　　والنيلُ جاد بها وجاد الكَوْثــــــر

فالشاعر يشير إلى جنة قرطبة التي حولها الغادرون إلى خراب بلقــع ، فتــدمرت وتدمر أهلها، ثم يأسى عليها و على أهلها ، و يدعو لها بأن يترل الغيث بساحتها ، ويحيي رياضها ، و أن يجود الفرات و دجلة و النيل بساحتيها ، ثم يحزن و يأسى على ربوعهـــا وظبائها و سرواها و حماها و يتحسر على علمائها و أدبائها ، فقال (3) :

أسَفي على دارٍ عهدتُ رُبوعَها　　و ظَباؤُها بفِنائها تَتبختَـــــرُ

أيامَ كانتْ كَفُّ كل سَلامــةٍ　　تسمو إليها بالسلام و تَبـــدر

---

1 – ابن شهيد . المصدر السابق .109 – 110 ، ابن الخطيب . المصدر السابق .105 .

2 – ابن شهيد . المصدر نفسه .110 ، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 105 – 106 .

3 –ابن شهيد . المصدر نفسه . 110 - 111، ابن الخطيب . المصدر نفسه . 106 .

حُزني على سَرواتها و رُواتهـــا   و ثِقاتها و حُماتها يَتكــــــرر

نفسي على آلائِها و صَفائهـــا   و بَهائها و سَنائها تَتحسَّـــر

كبدي على علمائها حُلمائهـــا   أدبائها ظرفائها تَتفطَّـــــر

و إذا ألقيـــنا نظرة على القصيدتين نلاحظ أن قصيدة ابن شهيد أكثر من قصيدة ابن حزم صدقا و أحر منها عاطفة لأن الأول بكى مدينته و هو بعيد عنها و رد ما حدث لها إلى القدر ، و أما الثاني و هو ابن شهيد فقد رثى مدينته و بكاها عن كثب لأنه شهد مأساتها بنفســـه و رد ما حـــدث لها إلى جور الزمان ، و في عرض الموازنة بين الشاعرين و القصيدتين يقول الطاهر أحمد مكي :((و بعامة كان ابن شهيد ، و هو شاعر أصـــلا ، أرق موسيقا ، و أسلس لفظا ، و أوضح عفوية ، و كان في شعر ابن حزم، و هو بعـــض مواهبه ، شيئا من البطء و الرتابة ...و كثرت في قصيدة ابن حزم المحسنات اللفظية مـــن جناس و طباق ، و هو أمر قل أن يجيء عفوا ، و لكن الحق أن كليهما كان يصدر عـــن عاطفة صادقة و قلب كليم)) (1) .

ثم يورد لنا صاحب البيان المغرب مقطعتين في رثاء قرطبة لشـــاعرين مجهـــولين ، المقطعة الأولى يبكي فيها صاحبها قرطبة لما أصابها من نظرة العين ، و أن الدهر قد أقرضها ثم استرد قرضه منها ، و يقارن بين حسنها بالأمس و تعاستها اليوم ، و أخيرا يطلب من ساكنيها أن يرحلوا و يودعوها سالمين ، قال (2) :

ابك على قرطبة الزيــــــــن   فقد دَهتها نظــرةُ العيْـــــن

أنظرَها الدهرُ بأسْلافـــــــه   ثم تَقاضى جملـــة الدَّيْـــن

كانت على الغاية من حُسنها   و عيشِها المُستعـــذَب اللَّيْن

فانعكس الأمرُ فما أن تـــرى   بها سُـــرورا بين اثْنيْـــــن

فاغدُ وودِّعها و سِر سالمـــا   إن كنتَ أزمعت على البَين

و أمـــا المقطعـــة الثانية فيلقي فيها قائلها اللوم على سكان قرطبة و انصرافهم عن

---

1 - مكي ، الطاهر أحمد . دراسات أندلسية . 242.

2 - ابن عذارى . البيان المغرب .3: 110 .

تدبيـــر أمورهم ، و ينذرهم بسوء عاقبتهم ، و يتأثر ببعض سور القرآن الكريم فيذكرها، و هذا يدل على أن قائلها فقيه من الفقهاء ، قال: (1)

أضعتم الحزم في تدبير أمْركــــــم ستَعلمون معا عُقـــبى البَوار غدا

فلو رأيتم بعين الفِكر حالَكـــــم بكَيتم بِدم أن دُمتـــم بَــــــددا

لكنَّ سُبْلَ العَمى أعمتْ بصائرَكم فألبستْكم ثيابا للبِــلى جُــــدُدا

يا أمةً هتكتْ مستورَ سوْءِتِهـــــا ما كلٌّ من ذُلَّ أعطى بالصَّغار يَدا

في سورةِ الحشر آيــاتٌ مفصلـــة في شأنكم أُنزلت لم تعدكم أحَدا

نعمْ و في الكهف في العِشرين خاتمةٌ تقضي عليكم بألا تُفلِحوا أبـــدا

فاستشعروا سوءَ عقباكم فقد شَمَلت جميعَكم محنةٌ لا تنقضي أبَــــدا

و المقطعـــتان ، قيلتا في رثاء قرطبـــة ، تقل فيهما حرارة العاطفة ، و تنمان عــــن أن قائليهما فقيهان و ليس بشاعرين ، لدرجة أن قافية البيتين الأخيرين جاءتا كلمة واحد.

و قد ذكر ابن خاقان أن أبا الحزم جهور ، قد ((وقف على قصور الأمويين وقـــد تقوضت أبنيتها ، و عوضت من أنيسها بالوحوش أفنيتها :

قُلْتُ يوما لدار قوم تَفَانُـــوا : أَيْنَ سُكَّانُكِ العِزَازُ عَلَيْنَـــا؟

فَأَجَابَتْ: هُنَا أَقَامُوا قَلِيـــــلاً ثُمَّ سَارُوا ،و لَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَا)) (2)

ورثى السميسر مدينة الزهراء التي طمست معالمها من جراء ما أصابها من خـــراب على أيدي مدبري الفتنة ، فقال من شعر غلب عليه البكاء على المجد الضائع ، و التفجـــع على ما آلت إليه المدينة (3) :

وَقَفْتُ بِالزَهْرَاءِ مُسْتَعْبِـــــرًا مُعْتَبِرًا أَنْدُبُ أَشْتَـــــاتَـــــا

فَقُلْتُ: يَا زَهْرَا، أَلاَ فَارْجِعِي قَالَتْ : وَ هَلْ يَرْجِعُ مَنْ مَاتَا؟

فَلم أزل أبكي و أبكي بهـــا هيهات يُغني الدمـــعُ هيهاتـــا

كأنما آثارُ من قد مضـــــى نَوادبُ يندُبن أمْواتــــــــا

1 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 110 - 110 .

2 - ابن خاقان . مطمح الأنفس . 186.

3 – المقري . نفح الطيب . 1: 527 – 528 .

و هكذا بكى شعراء الأندلس حاضرة قرطبة العظيمة ، و المدن المزدان بها وهمـــا: الزهراء والزاهرة ، و لكن إذا تأملنا بكاءهم نجده بكاء سلبيا ، تتمثل خيوطـــه باليـــأس وذرف الدموع على الأطلال ، و الحنين إلى الربوع ، و الشكوى من الـــدهر ، دون أن يستنهضوا الهمم للقضاء على العدو ، أو الإشارة إلى مدبري الفتنة ، أو إلقاء اللوم علـــى أحد ، و كنا نتمنى من ابن حزم و ابن شهيد أن يشيرا إلى ذلك لأنهما أبناء المدينة أولا ، وشهدا المأساة ثانيا .

و أما **الاتجاه الثاني** الذي يرثي المدن التي استولى عليها النصارى ثم استردت منهم فيمثله مدينة بربشتر ، تلك المدينة التي كانت من أمهات مدن الثغر والحصينة الممتنعـــة ، ولكن النورمانيين حاصروها سنة 456هـــ لمدة أربعين يوما ـــ كما تقدم ـــ ، و منعوا عنها القوت و الماء ، و لم يحاول يوسف المظفر إنقاذها و لا المقتدر أخوه ، و لذا طلـــب المسلمون من العدو الأمان لأنفسهم ، على أن يخرجوا من المدينـــة دون مـــال ، فوافـــق النورمانيون و لكنهم ما لبثوا أن خانوا المواثيق ، و نكثوا العهود ، فقتلوا عامة رجالهـــا ، وسبوا فيها من ذرار المسلمين و نسائهم ما لا يحصى (1).

بيد أن هذا العمل المهين لم يهز ملوك الطوائف ، و لم يحركهم نحو إنجاد المدينة ، ولكنهم تخاذلوا . أما الشعراء فقد ألبهم سقوط المدينة ، و كان أشدهم تأثرا بهذه النكبـــة الأديب الشاعر أبو حفص عمر بن الحسين الهوزني الـــذي أرســـل و هـــو في مرســـية إلىالمعتضد ابن عباد بإشبيلية رسالة يحضه فيها على الجهاد ، و ينبهه للأمر الداهم ، تخلل هذه الرسالة أبيات من الشعر ، تصور المعتضد شجاعا في ميدان النزال ، ثم يضفي عليه من الفضائل أرفعها ليستميله لنجدة المدينة ، فيقول (2) :

أعَبادُ كلاًّ قد علوتَ فضائلاً   تقاصَر عنها كلُّ أروَع ماجدِ

ثم أخذ يمدح المعتضد و يستنهضه و يحثه إلى أن استضرحه بقوله (3) :

فقد جدَّ أمرٌ هَدَّ شَرْع مُحمـــــد   و ما مُخبِر عن حالةٍ مثل شاهـــــد

---

1 – البكري . جغرافية الأندلس. 94 ، ابن عذارى . البيان المغرب.3 : .225

2 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2 : 87 .

3 – ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 88 .

لكلٍّ يَبين الرأيُ عند وفاتـــــه و هل من دواءٍ بعد نَهْش الأساوِد

أضاعوا وُجوه الحزم يومًا فعزَّهم على أمرهم من ليس عنـــه بماجـــد

غير أن الرسالة لم تثمر ، بل كان جزاء الهوزني القتل على يد المعتضـــد ، فقـــام الكاتب أبو عمر ابن عبد النمري ينبه ملوك الطوائف عن هذا الخطر من خـــلال رســـالة أخرى ، و لم تمض أشهر قلائل حتى هب الأندلسيون بقيادة المقتدر بن هود و ساروا إلى الثغر يدفعهم الحماس الديني حتى وصل الجيش الإسلامي بربشـــتر ســـنة 457 هـــــ ، وحاصروا النورمانيين و استردوا المدينة (1).

و كان لسقوط بربشتر قبل استردادها أثر عميق في نفوس الشعراء ، ومنهم ابـــن العسال ، الفقيه الزاهد ، الذي صور ما لاقاه سكان المدينة من عنت النورمانين وضلالهم مما تشيب له الولـــدان (2) :

ولقد رمانا المشرِكون بأسهُم لم تُخْط لكن شأنُها الإصماء

هتكوا بخيلهم قصورَ حَريمها لم يبق لا جبلٌ و لا بطحاء

جاسوا خلال ديارهم فلهُم بها في كل يوم غارةٌ شَعـــــواء

باتت قلوب المسلمين برُعبهم فحماتُنا في حربهم جُبنـــــاء

إن الشاعر في بيته الأخير قد حدد موطن الداء وهو يكمن في جبن المسلمين عـــن نصرة إخوانهم ،.ثم يصور أثر الهزيمة القاسية ، و الفرار المريب ، و الذل و والعار ، ليلهب حماس المسلمين فيهبوا لاسترجاع ما ضيعوه ، و استرداد ما فقدوه ، و لا ينسى الشاعر في أبياته أن يصور الغدر و الخيانة التي كان عليها المسيحيون ، ثم يصور مافعلوه في الأطفال و الشـــيوخ و النســـاء . إنهم بذلك قد أخلوا بأبسط قواعد الإنسانية ، يقول (3) :

كم موضعٍ غنِموه لم يُرحَم به طفلٌ و لا شيخ و لا عذراءُ

ولكَم رَضيع فرَّقوا من أمِّــه فله إليها ضَجَّة و بُغـــــاء

و لرُبَّ مولودٍ أبوه مُجـــــدَّل فوق التُّراب و فُرْشُه البَيداء

---

1 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 227 .

2 – الحميري .صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار. 40 – 41 .

3 – الحميري . المصدر نفسه . 40 – 41 .

و مَصونةٍ في خِدْرها مَحجوبة قد أبرَزوها ما لها استِخفاء

و عزيزِ قومٍ صار في أيديهمُ فعليه بعد العِزَّة استِخْـــذاء

و في ختام أبياته يلقي اللوم على المسلمين ، لأنهم بتخاذلهم و تواطئهم قد تركـــوا الفرصة للنصارى حتى يفعلوا ما فعلوا (1) :

لولا ذُنوب المسلمين و أنهم ركبوا الكبائرَ ما لهنَّ خَفـــــاء

ما كان يُنصَر للنصارى فارسٌ أبدا عليهم فالذُّنوب الـــــدَّاء

فشِرارهم لا يَختفون بشَرِّهم و صلاحُ مُنتحلي الصَّلاح رَيَّاء

و كان لهذه الأبيات وقعها المؤثر في نفوس المسلمين فهبوا يدافعون عن المدينة حتى استـــردوها من أيدي النورمان بعد مضي تسعة أشهر من احتلالها ، و استطاع المسلمون أن يقتلوا من النصارى الكثير و يأسروا الكثير ، و يسبوا نساءهم و ذراريهم ، و ذلـــك بفضل تعاونهم و حماسهم الديني (2) .

و أما **الاتجاه الثالث** الذي يرثي المدن والممالك التي احتلها النصارى و خرجـــت عن دائرة الإسلام إلى الأبد ، و كان للشعر السياسي دور بارز في رثائها ، فهي طليطلة ، عاصمة القوط القديمة ، و قد كانت مدينة الثورات خلال العهود الإسلامية المختلفة فيها و ذلك لبعدها عن قرطبة ، و قد أعد ألفونسو السادس جيشه لمهاجمتها نتيجـــة خدعتـــه الماكرة عندما قال لأهل طليطلة :((فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليهـــا قـــديما في أول أمركم ، فقد سكنتموها ما قضى لكم ، و قد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فـــارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ، و لن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا و بينكم)) (3) . و فعلا سقطت طليطلة ـــ كما تقدم ـــ بعد استسلام مهين للقادر يحي بـــن ذي النون ، و ذلك بعد أن فقد أي عون خـــارجي مـــن أمـــراء الطوائف ماعدا المتوكل بن الأفطس الذي انتدب القاضي أبا الوليد الباجي بأن يطـــوف ببلاد الأندلس ، صائحا و محذرا و مستجيرا ، و يحثهم على الوحدة و نبذ الخـــلافات ،

---

1 – الحميري . المصدر السابق .41 .

2 - ابن عذارى . البيان المغرب . 226 .

3 – ابن عذارى . المصدر نفسه .3 : 282.

و لكنـــه لم يجد آذانا صاغية ، فلم يستجيبوا لنصحه بل كانوا يستبردون نزعته (1).

و هكذا سقطت إحدى حواضر الأندلس الكبرى ، و خرجت من قبضة الإسلام، بعد أن عاشت في ظلاله ثلاثمئة و سبعين عاما (2) .

و كان لسقوط مملكة طليطلة أثر كبير في نفوس ملوك الطوائـــف و في نفـــوس الشعراء ، فأما ملوك الطوائف أخذوا يفكرون في لم الشمل و توحيد الصفوف أمام خطر النصارى ، و أما الشعراء فأخذوا في تصوير هذه النكبة ، و كان ابن العسال خير شـــاعر أحس بهول النكبة لأنه قاسى مرارتها شخصيا حين أخرج من المدينة مع من أخرج ، فأنذر المسلمين في أبياته و حثهم على ترك المدينة لأنه في نظره خير مـــن الســـبي ، و خدمـــة النصارى ، فقال (3) :

يا أهلَ أندلسٍ حُثُّوا مطيكُـــم فما المُقام بها إلا من الغَلَـــــط

الثوب يُنسَل من أطرافه و أرى ثوبَ الجزيرة مَنسولا من الوسط

و نحن بين عدو لا يفارقنـــــا كيف الحياةُ مع الحيَّات في سَفَط

و كان للأحـــــداث التي حلت بطليطلة بعد دخولها في حوزة النصارى أثر كبير في نفوس الشعراء و خاصة بعد أن حولوا مسجدها إلى كنيسة ، و ضيقوا على المســـلمين في أداء شعائرهم حتى يجبروهم على التنصر ، و هنا بكى طليطلة المنكوبة شاعر من شعراء الأندلس مصورا ما حل بالمسلمين من ذل و هوان في قصيدة طويلة ، استهلها بالســـؤال التالي:هل هناك من يبتسم و قد ضاعت طليطلة ؟ و هذا البدء يدل على عمـــق التجربـــة وصدقها ، و شدة المعاناة ، التي هزت وجدان الشاعـــر ، فكيف تعيش مـــدن الأندلس في سرور بعد هذه الكارثة ؟ يقول(4) :

لثُكْلِكِ كيف تبتسمُ الثُّغور سُرورا بعدما سُبِيَت ثَغور

---

1 – ابن الأبا ر. الحلة السيراء . 2: 98 .

2 – محمد عبد الله عنان . دول الطوائف.ط1. 111-.115

3 – المقري .نفح الطيب .4 : .352

4 – المقري . نفح الطيب.4 : 483.

فهذه الكارثة قد هدت كيان المسلمين و قصمت ظهورهم رعبا و خوفا ، و ذلك بعد سقوط المدينة ، و امتلاك ألفونسو السادس لزمام الأمور ، و توالي المحن ، و انعدام السرور ، قال (1) :

أما و أبي مصاب هُدَّ منه ثَبيرُ الدين فاتَّصل الثُّبُور

لقد قُصِمتْ ظُهور حين قالوا أميرُ الكافرين له ظُهور

تَرى في الدهر مَسرورا بعيْش مضى عنا لِطَيَّتِه السُرور

ثم يتساءل الشاعر في غمرة الأحداث و المأساة : أليس في الأندلس أبي النفس، شهم ، ينقذ طليطلة ، و يحررها من الكفر ؟ (2):

أليس بها أَبيُّ النَّفس شَهْم يُديرُ الدَّوائر إذ تُدور

و كانت صيحته هباء باستثناء المتوكل بن الأفطس الذي أشار على القاضي أبي الوليد الباجي أن يطوف في الأندلس ـ كما تقدم ـ منذرا و محذرا ، و لكن ملوك الطوائف في ذلك الوقت قد خضعوا لوعيد ملك قشتالة ، و رضوا بالذل و الهوان ، وتسامحوا في الحرمات فقال (3) :

لقد خضعتْ رقابٌ كنَّ غُلْبًا و زال عُتَوُّها و مضى النُّفُور

و هان على عزيزِ القوم ذُلٌّ و سامحَ في الحريم فَتى غَيُور

ثم يعرض الشاعر ما جرى في طليطلة ، و كيف كانت معقلا صعبا ؟ يفوق بضخامته و منعته إيوان كسرى و الخورنق و السدير ، لقد أخرج أهلها و شردوا عن ديارهم و حولت مساجد المدينة إلى كنائس يسمع فيها دق النواقيس بدلا من صوت الآذان ، فأي قلب يقر على هذا و لا يجزع؟! (4) :

طليطلةَ أباحَ الكُفْرُ منها حِماها ،إنَّ ذا نبأٌ كبير

فليس مثالَها إيوانُ كِسرى و لا منها الخَوَرْنَقُ و السَّدِير

مُحَصَّنَةٌ مُحَسَّنةٌ بعيدٌ تناوُلُها و مَطْلَبُها عَسير

1 – المقري . المصدر السابق . 4: 483 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 483 .

3 – المقري . المصدر نفسه . 4: 483 .

4 - المقري . نفح الطيب . المصدر نفسه . 4: 483

أ لم تكُ مَعقِلا للدِّين صَعْبـــا فذَلَّله كما شاءَ القَديــــــــر

و أُخْرِجَ أَهلُها منها جَميعــا فصاروا حيث شاءَ بهم مَصير

و كانتْ دارَ إيمانٍ و علــــم مَعالُمها التي طَمِسَتْ تُنيــــر

فعادتْ دارَ كُفْر مُصْطَفَــاةً قد اضطَرَبتْ بأهلِيها الأمُور

مساجدُها كنائسٌ ، أيُّ قلبٍ على هذا يَقرُّ و لا يَطيـــر؟

يقول صاحب النفح عن اليوم الذي تحول فيه جامع طليطلة إلى كنيسة: ((و ممـــا جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المغامى ، -رحمه الله تعالى- صـــار إلى الجـــامع ، وصلى فيه ، و أمر مريدا له بالقراءة ، و وافاه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، و تكاثروا لتغيير القبلة ، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ و لا معارضته ، و عصمه الله تعالى منهم، إلى أن أكمل القراءة و سجد سجدة ، و رفع رأسه ، و بكى على الجامع بكاء شـــديدا ، وخرج و لم يعرض أحد له بمكروه)) (1) .

ثم يتأسف الشاعر لتلك النهاية المحزنة ، إنه حزن لا يداوى ، يكرر مـــا تكـــررت الدهور ، لقد ذوت طليطلة بمحاسنها ، و شردت فيها حرائرها ، و من ثم لا يجد الشاعر غير أن يشارك إخوانه أحزانهم ، قال (2):

فيا أسفاه يا أسفاه حُزنــــــا يُكرَّر ما تكررت الدُّهـــور

و يُنشَرَ كل حسن ليس يُطوى إلى يومٍ يكون بـــه النُّشـــور

أُدِيَلتْ قاصراتُ الطَّرْف كانت مَصُوناتٍ مَساكِنُها القُصور

و أدركها فُتور في انتظــــار لسِرب في لواحِظه فُتــــور

و كان بنا و بالقينـــات أولى لو انضمت على الكُل القُبور

لقد سَخِنَت بحالتهن عيـــــن و كيف يُصبِح مَغلوب قَرير

لئن غِبنا عن الإخْـــوان إنَّـــا بأحْزان و أشْجان حُضـــور

و الشاعـــر يرجع النكـــبة إلى فعل الدهر ، أو يرد الأحداث التي حلت بالمدينة

---

1 – المقري المصدر السابق .4 : .447

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 484 .

إلى تقلب الدهر ، و يستبعد أن تكون ((عقابا من الله على معاصي ارتكبها أهل طليطلة ، و إنكارا منه لواقع في حياتهم لا ترتضيه الشريعة ، و حجته في الرد أن غيرهم أسوأ منهم، و أشد فسقا و فجورا ، فإذا ارتضينا هذا سببا فعلينا أن نتوقع نفس المصير ، و في قولتـــه هذه يستهدف أمرين فيما أرى : الدفاع عن قوم سقطوا في محنة الاحتلال ، فهم في حاجة إلى شيء آخر غير التقريع و الذم ، و تذكير الغافلين في بقية مدن الأندلس بما يمكـــن أن ينتهي إليه حالهم إذا واصلوا سيرتهم العابثـــة و واصـــلوا مظـــالمهم و عصـــياهم ســـرا وعلانية))(1) ، قال (2):

نُذور كان للأيام فيهـــــــــم ... بمُلكهم فقد وفَت النُّـــــذور

فإن قلنا العقوبةُ أدركتهُــــــم ... و جاءهم من الله النَّكيـــــر

فإنَّا مثلُهم و أشدُّ منهـــــــــم ... نَجور و كيف يَسلم من يجور؟

أنأمَن أن يَحُلَّ بنا انتقـــــام ... و فينا الفِسق أجمع و الفُجور

و أكلٌ للحرام و لا اضطِرار ... إليه فيَسْهل الأمر العَسيـــــر

و لكنْ جُرأة في عُقـــــر دار ... كذلك يفعل الكلب العَقـــور

يزول السِّترُ عن قوم إذا مـــا ... على العِصيان أُرخَيَّت السُّتور

ثم يحث قومه على الأخذ بالثأر ، و نصر الديانة ، فقد حامت النسور فوق جثث القتلى من المسلمين ، و ذلك حتى يبعث في نفوسهم روح الشجاعة و الحميـــة و ســـل السيوف ، و يدعوهم إلى التعاون و عدم التهاون لأن الموت في عزة خير من الحياة في ذلة، ثم يضيق بالصابرين و يلوم القاعدين (3) :

خُذوا ثأرَ الدِّيَّانة و انصُروها ... فقد حامت على القَتلى النُّسور

و لا تهِنوا و سُلُّوا كل عَضْب ... تهابُ مضاربا منه النُّحـــــور

و مُوتوا كلكم فالموتُ أوْلى ... بكم من أن تُجاروا أو تَجوروا

أصَبْرًا بعد سْبيٍ و امتحـــانٍ ... يُلام عليهما القلبُ الصَّبـــور

1 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسات أندلسية.256 ،.257

2 – المقري . نفح الطيب . 4: 484 .

3 – المقري . المصدر نفسه . 4: 484 .

ثم يصور قعود الناس و جبنهم عن القتال ، فهم كالأبقار الـــتي تخـــور ، و قـــد أضعفت عزائهم أخبار الهزائم ، و ما يجري لمواطنيهم في طليطلة ، و الشاعر كان يتمنى أن يتشجعوا و يكون لهم زئير الأسود ، لقد ساءت أحوال المسلمين و أضـــحت أخبـــارهم مصدر كدر و ألم ، و تأتي الكتب مسطرة بالشر ، و النحس خير مبشر لهم ، قال (1):

نَخور إذا دُهِينا بالرَّزايــــــــا ... و ليس بِمُعجَب بقرٌ يَخور

و نَجبُن ليس نزْأر ، لو شَجعْنا ... و لم نَجبن لكان لنا زئير

لقد ساءت لنا الأخبــــار حتى ... أمات الُمخبِرين بها الخَبير

أتتنا الكتبُ فيها كلَّ شرٍّ ... و بشَّرنا بأنْحسِنا البَشيـــر

لقد أضحت أخبار الناس في طليطلة يشيب لكربها الطفـــل الصـــغير ، و يصـــم السميع، و يعمى البصير ، قال (2) :

و قِيل تَجمعوا لفِراق شَمْل ... طليطلةٌ تَملكها الكَفـــــور

فقُل في خُطة فيها صَغار ... يشيبُ لكَرْبها الطفلُ الصَّغير

لقد صُمَّ السَّميع فلم يُعَوَّل ... على نبإٍ كما عميَ البَصيـــر

ثم يتحدث الشاعر في ألم شديد عن بعض مسلمي طليطلة الذين أغـــرتهم وعـــود ألفونسو ببقائهم على أرض الكفر مع الرضا بالهوان لتنمية ثرواتهم ، بل إن منهم من ارتد عن دينه و اعتنق النصرانية ، و بلغ الحزن غايته حين آثر الجميع البقاء ، و حجتـــهم ، إلى أين نذهب ؟ ، و كيف نترك بيوتنا و أموالنا و ليس لنا وراء البحر دور و لا أمـــوال؟ ، ليست لنا هناك ضياع ننعم بوارف أشجارها و طيب ثمارها ، و لا طبيعة فياضة بجمالهـــا من ظل و ماء و اعتدال هواء ، قال (3) :

تُجاذِبنا الأعادي باصطنـــاع ... فينجذِب الُمخَوَّل و الفَقـــير

فباقٍ في الدِّيانة تحت خِـــزي ... تُثَبِّطُه الشَّوِيْهَة و البَعيـــــر

و آخَرُ مارِق هانتْ علــــيه ... مصائبُ دينه فله السَّعيـــر

---

1 – المقري . المصدر السابق . 4: 485 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 485 .

3 – المقري . المصدر نفسه . 4: 485 .

كفى حَزَنًا بأن الناسَ قالـــوا　　إلى أينَ التحوُّل و المَسيـــر

أَنَتْرُكُ دُورَنا و نَفِرُّ عنـــــها　　و ليس لنا وراءَ البحر دُور

و لا ثَمَّ الضِّيَاعُ تروقُ حسنًا　　نُباكِرُها فيُعْجبُنا البُكُـــور

و ظِلٌّ وارِفٌ و خريرُ مـــاء　　فلا قَرٌّ هناك و لا حَـــرور

و يأكلُ من فواكهها طَـــرِيٌّ　　و يُشرَبُ من جَداولها نَمير

و يصور الشاعر قبول أهل طليطلة دفع الجزية لألفونسو في كل شهر ، و تســـليم عشر المحصول في كل صيف ، و ذلك مقابل حماية النصارى لهم ، لقد تبدلت الأوضـــاع وأصبح النصارى الموالي و العشير للمسلمين ، قال (1) :

يؤدى مَغْرَمٌ في كلِّ شَهْر　　و يؤْخَذُ كلَّ صَائفة عُشُورُ

فهم أَحْمى لِحَوْزتِنا و أَوْلى　　بنا و همُ الموالي و العَشير

ثم يقرر بأن اليقين قد ذهب ، و ليس هناك دين و لا دنيا ، فالمسلمون قد رضـــوا بالرق و الذل و الهوان ، ثم يطلب من إخوانه أن يبكوا ، و لكن ما جدوى البكاء ؟ ويتألم الشاعـــر لحال إخوانه الذيـــن هاموا على وجوههم في فلاة ، حيارى ، ثم يدعو الشاعر إلى نبذ السلم ، و الاستعداد للقتال ، عسى أن يجبر العظم الكسير ، قال (2) :

لقد ذهبَ اليقينُ فلا يقيـــنٌ　　و غَرَّ القومَ باللهِ الغَـــــرور

فلا دينٌ و لا دُنيا و لكـــــن　　غُرورٌ بالمعِشية ما غـــــرور

رَضوا بالرِّقِّ ياللهِ مـــــاذا　　رآهُ و ما أشارَ به مُشيـــــر

مضى الإسلامُ فابْك دَمًا عليه　　فما ينفِي الجَوى الدمعُ الغَزير

و نُحْ و اندُب رفاقا في فَـــلاة　　حَيارى لا تَحطُّ ولا تَسيـــر

ولا تَجنَح إلى سِلْم و حارِب　　عسى أن يُجْبر العظمُ الكَسير

ثم يقـــارن الشاعـــر بين فريق المسلمين الذين عموا عن مراشدهم ، و فريـــــق النصـــارى المتميز بنفاذ البصيرة ، و يتعجـــب من المسلمين ، إذ كيف يلقـــون فردا من

---

1 – المقري . المصدر السابق . 4: 485 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 485 .

النصـــارى و يفـــرون عنه جميعا ، فهم أشبه بالحمير التي يخيفها القناص ، و كان الأولى أن يثبتوا و أن يصبروا ، و لكن ماذا ينفع العدد الكثير إذا ذهب اليقين ؟ ، قال (1) :

أَنَعْمى عن مَرَاشِدِنا جميعا   و ما إنْ منهُم إلا بَصيـــرُ

و نَلقى واحدا و يَفِرُّ جَمْع   كما عن قانِص فرتْ حَمير

و لو أنَّا ثَبَتْنَا كان خَيْـــراً   و لكن ما لنا كَرَمٌ و خِير

إذا لم يكن صَبْرٌ جَميـــلٌ   فليس بِنافِع عددٌ كثيــــــر

وأخيرا يتمنى الشاعر أن يظهر قائد ذا رأي ومشورة ، يستعان به وقت الشـــدائد ويكر إذا أقبلت السيوف ، ويتقدم عند اللقاء ، ويستعظم الشاعر أن يكون الأمر قد بلـــغ بسكان الأندلس أن يكون إما قتيل أو جريح ، وقد تنغصت الحياة ولا من مجير .

وفي الخاتمة يتضرع الشاعر إلى الله لنصرة المسلمين فهو نعم النصير ، قال (2) :

ألا رجلٌ له رأيٌ أَصيـــل   به مما نُحـــاذرُ نَستجـــير

يكُرُّ إذا السيوفُ نتاولته   وأين بنا إذا ولَّتْ كُرور؟

ويطعَن بالقنا الخطَّار حتى   يقولَ الرمحُ ما هذا الخطير

عظيم أن يكون الناسُ طُرًّا   بأندلـــس قتيـــلٌ أو أسيـــر

أذكرُ بالقراع الليثَ حِرصا   على أن يُقرع البيَضَ الذُّكور

يبادرُ خَرقَها قبل اتســـاعٍ   لخطْب منه تنخسفُ البُدور

يُوسِّع للذي يلقاه صـــدْرا   فقد ضاقت بما تلقى صدور

تنغَّصت الحياة فلا حيـــاةٌ   وودِّع جِيرةً إذ لا مُجـــير

فليلٌ فيه هَـــمٌّ مُستكـــنٌّ   ويومٌ فيـــه شـــرٌّ مُستطـــير

ونرجو أن يُتيح الله نصرا   عليهم ، إنه نِعـــمِ النَّصـــير

---

1 – المقري . المصدر السابق . 4: 486 .

2 – المقري . المصدر نفسه . 4: 486 .

والقصيدة بعد هذا التحليل تتسم بالجودة والأصالة وعمق التجربـــة وصـــدقها ، ويصف الطاهر مكي الشاعر ، بقـــوله : ((أصيل في أفكاره واتجاهه ، لأن قصيدته أول ما قيل في بابها ، وليس عالة فيها على أحد سبقه)) (1) . وصورت القصـــيدة ســـقوط طليطلة ومحنة أهلها الذين تخاذلوا عن استردادها .

وهكذا خربت مدن الأندلس وسقطت الواحدة تلو الأخرى في أيد النصارى فراح الشعراء يبكونها ، ويصورون مشاعر مواطنيهم المكلومة ، ويخلدون مراحـــل الســـقوط ، ويعبرون عن ذلك بالدم أحيانا وبالدمع والاستنجاد أحيانا أخرى ، إلا أن معظم الشعراء مالوا إلى الاتجاه الأول ، فوقفوا موقفا سلبيا تمثلت خيوطه باليأس والبكاء وذرف الدموع على الأطلال دون أن يستنهضوا الهمم لدحر النصارى والقضاء على آمالهم لأنهم يمثلـــون مواقف ملوكهم ـــ كما تقدم ـــ بيد أن هناك قلة من الشعراء وقفوا موقفا إيجابيا فحثوا الشعب الأندلسي على مقاومة العدوان والاستبسال في الذود عن الوطن .

اما الفرع **الثاني من الرثاء السياسي** فيتجه نحو الممالك الزائلة التي ضاعت بسبب التفكك والانقسامات والصراعات بين ملوك الأندلس خلال القرن الخـــامس الهجـــري، فسقطت مملكة بني زيري بغرناطة ، ومملكة بني عباد بإشبيلية ، ومملكـــة بـــني الأفطـــس ببطليوس ، وغيرها من الممالك ، وكان لذهابها أثر كبير في نفوس الشعراء الذين وقفـــوا يبكونها ، غير أن مملكة بني عباد ومملكة بني الأفطس قد نالتا نصيبا كـــبيرا مـــن اهتمـــام الشعراء ، ولذا فسوف نخصهما بالدراسة والتحليل لنرى إلى أي مدى كان إسهام الشعراء في هذا الفرع من الرثاء السياسي .

أما مملكـــة بني عباد فقد سقطت بعد الضربة الحاسمة التي وجهها إليها المرابطـــون سنة 484 هـــ ـــ كما تقدم ـــ حيث هاجم المرابطون إشبيلية واقتحموهـــا متـــوغلين إلىأن بلغوا القصر الملكي ، فواجههم المعتمد بن عباد مدافعا عن نفسه وأهله وملكـــه ، حتى خارت قواه ، وسقط أسيرا ، وقد وصف لنا الفتح بن خاقان اللحظـــات الأخـــيرة لمقاومة المعتمد ، بقوله : ((ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلـــد خـــرج (المعتمد)

1 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسات أندلسية . 261.

والموت يتسعر في ألحاظه ، ويتصور من ألفاظه وحسامه يعد بمضائه ، ويتوقد عند انتضائه، فلقيهم في رحبة القصر ، وقد ضاق به فضاؤها وتضعضعت من رحبتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا ، وملأتهم فرقا ، ومازال يوالي عليهم الكر المعاد ، حتى أوردهم النهر وما بهم من جواد ، وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ، ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله ، وذهاب ملكه وارتحاله ، وعاد إلى قصره ، واستمسك يوما وليلته ، مانعا لعوزته دافعا للذل عن عزته)) (1) .

وقد صور لنا المعتمد نفسه هذه اللحظات في أبيات من الشعر يعرض فيها لدفاعه البطولي عن أهله و عرضه و شرفه مصورا شهامة العربي الأصيل ، و أن السم القاتل عنده ألذ طعما من الاستسلام و الخضوع ، و أن المرابطين إذا سلبوا ملكه فإنهم لا يستطيعون أن يسلبوا شرفه ، و أنه بذل قصارى جهده في الدفاع عن ملكه ، و لايهمه الاستشهاد في سبيل ذلك ، لأن البطل الشجاع في كل معركة يتوقع نهايته ، و هذه الأخلاق التي تربى عليها إنما ورثها عن آبائه و أجداده ، قال (2).:

لما تماسكت الدُّموع ... و تَنَبّه القلبُ الصَّديعُ

و تَناكرت هِممي لِما ... يَسْتامُها الخَطْب الفَظِيع

قالوا: الخُضوع سياسَة ... فَليبدُ منكَ لهم خُضوع

و ألذُّ من طعمِ الخُضوع ... على فمي السُّم النَّقِيع

إن يَسلب القومُ العِدَا ... مُلكي و تُسلِمُني الجُموع

فالقلبُ بين ضُلوعه ... لم تُسلم القلبَ الضلوع

لم أستَلَب شرفُ الطِّبا ... ع ، أيُسلب الشرفُ الرَّفيع؟

قد رُمتُ يوم نِزالهم ... ألاَّ تُحَصِّنني الدُّروع

و بَرزتُ ليس سوى القميـ ... صِ ، على الحَشى شيءٌ دَفُوع

و بذلتُ نفسي كي تَسيـ ... لَ إذا يسيلُ بها النَّجيع

---

1 - ابن خاقان . قلائد العقيان . 88 – 89 .

2 – المعتمد بن عباد . ديوان . 150 – 151 .

أَجَلي تَأخَّر لم يكـــــن   بِهَواي ذُلِّي و الخُضـــــــوع
ما سرتُ قطٌّ إلى القِتـــا   لِ و كان من أملي الرُّجــوع
شِيَمُ الأُلى أنا منهـــــم   و الأصلُ تَتبعُه الفُــــروع

و هكذا سقطت دولة بني عباد و خبا نجمها ، و لكنها سقطت في عـــزة و إبـــاء وكرامة ، سقطت في مناظر من الفروسية الشامخة التي راح ضحيتها ولدا المعتمد :الراضي و المأمـــون و سيـــق باقي أفـــراد الأسرة إلى الأسر تكبلهم القيود ، و هنا انهمر المعتمد في البكاء مصورا حال ولديه المعقولين ، و حال زوجه و أسرته وأنه قد نفد صـــبره وآن أوان البكاء و العويل ، قال (1) :

يقولون صَبرا لا سبيلَ إلى الصبر   سَأبكي و أبكي ما تَطاول من عَمري
ترى زهرَها في مأتم كل ليلـــة   يُخَمِّشْن لَهْفًا وسْطَه صَفْحةُ البَـــدْر
يَنُحْنَ على نَجميْن أَثْكَلْن ذا و ذا   و ياصَبرُ ما للقلب في الصبر من عُـــذر
هوى الكوكبان : الفتحُ ثم شقيقُه   يزيدُ ، فهل بعد الكواكب من صَبَـــر

ثم يتحســـر الملك الشاعـــر على نفســـه التي أصبحت محطمة في قيود الأسر ، و أن ولديه لو عادا إلى الحياة مرة أخرى و رأيا أباهما على تلك الحالة لفضلا الموت ثانية، ثم يصف دموع بناته و زوجه على الفقيدين ، قال (2):

فلو عُدتما لأَخَتَّرتما العَود في الثَّرى   إذا أنتما أبصرتُمـــاني في الأسْـــر
يُعيد على سمعي الحديدُ نَشيـــدَه   ثَقيلا فَتبكي العينُ بالجسَ و النَّقْـــر
معي الأخواتُ الهالكاتُ عليكما   وأمُّكما الثَّكلى الُمضَرَّمة الصَّـــدْر
فتبْكي بدمعٍ ليس للقَطْر مثلُـــه   و تزجُرها التَّقوى فتُصغي إلى الزَّجْر

و بعد الأسر سيق المعتمد و أهله إلى المنفى ، سيقوا في سفينة أقلعـــت مـــن نهـــر الوادي الكبير بإشبيلية ، ثم أخذت طريقها إلى العدوة ، و ذلك في منظر حزين ، و جموع الشعب محتشدة لوداع المعتمد بالبكاء و النواح ، فقام أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة

---

1 – المعتمد بن عباد . المصدر السابق . 162 – 163 .
2 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 163 .

يبكي مملكة بني عباد في ألفاظ أليمة و عبارات حزينة و صور تقطر أسى فقـال داليتـه المشهورة التي مطلعها (1) :

تَبكي السماء بمزن رائح غادي   على البهاليل من أبناء عبـاد
على الجبال التي هُدَّت قواعدُها   و كانت الأرض منهم ذاتَ أوتاد

ثم يصور منظر السفينة و هي تضمهم في جوفها كالقبور ، و تتحرك إلى العدوة ، و الناس يودعونها بالعويل ، و يصف نساء المعتمد و قد صدمتهن الفاجعة فسفرن عـن وجوههن ، و لطمن خدودهن ، يالها من لحظات قاسية و طويلة كأنها الدهر ، و خاصة ساعة الـوداع التي تمنى فيها كل المحتشدين أن يفدوا المعتمد و لو بأرواحهم ، لقد وفـق ابن اللبانة في رسم هذه اللوحة الحزينة لمنظر الوداع ، و أضفى عليها مشـاعره الحزينـة وأحاسيسه المتألمة ، يقول (2) :

نَسيتُ إلا غـداةَ النهر كونِهُـم   في المُنْشآت كأمْواتٍ بألحَـاد
و الناسُ قد مَلأوا العِبْرْين و اعتبروا   من لُؤلؤٍ طافِيات فوق أزْباد
حُطَّ القناعُ فلم تُستَتر مُخـدرةٌ   و مُزِّقتْ أَوْجُه تَمْزيقَ أَبْـراد
حان الوداعُ فضجَّت كلُّ صارخَـة   وصارخٍ من مُفَدَّاةٍ ومن فـاد
سارت سفائنُهم و النَّوْح يَصحَبها   كأنما إبلٌ يحدو بها الـحادي
كم سَال في الماء من دَمع وكم حَملت   تلك القطائِع من قِطْعات أكْباد

و كان لفداحة الكارثة التي ألمت ببني عباد أثر كبير في شاعرهم الوفي ابن اللبانة ، حيث رثا مملكتهم برائع شعره ، كما ألف كتابين في الموضوع نفسـه ، الأول ((نظـم السلوك في مواعظ الملوك)) ، و الثاني ((الاعتماد في أخبار بني عباد)) ، تحدث فيهما عن تاريخ بني عباد و أخبارهم و مراثيهم ، و لكن للأسف ضاع الكتابان و لم يبق من مادهما إلا ما ذكرته الكتب التي أرخت للأندلس كنفح الطيب ، حيث يصف لنـا الـداني في كتابـه الأول منظر سقوط إشبيلية حسبما شهده بنفسه ، فيقول :((فعظم الأمـر في

1 – ابن اللبانة الداني .شعره ..39.
2 - ابن اللبانة الداني . المصدر نفسه .42.

الخطـــب الواقع ، و اتسع الخرق على الراقع ، و دُخل البلد من جهة واديه ، و أُصـــيب حاضره بعاديه باديه ، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد و بأسه ، و ترامیه على الموت بنفسه، ما زيد عليه ، و لا انتهى خلق إليه ، فشُنت الغارة في البلد ، و لم يُبق فيه على سَبَد لأحد و لا لبد ، و خرج الناس من منازلهم ، يسترون عوراتهم بأناملهم ، و كُشفت المخدرات العَذارى ، و رأيت الناس سكارى و ما هم بسكارى)) (1)

أما مراثيه في المعتمد فقد ظلت خالدة ، و من ذلك ما قاله بعد أن انتهت الكارثة و حلت المحنة ببني عباد ، و قد أرجع ذلك إلى تقلب الدهر الذي يفعل بالنـــاس كيفمـــا يشاء، و يحركهم كما تحرك أشجار الشطرنج ، و يلفت النظر إلى ما حدث للمعتمـــد ، فبعد أن كان أميرا أصبح أسيرا و لذا فعلى العاقل أن ينفض يديه من الدنيا ، و يأخذ العظة و العبرة منها ، قال (2) :

لكل شيء من الأشياء ميقـــاتُ	و للمُـــنى في مُنايـــاهُـــنَّ غايـــاتُ
و الدهرُ في صفة الحِرباء مُنغمسٌ	ألـــوان حالاتـــه فيها استِحـــالات
و نحن من لَعِب الشَّطْرنج في يدِه	و ربَّما قُمِرت بالبَيْدق الشَّـــــــاة
انفُضْ يَديْكَ من الدُّنيا و ساكِنها	فالأرضُ قد أقفَرت و الناسُ قد ماتوا

لقـــد جعـــل الشاعر من نهاية المعتمد على هذه الصورة نهاية للعالم ، فـــالأرض قد أقفرت و الناس قد ماتوا ، ثم يعبر عن جزعه و أسفه لزوال ملكهم يقول (3) :

لهفي على آل عباد فإنهـــــم	أهلة ما لها في الأفق هـــالات
راح الحيا و غدا منهم بمترلـــة	كانت لنا بكر فيها و روحات
أرض كأن على أقطارها سرجا	قد أوقدهن بالأذهان أنبـــات

و أثناء رحلـــة المعتمـــد البحرية من طنجة إلى مكناس رأى جمعا مـــن النـــاس يصلون صلاة الاستسقاء ، فقال المعتمد معبرا عن أحزانه بأن دموعه الهطالة كانت تكفي الناس وتغنيهـــم عن المياه التي ينتظـــرونها ، غير أن مياه دموعه كانت مختلطة بالدمـــاء

1 – المقري .نفح الطيب.4: 216 .

2-ابن اللنانة . ديوان . 24 .

3 – ابن اللبانة . المصدر نفسه . 25 – 26 .

فلا تنفعهم (1) :

خَرجوا لِيَسْتَسْقوا فقلتُ لهم دَمعي يَنوبُ لكم عن الأنْواء

قالوا حَقيقٌ في دَمعِـــكَ مقنعٌ لكنها مَمْزوجة بِدِمـــــــاء

و لم يكن ابن اللبانة هو الوحيد الذي رثى مملكة بني عباد ، بل رثاهـــا شـــعراء آخرون كابن عبد الصمد و ابن حمديس و غيرهما ، و ركزوا في أشعارهم علـــى نعـــي المعتمد شخصيا ، و من ذلك ما قاله ابن عبد الصمد لما زار أغمات بعد وفات المعتمـــد بقليل فوقف على قبره في يوم عيد و خر أمامه و غمره بقبلاته و بلله بدموعـــه و أنشـــد داليته الرائعة التي أبكت الحاضرين ، ومنها (2) :

ملكُ الملوك أسامِع فأُنـــــادي أَمْ قد عَدَتْكَ عن السَّمَاع عَـــوادِ

لما خَلَتْ منك القُصور فلم تُكن فيها كما قد كُنـــتَ في الأعيـــاد

قبّلْتُ في هذا الثَّرى لك خاضِعا و تَخِذتُ قبركَ موضِع الإنْشـــاد

قد كنتُ أحسبُ أن تبدَّد أدمُعي نيرانَ حزن أُضرِمـــت بفُـــؤادي

فإذا بدمعي كلما أجريْتـــــــه زادتْ عليّ حـــرارة الأكبــــاد

و أما عـــن بطليـــوس فإن دولة بني الأفطـــس ، التي استولى عليـــها المرابطـــون بعد استيـــلائهم على إشبيلـــية فقد صاحبها هي الأخرى محنة كبيرة أدت إلى ســـقوطها حتى أن محـــاولات المتوكل بن الأفطـــس قد باءت بالفشـــل في مهادنته لأمير المرابطين أو استعانته بألفونسو السادس ، و بالفعل تم الاستيلاء على بطليـــوس سنة 488 هـــ بعد أن ظل بنو الأفطس يحكمونها خمسة و سبعين عاما.

و كانت لمحنة بني الأفطس أثرها الكبير في إذكاء قريحة الشعراء فقـــاموا يرثونهـــا بصادق شعرهم، و كان أبرز الشعراء الذين رثوا بني الأفطس وزيرهم و شـــاعرهم عبـــد المجيد بن عبدون ، حيث رثاهم بقصيدة طويلة نالت شهرة و ذيوعا ، بدأها بأخذ العبر من أحداث التاريخ ، و أن الدهر لا يبقى على حالة واحدة ، و لذا فعل الإنسان ألا يغتر به

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 156 .

2 – ابن خاقان . قلائد العقيان . 34 .

ومسالمته لأن من طبعه الغدر و الخديعة و كثرة الحروب ، قال (1) :

الدَّهرُ يُفجِع بعد العينِ بالأثــرِ فمَا البُكَاءِ على الأشبَاح و الصــــوَرِ

أنهَاكَ أَنهَاكَ لا آلوك موعظـــــةً عَن نومةٍ بين ناب الليث و الظُّفُــــر

فالدَّهر حربٌ و إن أبدَى مُسَالَمَةً و البيضُ و السُّود مثلَ البيضِ و السُّمُر

و لا هُوَادَة بين الرَّأسِ تَأخُـــذُهُ يَدُ الضِّرابِ و بين الصَّارِمِ الذَّكَــــر

ثم انتقـــل ليدلل على غدر الدهر مستشهدا بالدول التي زالت وكان لهـــا مـــاض عظيم ، فقال (2) :

كَم دَولَةٍ وَلِيَتْ بِالنَّصرِ خِدمَتَهَـــــــا لَم تُبقِ مِنهَا وَ سَلْ ذِكرَاكَ مِنْ خَبَر

هَوَتْ بِدَارَا و فَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلَـــــــه وَ كَانَ عَضْبًا عَلَى الأَملاَكِ ذَا أُثْر

و استَرجَعَتْ مِن بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ و لَم تَدَعْ لِبَنِي يُونَانَ مِن أَثَـــــــر

و أَتبَعَت أَختَهَا طَسما و عَادَ عَلَـــــى عَادٍ و جُرْهُمَ منها نَاقِضُ المِـــــرَر

و بعد أن ذكر الشاعر في مقدمة قصيدته أحدا ثا تاريخية كثيرة نزلـــت بالـــدول والملـــوك و كان يهدف من و رائها إلى استخلاص العظة و العبرة ، بدأ الشاعر حديثه في رثاء بني الأفطس مقررا بأن ما حدث لهم شيء عادي بالنسبة للدنيا ، و لكن الشـــاعر في سرده لمناقبهم مزج شعره بالحزن واللوعة و خاصة عندما يبكي المتوكل إنه يبكـــي فيـــه الدهاء في الحكم ، و الفصاحة في القول ، و السماحة في التعامل ، و الشجاعة في القتال ، إن ما امتاز به من صفات يجعل الخطب فيه شديدا و الرزء فادحا ، قال (3) :

بَني المُظَفَرِ و الأَيَامُ ما برحت مَرَاحِلا ، و الوَرَى مِنهَا عَلَى سَفَر

سُحقًا لِيَومِكمُ يَوما ولا حَمَلَتْ بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي غَابِرِ العُمُـــــــــر

مَن لِلأَسِرَّةِ أو مَن للأَعِنَّـــةِ أو مَن للأَسِنَّةِ يُهدِيهَا إلى الثَّغْـــــر

مَن للبرَاعَةِ أو مَن لليَرَاعَة أو مَن للسَّمَاحَةِ أو للنَّفعِ و الضَّـــرر

أو دَفْعِ كَارِثَةٍ أو دَفْعِ آزِفَةٍ أو ردْع حَادِثَةٍ تَعْيَا عَلَى القَـــدَر

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 2/ 2 : 721 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 721 .

3 – ابن بسام . المصدر نفسه .2/2: 723 .

ثم يتعرض الشاعر لاغتيال المتوكل وولديه:الفضل والعباس على أيدي المــرابطين متحسرا على أيامهم الماضية وأفضالهم العظيمة ، قائلا (1) :

وِيحَ السَّمَاحِ ووَيحَ الجُودِ لَو سَلِمَا ما حَسرَةُ الدِّينِ والدُّنيَا على عُمَر

سَقَتْ ثَرَى الفَضْلِ وَ العَبَّاسِ هَامِيَةٌ تُعزَى إِلَيهم سَمَاحًا لا إِلى المَطَـــر

ثَلاَثَةٌ مَا رَقَى النُّسْرَانُ حَيثُ رَقُوا وكُلُّ ما طَارَ مِن نِسرٍ وَلَم يَطِـــر

ثَلاَثَةٌ ما رَأَى العَصْران مِثلَهُـــمُ فَضلاً ولَّو عُزِّزُوا بالشَّمسِ والقَمَر

ثم أخذ الشاعر في بكاء طيباتهم وجلالهم وإبائهم و وفائهم قائلا (2) :

ومَرَّ مِن كُل شَيء فيه أَطْيَبـــُهُ حتى التَّمَتُّعُ بالأَصَـــالِ وَ البُكَـــر

مَن للجَلاَلِ الذِي عَمَّت مَهَابَتُهُ قُلُوبُنَا وَعُيُون الأَنْجُـــمِ الزُّهُــــــر

أَين الإِبَاءُ الذِي أَرْسَوا قَوَاعِدَهُ عَلى دَعَائِمَ مِن عِزٍّ و مِن ظَفَـــر

أَينَ الوَفَاءُ الذِي أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ فَلم يَرِد أَحَدٌ منها على كَـــــدَر

كَانوا رَوَاسِي أَرضِ اللهِ مُنذُ نَأَوْا عَنهَا اسْتَطَارَتْ بمن فِيها و لم تَقَر

والشاعرفي هذه القصيدة يمجد بني الأفطس مستلهما الصبر في فقدهم لأنه المــلاذ الوحيد ، و قد أحسن الشاعر في استعمال عبارات التفجع و التوجع ، و إن أخذ عليــه بعض الألفاظ التي كان يتلاعب بها عن طريق الصور و الأخيلة.و قد نالت هذه القصيدة شهرة كبيرة فشرحها ابن بدرون (3) ، ودرس دوزي شروح قصيدة ابن عبدون وبخاصة ((شرح ابن بدرون)) ، فرأى أن ما قيل من تقريظ بصدد هذه القصيدة مبالغ فيه كـــل المبالغة ولايتفق مع حقيقتها ، قال : ((إننا نجد في هذه المرثية ــ إلى جانب بعض أبياتــه ذات المعـــاني المبتكـــرة الموفقة - نجد براعة عظيمة ، وإن التبحر في العلم ليتجلى فيهـــا على نحو يفيض فيضا ، ذلك أن ابن عبدون لم يقنع بأن يجعل قصيدته مجرد صرخة محزون يعبر عن لوعته الصادقة العميقـــة ، في أبيات ذات جرس جميل ، وإنما مضى يعرض كبار

---

1 - ابن بسام . المصدر السابق . 2/2: 723 .

2 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 723 – 724 .

3 – هو أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله الحضرمي الشبلي المعروف بابن بدرون ، (ــ560 هــ) ، و شرح هذه المرثية ، ويسمي شرحه ((بكمامة الزهر وفريدة الدهر)) . انظرترجمته : ابن الأبار . التكملة .رقم 1727 .

الرجال الذين أخنى عليهم الدهر ، وعظام الدول التي عصفت بها يد الحدثان ، ويقدم لنا ثبتا منظوما بمصائب الدهر — من عهد دارا ملك الفرس إلى أيام بني الأفطس أصحاب بطليوس - في أسلوب صحيح يخالطه تأنق بين الحين والحين ، وهو يجهد القارئ ويبعث إلى نفسه الملل بما يلجأ إليه من اللعب بالألفاظ و ما يستعمله من الأخيلة العسيرة التصور . إننا لا نجد أنفسنا أمام قصيدة تثير كوامن المشاعر ، وإنما حيال عرض موقف لعلم واسع مثقل بالزخارف و الزينة)) (1) .

ويرى عمر الدقاق أن ألم ابن عبدون لما حل ببني الأفطس غير صادق ، بقوله : ((والبون شاسع بين هذا الحزن الفاتر المصطنع ، وبين العواطف الصادقة المؤثرة التي تتجلى في قصائد المعتمد بن عباد الأخيرة ، أو في سائر ما نظمه فيه ابن اللبانة وابن عبد الصمد)) (2) .

لقد برز في الأندلس فرعان من الرثاء السياسي ، في القرن الخامس الهجري ؛ فالأول انقسم إلى ثلاثة اتجاهات : منه ما يتعلق برثاء المدن التي تخربت أيام الفتنة ، وآخر انحصر على مدينة بربشتر المستردة ، وثالث كان متوقفا على مملكة طليطلة الضائعة ، والفرع الثاني فإننا اكتفينا فيه بدراسة الشعر الذي يصور زوال مملكة بني عباد ، ومملكة بني الأفطس .

ويعد الرثاء السياسي من أبرز فنون الشعر السياسي في الأندلس ، قولا وتجربة وصدقا وعاطفة وأصالة ، بل إن شعراء الأندلس بزوا شعراء المشرق في هذا الفن من حيث الإبداع والابتكار ، فكتب له الخلود ، ولا غرو فقد كان من أوسع الفنون السياسية في الأندلس كما وكيفا .

---

1 – بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . 119 – 120 .

2 – الدقاق ، عمر . ملامح الشعر الأندلسي . 287 .

الفصـــــــل الخــــامــس

البنـــــــاء الفنــــــي

في ضـــوء ما قدمنا من دراسات وتحليلات لمضامين الشعر السياسي ، في القـــرن الخامس الهجري في الأندلس ، نصل إلى دراسة البناء الفني لهذا الشعر ، فنركز على بنـــاء القصيـــدة ، من حيث مطلعها ومقدمتها ، وحسن تخلصها ، وموضـــوعها الرئيســـي ، والخاتمة ، وناحية الوزن والقافية.

ثم نركز على بعض مشارب هذا الشعر من حيث أثر القرآن والحديث والفقـــه ، والموروث الشعري ، وأثر بعض الثقافات ثم البيئة الأندلسية ، ونختم هذا البحث باللغـــة والأسلوب مع توضيح أساليب البديع والبيان .

بنـــاء القصيـــــدة

من خلال ما تقدم من نصوص شعرية بالدراسة والتحليل في موضـــوعات الشـــعر السياسي ، يمكن تقسيمها من حيث حجمها إلى قسمين :

قسم عبارة عن قصائد مطولة أو معتدلة الطول ، وقسم عبارة عن مقطوعات ذات أبيات معدودة ، هذه المقطوعات إما عبارة عن قصائد لم تصلنا كاملة . وإما هي كـــذلك كما أنشأها أصحابها اكتفاء بالأبيات القليلة لأنهم رأوا فيها وفاء بالحاجة ، ولكـــل نـــوع خصائصه الفنية إلى جانب الخصائص المشتركة .

وبخصوص القصائد المطولة أو معتدلة الطول فهي تمثل قدرا مهما من الشعر الـــذي سندرســـه ، وقد وجـــدنا الشعراء يتخـــذون من هذه القصائد إطارا لشعرهم السياســـي في القرن الخامس .

المطلـــــع :

لقد ركز النقاد القدماء و المحدثون على مطلع القصيدة و أولوه عناية كبيرة ، لأنهم كانوا يعدون ((أن الشعر قفل أوله مفتاحه)) (1) . معنى هذا أن المطلع يجب أن يكـــون أول ما ينظم في القصيدة إيذانا بفتح بابها المغلق ، وكذلك النقاد المعاصرون فإنهم لم يغفلوا المطلع وهم يتحدثون عن تجاربهم الشعرية ، فهذا شفيق جبري يـــرى أن المطلـــع مفتـــاح القصيدة إذا وقع قي يد الشاعر هجم على موضوعه(2) . وكذلك الأمر للشـــاعر رضـــا صافي الذي يرى ((أن المهم عنده هو المطلع)) (3) ، فإذا واتاه المطلع استطاع أن يطمئن إلى نهايتها (4) .

نستخلص- ما تقدم –أن النقاد القدماء و المعاصرين يعـــدون أن المطلـــع مفتـــاح القصيدة ، و تلك التي تتميز بوحدة الموضوع ، كبعض القصائد ، في الشعـــر السياسي،

---

1 - ابن رشيق . العمدة . 1: 218 .

2 – بكار، حسين . بناء القصيدة العربية . 268 ، نقلا عن شفيق جبري . أنا والشعر . 64 .

3 – سويف ، مصطفى . الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر .229 .

4 – سويف ، مصطفى . المرجع نفسه . 229 .

التي وصلتنا ومنها التي يهجم فيها الشعراء على موضوعاتهم مباشرة ، تبدأ بمطالع متميزة تناسب المواضيع التي يعبر عنها شعراء القرن الخامس الهجري ، في شعرهم السياسي إلى جانب حرصهم على تجويد مطالعهم ، باعتبارها أول ما يصادف القارئ ويقرع أذن السامع ، يقول ابن رشيق: ((ينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل ماعنده من أول وهلة)) (1) . ويتجلى هذا الاهتمام عند ابن عمار في قصيدة استعطافية أرسلها من سجنه للمعتمد بن عباد ، ويقال آخر قصيدة ، ومطلعها(2) :

سجاياك - أن عافيت – أندى وأسمحُ

وعذرُك – إن عاقبت – أجلى وأوضحُ

وقول المعتمد بن عباد في قصيدة يرثي فيها ولديه ، ومطلعها (3):

يقولون صبرا لاسبيل إلى الصبر   سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري

وقوله حين هوجمت إشبيلية ، وطلب منه وزراؤه الخضوع والاستسلام ، في قصيدة مطلعها (4) :

لما تماسكت الدموع   وتنبه القلب الصديع

وقول ابن حمديس في مدح المعتمد بن عباد بعد الانتصار الذي حققه مع يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة ، في قصيدة مطلعها (5) :

ليهنىء بني الإسلام أن اُبتَ سالما   وغادرتَ أنف الكفر بالذل راغما

وقول عبد المجيد بن عبدون في رثاء بني الأفطس ، في قصيدة مطلعها (6) :

الدهر يُفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

---

1 – ابن رشيق . العمدة . 1: 218 .

2 – ابن عمار . شعره . تحقيق الغديري . 37 .

3 - المعتمد بن عباد ديوان 162 .

4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه .

5 – ابن حمديس . ديوان .425 .

6 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 721 .

وقول ابن اللبانة في رثاء دولة بني عباد ، في قصيدة مطلعها (1) :

تبكي السماء بمزن رائح غادي   على البهاليل من بني عباد

نلاحظ أن هذه المطالع ــ وكثير غيرها ــ تتميز بكونها إما تعبيرا عـــن الرضـــى بقضاء الله وقدره في السجن ، وإما تطلعا إلى الخروج منه ، وإما استسلاما لأمر الواقـــع ، وإما نتصارا في المعركة ، وفي كل الحالات تبدو السمة الدينية واضحة لدى شعراء القـــرن الخامس ، في شعرهم السياسي ، لأن طبيعة الموضوعات تتطلب ذلك .

المقدمـــــــة :

إلى جانـــب هجـــوم الشعراء على موضوعاتهم مباشرة – كما تقدم في المطالع – في بعض قصائد شعر الهجاء السياسي وشعر السجن السياسي والرثاء السياســـي ــ كمـــا تقدم ــ إذ الأمر في ذلك يتعلق باستبداد خليفة أو ملك أو وزير ، أو بحادثة ســـجن ، أو هزيمة جيش وسقوط مدينة أو مملكة ، أو الانتصار في معركة لا ينبغي الابتداء بـــالغزل لأن ذلك يـــدل على ((ضعـــف قريحة الشاعر وقصوره على الغاية ، أو على جهله بوضـــع الكـــلام في موضعه ، و لأن الأسماع تكون متطلعة إلى ما يقال في تلك الحوادث)) (2) .

هذا المفهوم يدل على تملل ابن الأثير من أثر القصيدة القديمـــة ، و تـــرك الحريـــة للشـــاعر ، إلا أنه يرى في قصيدة المديـــح الصرف الذي لايختص بحادثة من الحـــوادث ، فهو مخير بين أن يفتتح بالغزل أو لا .

إلى جانب هـــذه القصائـــد التي ترد دون مقدمات نجد في القصائد التي تكثر فيها الأغراض ، تعدد المقدمات اعتمادا على البناء التقليدي الذي عرفه الشعر العربي في المشرق و الأنـــدلس قبل هذا العهد ، حيث كانت عبارة عن بنية مركبة من ثلاثة عناصر: مقدمة و موضوع رئيسي وخاتمة ، أو عنصرين فقط مقدمة وموضوع رئيسي .

فمن القصائد التي تتعدد فيها الأغراض ، تنوع المقدمات في موضـــوعات الشـــعر السياسي إلى :

---

1 – ابن اللبانة . ديوان . 39 .

2 – ابن الأثير . المثل السائر . 2: 236 .

مقدمات غزلية ومن أبرز نماذجها ، مقدمة ابن زيدون وهـــي مرتبطـــة بموضـــوع القصيدة ارتباطا وثيقا وذلك في رائيته في مدح ابن جهور، وهي من أربعة عشر بيتا (1) :

مَا جَالَ بَعدكِ لَحظِي في سَنَا القَمَرِ　　　إلا ذَكَرتُكِ ذِكْرَ العَينِ بالأثَرِ

ولا استَطَلتُ ذَمَاءَ اللّيْلِ من أَسَفٍ　　　إلا عَلى لَيلَةٍ سَرَّتْ مع القِصَرِ

قصـــائد تبدأ مباشـــرة بالموضـــوع ـــ كما تقدم في المطالع ـــ أو الـــتي تتميـــز بغياب المقدمة ، كمـــا تقدم في الرثاء السياسي بالإضافـــة إلى شعر الهجـــاء السياســـي ، وغيرهما من القصائـــد أو المقطـــوعات التي وردت دون مقدمات إذ هي في نظر أصحابها لم تكن في حاجة إلى مقدمات على غرار ما قدمنا أعلاه .

قصائـــد تفتتح بوصف الطبيعـــة كمقدمة ابن عمار في قصـــيدته في الاستشـــفاع بالرشيد بن المعتمد إلى أبيه ، وهي من أربعة أبيات ، يقول (2) :

قُل لِبَرقِ الغَمَامِ ظَاهِرِ بَرِيدِي　　　قَاصِدًا بالسَلامِ قَصرَ الرَشِيدِ

فَتقَلَـــب في جَوِه كَفُؤَادِي　　　وتَنَاثَر في صَحنِه كَالفَرِيـــد

وقصائد تفتتح بمقدمات في الفخر كمقدمة ابن زيدون في مدح ابن جهور والـــتي افتخر فيها بنفسه وأدبه ونظمه لأن الطبيعة لم تقم مأتما لتندب مآثره في الآفاق وهي عشرة أبيات (3):

أَلَم يَأنِ أَن يَبكِي الغَمَامْ عَلى مِثْلِي　　　ويَطْلُبُ ثَأرِي البَرقُ مَنْصَلِتَ النَّصل؟

وهّلاَّ أَقَامَت أَنْجُمَ اللَّيـــلِ مَأتَمًـــا　　　لِتَنْدُبَ في الآفَاقِ مَا ضَاعَ مِن نَثْلي؟

وقصائد تفتتح بمقدمات ذاتية ولها علاقة بموضوع القصيدة كمقدمة ابن حزم لقصيدته في السجن والتي يصف فيها حاله وهي اثنا عشر بيتا (4):

مُسَهدُ القَلبِ في خَدَّيهِ أَدْمُعُهُ　　　قد طَالَمَـــا شَرِقَت بالوَجدِ أضلُعُهُ

دَاني الهُمُومِ بعيدُ الدَّارِ نَازِحُها　　　رَجعُ الأَنِينِ سَكِيبُ الدَّمعِ مُفزَعُهُ

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 147 .

2 – ابن عمار . ديوان . تحقيق الغديري . 55 .

3 – ابن زيدون . ديوان . 159 .

4 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 385 .

أعتقد أن الشعراء الذين اعتمدوا على البناء القديم ، من خلال ما تقدم من نماذج في موضوعات الشعر السياسي ، والتي تبدو فيها المقدمة مرطبة بالموضوع ، وبخاصة المقدمة الغزلية ، فإن الشعراء كانوا ملتزمين بفعل إحساسهم العميق البعيد عن التقليد لذاته ، ونجد الشعراء السجناء لم ترد عنهم المقدمات الغزلية أو في الوصف وغيرهما صدفة أو دون غاية ، وعلى هذا فهي ليست منفصلة عن الموضوع الرئيسي ، ولايمكن أن تعني تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، وإنما هي بداية لعمل فني متكامل ، وهو القصيدة المعبرة عن تجربة شعورية عاشها الشاعر غير قابلة للتجزئة أو الحذف ، إنما تمثل وحدة عضوية ، باعتبارها نتاجا طبيعيا لوحدة الإحساس المشكل لديه ، يقول عباس الجراري في الموضوع نفسه : ((أعني بها الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية على السواء باعتبار القصيدة كلا وجدانيا وقطاعا نفسيا وحالة شعورية ، وهي نتيجة طبيعية تلقائية لوحدة الإحساس وتجانسه وصدقه ، تنبع من اكتمال التجربة وتكاملها في القصيدة ، حيث المضمون واحد والغرض واحد ، وحيث البناء يتمم بعضه بعضا أي بناء العناصر والأجزاء المكونة للقصيدة ، وحيث تترك هذه تأثيرها في المتلقين)) (1) ، ثم يضيف مركزا على ضرورة الوحدة في الشعر ، بقوله : ((هذه الوحدة أساسية في الشعر وفي كل عمل أدبي أو فني لأن عملية الإبداع متكاملة لها بداية ونهاية)) (2) .

اعتمادا على قول الجراري في القصيدة التي تتعدد فيها الأغراض ، فإن المقدمة الغزلية وغيرها لم ترد في القصيدة منفصلة عن الموضوع الرئيسي عند الشعراء السجناء في شعرهم السياسي ولكنها جزء غير منفصل عن بنية متماسكة هي القصيدة .

ومن أمثلة ذلك مقدمة لقصيدة ابن شهيد في السجن وهي مرتبطة أيضا بالموضوع ارتباطا وثيقا، وهي من عشرة أبيات ، يستهلها بقوله (3) :

قَرِيبٌ بمحتَلِّ الهَوَانِ بَعيدُ ... يَجُودُ ويَشكُو حُزنَهُ فَيُجيدُ

نَعَى ضُرَّهُ عِندَ الِإمامِ فَيالَهُ ... عَدُوٌّ لأبنَاءِ الكِرَامِ حَسُودُ

---

1 – الجراري ، عباس . فنية التعبير عند ابن زيدون . 10 .

2 – الجراري ، عباس . المرجع نفسه . 10 .

3 - ابن شهيد . ديوان . 99 .

ثم ينتقل إلى الغزل ثم إلى المدح ، كما سيأتي ذلك في حسن التخلص .

ومقدمة لعبد الملك بن غصن الحجاري ، في مقطوعة من ثمانية أبيـــات في وصـــف السجن وطلب الشفاعة ، وهي مرتبطة بالموضوع ارتباطا وثيقا ، والمقدمة بيتان ،يقول(1):

وخِلٍّ يُسْليني على بُعد داره ويكْشِف من كَرب الْمَشوق المتيَّم

ودِاديَ موقوف عليه وخُلَّتي وفِكـــري مشغـــول به وتوهُّمي

ومـــع ماكان لهذه المقدمات الغزلية وغير الغزلية عند الشعراء السجناء من التـــزام بالبناء القـــديم فإنها في الحقيقة نابعة من طبيعة الموضوع ومتصلة به ، وربما كان ذكر المرأة أو الطبيعة داخل القصيدة أو المقطوعة بفعل إحساسهم العميق البعيد عن التقليد لذاته .

ولقد استطاع الشعراء السجناء أن يربطوا في شـــعرهم السياســـي بـــين المقدمـــة والموضوع الرئيسي ببنية جزئية في البناء العام للقصيدة والتي سماها النقاد بالتخلص .

التخـــــلص :

تعد هذه البنية الجزئية بمثابة الجسر الرابط بين المقدمة و الموضوع الرئيسي ، و لقـــد أبدى شعراء هذه الفترة عناية خاصة و إجادة محكمة لهذه البنية من القصيدة ، و سأقتصـــر في هذه البنيـــة الجزئيـــة على ذكر بعض النماذج في شعرهم السياسي على سبيل المثـــال لأن الإشارات إلى هذا الجزء من البناء ، تقدمت غير مرة في معرض تحليـــل موضـــوعات الشعر السياسي .

ومن أمثلـــة حسن التخلـــص نجد ابن زيدون في قصيدته الرائية (2) ، في مـــدح ابن جهـــور وهو في السجن كيف استطاع أن ينقلنا من مقدمة غزلية بذكاء و روعـــة ، فجاء تخلصا لطيفا محققا الشرط الذي اشترطه حازم القرطاجني حين قال : ((ويجـــب أن يكون التخلـــص لطيفا)) (3) ، وذلك في البيت الوارد في نهاية المقدمة إلى وصف حاله، فيقول (4) :

---

1 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 219 .

2 – ابن زيدون . ديوان . 147 .

3 – حازم القرطاجني . منهاج البلغاء . 306 .

4 – ابن زيدون . ديوان . 148 .

من يسأل الناس عن حالي فشاهدها محض العيان الذي ينبي عن الخبر

ومثل هذا التخلص لايمكن أن يصدر إلا عن حذق الشاعر و قوة تصرفه ، وقدرته وطول باعه ، وهذا ما سماه النقاد ((حسن التخلص)) الذي يعرفه الحموي بتعريف يجمـــع التعريفين السابقـــين ، فيقول : ((حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معـــنى آخر يتعلق بممـــدوحه بتخلـــص سهـــل يختلســـه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشـــدة الممازجـــة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحـــد ، ولا يشـــترط أن يـــتعين المتخلـــص منه ، بـــل يجري ذلك في أي معنى كان ، فإن الشاعر قد يتخلص من نســـيب أو وصف روض ....أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجوم .... ولكن الأحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل إلى المـــدح)).(1) .

ونجـــد هـــذه القـــدرة عند ابن شهيد في قصيدته الدالية ، التي أحسن الـــتخلص فيـــها من تلك المقدمـــة المركبة من وصف حاله في السجن إلى اصطناع حـــديث مـــع امرأته على طريقة القدماء من الشعراء إلى مدح المعتلي يحي بن علي بن حمـــود ، حيـــث ، يقـــول (2):

تَقُولُ الَّتِي مِنْ بَيْتِـــهَا خَفَّ مَرْكَبِي أَقُرْبُكَ دَانٍ أَمْ نواك بعيد

فقلت لها : أمري إلى من سمتْ به إلى المجد آباءٌ له وجُدود

ثم يتخلص إلى الموضوع قائلا (3):

إلى المعتلي عاليـــتُ هَمِّي طالبـــا لكَرَّتِـــه إنَّ الكريم يَعود

ويتخلـــص كـــذلك ابن عمار في قصيدته الداليـــة من مقدمة في وصف الطبيعـــة إل استعطاف المعتمد بن عباد ، فيقول (4) :

فإذا ما اجتلاك أو قال ماذا قلتَ إني رسول بعض العبيد

---

1 – الحموي . خزانة الأدب . 149 .

2 – ابن شهيد . ديوان . تحقيق الغديري . 64 .

3 – ابن شهيد . المصدر نفسه . 64 .

4 – ابن عمار . ديوان . 55 .

بعضُ من أبعدته عنك الليالي فاجتنى طاعةَ المُحبِّ البعيـــد

نستخلص ـــ مما تقـــدم ـــ أن شعراء القرن الخامس الهجري في شعرهم السياسي التزمـــوا بالبناء القـــديم للقصيـــدة التي تتعـــدد فيها الموضوعات ، بدءا بالمقدمة في الغزل أو في وصف الطبيعة ، أو غيرهما ـــ بعد اختيارهم مطلع القصيدة واطمئنانهم إلى نهايتها ـــ وتمكنوا بحذق ومهارة من التخلص إلى بنية جزئية أخرى كما سنرى .

الموضـــوع الرئيـــسي :

الموضـــوع الرئيسي عبارة عن تلك البنية التي ترتبط بعلاقات داخلية مـــع ســـائر البنيات الأخرى سواء منها المقدمة و التخلص والانتهاء مكونة جميعا في النهاية القصيدة ، ولقد خصصت الفصول الأربعة من هذا البحث لتحليل ودراسة وتعريـــف هـــذا الجـــزء الرئيسي من القصيدة والمقطوعة ، وهذه الفصول تضم شعر الهجاء السياســـي ، وشـــعر السجن السياسي ، وشعـــر الحرب وبخاصة في معركة الزلاقة ، وأخيرا الرثاء السياســـي ، وقد قدم الشعراء في شعرهم السياسي هذا بمقدمات لبعض قصائدهم وخاصة شعر السجن.

وأعتقد أن الفصول المخصصة للحديث عن الشعر السياسي في هذا البحث تعرفنـــا بهذا الجزء من البناء العام للقصيدة ، وذكر خصائصه ومميزاته دون البحث فيه مرة أخرى .

الخاتمـــــة :

بعد المقدمة وحسن التخلص إلى الموضوع الرئيسي ، يصـــل الشـــاعر إلى خاتمـــة القصيدة التي كانت عناية النقاد لها كعنايتهم بمطلعها ، وذلك من حيث الاهتمام بالسامـــع والمخاطـــب ، وفي ذلك يقول ابن رشيق : ((وأما الانتهاء ، فهو القاعدة وآخر ما يبقـــى في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكما : لاتمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحســـن منه ، وإذا كان أول الشعـــر مفتاحا له ، وجب أن يكون آخر الشعـــر قفلا عليه)) (1) .

ولقد كان شعراء القرن الخامس ، وبخاصة من طرق موضوعات الشعر السياسي، يعرفون قيمة الخواتيم وأهميتها مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مـــلاك العمـــل الخواتيـــم)) و ((إنما الأعمال بالخواتيـــم)) كما حلى لصاحب دار الطـــراز

---

1 – ابن رشيق . العمدة . 1: 239 .

أن يستشهد (1) .

وأما حازم القرطاجني فقد اشترط : ((أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه سارا في المديح والتهاني ، وحزينا في الرثاء والتعازي)) (2) .

واستنادا إلى قول حازم في الجزء الأخير من بناء القصيدة ، ومحاولة بيانه ببعض الأمثلة لهذا القرن ، يتضح أن الخاتمة عند ابن شهيد استطاع بها أن يحمل يحي بن حمود المعتلي على فك سجنه بما ضمنه في قصيدته من مدح واستعطاف ، وبما وفره لخاتمتها من تركيز للاستعطاف وتذكير بما له من حرمة عند المعتلي ، وهي حرمة الشعر الذي ألبسه منه بردا ومطارف وجواهر شاكل المجد درها كما شاكلت جيد الفتاة عقودها ، فيقول (3) :

حنانيكَ إن الماء قد بلغ الزُّبى ... وأنْحَتْ رزايا ما لهُنّ عديدُ

ظَمِئتُ إلى صافي الماء وطلقه ... فهل لي يوما في رضاك وُرود

ولي حُرمةٌ حاشا لمثلك أن يُرى ... مُضيعا لها وهو في الغَداةِ شهيد

فلا يَعْرمن رُحماكم مَن عليكم ... مطارفُ مما حاكه وبُرود

جواهرُ شِعْرٍ شاكلَ المجدَ دُرُّها ... كما شاكلتْ جِيدَ الفتاة عُقود

ويختم ابن زيدن قصيدته في مدح ابن جهور واستعطافه ببيت واحد يدعو له فيه جاعلا نفسه فداء له ، فيقول (4) :

وقاكَ ما تخشى من الدهر مَن ... تَعِبْتَ في تأْمينه واستراحْ

ويختتم ابن العسال قصيدته قبل استرداد بربشتر من أيدي النصارى بإلقاء اللوم على المسلمين الذين بتخاذلهم وتواطئهم قد تركوا الفرصة للنصارى يفعلون ما فعلوا ، فيقول (5) :

---

1 – العلوي . الطراز . 3: 183 .

2 – حازم القرطاجني . منهاج البلغاء . 306 .

3 – ابن شهيد . ديوانه ورسائله . تحقيق محي الدين ديب . 64 - 65 .

4 – ابن زيدون . ديوان . 145 .

5 – الحميري . صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من الروض المعطار . 41 .

لولا ذنوبُ المسلمين وأنهـــم ركبوا الكبائرَ ما لهنَّ خفاءُ

ما كان يُنصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الـــداء

فشِرارهم لا يختفون بشرِّهم وصلاحُ مُنتحِلي الصلاح ريَّاء

فكان لهذه الأبيات الختامية وقعها على نفوس المسلمين ، وهبوا يدافعون على المدينة حتى استردوها من أيدي النورمانديين .

ويختـــم أبو إسحاق الإلبيري قصيدته ، في هجاء اليهود وتوجيه اللوم لبـــاديس ، مذكـــرا إياه بأن الله رقيب عليه يحاسبه على ما ائتمنه عليه من تولي شـــؤون المســـلمين ، فيقول (1) :

وراقب إلهكَ في حزبـــه فحزب الإله هم الغالبون

والشاعر في هذم الأبيات ينظر لقوله تعالى : ﴿ومن يتولى اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هُمُ الغالبون ﴾ (2) .

ومجمل القول ، فإن للقصيدة بناء يشتمل على بنيات جزئية ، ولكل جزء منها دوره وخصائصه ومميزاته ، كما نص على ذلك النقاد ، وعمل شعراء القرن الخـــامس الهجـــري بذلك في شعرهم السياسي بدافع إحساسهم البعيد عن التقليد ، وتم توضيح ذلك بنمـــاذج شعرية منها ما ورد في موضوعات الشعر السياسي بالوصف والتحليل ومنها ما وضحنا بها — إن اقتضت الحاجة إلى هذه النماذج — أي بنية جزئية من بناء القصيدة العام أو المقطوعة باعتبارها تشكل جزءا مهما من الشعر السياسي .

-

1 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان .100.

2 – سورة المائدة الاية . 56 .

الــــوزن و القافيـــــــــة

الــوزن :

إذا كنا تعرضنا ، خلال ما سبق ، إلى البناء العام الذي بـــرزت فيـــه القصـــيدة الأندلسية وهو بناء – كما بدا – اتسم بتلاحم أجزائه واتصال نسجها مكونـــة بـــذلك وحدة موضوعية و عضوية و أحيانا تكون وحدة موضوعية ، فإن الحديث عـــن الـــوزن الذي هو ركن أساسي من أركان هذه القصيدة التي بدونه لا بستقيم لها بناء (1) ـــ كما اتضح لي ـــ من خلال عملية دراسة شعرهم السياسي و استقصاء الأوزان فيه ، كانوا مع البحور الطويلـــة أميل منها إلى القصيرة لتوافر المقاطع الطويلة فيها و قصرها في الأخرى ، مع الإشارة أنهم لم يتقيدوا ببحر معين في فن ما من فنونهم الشعرية المطروحة ، فالطويـــل والبسيط والكامل والوافر والمتقارب ، هي من أكثر البحور استعمالا في شـــعر هـــؤلاء ، نجدها في الشعر السياسي . ويمكن ذكر بعض نماذج في موضوعات متعددة لتوضيح ذلك:

1 – نماذج من الموضوعات التي وردت في الطويل :

قصيدة لابن شهيد في السجن ، ومطلعها (1):

قريب بمحتلِّ الهوان بعيد يجود ويشكو حُزنَه فيُجيد

وقصيدة للمعتمد بن عباد في الأسر ، ومطلعها (2) :

يقولون صبرا ، لاسبيل إلى الصبر !

سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري

وقول ابن حمديس في مدح المعتمد بن عباد بعد معركة الزلاقة (3) :

ليهنِىء بني الإسلام أن أُبتَ سالما وغادرتَ أنف الكفر بالذل راغما

وقول ابن وهبون في رثاء الشاعر ابن خلدون في معركة الزلاقة (4)

ملكتَ فاسجح لا أبالك يا دهرُ أفي كلِّ عام في العُلا فَتكةٌ بكر

---

1 – ابن شهيد . ديوان . تحقيق محي الدين ديب . 63 .

2 – المعتمد بن عباد . ديوان . 162 .

3 – ابن حمديس . ديوان . 425 .

4 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 245 .

2 – نماذج من موضوعات وردت في البسيط :

كقول ابن حزم في سجنه (1) :

مُسَهَّد القلب في خَدَّيه أَدمُعه قد طالما شرِقت بالوجْد أضلُعه

وقول ابن زيدون في السجن ويمدح ابن جهور (2) :

ما جال بعدكِ لحظي في سنا القمر إلا ذكرتكِ ذِكر العين بالأثر

وقول ابن عبدون في رثاء بني الأفطس (3) :

الدهر يُفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصوَر

وقول ابن الجد في ملوك الطوائف (4) :

في كل يوم غريب فيه معتبر نلقاه أو يتلقّاه به خبر

3 – نماذج وردت في الكامل :

كقول ابن شهيد في رثاء قرطبة (5) :

ما في الطلول من الأحبة مُخبِرُ فمن الذي عن حالها نستخْبِرُ

وقول ابن عمار في الهجاء (6) :

ألا حيِ بالغرب حَيّا حلالا أناخوا جِمالا وحازوا جمالا

وقول ابن عبد الصمد في رثاء المعتمد بن عباد (7) :

ملك الملوك أَسامع فأنادي أم قد عدتكَ عن السماع عوادي

4 – نماذج وردت في الوافر :

قصيدة لشاعر مجهول في رثاء قرطبة (8) :

---

1 – ابن حزم . ديوان . 70 .

2 – ابن زيدون . ديوان . 147 .

3 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 721 .

4 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 242 .

5 – ابن شهيد . ديوان .تحقيق محي الدين ديب . 76 .

6 – ابن عمار . ديوان . 88 .

7 – الذخيرة . ابن بسام . 2/3: 815 .

8 – المقري . نفح الطيب . 4: 483 .

لشكلكِ كيف تبتسم الثغور سُرورا بعدما سُبِيت ثُغُور

وقول المعتمد بن عباد يرد على الوزير أبي العلاء بن زهر (1) :

دعا لي بالبقاء وكيف يَهوى أسيرٌ أن يطول به البقاء ؟

وقول ابن القزاز في معركة الزلاقة (2) :

ثناؤك ليس تسبقه الرياحُ يطير ومن نَداك له جناح

وقول عبد الملك الحجاري في السجن (3) :

أزاح الدهر حُلو الماء عني على ظمإ وأسقاني زُعاقه

ثم مقطوعة في الهجاء لابن الجد (4) ، ومقطوعات كثيرة لايتسع المجال لـــذكرها فضلا عن القصائد ، وبعض القصائد الأخرى ــ ليست كثيرة ــ في بحور أخرى غير التي ذكرت لأنها قليلة بالمقارنة مع التي أثبتنا لها الأمثلة .

وإذا نظرنا إلى الأوزان التي اتخذها شعراء القرن الخامس الهجـــري ، في شـــعرهم السياسي إطارا موسيقيا لفنونهم وموضوعات شعرهم انطلاقا من الأمثلة التي تعرضنا لها ، واعتمادا على عملية إحصائية تتعلق بها ، نلاحظ أنهم أكثروا من الأوزان التامة ، ويمكـــن ترتيب البحور من حيث الكم إلى مايلي :

الطويل ، البسيط ، الكامل ، الوافر ، المتقارب ، الخفيف ، المنسرح ، والرجز .

أما البحور المجزوءة فهي : مجزوء الكامل ، ومخلع البسيط.

نستنتج من عملية إحصائية متواضعة أن بعض الشعراء في شعرهم السياسي تنوعت الأوزان عندهم ، وتعددت مع غلبة واضحة لبعضها على البعض الآخر وهم المعتمد بـــن عباد ، وابن عمار ، وابن زيدون ، وابن وهبون .

وأما ابن شهيد وابن حزم وغيرهما من الشعراء الذين وردوا في ثنايا البحث فقلـــة أوزانهم جاءت نتيجة لقلة نتاجهم الذي وصلنا عنهم ، ولو وصلنا نتاجهم كاملا لتنوعت.

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 176 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 815 .

3 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 218 ز

4 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 526 .

ممـــا تقـــدم يتضح أنه لاتوجد قاعدة أو أساسا يدل على ارتباط وزن خاص بفن أو موضوع معين ، ولاحتى بعاطفة معينة ، بخلاف ما شاع من آراء عن علاقة ارتباط بحر ما بموضوع أو فن معين (1) ، وهذه الآراء عبارة عن مجرد استنتاجات لا يمكن أن ترقـــى إلى القواعد والأسس . ومن الأمثلة المذكورة مقدما ، نلاحظ أن بحرا معينا قد اتخذ إطارا موسيقيا لمختلف الموضوعات والعواطف ، وهو مايشير إليه كثير من الدارسين .

وهـــذ ما جعـــل فريقا منهم يـــربط بين الـــوزن الشعـــري ودرجـــة العاطفة لا بنوعها سواء أكانت فرحا أم حزنا ، إعجابا أم نفورا ، وهذ ما يعبر النـــويهي عنـــه ، بقوله : ((أن البحور الشعرية وإن لم تختلف في نوع العواطـــف التي تصلـــح لها ، فهي تختلف في درجة العاطفة)) (2) .

وإذا رأينا شعراءنا في شعرهم السياسي أكثروا من الأوزان الطويلة ذات المقـــاطع الكثيرة في حالة فرحهم وحزنهم ، وآمالهم ويأسهم ، فإنهم ركبوا البحور الطويلة وحـــتى في ساعة انفعالهم النفسي ، وهي حالة غالبا ما اتسمت بالاضطراب المصـــاحب لازديـــاد النبضات القلبية (3) . والحديث عن اضطراب الحالة النفسية لشـــعراء القـــرن الخـــامس الهجري يرجع إلى الناحية النفسية والاجتماعية ، فهم كانوا يتعرضون إلى نكبات وأسر مما يلزم أن يكونوا منفعلين ، ومع ذلك فإنهم يتخذون البحور الطويلة في غالب نظمهـــم ، ليس فقط في القصائد الطويلة وإنما في المقطوعات كذلك . وهذا مرده ــــ في نظـــري ــــ ربما إلى جهلهم لعلم العروض ومن ثمة اعتمدوا في أوزانهم على المشهور منها ، وبعـــدهم عن ركوب البحور القصيرة والملائمة لانفعالهم النفسي الذي ينبغي أن يكون قويا تـــزداد معه سرعة التنفس ونبضات القلب .

يتضـــح ــــ مما تقدم ــــ أن الشعـــراء الأندلسيين ، في القرن الخامس الهجـــري ، في شعرهم السياسي ساروا على منوال المشارقة في النظم على نفس البحور ، فلا تجديـــد ولا ابتكار، فلم يضيفوا شيئا إلى بحور الأقدمين ، إذ ظلت كما هي ، غير أنه من خـــلال

---

1 – انظر : بكار ، حسين . بناء القصيدة العربية . 211 ، حازم القرطاجني . منهاج البلغاء . 205 .

2 – النويهي . محمد . الشعر الجاهلي . 1 : 61 .

3 – أنيس ، إبراهيم . موسيقي الشعر . 193 .

عملية إحصاء لأوزان الشعر غير أن شعراءنا في شعرهم السياسي استعملوا في الغالب ــ كما تقدم ــ الأبحر التامة وفي مقدمتها الطويل ، كذلك استعملوا الكامل في جميع موضوعاتهم الجادة منها وغير الجادة لأنه ((أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات ، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله ــ إن أريد به الجد ــ فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر)) .(1).

وقد تعامل الشعراء مع هذه الأوزان بإدخال عليها من التعديلات ما يكسر من وحدة وقعها في الأذن ، بما يتيح لهم أن ينقلوا صورا موسيقية أقرب ما إلى أحاسيسهم منها إلى النظام العروضي في صورته المقننة .ويدل على ذلك ما يسميه العروضيون بالزحافات والعلل (2) . وإن كثرت أذهبت برونق الشعر (3) ، ولكنهم مع ذلك اهتموا ببعض نواحي الجمال فيه (كالتصريع) الذي لفت انتباههم وهو تصيير مقطع آخر المصراع في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها (4) ، أو ما كانت عرَوض فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه و تزيد بزيادته (5) .

و لقد اعتبر التصريع دليل قدرة الشاعر وسعة فصاحته و اقتداره في بلاغته (6) ، وكانوا يرونه ضروريا و لازما في شعر المطبوعين المجيدين (7) . وو جوده في أول القصيدة علامة مميزة يفهم منها قبل تمام البيت روي القصيدة و قافيتها (8) . و ببدو اهتمام شعراء القرن الخامس الهجري بهذا الجانب الجمالي في أوزانهم و موسيقى شعرهم واضحا فيما نظموا من قصائد ومقطوعات تقريبا ومن أمثلة ذلك قول ابن شهيد في مطلع قصيدته (9) :

---

1 – الطيب ، عبدالله . المرشد إلى فهم أشعار العرب . 1: 84 – 85 .

2 – إسماعيل ، عز الدين . التفسير النفسي للأدب . 80

3 – يقول عز الدين لإسماعيل بأت الخليل كان يستحسن الزحاف بشرط أن يكون قليلا . الأسس الجمالية في النقد الأدبي .375

4 – قدامة بن جعفر . نقد الشعر .51 .

5 – ابن رشيق . العمدة . 1: 173 .

6 – العلوي . الطراز .3: 33 .

7 – قدامة بن جعفر . نقد الشعر . 51

8 – الخفاجي . سر الفصاحة . 222 .

9 – ابن شهيد . ديوان 99 .

قَرِيب بِمحتَلِ الهَوَانِ بَعِيدُ   يجوُد و يشكو حزنه فيجيدُ

و قول أبو إسحاق الإلبيري في نونيته (1) :

ألا قل لصنهاجة أجمـــعين   بُدُورِ الندى و أُسْدِ العَرِين

و قول ابن حزم في الحنين إلى أهله (2) :

مُسْهَدُ القْلب في خدَّيه أدمُعهُ   قد طالما شرِقت بالوجْد أضلُعهُ

ويضيق المجال لذكر القصائد و المقطوعات المصرعة لدى شعراء القرن الخامس في شعرهم السياسي ، لكن ما يمكن الإشارة إليه في هذه المصرعات أن أصحابها فيهم من صرع دون أن يقع في جوازات الأعاريض ، و فيهم من اعتمدها و لم يجد البديل عنها لتحقيقه .

القافيـــــة :

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر و لا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية (3) .فهي إذا ركن أساسي آخر من أركان القصيدة في بنائها و موسيقاها والوزن مشتمل عليها (4) . فهي إذا عنصر أساسي و مهم في بناء القصيدة و توجيههـــا (5) ، وهي لازمة إيقاعية متمثلة في تكرار صوت معين و عنصر تطريب في القصيدة ، و صـــلة ربط بين أبياتها (6) .

و إذا فإن النقاد جعلوا القافية مكملة للوزن الذي يقوم عليه الشعر ((لأنهم تناولوا التقفية كظاهرة مستقلة تدليلا على الأهمية التي وجدوها في القافية نظرا لكونهـــا محطـــة موسيقية ، ومعنوية في آن ، محطة ترتكز عليها القصيدة في تساوقها المنتظم الموقع)) (7) .

نستخلص ـــ مما تقدم ـــ أن القافية ركن أساسي من أركان القصيدة في البنيـــة الموسيقيـة للشعر العربي بصفة خاصة باعتبارها لازمة إيقاعية منظمة تتكرر في نهايـــة أبيات

---

1 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان .96.

2 – ابن حزم . ديوان .69 .

3 – ابن رشيق . العمدة . 1: 151 .

4 – بكار ، حسين . بناء القصيدة العربية . 230 – 231 .

5 –الحمداني ، الهادي . القاقية ودورها في توجيه الشعر . مجلة أقلام . ع 7 . السنة الرابعة . مارس 1968 . ص 29 .

6 – الجراري . عباس . فنية التعبير في شعر ابن زيدون . 36 .

7 – جودت ، فخر الدين .شكل القصيدة في النقد العربي . 163 .

القصيدة ، نجد شعراء القرن الخامس في شعرهم السياسي أولوها عناية خاصة لا تقل عـــن تلك التي أولوها لاختيار الوزن ، وبحثوا عن الكلمات المناسبة لوضعها في المكان المناسب، لكونها محطة موسيقية و معنوية في آن كما تقدم .

وفي شعرنا الأندلسي ، في القرن الخامس الهجري ، نجد عدة مظاهر دالة على عناية الشعراء بالقافية في شعرهم نذكر منها على سبيــل المثــال ((التصريع)) – كما تقــدم في الحديث عنه في الوزن – و هو ليس سوى جزءا من الموسيقى الداخليــة الــتي وردت بكثرة في شعر شعرائنا في مطالع قصائدهم و مقطوعاتهم إدراكا منهم لما لهــذا المطلـــــع من أهمية متوخين بالقافية مضاعفة النبر الموسيقي .

وحين نتأمل بعض القوافي لشعراء القرن الخامس الهجري في شعرهم السياســي ، نجد أن رويها غالبا ما يوظف للتعبير عن حالة نفسية معينة ، قد تكون فرحا أو حزنــا ، فالمعتمد بن عباد يبدو حزينا غاية الحزن في قصيدته التي يصور فيها اللحظات الأخــيرة ، وهو يدافع عن ملكه وشرفه (1) :

لما تماسكت الدموع وتنبَّه القلب الصديعُ

نجد الشاعر في هذه القصيدة اتخذ رويها حرفا من حروف الحلق له قرع خــاص على الأذن وله في هذا الموضوع ((أثر كبير على خلق الجو الانفعالي الذي ينبغي للشاعر أن يهيئه)) (2) . والقصيدة بجميع عناصرها توحي بجو مأساوي يتضح ذلك من خــلال خلق الجو الانفعالي الحزين ، إلى اختياره لهذا الروي الذي يتميز بمخرجه الحلقي المعبـــــر عن حالة نفسية تتمثل في المرارة والجزع والهلع .

وقريب من (العين) في التعبير عن الحزن والألم حرف (الراء) الذي نمثل له بهــذه المرثية لشاعر في فقد طليطلة ، ومطلعها (3) :

لثكْلِكِ كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما سُبيتْ ثغور

ولابن العسال قصيدة نظمها على روي الهمزة توحي باختناق الشاعر إثر سقــوط

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 150 .

2 – الجراري ، عباس . فنية التعبير عند ابن زيدون . 42 .

3 – المقري . نفح الطيب . 4: 483 .

مدينة بربشتر في يد الأعداء (1) :

ولقد رمانا المشركون بأسهُم　　　لم تُخْط لكن شأنه الصماء

وللمعتمد بن عباد أبيات شعرية نظمها في سجنه ، يقول (2) :

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم :　　　دمعي ينوب لكم عن الأنواء

تتضح لنا ـــ من الأمثلة المذكورة ـــ فكرة الربط بين القافية وموضوع القصيدة ، مثلما برزت فكرة علاقة الوزن بالموضوع والعاطفة ، وهي فكرة أرى من الصعب الخوض فيها لأن النقد العربي القديم والحديث أفاض البحث فيها دون أن يصل إلى الحسم في الربط أو عدمه (3) . كما نجد في الأمثلة نفسها وفي غيرها لا نستطيع عرضـــها ـــ لكثرتها ـــ في هذا المجال ، وعرض في موضوعات أخرى من هذا البحث ، نجد جملة مظاهر تـــــدل على عناية شعرائنا بالقافية وذلك في التزامهم بحرف أو حرفين أو أكثر كمـــا في قـــول الشاعر عبد الملك بن الحجاري في سجنه (4) :

أأرْوى وبين ضُلوعي حريق　　　وأشجى وإنسانُ عيني غريق

وهذه المقطوعة تشتمل على تسعة أبيات التزم فيها الشاعر قبل الروي بحرف واحد وهو الياء .

وعلى هذا المنوال ، قول المعتمد بن عباد في قصيدة يرثي فيها نفسه (5) :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي　　　حقًّا ظفرتَ بأشلاء ابن عباد

هذا و لم تكن عنايتهم بالقافية مقتصرة على حرف دون غيره ، فكانت حـــروف الهجـــاء كلها واردة في أشعارهم ، مـــما يدل على قدرتهم اللغوية وتمكنهم منها مما يزيد

---

1 – الحميري . صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار . 40 .

2 – المعتمد بن عباد . ديوان . 156 .

3 – انظر في هذا الموضوع : ابن رشيق . العمدة . 2: 209 ، حازم القرطاجني . منهاج البلغاء . 275 ، إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر . 193 ، سليمان البستاني . مقدمة الإلياذة . 97 ، محمد النويهي . الشعر الجاهلي . 1: 63 ، غنيمي هلال . النقـــد الأدبي الحديث . 477 ، ويقول حسين بكار: ((ومن نقادنا المعاصرين الذين يذهبون إلى الربط بين القافية والموضوع كالقـــدماء تمامـــا ، سليمان البستاني ،محمد النويهي ، أما المرحوم غنيمي هلال فلاحظ أن ليس ثمة قاعدة تربط القافية بموضوع القصيدة كمـــا أن لـــيس قاعدة تربط بحرها بموضوعها)) . بناء القصيدة . 263 .

4 – ابن بسام . الذخيرة . 1/3 : 332 .

5 – المعتمد بن عباد . ديوان . 193 .

شعرهم عنصرتنغيم وتطريب معبرين في أكثر المواقف عن حالاتهم النفسية .

وقد تنوع استعمالهم لهذه القافية بين مطلقة ومقيدة ، ومن أمثلة القافية المطلقة ــــ إلى جانب ما تقدم من أمثلة في هذا المضمار ــــ قول المعتمد بن عباد في سجنـــه يشتكي من ضيق القيد (1) :

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة؟ لقد آن أن يفنى ويفنى به الخدُّ

وقول الحصري يعرض بصاحب إشبيلية (2) :

نبِّـــه الَّركْب الهُجـــوعا ولُم الـــدهر الفَجوعا

وقول ابن زيدون في السجن (3) :

ما جال بعدكِ لحظي في سنا القمرِ إلا ذكرتُكِ ذكر العين بالأثرِ

فقد صرع الشاعران عند استعمالهما القافية المقيدة ــــ كما يتضح مـــن الأمثلـــة السابقة الذكر ــــ وأيضا نجدهما اعتمدا القافية الداخلية مما يزيد في مضاعفة النبر الموسيقي.

نستنج مما تقدم أن الروي في القافية إما أن يكون متحركا و إما ساكنا ، فحـــين يكون متحركا تسمى القافية مطلقة ، أما حينما يكون ساكنا فهي مقيـــدة (4) ، ويـــرد إبراهيم أنيس سبب كثرة وانتشار القافية المقيدة إلى ازدهار الغناء في العصر العباسي إذا ما قارناها بشعر الجاهلين فهي قليلة (5) ، وإذا جارينا إبراهيم أنيس فيما ذهب إليـــه فـــإن الشعر المقيـــد يكون استجابة في غالبيته لرغبات المغنين التي لا تأتي إلا في ظروف ارتجالية و طارئة ، لذلك قيد ليسهل للشاعر بناء قافية دون التزامه لإعـــراب رويهـــا ، ولـــيس اختلاف إعرابه عيبا كما هو في المطلق إقواء)) (6) .

ومن أمثلة القافية المقيدة قول ابن عمار في سجنه بإشبيلية (7) :

---

1 – ابن زيدون ز ديوان . 147 .

2 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 3: 333 .

3– المعتمد بن عباد . ديوان . 185 .

4 – ابن رشيق . العمدة . 1: 154 .

5 – أنيس ، إبراهيم . موسيقى الشعر ، 288 – 289 .

6 – ابن رشيق . العمدة . 1: 154 ، الطيب ، عبد الله . المرشد . 1: 35 .

7 – ابن عمار شعره . تحقيق الغديري . 59 .

يقول قومُ : إن المؤيد قد   أحال في فِديتي على نقدهْ

وقول ابن عباد في ابنه الأصغر أبي هاشم في معركة الزلاقة (1) :

أبا هاشم ! هشَّمتني الشِّفارُ   فلله صبري لذاك الأوارْ !

ومـــن الظواهر الموسيقية اللافتة في الشعر السياسي ، في القرن الخامس الهجري ، ما يعرف بالتدوير ، وهو أن يشترك شطرا بيت في كلمة واحدة فيكون بعضها مكمـــلا لبناء الشطر الأول وبعضها الآخر بداية لبناء الشطر الثاني ، ومن أمثلة ذلك قول عبد الملك الحجاري (2) :

وشفـــى ذو الجلال علـــة أيـــــو   ب وقد شارف الـــردى أيوبُ

وانقضى سجن يوسف وقد استيـــ   ـــأس وارتد مُبصِرا يعقـــوب

وقول المعتمد بن عباد قبيل أسره (3) :

وألذُّ من طعم الخضـــو   ع على فمي السُّم النقيـــعُ

لم أُستلب شرف الطبا   ع ، أيُسلبُ الشرف الرفيع

وما يلاحظ على قصائد ومقطوعـــات شـــعر الســـجن بخاصـــة في الاعتـــذار والاستعطاف والشكوى وطلب الشفاعة ظاهرة التدوير ، وهو ما يدل على تمزق نفـــس الشاعر وحيرته وانقسامه بين الندم والرغبة في الخلاص ، وقد بلغ كل ذلك مداه عند كل من ابن زيدون وابن عمار والمعتمد بن عباد وعبدالملك الحجاري .

مما تقدم ذكره في موضوعات الشعر السياسي من هذا البحث من نصوص شعرية، والأمثلة المذكورة سابقا لمعرفة القافية المطلقة والمقيدة ، اتضح لنا أن شعراء القرن الخامس نظموا قصائدهم ومقطوعاتهم وأبياتهم الشعرية على روي جميع الحروف الهجائية ، لكـــن يمكن القول بأن بعضها كان أكثر تداولا من غيرها كالدال والراء واللام والمـــيم واليـــاء والباء والنون والحاء وغيـــرها .

---

1 - المعتمد بن عباد . ديوان 106 .

2 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان . 150 .

وليس لهذا التداول –حسب النصوص المتوفرة – من علة غير تلك التي أوردهـــا إبراهيم أنيس حين قال :((لاتعزى كثرة الشيوع أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفـــة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة ، فالدال مثلا تجـــيء في أواخـــر كلمات اللغـــة العربية بكثـــرة ، ولكن شيوعها في اللغة عامة ليس بالكثير ، بل ربما قل عن (العين) و (الفاء) ومع ذلك فمجيء الدال رويا يزيد كثيرا عن مجيء كل من العـــين والفاء وليست تتطلب (الزاي) جهدا عضليا يبرز ندرة ورودها رويا)) (1) .

---

1 – أنيس إبراهم . موسيقى الشعر . 276 ، الطيب ، عبد الله . المرشد . 1: 46 .

أثـــر القـــرآن والحـــديث والفقـــه

أكثر شعراء القرن الخامس الهجري من الاقتباس من القرآن الكريم مما يدل علـــى عمق ثقافتهم الدينية ، وقدرتهم على توظيف محفوظهم القرآني ، وتمثل تأثرهم الذي لـــه حظ كبير في أشعـــارهم بتضمين الآيات القرآنية حيـــنا ، واكتـــفاء بمعناها مع تصرف في اللفظ حينا آخر ، وهو مظهر قوي من مظاهر التأثر بالروح القرآني ، ومن ذلك قـــول الإلبيري في هجاء اليهود (1) :

وأنزلهم حيث يستاهلون ... وردَّهم أسفل السافلين

وهو ينظر في ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ (2) .

ونجد ابن زيدون في سجنه مستعطفا أبا الحزم (3) :

نار بغي سرى إلى جنة الأمن ... لظاها فأصبحت كالصريم

بأبي أنت إن تشأْ تكُ بـــردا ... وســـلاما كنـــار إبراهيم

مشيـــرا في البيت الأول إلى قوله تعالى : ﴿ فأصبحت كالصـــريم ﴾ (4) ، وفي البيـــت الثاني إلى قوله تعالى ﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ (5) .

وهذه القطعة في رثاء المدن ، قال الشاعر (6) :

في سُورةِ الحشرِ آيَات مُفصَّلَـــةٌ ... في شَأنِكُم أُنزِلتْ لم تُعِدكُم أَحَدا

نَعَم وفي الكَهفِ العِشرِين خَاتِمةٌ ... تقضي عليكُم بألاَّ تُفلِحُوا أبَـــدَا

وفي هـــذا ينظـــر إلى قوله تعالى : ﴿ ولاتكونوا كالذين نســـوا الله فأنســـاهم أنفسهم ﴾ (7) ، وفي البيت الثاني ينظر إلى قوله تعالى : ﴿الذين كانت أعيُنهم في غطاء

---

1 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان . 97 .

2 – سورة التين الآية 5 .

3 – ابن زيدون .ديوان .125 .

4 – سورة القلم الآية 19 ، 20 .

5 – سورة الأنبياء الآية 68 ، 69 .

6 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 110 .

7 – سورة الحشر الآية 19 .

عن ذِكري وكانوا لايستطيعون سمعا ﴾ (1) .

ونجد الإلبيري في هجاء اليهود ، يقول (2) :

ويضحك منا ومن ديننا   فإنا إلى ربنا راجعون

فهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ﴾ (3).

ونجد السميسر في هجاء ملوك الطوائف (4) :

سكتم يا رياح عاد   وكل ريح إلى سكون

وهو في ذلك ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وأما عادفأهلكوا بريح صّرصر عاتية﴾ (5)

ونجد ابن الجد في هجاء ملوك الطوائف (6) :

صَمَّتْ مسامعه من غير نغمته   فما تمر به الآيات والسور

وهو ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصرُّ مستكبرا كـــأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ (7) .

ومن ذلك قول الإلبيري في هجاء اليهود (8) :

فقد ضَجَّت الأرضُ من فِسقهم   وكادت تَمَيْدُ بنا أجمعين

وهو ينظر إلى قوله تعالى : ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تَميد بكم وأنهارا وسُبُلا لعلكم تَهتدون ﴾ (9) .

وقول ابن عمارفي سجنه وكأنه ملاذ الجن والنسور (10) :

عال كأن الجِنَّ إذا مردت   جعلته مرقاة إلى النسر

---

1 – سورة الكهف الآية 101 .

2 – ابو إسحاق الإلبيري . ديوان . 99 .

3 – سورة الفجر الآية 28 .

4 – المقري . نفح الطيب . 4: 108 .

5 – سورة الحاقة الآية 6 .

6 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 242 .

7 – سورة الجاثية الآية 8.

8 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان . 98 .

9 – سورة النحل الآية 15 .

10 – ابن عمار . ديوان تحقيق مصطفي الغديري . 71 .

فالشاعر ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وحِفظا من كل شيطان مارد ﴾ (1) .

كما استعان شعراء القرن الخامس في التعبير عن المعاني بصور الأنبياء عليهم السلام على النحـــو المشهور عنهم الذي رواه وصوره القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولعله في مقدمة الأنبياء الذين يرد ذكرهم على ألسنة أكثر الشعراء (يوسف عليه السلام) حيث كان مضرب المثل ، حسن الصورة والصبر على أذى إخوته ، ومن أمثلـــة ذلك قـــــول ابن زيدون في قصيدة لأبي الحزم ويعرض بالوشاة ، يقول (2) :

كان الوُشاة ، وقد مُنيتُ بإفكِهم ، أسباطَ يَعقوبٍ وكنتُ الذِّيبا

وهو ينظر في ذلك إلى قوله : ﴿ قالوا يا أبانا إنَّا ذهبنا نستَبِقُ وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ (3) .

ونجد ابن غصن الحجاري يوظف في شعره قصص الأنبياء الذين مروا بمصائب جمة انتهت إلى الفرج والنعمة ، يقول (4) :

إن رمتنا يدُ الخطوب بقـــوس طالما كان سهمها لايصيـــب

قد أجاب الإله دعـــوة نـــوح حين نادى بأنـــه مغلـــوب

وشفى ذو الجـــلال علـــة أيـــو بَ ، وقد شارف الردى أيوب

وانقضى سجنُ يوسف وقد استيـــ ـــأس وارتد مُبصِرا يعقـــوب

فقـــد ذكـــر الشاعـــر (نوح) و (أيوب) ، و (يوسف) ؛ ففـــــي البيـــــت الأول ينظـــر إلى قـــولـــه تعـــالى : ﴿ قال نوح رب إنهم عَصوني واتبعوا من لم يـــزده ماله وولده إلا خَسارا ﴾ (5) وفي البيت الثاني ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نـــادى ربه أني مسني الضُّر وأنت أرحم الراحمين ﴾ (6) ، وفي البيـــت الثالث ينظـــر إلى قولـــه تعالى : ﴿ فلما أن جاء البشير وألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم

---

1 – سورة الصافات الآية 7 .

2 - ابن زيدون . ديوان . 133 .

3 – سورة يوسف الآية 17 .

4 – ابن الأبار . إعتاب الكتاب . 220 .

5 – سورة نوح الآية 21 .

6 – سورة الأنبياء الآية 83 .

مـــن الله ما لاتعلمون ﴾ (1) .

ونجـــد ابن زيدون وقد وجه إلى أبي الحزم جهور يستعطفه ليخرجه من السجن ، بقوله (2) :

وفي أُمِّ موسى عبرةٌ أن رمتْ به إلى اليَم ، في التابوت ، فاعتبري واسلي

وهو ينظر في ذلك إلى قوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أمِّ موسى أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه فالقيه في اليمِّ ولاتخافي ولا تحزني إنَّا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرْسَلين ﴾ (3) .

ورغم إفادة الشعراء ، في القرن الخامس الهجري ، من معاني القرآن في شـــعرهم ، إلا أننا نراهم لايعمدون إلى الاقتباس المباشر من القرآن الكريم إلا قليلا ، أمثال ابن دراج، وابن حزم ، وابن زيدون ، وابن الجد ، والسميسر ، والإلبيري ، والمعتمد ، وابن عبدون، وغيرهم ، وابن اللبانة ، وابن وهبون ، وكذا القصائد التي وصلتنا لشـــعراء مجهـــولين ، وتأثرهم بالقرآن الذي يعد الرافد الأول .

ونجد تأثرهم بالحديث الشريف ، فهو بمثابة الرافد الثاني نحو الاتجاه الإســـلامي ، وسنكتفي بذكر بعض مظاهر هذا التأثر ، كقول أبي حفص الهوزني (4) :

أيا آسفا للدين إذ ظل نهبـــة بأعيننا و المسلـــمون شهـــــود

أفي حرم الرحمن يلحد جهرة ويجعل أشـــراك الإلــــه يهود

ويثلب بيت الله بين بيوتكـــم وقـــادره عن رد ذاك قعيـــــد

أعيذكم أن تدهنوا فيمسكـــم عقاب كما ذاق العـــذاب ثمود

يقود امرءا طبع إلى علم شكله كما انمازت الأرواح وهي جنود

وفي هذه الأبيات نلمس ألفاظا دينية مثل : الدين ، المسلمون ، شهود ، الـــرحمن، يلحد ، إشراك ، بيت الله ، وهـــو في استخدامه مصراع البيت الأخير ((كما انمـــازت

---

1 – سورة يوسف الآية 96 .

2 – ابن زيدون . ديوان . 160 .

3 – سورة القصص الآية 7 .

4 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 92 – 93 .

الأرواح وهي جنود)) يشير إلى معنى الحديث الشـــريف ((قلوب المؤمنين أجناد مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف)) (1) .

هـــذا و لم يتـــوقف الشعراء عند استخدام السور القرآنية ، والأحاديث النبوية ، بل نجدهم يستخدمون ألفاظ العبادات والشعائر الإسلامية والمصطلحات الفقهية ، كقول أبي حفص الهوزني (2) :

فقد جَدَّ أمرٌ هدَّ شَرع محمد وما منجد عن حاله مثل شاهد

فالشاعر ـــ كما تقدم ـــ في استخدامه لألفاظ دينية ، يضيف في هذا البيت شرع محمد رسول الله

وقول ابن العسال في رثاء مدينة بربشتر ، يذكر المشركين (3) :

ولقد رمانا المشركون بأسهُم لم تُخْط لكن شأنها الصَّماء

وقال المعتمد بن عباد في طلب المغفرة (4) :

أسر وعُسر ولا يُسْرٌ أُؤَمِّله استغفر الله كم لله من نظر

قال المعتمـــد بن عباد في معركة الزلاقة يذكر الغزو المبارك ، والفتح القريـــب ، ودين الصليب (5) :

غزو عليـــــك مَبـــارَك في طيَه بالفتـــــح القـــريب

لله سيفُـــــك إنـــــه سُخطٌ على دين الصـــليب

وقول الشاعر في رثاء طليطلة يذكر دار الإيمان (6) :

وكانت دارَ إيمانٍ وعلـــم مَعالُمها التي طمِست تُنيـــــر

كذلك عمد الشعراء إلى استخدام الأحكام والمصطلحات الفقهية فـــأفادوا منـــها في بعض المعاني التي وردت في أبياتهم ، ومن أمثلة ذلك قول شاعر في رثاء طليطلة (7):

---

1 – صحيح مسلم . 2: 295 .

2 - ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 88 .

3 - الحميري صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من الروض المعطار) . 40 .

4 – المعتمد بن عباد . ديوان . 190 .

5 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه . 95 .

6 – المقري . النفح . 4: 483 . 7 – المقري . نفح الطيب . 4: 485 .

يؤدى مَغْرَمٌ في كلِّ شَهْر   و يُؤخَذُ كلَّ صائفَة عُشُورُ

وقول المعتمد بن عباد لما رأى أهل المغرب يصلون صلاة الاستسقاء (1) :

خَرجوا ليَسْتَسْقوا فقلت لهم   دمعي يَنوبُ لكم عن الأنْوار

مما تقدم نلمح أن تأثر شعراء ، القرن الخامس ، تأثرا كـبيرا بـالقرآن الكـريم بتضمين الآيات القرآنية حينا ، واكتفاء بمعناها حينا آخر ، وكذلك تـأثرهم بالحـديث الشريف ، والفقه الإسلامي بوجه عام ، من حيث استخدام بعض المصطلحات والأحكام الفقهية ، وهذا الأثر يرجع إلى أهل الأندلس ـــ كما تفدم في الإطار العلمـي والأدبي ـــ وعلى حد قول المقري : ((وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقـه رونق ووجاهة)) (2)

وأشعارهم التي وصلتنا ـــ كما تقدم من أمثلة ـــ لاتكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من أثر المعاني الدينيـة ، وفي مختلف موضوعات الشعـر السياسي التي طرقوها وأثبتناها في البحث .

---

1 – المعتمد بن عباد . ديوان . 156 .

2 – المقري. نفح الطيب . 1: 221 .

استلهام الموروث الشعـــري

يعتبر استلهام الموروث الشعري ، قديمه ومحدثـــه ، ظـــاهرة واضـــحة في شـــعر الأندلسيين السياسي ، في القرن الخامس الهجري ، غير أن ذلك لايعني الاحتذاء والتقليـــد بمعناهما المعروف دائما ، بل يدل أحيانا على الرغبة في الاستفادة من هذا الموروث الـــذي يمثل عنصرا أساسيا في تكوينهم ، ويكون أحيانا أخرى تأثرا لاشعوريا بمحفوظهم الغزير ، وما ترسب في نفوسهم من رواسب الموروث الشعري ، الذي يشكل جزءا من تكوينـــهم باعتبار ((أن الأدب الأندلسي ليس مستقلا بذاته)) (1) .

غـــير أن ذلك لا يتنافى مع اعترافهم بتفـــوق المشارقة وسبقهم ، واتجاههم نحـــو المشـــرق ، ينهلون من منابعه الأصيلة في مختلف الفنـــون والعلـــوم ، وكـــانوا أحيانـــا يعارضونهم ، تأثرا أو إعجابا بمهارتهم الفنية ، أو سعيا إلى التفوق وإثبات الذات (2) .

ومن أمثلة ذلك قول ابن شهيد في رثاء قرطبة (3):

فَدع الزمان يصوغُ في عَرصاتهم   نورا تكاد له القلوب تُنـــور

وهو من قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم ، استهلها الشاعر بوصـــف الربيـــع ، ومطلعها (4):

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر   وغدا الثرى في حلية يتكســـر

منها :

أضحت تصوغ بطونها لظهورها   نورا تكاد له القلوب تُنَـــــوِّرُ

وقول ابن شهيد يستعطف المعتلي بن حمود (5) :

تقول التي من بيتها خفَّ مركَبي   أقربك دانٍ أم نواكَ بعيـــــد ؟

---

1 – الغزيوي ، علي . أدب السياسة والحرب .385 .

2 – لم تقتصر رغبة الأندلسيين في تأكيد الذات على الشعر والنثر الفني فحسب ، بل تعدتهم إلى مجال التأليف ، وصـــرحوا بـــذلك أحيانا، كرسالة ابن حزم في فضل الأندلس ، وما ذكره ابن بسام في الذخيرة عن فضائل الأندلسيين

3 – ابن شهيد . ديوان . 109

4 – أبو تمام . ديوان .2 .191 .

5 – ابن شهيد . ديوان .102 .

وهو من قــول أبي نــواس في مدح الخصيب بن عبد الحميد صــاحب خــراج مصــر (1) :

تقول التي من بيتها خف موكبي عزيز علينا أن نــــراك تسير

و المعتمد بن عباد ، في هذا المضمار ضمن عجز بيته ببيت أبي تمام ، فيقول (2):

فهاكها قطعة يطوى لها حسدا السيف أصدق أنباء من الكتب

قــال أبو تمام في مدح الخليفة العباسي المعتصم بالله (3) :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقول ابن زيدون في هجاء بني جهور (4) :

بني جهورٍ ! أحرقتم بجفائِكم جَناني ، ولكنَّ المدائح تعبــقُ

تعُدُّوني كالعَنبرِ الورْد ، إنّما تَطيبُ لكم أنفاسُه حين يُحرق!

وهو ينظر إلى قول أبي تمام في مدحه واعتذاره (5) :

وإذا أراد الله نشــر فضيلــة طُوِيتْ أتاح لها لسان حســود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عُرف العود

وقول المعتمد بن عباد في دفاعه عن ملكه (6) :

لمَّا تماسكتِ الدموعُ وتَنَبَّهَ القلبُ الصديعُ

ويقول ابن بسام هو ((شبيه بقول قيس بن الخَطيم :

وإِنِّيَ في الحرب الضروس موكلٌ بتقديم نفسٍ لا أريد بقاءَها)) (7)

إذا فولــوع شعــراء الأندلس باقتفــاء آثار شعراء المشــرق ، يعــد حقيقــة في تأريخ الشعر الأندلســي ، ولكن هذه الحقيقة ((لاتعني أنهم كانوا يقصدون إلى التقليد

---

1 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 1: 137 .

2 - المعتمد بن عباد . ديوان . 191

3 - أبو تمام : ديوان .1 .35 .

4 – ابن زيدون . ديوان . 255 .

5 - أبوتمام . ديوان . 1: 397 .

6 - المعتمد بن عباد . ديوان 150 .

7 – ابن بسام .الذخيرة . 1/2: 53 .

كما فهـــم ذلك نقادو ومؤرخو الأدب في المشرق ، بقدر ما تعني أنهم كانوا يقصـــدون إلى التحـــدي وإظهار القدرة والبراعة)) (1) ، كما يري الجراري ، ويركز على ابـــن زيدون الذي يلقب بالبحتري ، بقوله : ((ربما للاتقائه مع الشاعر العباسي في مجال العناية الفائقة بالموسيقى والصياغة ، وإن لم يبالغ شاعرنا في استعمال المحسنات و لم يتكلفهـــا ، ولكن الذي لاشك فيه أنه يفوق البحتري بقوة العاطفة وصدقها وبغنى التجربة الحياتيـــة عامـــة)) (2) .

مـــن خـــلال ما تقدم من أمثلة ، وفي موضوعات الشعر السياسي ، نلمح نوعـــا من التاثر والاحتذاء للمشارقة ، قدماء ومحدثين ، إما إثباتا للذات وإما للتفـــوق ، وهـــذا ما يشير إليه غرسية غومس ، بقوله : ((فلقد كان لشعراء الأندلس ولع بدراسة الشـــعر الجاهلي ، ولكنهم يرون فيه سيئا أثريا قديما ، فلم يكن له في نفوسهم أثر فعال ، وكذلك المحدثون لم يكن لهم عند شعراء الأندلس أثر بعيد فيما خلا بدوات تلميحات بين الحـــين والحين ، ونلاحظهما في الناحية الجمالية)) (3)

---

1 - الجراري ، عباس . فنية التعبير عند ابن زيدون . 74 .

2 – الجراري ، عباس . المرجع نفسه . 74 – 75 .

3 - غومس ، أميليو غرسية . الشعر الأندلسي . 24 – 25 .

أثـــــر بعض الثقـــافات

انعكست على أشعار الأندلسيين ، في القرن الخامس الهجري ، في شعرهم السياسي آثار بعض الثقافات : منها ما يتعلق بالتاريخ بشكل عام ، ومنها مايتعلق بالنسب، ومنها ما يتعلق بالأمثال ، ومنها ما يتعلق بالأماكن ، ومنها مايتعلق بالأدب واللغة ؛ حيث تكثر فيها الإشارات والتلميح إلى شخصيات وحوادث تاريخية وأسماء وقضايا أدبيـــة ومصـــطلحات الكتابة والغناء . ومن أمثلة ذلك :

نجد ابن زيدون وتظهر ثقافته الواسعة في التاريخ ، يقول مثلا في أصـــدقائه الـــذين انقلبوا ضده في سجنه (1) :

ما ترى في معشر حالوا عن العهد وخاسوا

ورأوني ســـا مـــريـــا يُتَّقى منه المســـاس

وفيها يشير إلى السامري وهو عظيم من بني إسرائيل ، عبد العجل فعوقب بأن منع من مخالطة النساء ، فكان إذا مسَّ الناس حمَّ الماسُّ والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصبح في الناس لامساس (2) .

وقوله أيضا في الاستعطاف (3) :

و لو أني واقعت عمـــدا خطيـــئة لما كان بدعا من سجاياك أن تملي

فلم أستتر حرب الفجار ، و لم أُطع مسيلمةً ، إذ قال :إني من الرُّسْـــل

فهو يشير إلى حرب الفجار التي فجَر العرب فيها بأن قاتلوا في الأشهر الحـــــرم ، وقد شهدها النبي (ص) في شبابه ، قبل البعثة ، ويشير إلى مسيلمة زعيم بني حنيفة ، الذي ادعى النبوة في حياة النبي وزعم أنه شريك له في الولاية على الأمة ، و اســـتفحل أمـــره وقضي عليه في بداية خلافة أبي بكر (4) .

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 82 .

2 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 82 . هامش 6 .

3 – ابن زيدون . المصدر نفسه . 161 – 162

4 – ابن زيدون . ديوانه ورسائله . تحقيق علي عبد العظيم . 269 . هامش 2 .

وفي رثاء ابن عبدون لبني الأفطس (1) :

فليس مِثلهَـــــا إِيوَانُ كِسرَى   ولا مِنها الخَوَرْنَقُ(2) و السَّدِيـــرُ(3)

ويذكر في مرثيته أيضا (بني ساسان) ، (بني يونان) ، فيقول (4) :

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت   و لم تدع لبني يونان من أثـــــر

ويذكر الشاعر ابن عبد الصمد (الروم) في معركة الزلاقة ، وهم منـــهزمون شـــر هزيمة ، فيقول (5) :

و الخيل قد نكصت على أعقابها   والروم زرع و الرؤوس حصاد

ومن آثار الثقافة ما يتعلق بالنسب ، فالشاعر الأندلسي ، في شـــعره السياســـي ، يفتخر بنسب االممدوح ويشيد بحكمه الرزين ، فهـــذا ابن اللبانة يفخـــر (ببني عبـــاد) ، وهو يشير لنسبهم إلى المنذر بن ماء السماء ، فيقول (6):

من بني المنذرين و هو انتساب   زاد فـــخره بـــنو عـــباد

و لم يتوقف الشعراء عند حد الافتخار ، بل تعدوه إلى الهجاء ، فهذا ابـــن عمـــار يهجو (إعتماد الرمكية) ويذكر نسبها ، فيقول (7):

تخيرها من بنات الهجان   رمكية ما تساوي عقالا

وما يتعلق بالأماكن فإننا نجد المعتمد بن عباد يذكر معركة الزلاقة جاعلا إياها أختا لغزوة بدر ، فيقول (8) :

لا بد من يـــوم يكـــــو   ن ، لـــه أخ يوم القليـــــب

---

1 – المقري ، نفح الطيب . 4: 483 .

2 – الخورنق : قصر شه النعمان في القرن الرابع ، في موقع قرب الكوفة ، كان جامع بين العظمة ، وبهاء الزخرف ، وجمال الموقـــع . انظر: الحميري . الروض المعطار . 225 .

3 – السدير : بالعراق وهو سواد النخل ، وقيل السدير النهر الذي هناك ، وقيل هو قصر عظيم من إنشاء ملوك لخم في القديم وما بقي من قصورهم فهي بيع للنصارى . انظر : الحميري . المصدر نفسه . 300 .

4 - المقر . نفح الطيب . 4: 483 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 809 .

6 – ابن اللبانة . ديوان . 33 .

7 – ابن عمار . ديوان . تحقيق الغديري . 88 .

8 – المعتمد بن عباد . ديوان .127 .

وهـــذا ابـــن شهيـــد متتأثـــر بطبيعة البلاد المشرقية ، فيذكر (الفرات) و (دجلة) و (النيل) ، فيقول (1) :

جاد الفرات بساحتيك ودجلة والنيل جاد بها وجاد الكوثر

وأما عن الأمثال المشهورة فقد استعانوا بها وضمنوا بها شعرهم ، فمن أمثلة ذلـــك قول ابن عمار مخاطبا المعتمد (2) :

ولاتلتفتْ رأي الوشاة وقولهم فكلٌّ إناء بالذي فيه يرشَح

المصراع الثاني من الأمثال المأثورة ((كل إناء بالذي فيه يرشح)) (3)

ويقول المعتمد في فاجعته في سجنه (4) :

ماذا رمتك به الأيام ياكبدي من نبلهنَّ ولا رامٍ سوى القدَرِ

يشير إلى المثل ((رب رمية من غير رامٍ)) (5) .

وهناك من ضمن أشعاره بالأمثال العربية ، يقول ابن زيدون (6) :

أيا ذا الوزير ها أنا أشكو والعصا بدء قرعها للحليم

يشير إلى المثل : ((إن العصا قُرعت لذي الحلم)).(7)

وقول عبد الملك بن غصن الحجاري (8)

و لم يك لي بذاك العير عَيْر ولابقطيع ذاك الذَّوْد ناقة

يشير إلى المثل : ((لاناقة لي في هذا ولاجمل)) (9) .

---

1 – ابن شهيد . ديوان . 110 .

2 – ابن عمار . ديوان تحقيق الغديري . 39 .

3 - الميداني ممجمع الأمثال . 2: 162 .

4 – المعتمد . ديوان . 189.

5 – يضرب مثلا للمخطئ يصيب أحيانا انظر: الميداني . مجمع الأمثال . رقم 1581 .

6 – ابن زيدون . ديوان ، ص124

7 – ذو الحلم هو عامر بن الظرب ، من حكماء العرب ، وعندما تقدمت به السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه :قد كبرت سني ، فإذا رأيتموني خرجت عن كلامي فاقرعوا لي المِجَنَّ بالعصا . الميداني . مجمع الأمثال . 146 .

8 - إعتاب الكتاب . 218 .

9 – المفضل الضبي . أمثال العرب . 131 .

وقول ابن شهيد (1) :

إن الماء قد بلغ الزُّبى   وأنْحتْ رزايا ما لهن عديد

وهو يشير إلى المثل ((بلغ السيل الزبى)) (2)

هكذا انعكست آثار الثقافات المختلفة ، في الشعرالسياسي ، في تشكيل صـــورهم باهتمامهم بالتاريخ والنسب والأمثال والأماكن بالإضافة إلى اهتمامهم بالقضـــايا الأدبيـــة واللغوية ، ويتجلى أثرها في شعرهم ومن أمثلة ذلك قول ابن حمديس في وصف معركـــة الزلاقة وتناثر جيوش النصارى (3) :

وتحسبها في كل بيداءعُنصُلا   ترى ناثرا فيها لُهنَّ وناظما

ونجـــد ابن زيدون يستخدم بعض صوره من مصطلحات الكتابة كالخط والشكل في مدح ابن جهور ، فيقول (4) :

إذا أشْكل الخطْب المُلِمُّ فإنه   وآراءه كالخط يُوضَحُ بالشَّكْل

ونجد المعتمد بن عباد يستخدم مصطلحات الغناء كالنشيد والثقيل والجس والنقر ، في مخاطبة قيده ، فيقول (5) :

يُعيد على سمعي نَشيده   ثقيلا فتبكي العينُ بالجسِّ والنَّقر

---

1 - ابن شهيد . ديوان . تحقيق محي الدين ديب .64 .

2 - هي جمع زُبْيَة. وهي حُفْرة تُحْفَر للأسد إذا أرادوا صَيْده ، وأصلُها الرابية لا يَعْلُوها الماء ، فإذا بلغها السيلُ كان جارفا مُجْحفاً. يضرب لما جاوز الحد. الميداني . مجمع الأمثال . رقم 436 .

3 – ابن حمديس . ديوان . 427 .

4 – ابن زيدون . ديوان . 160 .

5 – المعتمد بن عباد . ديوان . 163 .

أثـــــر البيئـــة الأندلسيـــة

يتجـــلى أثر البيئة الأندلسية في الشعرالسياسي لبعض شـــعراء القـــرن الخـــامس الهجري ، وذلك في ميلهم أحيانا إلى الإكثار من ترديد أسماء الأماكن والأقاليم الأندليسة والأجنبية حتى ولو كانت ضمن الإمارات المسيحية غير الداخلة في نطاق أرض المسلمين ، مما يجعل القارئ في حاجة إلى الاستعانة بالمعاجم للتعريف بالأماكن والأقاليم والأشخاص الواردة في شعرهم ، ومن ذلك قول أبي طالب عبد الجبار يذكر أعلام أهل (قرطبة)(1):

لما رأى أعلام أهل قرطبة   أن الأمور عندهم مضطربة

ويذكر ابن العسال في مرثيته (الأندلس) ويحث أهلها على المغادرة ، فيقول (2) :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم   فما المُقام بها إلا من الغلط

ويذكـــر ابن رشيـــق القيـــرواني في هجـــاء بني عباد (الأندلـــس) ، ويشـــير إلى ما كان من تهافتهـــم على ألقاب بني العباس فكان منهم (المعتضد) و(المعتمـــــد) ، فيقول (3) :

مما يزهـــــدني في أرض أندلس   أسمـــاء معتضد فيها ومعتمد

ويذكر أبو إسحاق الإلبيـــري (غرناطة) في هجاء اليهود بقصيدة كان لها صداها في نفوس الغرناطيين (4) :

وإني احتللـــــت بغرناطـــــة   فكنتُ أراهم بهـــا عـــابثين

ويذكر المعتمد بن عباد في شعره (أغمات) لما رأى بعض سجنائها أفرج عنـــهم وهو سجين مقيد ، يقول (5) :

تخلصتم من سجن أغمات والتوت   علي قيود لم يحن فكها بعد

ويسمي الشاعـــرالحصري (إشبيلية) بحمص المشرقية في شعره حين أرسل غلامـــه

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 942 .

2 – المقري . نفح الطيب . 4: 483 .

3 – المقري . المصدر نفسه . 3: 231 .

4 – ابو إسحاق الإلبيري . ديوان . 96 .

5 – المعتمد بن عباد . ديوان . 185 .

يبغي عطاء المعتمد و لم ينله مرغوبه ، قال (1) :

حمصٌ الجنـــة قالـــــت لغـــلامي لا رجوعـــا

ويذكر ابن عمار (شقورة) التي سجن بها ويصف بؤس حاله ، فيقول (2) :

بؤســي شــقورة عنــدي أربــى عــلى كل بوســي

ويذكر ابن صمادح (المرية) التي يحن إليها وهو مسجون بغرناطة ، فيقول (3) :

فقــدت المــرية أكــرم بها فما للوصـــول إليها ســبيل

ويذكــر أبو عامر محمد الأصيلي (إقليش) و (البنت) في هجاء بني ذي النـــون ، فيقول (4) :

هيهـــات لاحر ولاحرة في باب إقليش إلى البنت

ويذكر السميسر مدينة (الزهراء) مخاطبا إياها علها تعود ، فيقول (5) :

وقفت بالزهـــراء مُستعــــبرا مُعتبــــرا أندُبُ أشتاتــــا

فقلتُ : يا زاهرا ألا فارجـــعي قالت : وهل يرجع من ماتا ؟

وأما ابن دراج القسطلي ، شاعر المنصور بن أبي عامر ومن شعراء الفتنة العظمى ، فإنه فاق غيره (6) في هذا المضمار إلى درجة حفزت محقق ديوانه على كتابة بحث بعنوان ((إسبانية الإسلامية من خلال ديوان ابن دراج)) (7) ، وقد تميز شعره بذكر الأمـــاكن التي غزاها المنصور بن أبي عامر وسبطاه ضد الأعداء ، والشخصيات التي وفدت علـــيهم تعلن خضوعـــها وطاعتها أو التي أسرت في غزواتهم ضدهم (8) . ومن شعره في عهـــد

---

1 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 333 .

2 – ابن عمار . شعره . 122 .

3 – ابن خاقان . مطمح الأنفس . 404 .

4 – العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 309 .

5 – المقري . نفح الطيب . 1 .527 .

6 – من شعراء المشرق مثلا المتنبي الذي كثيرا ما يعتمد عليه بعض الجغرافيين فيما أورده من أسماء الأماكن ومنهم ياقوت الحموي . معجـــم البلدان . انظر : محمد علي إلياس العدواني . الجبال والأمكنة والمياه في شعـــر المتنبي . مجلة المورد . م 6 ،ع 3 . 1977 . ص 13 – 22 .

7 – لغزيوي ، علي . أدب السياسة والحرب . 392 ، نقلا عن الطاهر أحمد مكي . مجلة أكاديمية الأداب والفنون الجميلة . مدريد .

8 فورار امحمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية . 233 .

الفتنة ، ذكره معركة (قنتيش) التي انهزم فيها المهدي وقتل فيها الكثير من جيشه (1) :

وشِعاب قنتيش وقد حُشِرت لهم أمم بُغاة لا يُكِتُّ عديدهـــا

ويذكـــر ابن دراج (وادي شرنبة) في شعره ، وقربه انهزم المهدي مع المتحالفين من النصارى ، أمام جيش البربر بقيادة الخليفة المستعين بالله ، فيقول (2) :

واستَوْدعوا جَنْبيْ شرنبةَ وقعةً هَدَّ الجبالَ الراسيات وئيدُها

ويـــذكر ابن دراج (وادي آروه) بالقرب من رندة ، وعنـــده انهـــزم المهـــدي والنصارى أيضا أمام جيش المستعين ، وقتل عدد كبير من قواده ، وأكثر من ثلاثة آلاف من النصارى (3) ، يقول (4) :

ودنوا لها في آر تحت صوارم وريَت بِعِزِّ المسلمين زُنودها

ويذكر ابن دراج سقوط (أرمنقد) قائد النصارى قتيلا في معركة ضـــد جـــيش المستعين ، فيقول (5) :

شِلْوٌ لأرمنقودَها حشدتْ به للزَّحف ثم إلى الجحيم حُشودها

هـــذا وقد ذكر شعراء القـــرن الخامس في شعرهم السياسي ، إلى جانب ما تميز به ابن دراج في هذا المضمار ، بعض الشخصيات المسيحية والأندلسية وبعـــض الأســـر الحاكمة ، وأسماء لبعض الشخصيات المغربية التي لها اليد الطـــولى في صـــنع الأحـــداث بالأندلس ، فهذا ابن أبي يزيد المصري يذكر عبد الرحمن شنجول حفيد (شانجة) لما تنازل له الخليفة هشام المؤيد عن الخلاقة ، فشبت نار الفتنة العظمى ، فيقول (6) :

وعاندا الحق إذ أقاما حفيد شنجة ولي عهد

ويذكر ابن حمديس (الفونسو السادس) في شعره ، وهو فار خائف متستر بظلام

---

1 – ابن دراج . ديوان . 52 .
2 – ابن دراج . المصدر نفسه . 54 .
3 – انظر هذا البحث . 31 .
4- ابن دراج . ديوان . 55 .
5 – ابن دراج المصدر نفسه . 55 .
6 – ابن الأبار . الحلة السيراء . 1: 272 .

الليل ، واستطاع أن ينجو من المعركة ، يقول (1) :

ومـــعترك تلقى الفُـــنش فيه غَريما مُهلِكا نفس الغـــريم

تستَّر بالظلام وفــرَّ خـــوفا بِرَوْع شقَّ سامعيْ ظَليــم

ويذكر أبو إسحاق الإلبيري قبيلة (صنهاجة) و (باديس) في قصيدة يستثير فيهـا حماس الصنهاجيين وعلى رأسهم باديس للتخلي عن اليهود ، فيقول (2) :

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الندى و أسد العرين

أباديس أنت امرؤ حاذق تصيب بظنك نفس اليقين

ويذكـــر ابن زيدون (بني جهور) ، فقد انقلب من مدحهم إلى هجائهم لما يئس من الخلاص من السجن ، يقول (3):

بني جهور أحــرقتم بجفائكم جناني ، و لكن المدائح تعبق

ويذكر ابن عمار (بني عبد العزيز) في شعره ، وهم الذين أوشوا بــه ، ويـــدعو المعتمد بن عباد إلى ترك أقوالهم ، فيقول (4) :

سيأتيك في أمري حديث وقد أتى برأي بني عبـــد العزيزمُوشَّح

ويذكر ابن عبدون في مرثيته (عمر بن الأفطس) لما سقطت دولته في يد المرابطين ، فيقول (5) :

ويح السماح و ويح الجود لو سلما ما حسرة الدين و الدنيا على عُمر

ويمدح المعتمد بن عباد (يوسف بن تاشفين) في معركة الزلاقة ، فيقول (6) :

ويوم العُروبة ذُدتَ العدا نصرتَ الهدى وأبيتَ الفِرارا

ولولاك يا يوسف المتقى رأينا الجزيرة للكفـــر دارا

---

1 – ابن حمديس . ديوان . 437 .

2 – ابو إسحاق الإلبيري . ديوان . 96 .

3 – ابن زيدون . ديوان . 255 .

4 – ابن عمار . شعره . تحقيق الغديري . 38 .

5 – ابن بسام الذخيرة . 2/2: 723 .

6 – المعتمد بن عباد . ديوان . 159 .

ويذكــر ابن عمار (الرشيد) في قصيــدة يستشفعــه فيها إلى أبيــه المعتمــد ، فيقول (1):

قل لبرق الغمام ظاهر بريدي قاصدا بالسلام قصر الرشيد

ويذكــر ابن وهبــون الشاعر (ابن خلــدون) وقد سقط أبو محمد هذا شــهيدا في معركة الزلاقة ، يرثيه ، في قوله (2) :

رثته فقلنا : إنها لتماضر و إن ابن خلدون لمفقودها صخر

يتضح مما تقدم أن بعض شعراء الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، في الشــعر السياسي أكثروا من استخدام أسماء الأقاليم والأماكن وأسمــاء الشخصــيات الأجنبيــة والأندلســية والمغربية في شعرهم ، حتى لكأننا ــ أحيانا أمــام طريقة تسجيلية قائمــة على التقاط الصور السريعة المتلاحقة ، التي تجعل الدارس يتصور أنه أمام عدســة لاقطــة تنتقل عبر المشاهد تنقلها نقلا أمينا مع مراعاة استخدام المحسنات البديعية ، كما أضــفوا عليــها أحيانا حيــاة وحركــة اعتمــادا على الصور البيانية المختلفة ، وما تقوم عليها من تشخيص وحوار ، فجاءت حية نابضة كما سيتضح ذلك في اللغة والأسلوب .

---

1 – ابن عمار . ديوان . تحقيق الغديري . 55 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 245 .

اللغــة والأسلــوب

أدرك القدامى أهمية اللغة ، وعرفوا قيمة الألفاظ في تشكيل الصورة الأدبيــة ، ورد في الصناعتين أن ((الألفاظ أجساد والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حــول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية (1) .

وقد جعل العسكري مدار البلاغة على تحسين اللفظ لأنه إذا كانت الألفاظ مختارة حسن الكلام (2) .

كما عقــد ابن خلدون فصلا في مقدمته ليثبت أن صناعة النظم إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وأن المعاني تبع لها وهي أصل (3).

وكان نقادنا المحدثون على القدر نفسه من الوعي بأهمية اللغــة في العمــل الأدبي ، فالأدب فن يتوسل الغاية الجمالية بمادة اللغة ، فاللغة ((هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، هي أول شيء يصادفنا وهي النافذة التي من خلالهــا نطــل. ومن خلالها نتنسم ، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب والجنــاح النــاعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق ، وقد عــرف الإنسان العالم أو حاول أن يعرفه لأول مرة يوم أن عرف اللغة ، والشعر هو استكشاف دائم لعالم الكلمة ، واستكشاف دائم للوجود عن طــريق الكلمــة ومن ثم كان الشعــر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغــة وغنى الحيــــاة على السواء (4) .

فالألفاظ إذا هي أداة الشاعر التي يتوسل بها في التعبير و التصوير ، فهــو لا يــنظم معاني مجردة ، بل ينسجها من الكلمات التي تؤثر في المتلقي بمــا تتضــمنه مــن المشــاعر والأحاسيس و المعاني ، بل قد تؤثر فيه بإيقاعها الصوتي ، فالكلمات في الشعر ليست مجرد إشارات أو علامات و إنما هي مجموعة من المثيرات الحسية تثير في ذهن المتلقي صــورا

---

1 – أبو هلال العسكري . الصناعتين . 167 .

2 – أبو هلال العسكري . نفس المصدر . 201 .

3 – ابن خلدون . مقدمة . 576 .

4 – إسماعيل ، عزالدين . الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية . 173 .

وإحساسات وتحرك انفعالاته ومشاعره (1).

وقد اختلف النقاد قديما وحديثا حول لغة الشعر ، حتى إن ابن رشيق قد عقد بابا في كتابه العمدة ليؤكد أن ((للشعراء ألفاظا معروفة وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها)) (2) ، وهذا هو ما تصوره نقادنا القدامى وهو أن للشعر لغة خاصة أرفع من اللغة العادية للكلام (3).

وأما في العصر الحديث فإننا نجد يوسف خليف يقرر أن للشعر لغة خاصة تختلف عن لغة الحياة التي لا تصلح مادة للشعر أو أداة للتعبير الفني ، معللا ذلك بأن الشعر ((ليس عرضا – أي عرض – للأفكار ، ولا هو تسجيل – مجرد تسجيل – لها ، ولكنه عرض جميل ، وتسجيل له وسائله و أدواته ولولا ذلك لانهارت الحواجز بين لغة الفن ولغة الحياة، وهي حواجز من الخير للفن أن تظل قائمة ، حتى يظل الفن بمقوماته ، أو بعبارة أخرى ، حتى يظل الفن فنا ، فهي ليست حواجز صناعية مفتعلة ، ولكن حواجز طبيعية أصلية ، نشأت مع الفنان الأول الذي عرفته الحياة ، والفن لا يعرف أنصاف الحلول ، فالعمل الفني إما أن تكتمل له مقوماته فيكون فنا ، و إما ألا تكتمل فلا يكون)) (4) .

يتضح ـــ مما تقدم أن للشعر لغته الخاصة ، والشاعر يشكلها بحيث يثير فيها نشاطها الخلاق حتى يكمل له التشكيل الجمالي الذي يوازي ـــ رمزيا ـــ واقعة النفسي و الفكري والروحي والاجتماعي ، فالقصيدة بنية لغوية مركبة ، يكشف تفاعل عناصرها عن موقف الشاعر الذي يتوسل بأداة الجماعة ليشكل موقفا من الجماعة نفسها (5) .

---

1 – عصفور ، جابر . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي . 334 .

2 – ابن رشيق . العمدة ز 1: 28 .

3 – بدوي ، أحمد أحمد . أسس النقد الأدبي عند العرب . 116 .

4 – خليف ، يوسف . نداء القمم . 26 .

5 – تليمة ، عبد المنعم . مدخل إلى علم الجمال الأدبي . 99 .

ويرجــــح ما ذهب إليه الطاهر مكي علـــى أن قيمة الألفاظ في القصيدة ((ليست في بساطــــها أو جلالها ، وإنما في الطاقة أو العاطفة أو الحركة التي يسبغها عليها الشاعر ، و الشاعر الأصيل تنضح ألفاظه بالقيم وتشع منها الموسيقى والمعنى والبساطة و الزخرفـــة، والصورة والفكرة ، والقوة الدرامية والتكثيف الغنائي والكناية واللون والضوء)) (1) .

وتختلف اللغة الشعرية من تجربة إلى أخرى ، لأنها لا تستمد مـــن معجـــم اللغـــة المعروف ، وإنما تستمد من معجم الحالات النفسية الذي يتنوع و يتغير بتغيير المبدع وتنوع التجربة وتغير الزمان و المكان.

وقد استطاع شعراء القرن الخامس الهجري في شعرهم السياسي أن يحكموا السيطرة على اللغة ، هذه الأداة الجميلة ، فأجادوا استخدامها بحيث جاءت معـــبرة عـــن تجـــاربهم الشعرية ـــ على اختلافها ـــ وإن كانوا قد حافظوا على لغة القـــدماء ، فقـــد طوعوهـــا لإحساسهم وجعلوها في خدمة تجاربهم الشعرية ، ولايعيبهم ذلك بحال ، فهـــذا اليـــوت يقول: ((إن ولاء الشاعر يجب أن يكون للغة التي يرثها من الماضي ، والتي يجب أن يحافظ عليها وينميها)) (2) .

واللغة هي أوضح وأقوى ظاهرة تعبر عن حضارة الأمم ، وليس مبالغة أن يقـــال : ((إذا أردت التعرف على الإطار الحضاري لشعب من الشعوب في زمـــن مـــن الأزمـــان فادرس لغته ، ففي عروق اللغة ـــ إذا صح هذا المجاز ـــ يعيش نبض العصر)) (3) .

وإذا رجعنا إلى لغة الشعر السياسي ، في القرن الخامس الهجري ، نجد الشاعر يمزج في كثير من الأحيان بين حبه للطبيعة وبين عناصرها مزجا جميلا لا نعرفه إلا عند من هـــام بالجمال واستعذب رقته وابن زيدون ممن يسحره الجمال وتهزه الطبيعة الناضـــرة ، فنـــراه يشرك عناصرها معه في مشاعره وأحاسيسه ، فيصور سوء حاله في السجن الذي تطـــاول أمده بالروضة التي طاولها القحط ، يقول (4) :

---

1 – مكي ، الطاهر أحمد . الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته . 80 .

2 – الرباعي ، عبد القادر . الصورة الفنية في شعر أبي تمام . 243 .

3 – إسماعيل عزالدين . الشعر العربي المعاصر . قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية . 175 .

4 – ابن زيدون . ديوان . 86 .

وطاول سوء الحال نفسي فأذكرتْ　　　من الروضة الغنَّاء طاولها القحْطُ

ونجده في قصيدة أخرى في مدح ابن جهور ، متذكرا ماضـــيه بقرطبـــة ، يشـــرك عناصر الطبيعة باستخدامه ألفاظها الأيكة الخضراء ، الظل ، الجنة ، النهر ،يقول (1) :

والبس من النعمةِ الخضراء أَيْكتَها　　　ظِلا حراما على الإرماضِ والخَدرِ

نَعيم جنة دنيا ، إنْ هي انصرمتْ　　　نعِمْتَ بالخُلْد في الجنَّات والنَّهّـــر

ويستمـــر الشاعر على هذا المنوال في المزج بين عناصر الطبيعة وموضوعه متطلعـــا إلى السهل من الألفاظ ، غير أن هناك بعض الشعراء ومنهم ابن زيدون ظلوا يحذون حـــذو شعراء المشرق ، قدماء ومعاصرين للشعر القديم ، لفظا وأسلوبا وصياغة ، ولعل هذا التمثل يبدو أكثر وضوحا في شعر الحرب ورثاء المدن ، وأغلب الظن أن بعض الشعراء هنا كانوا متاثرين بشعراء المشرق ليس في ألفاظهم وحسب ، وإنما تأثروا كذلك بمعانيهم وصـــورهم ـــ كما تقدم ـــ في الموروث الشعري (2) ،وكذلك في منهج القصيدة (3) .ورغم تأثرهم بالأساليب القديمة إلا أن القاعدة العامة للشعر الأندلسي وبخاصة السياسي تبقى هي ميلـــها إلى السهولة والرقة يشذ عنها قليلا ما ذكرته قبل ولا سيما شعر الحرب والرثاء السياســـي حيث يستخدم ألفاظ وأسلوب الشعر المشرقي القديم والمعاصر .

و أما الشعر الحربي فإن المتلقي كثيرا ما يلتقي بشواهد فيه تدل على تأثير الحياة الحربية المضطربة في لغته و ألفاظه ، فنرى الشعراء يرددون ألفاظا مثل (الحرب ، الانهزام ، الحسام) ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قول ابن حمديس في معركة الزلاقة (4) :

نوى خِدعةً في الحرب والحرب خدعة　　　فأدبر مهزوما وقد كان هازما

وقل ابن وهبون في نفس المعركة (5) :

و لم يثبُت من الأشيـــاع إلاَّ　　　شقيقُك وهو صارمُك الحُسام

---

1 – ابن زيدون . ديوان . 151 .

2 – انظر هذا البحث . 239.

3 – انظر هذا البحث . 212.

4 – ابن حمديس . ديوان . 427 .

5 – ابن دحية . المطرب . 120 .

وقول ابن حمديس (1) :

عُلوج قُمص حَربهم حديدُ يُعبّرِ عنهم سهَك النسيم

وقول ابن القزاز في الموضوع نفسه (2):

وقفتَ وموقفُ الهيجاء ضنكٌ وفيه لباعك الرَّحب انفساح

وقول ابن جهور تسمية معركة الزلاقة بيوم العروبة (3) :

لم تعلم العُجْم إذ جاءت مُصمِّمة يومَ العروبة أن اليومَ للعرب

وكما وردت ألفاظ (الحرب ، الانهزام ، الحسام ، الصارم ، القُمص ، الحديد ، الهيجاء ، يوم العروبة) ، عكفوا على معجم الألفاظ الطبيعية يستمدون منه ، ويسترفدون ـــ كما تقدم ـــ ولذلك من الطبيعي أن نجد موضوعاتهم ، في الشعر السياسي ، حافلة بالألفاظ المستمدة من الطبيعة .

هذا وتميزت لغة الشعر أيضا بالميل إلى البساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامة المستخدمة في لغتهم اليومية ، كلغة الهجاء السياسي التي اقتربت من لغة النثرية ، كقول بعضهم في نقد الخليفة المهدي الذي أظهر الفسق والخلاعة (4) :

أمير الناس سَخْنة كل عين يبيتُ الليل بين مُخنثين

يجشم ذا ويلثم خدَّ ذا ويسكر كل ليلة سكرتين

لقد ولوا خلافتهم سفيهاً ضعيف العقل شينا غير زين

وأما ميل لغة الهجاء السياسي إلى الشعبية ، فلكي يضمن لها الشعراء الذيوع والانتشار على ألسنة العامة ، فاستخدموا ألفاظ السباب المتداولة لديهم ، وأكثروا ، فمن ذلك قول أبي الحسين بن الجد في هجاء اليهود (5) :

وقامت دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوج

---

1 – ابن حمديس . ديوان . 438 .

2 – ابن سعيد . المغرب . 2: 135 .

3 – ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 101 .

4 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 80 .

5 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 562 .

وقول الإلبيري يصف اليهودي الوزير بالقرد ، يقول (1) :

ورخَّم قِردهم داره وأجرى إليها نَميْر العيون

وقول بعضهم في هجاء المهدي (2) :

أبو الوليد الذي اقشعرت لنحسه شعرة البلاد

فابن الجد يصف دولة اليهود بالأنذال ويصف الإلبيري وزيرهم بالقرد ، وأما شاعر آخر يصف المهدي بالنحس .

وقد لاحظنا شعراء القرن الخامس ، تأثروا بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وبعض المصطلحات الفقهية ، ومصطلحات الكتابة ، ومصطلحات الغناء ، فكثرت في شعرهم السياسي مثل هذه المصطلحات ، كما كان للبيئة الأندلسية دورها في ظهور ألفاظ وأسماء أجنبية وأندلسية ومغربية تداولها الناس ، وتسربت في الشعر نتيجة اختلاط الشعراء بالعناصر البشرية المختلفة ، وكثرة الفتن والحروب مع النصارى ، وقد وضحنا ذلك في أثر البيئة الأندلسية .

هذا وقد احتفى شعراء الفترة في أساليبهم بالصور البيانية و أنواع البديع على نحو ما فعل أضرابهم من المشرق كالبحتري و أبي تمام وغيرهما ، وما كان يستخدمه الشعراء ، كان أكثره جميلا ومقبولا .

والحقيقة أن الصور البيانية وأنواع البديع ليست صيغا تالية يؤتى بها للتزين والتحسين وإنما هي جوهرية في لغة الشعر لا تتحق المادة الشعرية إلا بها ، واللغة الشعرية من خلق الشاعر ، كما تقدم ، والشاعر يستخدمها استخداما إيحائيا ، ومن ثم تؤثر في اتجاه القارئ وتقنعه .

وبخصوص احتفاء شعراء القرن الخامس في شعرهم السياسي بأنواع البديع ، فإننا سنكتفي بذكر بعض الأمثلة لبعضهم لنؤكد صحة هذا الاحتفاء ، فمن ذلك قول الحجاري فهو مطابقا بين حر وعبد ، وعزيز وذليل يصور حاله في السجن ، فيقول (3) :

---

1 – أبو إسحاق الإلبيري . ديوان . 99 .

2 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 80 .

3 – ابن خاقان . مطمح الأنفس . 404 .

أَبعد السنا والمعالي خُمول ؟ وبعد رُكوب المذاكي كُبول

ومن بعدِ ما كنتُ حرًّا عزيزا أنا اليـــوم عبدٌ أسيرٌ ذليـــل

وقول ابن عمار يستعطف صاحب المرية وهو يطابق بين الفناء والبقاء (1) :

ثم أمض فيّ على اختيـــــا رك من فناء أو بقاء

وقول ابن عبدون في رثاء طليطلة (2) :

فالدهر حربٌ وإن أبدى مسالمة والبيض والسود مثل البيض والسُّمر

وقـــول المعتمد معتمدا على الطباق أسلوبا للمقارنة بين ماضيه وحاضره (3) :

ذُلٌّ وفقرٌ أزالا عِزةً وغنى نُعمى الليالي من البلوى على كثب

وقـــوله (4) :

أسر وعسر ولا يُسر أؤَمِّله استغفرُ الله كم لله من نظـــر

فهو يطابق بين العسر واليسر ، والذل والعزة ، والفقر والغـــنى ، كمـــا اســـتخدم الجناس الناقص بين أسر وعسر ويسر .

وكقول الشاعر في رثاء طليطلة (5) :

لثُكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما سُبيت ثغور

فقد استخدم الجناس التام بين كلمة الثغور بمعنى مدن الحدود وبين الثغـــور بمعـــنى الأفواه .

وقول ابن زيدون مستخدما الجناس الناقص (6) :

أذُؤْب حامت بلحمي فانتهاش وانتهاس

وقول الحصري يعرض بأصحاب إشبيلية (7) :

---

1 – ابن عمار . ديوان . تحقيق مصطفى الغديري . 92 .

2 – ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 721 .

3 – المعتمد بن عباد . ديوان 190 .

4 – المعتمد بن عباد . المصدر نفسه 190 .

5 – المقري . نفح الطيب . 4: 483 .

6 – ابن زيدون . ديوان . 81 .

7 – ابن خلكان . وفيات الأعيان . 3: 333 .

نبّه الرَّكب الهجوعا ولُم الدهر الفَجوعا

وأمـــا احتفاء شعـــراء القرن الخامس في أساليبهم بالصور البيانية اعتمـــادا علـــى التشبيه ، إدراكا منهم لأهمية التشبيه ، في الإبانة عن المعنى وإظهاره وتوضيحه وتأكيـــده ، واقتفاء بأثر الأقدمين ، سيرا على منوالهم ، فقد كانوا يعتبرونه الحد الفاصل في التوضيح ، وإحالة المجهول إلى المعلوم ، وفي ذلك يقول الرماني : ((إن التشبيه يزيد المعنى وضـــوحا ، ويكسبه تأكيدا ، ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين ، من العرب والعجم ، ولم يستغن أحـــد منهم عنه)) (1) .

ونحن نلاحظ أن شعراء القرن الخامس اعتمدوا التشبيه بمختلف عناصره ، وبمختلف أنواعه البسيطة والمركبة ، وأكثروا من التشبيهات ورسم الصور المتلاحقة لموضوعاتهم وكان شعر الهجاء السياسي وشعر السجن والرثاء السياسي وشعر الحرب من المجالات التي يظهـــر فيها ميلهم إلى هذا الأسلوب في التصوير ، وحرصهم على التجويد الفـــني في قصـــائدهم ومقطوعاتهم الشعرية . ومن أمثلة ذلك ماينسب لابن رشيق في قوله (2) :

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد

فالشاعر شبه ملوك الطوائف في إقبالهم على ألقاب بني العباس وهم دونها ، كـــالهر الذي يحاكي في انتفاخه صورة الأسد .

وقول ابن عباد الذي يشبه رمحه بالثعبان في الوغى وهـــو ينـــهش رؤوس أعدائـــه مستخدما (3) :

قد كان كالثعبان رمحك في الوغى فغدا عليكَ القيد كالثعبان

وقـــول ابن حمديس وهـــو يشبه الجيش النصـــراني بالحطب الذي جمع وألقي به في النار (4) :

كأنما احتطب العلوج وساقهم بحريق ضرب بالصوارم موقد

1 - الرماني . النكت في إعجاز القرآن . 75 .
2 – المقري . نفح الطيب . 1ك 213 .
3 – المعتمد بن عباد . ديوان . 183 .
4 – ابن حمديس . ديوان . 172 .

وقول ابن وهبون وهو يشبه الفونسو السادس بأحقر الطيور (1) :

ولاينفكُّ كالخفاش يُغضي إذا لم يباشره الظلام

وقول الشاعر ابن اللبانة يشبه منظــر الســفينة و المعتمــد وأهلــه في جوفهــا بالقبــور(2):

نسيتُ إلا غداةَ النهر كونهم في المنشآت كأموات بألحاد

وقوله أيضا وهو يشبه السفينة متجهة إلى العدْوة ، والناس يودعونها بالعويل كالإبل يحدو بها الحادي (3) :

سارت سفائنهم والنَّوح يصحبهم كأنما إبــل يحدو بها الحــادي

وقول ابن عبد الصمد في تشبيه الــروم بالزرع ، والرؤوس بالحصــاد في معركــة الــزلاقة (4) :

والخيل قد نكصت على أعقابها والروم زرع والرؤوس حصاد

ونجد السمــة البارزة ، في اســتخدام التشــبيه بمختلــف أنواعــه وعناصــره ، التصويرالحسي المرئي ، وذلك باعتباره من أساليب البيان ، وربما تجسيدا لنظرية (الكندي) التي تنتهي إلى أن حاسة البصر أشرف الحواس (5) .

من خلال ما تقدم يمكن أن نميز مستويين في لغة الشعر السياسي في القرن الخامس الهجري .

الأول تلك اللغة الرصينة و الألفاظ ذات الجرس ، وقد نهج فيها شعراء الأنــدلس على نهج شعراء المشرق الفحول ، وقد كان أكثر استعمالهم لهذا الأسلوب يأتي في الرثــاء السياسي، وشعر الحرب ، هذا الأخير الذي نجد لغته قوية محكمة النسج يتأنق الشــاعر في اختيارها معتمدا في ذلك على مادة غزيرة من الألفاظ القديمة كقول ابن عبد الصمد (6) :

---

1 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 246 .

2 – ابن اللبانة الداني . شعره . 42 .

3 – ابن اللبانة . المصدر نفسه 42 .

4 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 809 .

5 – عصفور ، جابر . الصورة الفنية . 376 ، نقلا عن رسائل الكندي . 1: 54 .

6 – ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 815 .

لو زُلتَ زال الدين وانتهب الهدى ونبا اليقين ونافق التوحيدُ

لكن وقفتَ وملءُ دِرعك للعدا دَرعٌ يَهَدُّ الراسيات شديد

وكثيرا ما نجد ألفاظا سلسلة في شعر الحرب تأخذ بعضها برقاب بعض ، فمثلا هذه الأبيات لابن القزاز يقول (1):

وقفتَ وموقف الهيجاء ضَنْكٌ وفيه لباعكَ الرَّحب انفساح

وألسنـــة الأسنَّـــة قاتــلات إذا ظهـــر المؤيَّـــد لا بـــراح

نجد أنها معتمدة على مادة غزيرة من الألفاظ القديمة ، كما نجد تلاحق الألفاظ ذات الجرس الصاخب كما في (وقفت ، موقف) و (السنة ، الأسنة) .

إذا في هـــذا المستوى نجد الشعر يعكـــس التيار القـــديم في كيفية تعامله مع اللغة في ذروتها الرفيعة من الفصاحة والقوة وهو تعامل تفرضه نواحي ذاتية أحيانا ، وتتحكم فيه موضوعا الشعر السياسي في معظم الأحيان.

وأما المستوى الثاني فهو ذلك الاستخدام الذي تتحقق فيه – أكثر مـــن غـــيره – معظم سمات شخصية الشعر الأندلسي ، في القرن الخامس الهجري ، إضـــافة إلى ملامـــح عصره ونعني به ذلك الأسلوب الذي لايسرف في اصطناع الصياغة القديمة واعتماد الشعر القديم بناء وسبكا ، إنما هو أسلوب يحافظ على توازنه وسلامة عباراته ، كما يتميز بعذوبة الألفاظ ورقتها وسلاستها ، وتبدو عليها آثار التأنق والروية .

ويستأثر هذا الاتجاه بأكبر قدر من الشعر الأندلسي ، في القرن الخامس الهجـــري ، فهو أكثر الاتجاهات ائتلافا مع نفس الشاعر وتجاوبا مع طبعه وسجيته لذلك فإن لغته تبدو مزيجا من لغة الشعر المشرقي ، وروح الطبيعة الأندلسية الناعمة ، ويتجلى ذلـــك في شـــعر السجن ، فإننا نحس فيه العبارات تتلاحق سلاسة ويسرا ، والألفاظ تجري علـــى لســـان الشاعر السجين دون تكلف .

---

1 - ابن سعيد . المغرب . 2: 135 .

خـــــــاتمـــــــــة

تناول هذا البحـــث **الشعرالسياسي الأندلسي** ، خلال القرن الخامس الهجري ، فقـــدم في المدخل توضيحات حول الجو السياسي ، وكيف كان الصراع في الأندلس بدءا بسقـــوط الدولة العامـــرية ، وقيام الفتنة العظمى ، وبانتهائها تشكلت دول الطوائف ، وما ســـاد بينها من صراع وتنافس و تناحر أدى إلى زوالها بحكم تعدد عناصرها البشرية، ورغـــم ذلك فإن الحـــركة العلميـــة والأدبيـــة شهـــدت تطورا وازدهارا كبيريـــن ، مما أفرز هذا الشعر .

وقـــدم في **فصله الأول** تعريفا ووصفا وتحليلا ، ما أمكن ، لشعر الهجاء السياسي الذي نشأ في عهد الدولة العامرية ، وتطور في القرن الخامس الهجري ، وبرز فيه شـــعراء نقدوا الوضع السياسي و الاجتماعي على حد سواء .

وتلا في **فصله الثاني** شعر السجن ، كان الشعراء السجناء قد وصفوه ووصـــفوا حالتهم واستعطفوا واعتذروا وحنوا وأملوا في حريتهم ، ومنهم من اســـتكان إلى اليـــأس والاستسلام ، وتميز شعرهم بأن مزجوا فيه بين فنون الشعر الأخرى وأجادوا ، وبخاصـــة في الغزل والفخر والمدح المرتبطة بموضوع شعر السجن إلى حد كبير .

وأردفـــه في **الفصل الثالث** بشعر الحرب ، وكان التركيـــز على معركة الزلاقة ، والتعريف بها ، و الاستعداد لها و خوضها و الانتصار فيها ووصف حال العدو إثر الهزيمة والإشادة بما استخدم في الحروب الأندلسية ولأول مرة من طبول وجِمال .

وختـــم البحث في **فصله الرابع** بالرثاء السياسي مركزا على رثاء قرطبة وبكائها بعد خرابها ، ورثاء مدن وممالك الأندلس التي سقطت في أيدي النصارى ، ورثـــاء زوال الممالك بعد توحيدها في شعر حزين وصادق .

واهتم البحث في **فصله الخامس** بالدراسة والتوضيح لأهم جوانب الشعر السياسي مـــن حيث البناء الفني ، حيث ركز على بناء القصيدة مطلعا ، ومقدمة ، وحسن تخلص و موضوعا رئيسيا ، وخاتمة ، والوزن والقافية ، وعلاقة ذلك بالموضوع المطروق .

و أشار البحث إلى بعض مشارب الشعر السياسي وأصوله ، ولكن أثر البيئة يبقى

بـــارزا ، الشيء الذي يعطيه طابع التفرد والتميز . وأشار البحث إلى اللغـــة والأسلوب واتضح تميز الأندلسيين في هذا المجال .

هـــــذا وقد كشف البحث عن بعض الحقائق ، وخلـــص إلى نتائج خاصـــــة أهمها ما يلي:

1 – شهـــد القـــرن الخامس الهجري صراعا وتنافسا كبيرين من قبـــل الخلفـــاء حول السلطة وضعف في إدارة شؤون البلاد ، مما مكن العناصر البشرية المتعددة الأجناس إلى الاستقلال بالأقاليم ، فكان ملوك الطوائف ، والذين في عهدهم نشـــطت الحركـــة العلميـــة والأدبيـــة في مختلـــف المجالات ؛ دينية ، وعلميـــة ، ولغوية ، وأدبية ، ســـعيا من الأندلسيين خاصة ، وعامة ، للتفوق عن المشارقة ، وإثبات تفردهم وتميـــزهم رغـــم اعتمادهم على الموروث الثقافي ، وتأثرهم بالقرآن والحديث و الفقه .

وأفرزت هذه الحركة كثرة الدراسات الدينية و اللغوية والفلســـفية و الأدبيـــة ، صفوة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، أنتجـــت مؤلفـــات سبقت الإشــــــارة إلى بعضــــها ــــ وإبــــداعات شعـــرية ــــ تقل فيها عيوب القافية ، ومرد ذلك أن أغلب الشعـــراء فقهاء ولغـــويون ونقـــاد ، وهؤلاء أكثر الناس تعصبا ، وأقلهم تسامحا ســـواء في الشعـــر أو النثـــر

2 – ارتبـــاط الشعـــر الأندلسي والسياسي منه بخاصـــة ، في القـــرن الخـــامس الهجري ، بالعصر ارتباطا وثيقا وكان مما يذكي هذا الارتباط الواقع المضـــطرب القلـــق المشحون الذي صحب العصـــر بالكثير من الفتن الداخلية واسترداد المـــدن والممالـــك من قبل النصارى ، في عهد ملوك الطوائف ، وطابع العجز والضعف ، والنفوذ والتوســـع الذي تميز به عهدهم ، وعبر عن ذلك الشعراء ، في نقدهم للوضع كله ، ووصف بعضهم محنهم في غيابات السجن ، وفيهم من رثى حال المسلمين ، وهذه البلاد نشـــبت فيهـــا الحروب الأهلية وخربت قرطبة ، وكذلك سقوط مدن وممالك في أيـــدي النصـــارى ، وهـــذا الضعف توج بالانتصار في معركة الزلاقة ، ولكن هذا الانتصار استمر إلى حين .

3 – إبراز بعض الشعراء الذين لم يلتفت إليهم الدارسون في بحوثهم ودراساتهم ، وهم طرقوا موضوعات الشعر السياسي ، وتميزوا فيها ، مما جعل بعض المؤرخين والأدباء القدماء يكشفون عن بعض جوانب هذا التميز .

4 – تغلغـــل فن الوصف في موضوعات الشعر السياسي ، التي طرقهـــا شـــعراء القرن بتصويرهم للأشياء ، وتشخيصها ومحاورتهما ، ونفخ الروح فيها ، فهـــم يمزجـــون وصفهم للأشياء بانفعالاتهم وأحاسيسهم ، فيبدو الوصف ومعه العاطفة الصادقة .

5 – ارتباط الغزل بالاستعطاف والاعتذار ارتباطا عضويا ، فتحققـــت بـــذلك الوحـــدة الموضوعيـــة ، ويتجلى ذلك في نتاج شعر الشعراء السجناء السياسيين الغزير ، مما يدعو إلى التنبيه إليه لدراسته ، موضوعا وفنا ، لما له من مميزات خاصة .

6 – وأما الرثاء السياسي ، فإنه يتميز بالاستعانة بالتراث واعتماد التاريخ للعظـــة والعبرة ، مما آلت إليه مدن وممالك الأندلس ، ويكثر فيها التضرع إلى الله والتوسل برسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، والتركيز على ماضي المدينة وحاضرها ، قبل السقوط وبعـــده .

7 – توزع الشعـــر السياسي على مستويين ، قوي وبسيط سواء من حيث المعنى أو المبنى ، أما البسيط فهو يتجلى في الهجاء السياسي . وأما القوي فيعكسه شعر الحـــرب والرثاء السياسي ، وكنا أشرنا إلى جملة المميزات في مضانها لكل موضوع من موضوعات هذا الشعـــر .

ولاشـــك أن هذا البحث المتواضع ـــ مهما كانت النتائج التي حققها ـــ سيسهم في إثارة الاهتمام ، وفتح آفاق جديدة أمام الباحثين ، وخصوصا إذا ضم إليـــه الجانـــب النثري ، فهو ـــ حسب رأيي ـــ طريف وجديد .

وأدعو الله تعالى أن تنال هذه الدراسة الرضا والقبول لأنني بذلت جهدا متواضعا ، متمنيا أن تسُد ركنا من أركان الدراسات الأندلسية التي تحتاج إلى جهود كبيرة ومتواصلة لكشف النقاب عن هذا التراث الغـــزير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمـــة المصـــادر و المـــراجع

أولاـــ المصـــادر:

1 - **القرآن الكريم**

2 - **أبو إسحاق الإلبيري ، إبراهيم بن مسعود (ـــ 460 هـــ)** . ديوان . تحقيق محمد رضوان الداية . مؤسسة الرسالة بيروت . ط 1 . 1976 .

3 - **الأمير عبد الله بن زيري(_483 هـــ).**مذكرات الأمير عبد الله ، أو كتاب التبيان.تحقيق ليفي بروفنسال.دار المعارف مصر .1955

4 -**ابن الأبار،أبو عبد الله (ـــ 658 هـــ):**

أ - إعتاب الكتاب . تحقيق صالح الأشتر . مجمع اللغة العربية . دمشق . 1961 .

ب - التكملة لكتاب الصلة . تحقيق عزت العطار الحسيني . القاهرة . 1956 .

ج - الحلة السيراء . تحقيق ، حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة و النشر . ط 1963.1 .

5 - **ابن الأثير،علي بن محمد(_630هـــ)** . الكامل في التاريخ . الجزء الثامن و التاسع و الحـــادي عشر . دار الطباعة المنيرة . 1357هـــ.

6 – **الإدريسي ، أبو عبد الله محمد الشريف السبتي(ـــ548هـــ)** . القارة الإفريقيـــة وجزيـــرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق إسماعيل العربي.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .1983 .

7 - **ابن الأثير ضياء الدين(-637 هـــ)** :

أ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور . تحقيق مصطفى جواد جميل . المجمع العلمـــي العراقي . بغداد . 1956 .

ب - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق محمد محي الدين الحلبي . القاهرة . 1939 .

8 - **ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو المعالي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (668 هـــــ) .** عيون الأنباء في طبقات الأطباء .شرح وتعليق نزار رضا . دار مكتبة الحياة . بيروت . 1965 .

9 - **ابن بسّام ، أبو الحسن (_542هـــ)** . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.تحقيق إحسان عبـــاس الدار العربية للكتاب.ليبيا-تونس . ط1979.1.

10 - **ابـــن بشكوال ، أبـــو القاسم (_578هـــ)** . كتاب الصلة. الـــــدار المصرية للتأليف و الترجمة.1966.

11 – **البكري ، بوعبيد(ـــ487هـــ)**.جغرافية الأندلس وأوربا ، من كتاب المسالك والممالك . تحقيق عبد الرحمن الحجي.دار الإرشاد للطباعة والنشر.بيروت.ط 1. 1968 .

12 – **أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي** . (ـــ 231 هـــ) . ديوان . تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف . مصر . ط2 . 1970 .

13 – **التنسي ، أبو عبدالله** (كان حيا سنة 893 هـــ) .تاريخدولة الأدارسة (من كتاب نظم الدر والعقيان) تحقيق عبد الحميد حاجيات . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1984 .

14 - **الثعالبي،أبو منصور**(ـــ429 هـــ).يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.الجزء الأول والثاني.محمد محي الدين . دار الفكر بيروت . ط 3 . 1973 .

15 - **ابن ثغري،أبو الحسن**(ـ874هـــ) . النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة.الجزء الثالث.دار الكتابة المصرية.1966.

16 - **حازم القرطاجني ، أبو الحسن** (-684هـــ). منهاج البلغاء وسراج الأدباء . تحقيق محمد الحبيب .دار الغرب الإسلامي .بيروت . ط3. 1981 .

17 - **ابن حزم ، أبو محمد على (ـــ 456 هـــ)**:

أ - جمهرة أنساب العرب .تحقيق عبد السلام هارون .دار المعارف .القاهرة .1962.

ب - ديوان . تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم .دار الصحابة للتراث . طنطة .مصر .ط 1 . 1990 .

ج - رسائل ابن حزم .تحقيق إحسان عباس .الجزء الثاني .المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت. ط 1 .1980 .

د - طوق الحمامة .تحقيق الطاهر أحمد مكي .دار المعارف .مصر ط 3 .1980 .

18 – **الحميدي ، أبوعبد الله** (ـ488هـــ).جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة . 1966 .

19 – **الحميري ، محمد بن عبد المنعم**(ـــ727هـــ):

أ - الروض المعطار في خبر الأقطار .تحقيق إحسان عباس .دار القلم للطباعة بيروت.1975.

ب - صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من الروض المعطار) .تحقيق ليفي بروفنسال . لجنة التأليف والترجمة والنشر .القاهرة . 1937 .

20 - **الحموي ، ابن حجة** (-837هـــ) .خزانة الأدب وغاية الأرب . دار القاموس الحديث . بيروت .

21 - **ابن حيان،أبو مروان(_469هــ)**.المقتبس في أخبار بلد الأندلس.تحقيــق عبــد الــرحمن الحجي.دار الثقافة.بيروت.

22 - **بن خاقان ، أبو الفتح (_529هــ)**.:

أ - مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق محمد علي شــوابكة. مؤسســة الرسالة . يرروت.ط1.1983.

ب – قلائد العقيان في محاسن الأعيان . تقديم ووضع الفهارس محمد العتاني دار الكتب الوطنيــة . تونس .

23 – **الخشني ، أبو عبد الله(_971هــ)** . قضاة قرطبة.تحقيق إبراهيم الأبيــاري.دار الكتــاب اللبناني. بيروت.1968.

24 - **ابن الخطيب ، لسان الدين(_776هــ)**:

أ - الإحاطة في أخبار غرناطة . الجزء الثاني.تحقيق عبد الله عنان. القاهرة.1974.

ب - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإســلام.تحقيــق ليفــي بروفنســال.دار المكشوف. لبنان.ط1956.2.

ج – الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية . تــونس . ط1 . 1929 .

د – رقم الحلل في نظم الدول . المطبعة العمومية . تونس . 1316 هــ .

25 - **ابن خلدون ، عبد الرحمن (_808هــ)**:

أ - العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الســلطان الأكبر . الجزء الرابع.تحقيق عبد الكريم وحسن الزين . دار الكتاب اللبناني . بيروت.1968.

ب – المقدمة . تحقيق درويش الجويدي المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط1 . 1995 .

26 - **ابن خلكان، أبو العباس (_681هــ)**.وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان.تحقيق إحســان عباس . دار الثقافة . بيروت . 1968.

27 - **ابن دحية،أبو الخطاب(ـــ633هــ)** . المطرب من أشعار أهل المغــرب.تحقيــق إبــراهيم الأبياري . المطبعة الأميرية . القاهرة ..1954

28 - **ابن دراج القسطلي،أبوعمر(ــ 421هــ)** . ديوان . تحقيق محمود علي مكــي.المكتــب الإسلامي.ط 2. 1389 هــ

29 - **ابن رشيق ، أبو علي (-426هـــ-)** . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الجيل . بيروت . ط1. 1980.

30 - **الرماني ، أبو الحسن** (-386هـ) . النكت في إعجاز القرآن . تحقيق محمد خلــف الله ، ومحمد زغلول سلام .دار المعارف .مصر .

31 - **ابن سعيد ، علي بن موسى** (_685هـ):

أ ـــ المغرب في حلي المغرب.تحقيق شوقي ضيف.دار المعارف.مصر.ط 1978.3.

ب ـــ رايات المبرزين وغايات المميزين.تحقيق النعمان عبد المتعالي.لجنة إحياء التـــراث الإســـلامي. القاهرة ..1973

32 - **السلاوي ، أحمد بن خالد**(_1315هـ) . لاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى.الجـــزء الأول. طبعة القاهرة. 1894.

33 – **ابن سنان الخفاجي، عبد الله محمد بن سعيد** (ـــ 466 هـ) . سر الفصاحة . تحقيق عبد المتعال الصعيدي . القاهرة . 1952 .

34 - **السلفي ، أبو طاهر صدر الدين أحمد بن محمد** (ـــ 576 هـ) . أخبار وتراجم أندلسية . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . 1963 .

35 - **السيوطي ، جلال الدين** .(ـــ 911 هـ) . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر . ط2 . 1979 .

36 - **ابن شرف القيرواني ، أبو عبد الله بن محمد** (ـــ 460 هـ) . ديوان . تحقيق حسن زكري حسن . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة .

37 - **ابن شهيد ، أبو عامر** :

أ ـــ ديوانه . تحقيف يعقوب زكي.دار الكتاب العربي للطباعة . القاهرة .

ب ـــ ديوانه ورسائله .تحقيق محي الدين ديب . المكتبة العصرية . بيروت .ط 1 . 1997 .

38 – **الضبي ، أحمد بن يحي**(_599هـ) . بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.دار الكتاب العربي.القاهرة.1967.

39 - **الصولي ، أبو بكر** (-335هـ) . أخبار أبي تمام . تحقيق خليل محمود عساكر ، محمد عبده، نظير الإسلام . المكتبة التجارية للطباعة والنشر .بيروت .

40 - **الضبي ، المفضل** . أمثال العرب . تحقيق إحسان عباس . دار الرائد العربي . بيروت . ط1. 1981.

41 - **العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل** (ـــ 395 هـ) . الصناعتين . تحقيق علي محمد البحاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي . القاهرة . ط1 . 1971 .

42 - **العلوي ، يحي (-749هـــ)** . الطـــراز المتضـــمن لأســـرار البلاغـــة وعلـــوم حقـــائق الإعجاز.تصحيح سيد علي المرسفي . مطبعة المقتضب .مصر .1914 .

43 - **العماد الإصفهاني . أبو محمد صفي الدين عبد الله محمد(ـــ 579 هـ)**.خريدة القصـــر وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب والأندلس . تحقيق آذرتاش وآذرنوش ، ونقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي . الدار التونسية للنشر . تونس . 1972.

44 - **ابن العماد ، أبو الفرج الحنبلي(1089هـ)**.شذرات الذهب في أخبار من ذهـــب.الجـــزء الثالث.تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.دار الآفاق الجديدة.بيروت.

45 - **ابن عمار ، أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي (ـ 477 هـ) :**

أ ـــ شعره . تحقيق صلاح خالص . مطبعة الهدى . بغداد . 1957 .

ب ـــ شعره . تحقيق مصطفي الغديري . منشورات كلية الآداب والعلـــوم الإنســـانية . وجـــدة . المغرب. 2001 .

46 - **القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى (ـــ 544 هـ)** . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . الجزء الرابع . تحقيق أحمد بكير محمود . دار مكتبـــة الحيـــاة . بيروت . 1967 .

47 – **قدامة بن جعفر ، ابو الحسن** . (237 هـ) . نقد الشعر . تحقيق مصطفى كمال . مطبعة الخانجي . مصر .

48 - **ابن القوطية ، أبو بكر(ــ367هـ)** . تاريخ افتتاح الأندلس .تحقيق إبراهيم الأبياري .دار الكتاب اللبناني .بيروت.ط 1. 1982.

49 - **الكتبي ، محمد بن شاكر (764 هـــ)** . فوات الوفيات . تحقيق إحسان عباس. دار الجيل. بيروت .

50 - **ابن الكردبوس ، عبد الملك بن قاسم** (575 هـ) . تاريخ الأندلس . تحقيق العبـــادي ، أحمد مختار. معهد الدراسات الإسلامية . مدريد . 1971 .

51 - **ابن اللبانة الداني ، أبو بكر محمد بن عيسى (ـــ 507 هـ)**. شعـــره . جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد . مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر . جامعة الموصل . 1977 .

52 - **ابن منظور ، أبو الفضل** (-711هـــ) . لسان العرب . المؤسسة المصرية للتألبف والنشر

53 - مؤلف مجهول . أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها . تحقيق إبرهيم الأبياري . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة . بيروت .

54 - **مؤلف مجهول** (كان حيا سنة(712 هـــ) . نبذ تاريخية في أخبـــار البربـــر في القرون الوسطى،منتخبةمن المجموع المسمى بكتـــاب(مفـــاخر البربـــر) .تحقيـــق ليفـــي بروفنسال.الرباط . 1934.

55 - **المتنبي** ، **أبو الطيب** (-354هـــ) . ديوان . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . 1980.

56 - **مسلم** ، **الإمام أبو حسن** (-261هـــ) . صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد البـــاقي . القاهرة . .1955

57 - المعتمد بن عباد . ديوان . تحقيق رضا الحبيب السويسي . الدار التونسية للنشر .1975 .

ابن منظور ، **أبو الفضل** (-711هـــ) .لسان العرب . المؤسسة المصرية للتأليف والنشر .

58 - **الميداني** ، **أبو الفضل أحمد النيسابوري**(ـــ 518 هـــ) . مجمع الأمثال . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر . بيروت . 1972 .

59 - **أبو نواس** ، **أبو علي**(ـــ 198 هـــ) . الديوان . تحقيق أحمد عبد المجيـــد . دار الكتـــاب العربي . بيروت .

60 - **ياقوت الحموي** ، **أبو عبد الله بن عبد الله الرومي** (ـــ 626 هـــ):

أ - معجم الأدباء . تحقيق أحمد فريد الرفاعي . مكتبة عيسى البابي الحلبي . القاهرة . 1936 .

ب – معجم البلدان . دار صادر بيروت . 1955 .

ثانيا ـــ المـــــراجع :

1 - **أدهم** ، **علي** . بين الفلسفة والأدب . مكتبة دار المعارف . مصر . ط 1 . 1958 .

2 - **إسماعيل** ، **عزالدين** :

أ ـــ الشعر العربي المعاصر . قضاياه وظواهره الفنية واللغوية . درا الفكر العربي . القـــاهرة . ط3 . 1978 .

ب – التفسير النفسي للأدب . دار العودة . بيروت .ط4 .1981 .

3 - **أشباخ** ، **يوسف** . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين . ترجمة عنان ، محمـــد عبـــد الله.مكتبة الخانجي ، القاهرة . ط 3. 1996 .

4 - **أمين** ، **أحمد** . النقـــد الأدبي .مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط 3 . 1963 .

5 - **أنيس** ، **إبراهيم (د)**.موسيقى الشعر . دار القلم . بيروت .ط4 . 1972.

6 - **بالنثيا** ، **آنخل جانثالث** .تاريخ الفكر الأندلسي . ترجمة حسين مؤنس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط1 .1955 .

7 – **بدر ، أحمـــد .** تـــاريخ الأنـــدلس في القـــرن الرابـــع الهجري،عصـــر الخلافـــة .مكتبـــة أطلس.دمشق.1974.

8 - **بدوي ، أحمد أحمد .** أسس النقد الأبدبي عند العرب . دار نهضة مصـــر للطباعـــة والنشـــر . 1979.

9 - بروفنسال ، ليفي :

أ ـــ الإسلام في المغرب والأندلس .ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الـــدين حلمـــي . مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية .1990 .

ب ـــ سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخه . ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة . القـــاهرة. المطبعة الأميرية القاهرة .1951 .

10 - **بكار ، يوسف حسين .** بناء القصيدة العربية . دار الثقافة للطباعـــة والنشـــر . القـــاهرة . 1979.

11 – **بوزياني ، الدراجي.**القبائل الأمازيغية،أدوارها ، ومواطنها ، وأعيانها.الجزء 1 .دار الكتـــاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع .الجزائر.ط 1 .1999.

12 - **يـــول ، لـــين** .قصة العرب في إسبانيا . ترجمة علي الجارم . دار المعارف . مصر .1947 .

13 – **بيريس ، هنري:**الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . ترجمـــة الطـــاهر أحمـــد مكـــي .دار المعارف.القاهرة .ط 1 .1988 .

14 - **تشركوا ، كليليا سارنللي .** مجاهد العامري قائد الأسطول العربي غـــربي البحـــر الأبـــيض المتوسط في القرن الخامس الهجري .لجنة البيان العربي . القاهرة . 1961 .

15 - **تليمة ، عبد المنعم** .مدخل إلى علم الجمال الأدبي . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . 1978.

16 - **التونجي ، محمد .** المعجم المفصل في الأدب . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 2 . 1999.

17 - الجراري ، عباس :

أ - الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه الجـــزء الأول . ط3.مطبعـــة المعـــارف الجديـــدة. الرباط.1986.

ب – فنية التعبير في شعر ابن زيدون . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء . 1977 .

18 – **الحجي ، عبد الرحمن علي:**التاريخ الأندلسي من الفتح حتى ســـقوط غرناطـــة(92 هـــــ ـــ897هـــ) دار القلم. دمشق . ط 3 . 1987 .

19 - **الحوفي** ، **أحمد** . أدب السياسة في العصر الأموي . دار نهضة مصر . القاهرة . ط 3 . 1969 .

20 - **خالص** ، **صلاح** . إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، دراسة أدبية تاريخية . دار الثقافة.بيروت . 1981 .

21 - **خليف** ، **يوسف** . نداء القمم (شعر) . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ط1 . 1967 .

22 - **خليفة** ، **عبد الكريم** . ابن حزم الأندلسي ، حياته وأدبه . دار العربية للطباعية والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان .

23 - **الدقاق** ، **عمر** . ملامح الشعر الأندلسي . منشورات جامعة حلب . ط3. 1978.

24 – **دوزي** ، **رينهرت** . المسلمون في الأندلس . ترجمة حسن حبشي . الأجزاء الثلاثة . الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة 1994.

25 - **سالم** ، **السيد عبد العزيز**:

أ – تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، قاعدة أسطول الأندلس .دار النهضة العربية بيروت .ط1 .1969

ب - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . 1981.

ج – في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس .مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية .1985 .

26 - **سعدي** ، **عثمان** .الأمازيغ (البربر) عرب عاربة (وعروبة الشمال الإفريقي) . 1996 .

27 - **السعيد** ، **محمد مجيد** . الشعر في ظل بني عباد .

28 - **سويف** ، **مصطفى** . الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر . دار المعارف . مصر .ط4 . 1981 .

29 - **الشايب** ، **أحمد** .تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . دار القلم . بيروت . ط 5. 1976 .

30 - **ضيف** ، **شوقي** . فصول في الشعر والنقد . دار المعارف . مصر . ط 3 . 1977 .

31 - **طيب** ، **عبد الله** . المرشد إلى فهم أشعار العرب . دار الفكر . بيروت . ط2. 1970.

32 - **لعبادي** ، **أحمد مختار**:

أ ـــ الصقالبة في إسبانيا . المعهد المصري للدراسات . مدريد . 1953 .

ب – صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس . منشأة المعارف . الإسكندرية . مصر . 2000.
ج ـــ في تاريخ المغرب والأندلس . دار النهضة العربية . بيروت . 1978 .
33 - **عباس** ، **إحسان** :
أ ــ تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين .دار الثقافة . بيروت. ط 5. 1978 .
ب ـــ تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة . بيروت . ط 6 . 1981 .
34 - **عبد البديع** ، **لطفي** .الإسلام في إسبانيا . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط 2 . 1969.
35-**عبد العزيز** ، **أحمد** .قضـــية الســـجن و الحريـــة في الشـــعر الأندلســـي.مكتبـــة الأنجلـــو المصرية.القاهرة.ط1. 1990.
36 - **عبد العظيم** ، **رجب محمد** .العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانية التصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف . دار الكتاب المصري ، القاهرة ودار الكتاب اللبناني . بيروت.
37 - **عبد النور** ، **جبور** . المعجم الأدبي . دار العلم للملايين . بيروت . ط 2 . 1984 .
38 - **عصفور** ،**جابر** .الصورة الفنيـــة في التـــراث الفـــني و البلاغـــي . دار الثقافـــة للطباعـــة والشر.القاهرة.1974.
39 - **عنان** ، **محمد عبدالله**:.
أ ـــ الدولة الأموية في الأندلس ، عبد الرحمن الناصر .مكتبة الخانجي.القاهرة.ط 4. 1969.
ب ـــ الدولة العامرية وسقوط الخلافة في الأندلس.الجزء الثالث.مطبعة مصر القاهرة.ط1 1958
ج – دول الطوائف . مطبعة الخانجي للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ط1 . 1960
40 - **عيسى** ، **فوزي سعد** . الهجاء في الآدب الأندلسي . دار المعارف . مصر .
41 - **غومس** ، **إميليو غرسية** .:
أ – الشعر الأندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه . ترجمة حسين مؤنس . القاهرة 1952 .
ب - مع شعراء الأندلس والمتنبي . ترجمة الطاهر أحمد مكي . دار المعارف . مصر .ط 3 .1983 .
42 - **فلاح القيسي** ، **فائز عبد النبي** . أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجـــري .دار البشير للنشر والتوزيع . الأردن .ط1 .1989 .
43 - **فخر الدين** ، **جودت** .شكل القصيدة في النقـــد العـــربي . دار الآداب . بـــيروت . ط1. 1984.
44 - **الكيلاني** ، **كامل** . مختارات في التاريخ والأدب . مطبعة المعاهد بالجمالية . القاهرة . ط 1. 1929.

45 - **لغزيوي** ، **علي** . أدب السياسة و الحرب في الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الرابع الهجري.مكتبة المعارف . الرباط . 1987.

46 - **مطلق** ، **البير حيب** . الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف.المكتبة العصرية . صيدا .بيروت . 1968.

47 - **مؤنس،حسين:**

أ ـــ فجر الأندلس . الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة .ط 1 . 1959 .

ب ـــ.موسوعة تاريخ الأندلس ، فكر وتاريخ وحضارة وتراث . الجزء الأول.مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .ط 1 . 1996 .

48 - **مرسي صالح** ، **نادية** . العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانية ، عهد الملك الفونسو الأول.عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . القاهرة .ط1 .2000 .

49 - **مكي** ، **الطاهر أحمد:**

أ - دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة . دار المعارف . مصر ط1 . 1980 .

ب ـــ دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . دار المعارف . مصر .ط 3 . 1981.

ج ـــ الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته . دار المعارف . القاهرة . ط2 . 1983 .

د ـــ دراسات في مصادر اللغة والأدب . دار المعارف . مصر . ط4 .1977 .

50 - **مندور** ، **محمد** . النقد المنهجي عند العرب . مطبعة نهضة مصر . القاهرة .

51 - **ماكيب** ، **جوزيف** . مدينة العرب في الأندلس . ترجمة تقب الدين الهلالي . بغداد . .1950

52 - **النويهي محمد** . الشعر الجاهلي . منهج في دراسته وتقويمه . دار القومية للطباعة والنشر . القاهرة .

53 - **نالينو** ، **كالو** . تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية . نشر نالينو ، مريم،وتقديم طه حسين . دار المعارف . مصر . ط 2 .1970 .

54 - **النوشي** ، **حسن أحمد**: التصوير الفني للحياة الاجتماعية للشعر الأندلسي دار الجيل . بيروت . ط1. 1992 .

55 – **هلال** ، **محمد غنيمي** . النقد الأدبي الحديث . مطابع الشعب . القاهرة . ط3 . 1964 .

56 - **هيكل** ، **أحمد** . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف . مصر .

57 – **يعلاوي** ، **يوسف** . ابن هانئ الأندلسي . دار الغرب الإسلامي . بيروت . 1985 .

ثالثـــا : الرسائل والأطروحات الجامعيـــة

1 - **بن سلامة ، الربعي :**

أ - أدب المحنة الإسلامية في الأندلس . أطروحة الدكتوراه الدولة . إشراف. بن محمد ، علي . معهد اللغة والأدب العربي . جامعة الجزائر . 1991 – 1992 .

ب – شعر الحرب في الأندلس من الفتح إلى سقوط الدولة العامرية . رسالة ما جستير . إشراف الدكتور الركابي ، جودت. معهد الآد ب واللغة العربية . جامعة قسنطينة .1980 – 1981 .

2 - **فورار ، امحمد** . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية . إشراف الركابي ، جودت . معهـــد الآداب واللغة العربية . جامعة قسنطينة . 1994 – 1995 .

فهـــرس المـــوضـــوعات

الفصـــــــل الرابع